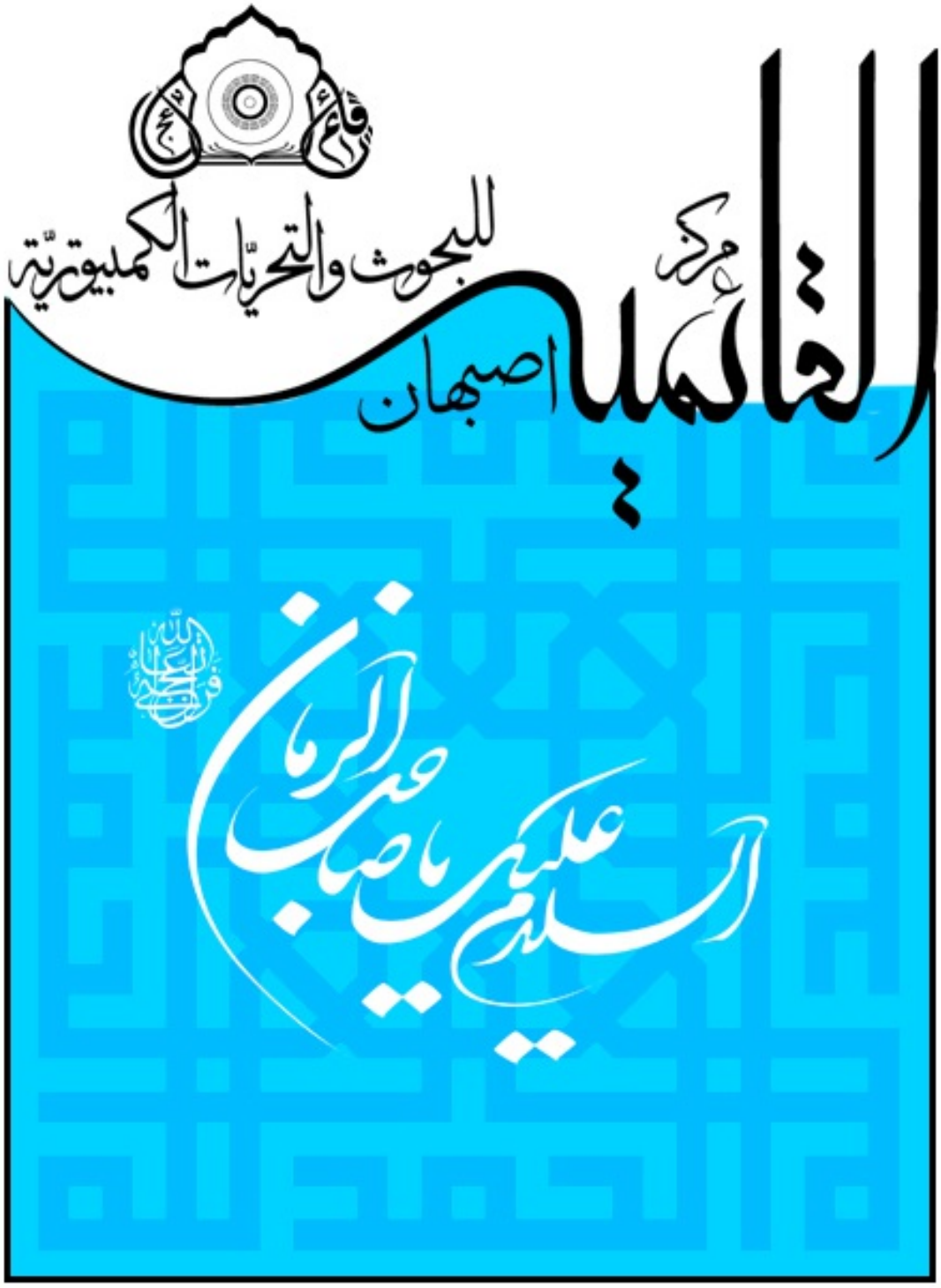

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحوث

فى الملل و النحل

الحنابلة

الجزء السابع

جعفر السبحانى التبريزى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث فی الملل و النحل

كاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

موسسة النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
بحوث فی الملل و النحل - الجزء السابع (الزیدیة) ----- ۷
اشارة ----- ۷
مقدمة ----- ۷
القسم الاَوّل : فهرس إجمالی لفصول القسم ----- ۸
اشاره ----- ۹
الفصل الاَوّل فرق الشیعة بین الحقائق والاَوهام ----- ۹
الفصل الثانی حیاة زید فی عصر الاَئمة الثلاثة ----- ۳۲
الفصل الثالث فی خطبه، وکلماته ----- ۴۱
الفصل الرابع مشایخه وتلامیذه ----- ۵۶
الفصل الخامس الآثار العلمیة الباقیة عن زید ----- ۶۲
الفصل السادس دراسة مسند الاِمام زید ----- ۶۶
الفصل السابع هل کان زید معتزلیّ المبدأ والفکرة ----- ۸۰
الفصل الثامن هل کان زید إماماً ----- ۸۴
الفصل التاسع هل دعا إلی نفسه ----- ۹۲
الفصل العاشرموقف أئمة أهل البیت ----- ۹۹
الفصل الحادی عشر الخط الثوری ----- ۱۰۳
الفصل الثانی عشر موقف علماء الشیعة ----- ۱۰۸
الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة ----- ۱۱۳
القسم الثانی : فهرس إجمالی لفصول القسم ----- ۱۳۵
اشاره ----- ۱۳۵
الفصل الاَوّل عرض إجمالی للثائرین بعد الاِمام زید ----- ۱۳۵
الفصل الثانی أصحاب الانتفاضة ----- ۱۳۸

الفصل الثالث أئمة الزيدية ودولتهم فى اليمن ---- ۱۵۲
الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان ---- ۱۵۶
الفصل الخامس الدولة الزيدية فى المغرب ---- ۱۵۷
الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزيدية ---- ۱۶۰
الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة ---- ۱۷۹
الفصل الثامن فرق الزيدية فى كتب تاريخ العقائد ---- ۱۸۸
الفصل التاسع فى عقائد الزيدية ---- ۱۹۳
الفصل العاشر فى أُمور متفرقة ---- ۲۰۹
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۲۲۱

بحوث فی الملل و النحل – الجزء السابع (الزیدیة)

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : بحوث فی الملل و النحل : دراسه موضوعیه مقارنه للمذاهب الاسلامیه تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم اداره الحوزه العلمیه بقم الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم موسسه النشر الاسلامی ۱۴۱۴ق = - ۱۳۷۲.
فروست : (موسسه النشر الاسلامی جامعه المدرسین بقم ۷۲۰، ۷۲۱، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۵: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم ۱، ۲۶)
شابک : بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : ج ۱ (چاپ دوم ۱۳۷۱)؛ بها: ۱۸۰۰ ریال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳؛ بها: ۴۰۰۰ ریال‌جلد پنجم (چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳)؛ بها: ۵۵۰۰ ریال (موسسه النشر الاسلامی جامعه مدرسین بقم)۷۲۴
یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴؛ بها: ۶۵۰۰ ریال یادداشت : ج ۴(چاپ پنجم ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵)؛ ۷۶۰۰ ریال یادداشت : ج ۷(چاپ اول ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۸(چاپ اول موسسه الامام الصادق ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۱۴۱۲ ۵ق = ۲۵۰۰ :۱۳۷۱ ریال یادداشت : ج ۶ (چاپ چهارم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲): ۳۴۰۰۰ ریال یادداشت : کتابنامه مندرجات : ج ۱. تاریخ عقائد اهل الحدیث و الحنابله و السلفیه .-- ج ۲. تاریخ الامام الاشعری و انصاره و عقائدهم .-- ج ۳. و یتناول تاریخ و عقائد الماتریدیه و المرجئه .-- ج ۴. حیاه ابن‌تیمیه و ابن‌عبدالوهاب و عقائدهما .-- ج ۶. تاریخ الشیعه نشاتهم عقائدهم و شخصیاتهم .-- ج ۷. یتناول شخصیه و حیاه الامام الثائر زیدبن علی و تاریخ الزیدیه و عقائدهه -- ج ۸. الاسماعیلیه و فرق الفطیحه ...--
موضوع : اسلام -- فرقه‌ها
شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی شناسه افزوده : حوزه علمیه قم مرکز مدیریت رده بندی کنگره : BP۲۳۶/س ۲ب ۳ ۱۳۷۲
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵
شماره کتابشناسی ملی : م۷۳-۲۱۵۵

مقدمة

مقدمة بسم الله الرحمن الرحیم
الحمد للّه ربّ العالمین، والصّلاة والسلام علی نبیّه وصفیّه محمّد وآله الطیبین الطاهرین.
أمّا بعد: فهذا هو الجزء السابع من موسوعتنا فی الملل والنحل نقدّمه إلی القرّاء الکرام راجین منهم النقد والاِصلاح، فإنّ العصمة للّه ولمن عصمه.
ونخصّ هذا الجزء ببیان مذهب الزیدیة المنتمیة إلی الاِمام زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب ـ علیهم السلام ـ ذلک الاِمام الثائر الّذی ضمَّ إلی ثورته العارمة بوجه الظلم والطغیان، التجافیَ عن الدنیا، والزهدَ فی صفرها وبیضها، والتهجّد آناء اللیل وغیاهبه بالصلاة وتلاوة القرآن، وکان فقیهاً فی الدین، محدّثاً فی الاِسلام، مفسّراً للقرآن، ولم یکن له فی الفقه منهج کما لم یکن له فی مجال الاُصول والعقائد مذهب خاص سوی ما علیه العترة الطاهرة ـ علیهم السلام ـ عامة، من اُصول التوحید والعدل وبطلان الجبر

والتشبيه، وقد نشرت منه آثار فى الحديث والتفسير والفقه وسيوافيك تفصيلها.

نعم تأثّر المذهب الزيدى الحاضر بمبادئ الاعتزال كثيراً كما تأثّر بفقه ببعض المذاهب الأربعة، وأمّا ما هو السبب لتأثّره بآراء المعتزلة فى العقائد،

(۴)

وتفتّحه مع مدرسة الرأى فى الفقه، فيحتاج إلى بسط فى الكلام وسنوقفك على جليّة الحال فى المستقبل.

وبما أنّ لزيد الشهيد بين الأُمة الإسلامية، وعند أئمة العترة الطاهرة مكانة خاصة، ومنزلة كبيرة لم تكن لسائر أئمة الزيدية، من الحسنيّين والحسينيّين الذين شايعوا زيداً فى الخروج على الخلفاء، ومارسوا خطّه فى الجهاد، ـ وكانت مساعى الجميع مشكورة ـ لم نجد بدّاً من فتح بابين، يتكفّل أحدهما، لبيان حياة زيد وآثاره وجهاده ونضاله، ويختص الآخر، ببيان حياة أئمة الزيدية والإيعاز إلى الدول الّتى أسّسوها، والأُصول التى اختاروها فى مجال العقيدة، والمنهج الذى سلكوه فى استنباط الأحكام الشرعية إلى غير ذلك من مباحث جانبيّة، تسلّط الضوء على الموضوع.

ولأجل إيضاح تاريخ زيد وأتباعه قسمنا الكتاب إلى قسمين:

١ـ ما يرجع إلى زيد من ولادته إلى شهادته وذلك فى ضمن أربعة عشر فصلاً.

٢ـ يتكفل ببيان السائرين على دربه وما يمت إليهم بصلة .

وقبل أن ندخل فى صلب الموضوع نشير إلى بعض الفرق التى خلقتها السياسة فى أوساط الشيعة فى عصر الأئمة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ بوجه موجز، مع الإشارة إلى الفرق الواقعية وإن كانت قليلة. المؤلف

٢٩ ربيع الثانى ١۴١۵ (۵)

القسم الأوّل:

وإليك مجمل ما فيه من فصول:

الفصل الأوّل:فرق الشيعة بين الحقائق والأوهام.

الفصل الثانى:فى حياة زيد فى عصر الأئمّة الثلاثة ـ عليهم السلام .ـ

الفصل الثالث: فى خطبه، وكلماته، وأشعاره، ومناظراته، وعبادته.

الفصل الرابع: فى مشايخ زيد وتلاميذه فى الحديث والتفسير.

الفصل الخامس: الآثار العلمية الباقية عن زيد.

الفصل السادس: دراسة مسند الإمام زيد سنداً ومضموناً.

الفصل السابع: هل كان زيد معتزلى المبدأ والفكرة.

الفصل الثامن: هل كان زيد أماماً فى الأُصول والعقائد، والفروع والأحكام.

الفصل التاسع: هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة.

الفصل العاشر: موقف أئمّة أهل البيت من خروج زيد وجهاده.

الفصل الحادى عشر: الخط الثورى المدعَم من قبل أئمّة أهل البيت.

الفصل الثانى عشر: موقف علماء الشيعة من زيد الشهيد.

الفصل الثالث عشر: الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين ـ عليه السلام .ـ

الفصل الرابع عشر: ثورة زيد كانت استمراراً لثورة الحسين ـ عليه السلام . (ـ ۶) (۷)

القسم الأوّل : فهرس إجمالى لفصول القسم

اشاره

القسم الاَوّل : فهرس إجمالى لفصول القسم الأوّل، الأربعة عشر

الفصل الاَوّل فرق الشيعة بين الحقائق والاَوهام

الفصل الاَوّل فرق الشيعة بين الحقائق والاَوهام إنّ من ثمرات وجود النبى المعصوم بين الاُمّة هو رأب الصدع بعد ظهوره بينهم، وفصل القول، عند اندلاع النزاع، والقضاء على الفتنة فى مهدها، وكان رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يلمّ الشمل، ويُزيل الخلاف عند بروزه فلاَجل ذلك كان اختلاف الصحابة فى عصره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غير موَثر فى تفرق الاُمّة، لاَنّه صلوات اللّه عليه وآله بحنكته، واعتقاد الاُمّة بعصمته، كان يأخذ بزمام الاُمور، ويكسح أسباب الشقاق من جذوره.

فعندما اعترض عليه ذو الخويصرة عند توزيع الغنائم بين المسلمين بقوله: إعدل يامحمّد فإنّك لم تعدل، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن لم أعدل، فمن يعدل» ثم أعاد اللعين وقال: هذه قسمة ما أُريد بها وجه اللّه، فعند ذاك لم يجد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بُدّاً من أن يعرّفه للاُمّة الاِسلامية وقال: «سيخرج من ضئضىَ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية» (۱)

---

(۱) مضت اسناد الرواية فى: ۵| ۴۸۰ ـ ۵۰۲، من هذه الموسوعة

وليست قصة ذى الخويصرة وحيدة فى بابها، فقد حدثت حوادث وكوارث فى زمانه كادت تفرّق الاُمّة ولكنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قضى عليها بعلمه وحلمه وحكمته، ولا يقصر حديث الاِفك (۱)عن قصة ذى الخويصرة، أو قعود بعض الصحابة عن الخروج مع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى جيش العسرة، أو ما حدث فى أيّام مرضه، حيث طلب دواة وقرطاساً حتى يكتب كتاباً لاتضل الاُمّة بعده، فخالف بعضهم، ووافق البعض الآخر، فقضى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على الاختلاف وقال: «قوموا عنّى، لا ينبغى عندى التنازع» (۲). إلى غير ذلك من حوادث مريرة فى عصر الرسالة، فقد استقبلها القائد الكبير برحابة صدر فى غزواته وفى إقامته فى المدينة.

وقد كانت وحدة الاُمّة الاِسلامية رهن قائد مطاع معصوم، لا يخضع لموَثرات الهوى، وتكون الاُمّة مأمورة باتّباعه قال تعالى": وَما كَانَ لِمُوْمِنٍ وَلا مُوْمِنَةٍ إذا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْراً أنْ تَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبِينا ("الاَحزاب ـ ۳۶) .

ولئن تفرقت الاُمّة إلى فرقتين أو أكثر فإنّما تفرّقوا بعد رحيله، وسرُّ الاختلاف يكمن فى تناسى الاُمّة الاِمام المعصوم الذى نصبه النبى مرجعاً عند الخلاف، غير أنّ المهتمّين بأمر الرسول ونصوصه تعلّقوا به تعلّقاً دينياً ولاَجل ذلك قلّ الاختلاف بينهم أو لم يتحقق إلى عصر الصادقين ـ عليهما السلام ـ وما يذكر من الفرق فى عهدهما، لا صلة لهم بالاِسلام فضلاً عن التشيّع وإنّما كان التفرّق آنذاك ارتداداً عن الاِسلام وخروجاً عن الدين كما سيتضح_____.

(۱) اقرأ تفصيل القصة وتشاجر الحيّين: الاَوس والخزرج فى مسجد النبى بحضرته فى صحيح البخارى: ۵ |۱۱۹ باب غزوة بنى المصطلق، والسيرة النبوية: لابن هشام: ۳|۳۱۲. وذكرها الشهرستانى فى الملل والنحل فى فصل بدايات الخلاف: ۱|۲۱.

(۲) لاحظ صحيح البخارى: ۱|۲۲، كتاب العلم، و۲|۱۴، والملل والنحل: للشهرستانى: ۱|۲۲ عند البحث فى بدايات الخلاف.

يقول أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى صاحب كتاب الزينة: «كانت طائفة من (۱) الشيعة قبل ظهور زيد بن على مجتمعين على أمر

واحد، فلمّا قتل زيد انحازت منهم طائفة إلى جعفر بن محمّد وقالوا بإمامته» (٢).

إنّ الشيعة هم الذين شايعوا علياً وولديه الحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ وكانوا متمسّكين بإمامتهم وقيادتهم ولم يبرز أىُّ اختلاف دينى بينهم إلى زمن الإمام الصادق ـ عليه السلام ، ـ لأنّ الاعتقاد بوجود المعصوم، كان يدفعهم إلى سؤاله ورفع الإبهام عن الملابسات فى وجوه المسألة، وأمّا تاريخ الكيسانية الناجمة فى عصر الإمام السجاد ـ عليه السلام ـ فسندرسها حسب التاريخ وكلمات أصحاب المقالات.

هذا ما يلمسه الإنسان من قراءة تاريخ الشيعة، ولكن نرى أنّ أصحاب المقالات يذكرون للشيعة فرقاً كثيرة، وهم بين غلاة وغيرها.

قال الشهرستانى تبعاً لعبد القاهر البغدادى (٣): والشيعة خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاةوإسماعيلية (٤). ثم ذكر لكل فرقة طوائف كثيرة ولعل الغاية من إكثار الفرق تطبيق حديث الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى انقسام أُمّته إلى ثلاث وسبعين فرقة، عليهم.

ونحن نقف أمام هذا التقسيم وقفة غير طويلة، فنذكر أمرين:

الأوّل: إنّ الغلاة ليسوا من الشيعة، ولا من المسلمين، وإنّ عدهم من الطوائف الإسلامية جناية على المسلمين والشيعة، وعلى فرض كونهم فرقاً، فلم يكن لهم أتباع ولم يكتب لهم البقاء إلاّ أياماً قلائل_____.

(١) كذا فى النسخة، ولعل لفظة «من» زائدة أو بيانيّة.

(٢) أبو حاتم الرازى: كتاب الزينة: ٢٠٧.

(٣) عبد القاهر البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢١. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل: ١|١٤٧.

الثانى: إنّ الكيسانية لم تكن فرقة نجمت بين الشيعة، وإنّما خلقتها أعداء أئمة أهل البيت، ليستغلّوها ويقضوا بها على تماسك الشيعة ووحدتهم، وأكثر ما يمكن أن يقال فى المقام: إنّه كانت هناك شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء ثم أُزيلت، فتجلى الصبح لذى عينين، وإليك الكلام فى كلا المقامين:

* * *

الغلاة ليسوا من المسلمين:

قد ذكر أصحاب الفرق فرقاً للشيعة باسم الغلاة ومع أنّهم يصرّحون بأنّهم ليسوا من فرق المسلمين ولكن يذكرونها فرقاً للشيعة ويحملون أوزار الغلاة على الشيعة. والشيعة طائفة من المسلمين فكيف يصح عدّ الغلاة منهم !!.

قال البغدادى: «فأمّا غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة وأباحوا محرّمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانية، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجراهم فماهم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه» (١).

وقال أيضاً: الكلام فى ذلك (الفرق الإسلامية) يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من أُمّة الإسلام وملّته ـ إلى أن قال: ـ فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو المنصورية، أو الجناحية،أو السبئية، أو الخطابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية أو على دين أصحاب التناسخ أو على دين الميمونية، أو اليزيدية من الخوارج أو على دين الخابطية، أو الحمارية من

_____

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢٣ـ ٢٤.

القدرية، أو كان ممن يحرّم شيئاً ممن نصّ القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حرّم القرآن باسمه فليس هو من جملة أُمّة الإسلام ـ

إلی أن قال:ـ فالفرق المنتسبة إلی الاِسلام فی الظاهر مع خروجها عن جملة الاَمّة، عشرون فرقة هذه ترجمتها:

سبئیة، وبیانیة، وحربیة، ومغیریة، ومنصوریة، وجناحیة، وخطّابیة، وغرابیة، ومفوضیة، وحلولیة، وأصحاب التناسخ، وخابطیة، وحماریة، ومقنّعیة، ورزامیة، ویزیدیة، وممونیة، وباطنیة، وحلّاجیة، وعذافریة، وأصحاب إباحة، وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً کثیرة (۱).

أقول: إنّ البحث فی هذا الفصل فی کتب الملل والنحل هو التحدث عن الفرق الاِسلامیة ولا تکون الفرقة، إسلامیة إلّا إذا کان المقسم (الاِسلام) موجوداً فیها، فالاِسلام هو الشهادة علی توحیده ورسالة نبیّه وحشر الخلق یوم المعاد، والتصدیق بما جاء به النبی الاَکرم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ علی وجه الاِجمال، فمن أنکر واحداً من هذه، فلیس بمسلم ولا یحمل عقیدة إسلامیة، وهذه الفرق التی جاء بها الاَشعری فی کتاب مقالات الاِسلامیین وتبعه البغدادی فی الفرق بین الفرق لیسوا من الاِسلام ولا الشیعة بشیء وإنّما هی فرق مرتدة عن الاِسلام ولایمکن الحکم علیهم بالاِسلام، فالاَولی حذف هوَلاء المرتدین عن کتب الملل والنحل، والبحث عنهم تاریخیاً فقط.

لا شک أنّ هوَلاء تنزلوا من علیاء الاِسلام إلی حضیض الکفر وما جرَّتهم إلی ذلک إلّا مطامع وشهوات استهوتهم إلی هذه المقالات الباطلة ومن حسن الحظ أنّه لم تکتب علیهم حیاة معروفة إنّما کانت أیّاماً قلائل قطعت معرّتَهم حمامُهم فلم یبق منهن ذکر إلّا بین أسطر التاریخ.

علی أنّ قسماً منهم قاموا بهذه الدعایات من قبل السیاسات الزمنیة روماً_____

(۱) البغدادی: الفرق بین الفرق: ۲۳۲.

(۱۲)

لتشتیت کلمة الشیعة أو المسلمین، لکن سرعان ما قلب علیهم الدهر ظهر المجنّ لما تمکنت السیاسة من الحصول علی غایاتها المنشودة فأُخذوا وقتلوا تقتیلاً.

هکذا یعامل مع کل عمیل یعمل لصالح المستکبر. علی أنّه لم یکن لمنهجهم معتنق قابل للذکر إلّا شذاذ الآفاق أو ساقة الناس فمن مال إلیهم لغایة دنیویة أو لشکوک وأوهام عرت لهم لا یتجاوز عددهم عدد الاَصابع إلّا شیئاً طفیفاً حتی أصبح الجمیع فی حدیث الاَمس الدابر.

والذی یتحمّل وزر ذکر هوَلاء من الفرق الاِسلامیة الشیعیة هو الشیخ المتکلّم الجلیل الحسن بن موسی النوبختی (۱)الشیعی من أعلام القرن الثالث المتوفّی حوالی عام ۳۱۰هـ فی کتابه «فرق الشیعة» ثم الشیخ الاَشعری (۲)فی کتابه «مقالات الاِسلامیین واختلاف المصلّین»، وتبعهما من جاء بعدهما کالبغدادی فی «الفرق بین الفرق» (۳)والاِسفرائینی فی «التبصیر » (۴)والشهرستانی فی «الملل والنحل» (۵).

وإنّی لاَضن بالحبر والورق علی تسطیر عقائد هوَلاء وکفریاتهم الذین قضی علیهم الدهر وشرب، ولکن لاَجل إیقاف القارئ علی إجمال ما کانوا یعتقدونه نذکر أسماء الفرق مع التعریف الاِجمالی لمبادئهم حتی یقف علی صدق ما قلناه.

قال الاَشعری: فمنهم الغالیة وإنّما سمّوا الغالیة لاَنّهم غلوا فی علی ـ علیه السلام ـ وقالوا فیه قولاً عظیماً وهم خمس عشرة فرقة:

---

(۱) الحسن بن موسی النوبختی: فرق الشیعة: ۳۶، وما بعدها.

(۲) الاِمام الاَشعری: مقالات الاِسلامیین واختلاف المصلین: ۵، وما بعدها.

(۳) البغدادی: الفرق بین الفرق: ۲۲۵، وما بعدها.

(۴) الاِسفرائینی: التبصیر: ۱۲۳، وما بعدها.

(۵) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۵۰، وما بعدها.

(۱۳)

الأُولى: البيانية:

وهوَلاء يزعمون أنّ أبا هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية (۱)نص على إمامة بيان بن سمعان التميمى ونصبه إماماً، يقولون بأنّ اللّه عزّ وجلّ على صورة الإنسان وأنّه يهلك كلّه إلاّ ـ وجهه وادّعى «بيان» أنّه يدعو (كوكب) الزهرة فتجيبه وأنّه يفعل ذلك بالاسم الأعظم فقتله خالد بن عبد اللّه القسرى، وقيل: إنّ كثيراً منهم يثبت لبيان بن سمعان، النبوة (۲).

وقال النوبختى: فكان «بيان» تبّاناً يتبن التبن فى الكوفة وأخذه خالد بن عبد اللّه القسرى هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فشدّهم بأطنان القصب وصبّ عليهم النفط فى مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكرّ راجعاً إلى أن ألقى نفسه فى النار فأُحرق معهم (۳) .

أقول: إنّ البيانية ـ على فرض صحّة وجودها ـ مشتقة من القول بإمامة محمد ابن الحنفية بعد شهادة السبط الأكبر الحسين بن على سلام اللّه عليهما وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبى هاشم، فلما مات أبو هاشم اختلفوا فى وصيّه إلى أقوال فمن قائل بأنّه ابن أخيه الحسن بن على بن محمد الحنفية، إلى آخر بأنّه أخوه على بن محمد، وعلىّ أوصى إلى ابنه الحسن فالإمامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج إلى غيرهم، إلى ثالث أنّه عبد اللّه بن عمرو بن الكندىّ، وأنّ الإمامة خرجت من بنى هاشم وتحرّكت روح أبى هاشم إلى عبد اللّه الكندى، إلى رابع بأنّه أوصى إلى بيان ابن سمعان التميمى (۴_____).

(۱) كل فرقة تنتمى إلى أبى هاشم فهى من فروع الكيسانية الممسوخة والفرق الثلاث الأُول: البيانية، الجناحيّة، والحربية، من هذا الصنف.

(۲) الإمام الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۵ ـ ۶.

(۳) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۸، طبع بيروت، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ولاحظ الفرق بين الفرق: ۲۳۶.

(۴) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۵۱ ـ ۱۵۲.

(۱۴)

الثانية: الجناحية:

أصحاب عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر ذى الجناحين، يزعمون أنّ عبد اللّه بن معاوية كان يدّعى أنّ العلم ينبت فى قلبه كما ينبت الكماة والعشب وأنّ الأرواح تناسخت وأنّ روح اللّه جلّ اسمه كانت فى آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه، قال: وزعم أنّه ربّ وأنّه نبى فعبدته شيعته وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أنّ الدنيا لاتفنى ويستحلّون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم ويتأوّلون قول اللّه عزّ وجلّ": لَيسَ عَلَى الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقَوا ("۱).

هذا ولم يذكر الأشعرى اشتقاقهم من أى فرقة ولكن جاء به النوبختى، وقال: «فرقة قالت أوصى أبو هاشم عبد اللّه بن محمد الحنفية إلى عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب الخارج بالكوفة، وهو يومئذ غلام صغير فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد اللّه بن معاوية فيدفعها إليه فهو الإمام وهو العالم بكل شىء حتى غلوا فيه وقالوا: إنّ اللّه عزّ وجلّ نور وهو فى عبد اللّه بن معاوية قتله أبو مسلم فى حبسه» (۲)

الثالثة: الحربية:

هم أصحاب عبد اللّه بن عمر بن حرب، ويسمّون الحربية، يزعمون أنّ روح أبى هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية تحولت فيه وأنّ أبا هاشم نصّ على إمامته (۳) . ويرجع جذور هذه الفرق إلى القول بإمامة محمد الحنفية ثم أبى هاشم كما تقدم.

_____

(۱) الأَشعری: مقالات الإِسلاميين: ۶.والآية ۹۳ من سورة المائدة.

(۲) النوبختی: فرق الشيعة: ۳۲، ولاحظ الفرق بين الفرق: ۲۴۵.

(۳) الأَشعری: مقالات الإِسلاميين: ۶، لاحظ الفرق بين الفرق: ۲۴۳.

(۱۵)

الرابعة: المغيرية:

هوَلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلی وكان يظهر فی بدء أمره موالاة الإِمامية ويزعم أنّ الإِمامة بعد علی والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ إلی سبط الحسن محمد (المعروف بالنفس الزكية الذی توفی عام ۱۴۵هـ) وزعم أنّه المهدی المنتظر، ثم إنّه أظهر مقالات فاسدة منها دعواه النبوة، دعواه علمه بالاسم الأَعظم، وزعم أنّه يحيی بها الموتی ويهزم بها الجيوش ومنها إفراطه فی التشبيه وذلك أنّه زعم أنّ معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة ـ إلی أن قال: ـ وكان المغيرة مع ضلالاته يأمر بانتظار محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علی (۱).

ويظهر من النوبختی أنّه كان يقول بإمامة الأَئمة إلی أبی جعفر الباقر ـ عليهم السلام ـ (۵۷ ـ ۱۱۴هـ) فلما توفی أبو جعفر محمد بن علی، دعا المغيرة إلی إمامة محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب عليهم وأظهر ما أظهر فبرئت منه أصحاب أبی عبد اللّه جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ورفضوه فزعم أنّهم رافضة وأنّه هو الذی سمّاهم بهذا الاسم وقال: إنّ خالد بن عبد اللّه القسری أخذ المغيرة فسأله عن عقائده فأقر بها ودعا خالداً إليها فاستتابه خالد فأبی أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه (۲).

الخامسة: المنصورية:

أصحاب أبی منصور، يزعمون أنّ الإِمام بعد أبی جعفر محمد بن علی بن الحسين ـ عليهم السلام ـ أبو منصور وأنّ أبا منصور، قال: آل محمد هم السماء_____

(۱) الأَشعری: مقالات الإِسلاميين: ۹.

(۲) النوبختی: فرق الشيعة: ۶۳، وفيما ذكره تأمل واضح علی أنّ خالد بن عبد اللّه القسری من عُمال آل أُمية، فكيف قتل من كان يدعو بالنفس الزكية الذی خرج فی أوائل العباسيين وقتل عام ۱۴۵هـ؟!. إلاّ أن تكون له دعوة خفيّة بعد استشهاد زيد وابنه يحيی عام ۱۲۶ هـ.

(۱۶)

والشيعة هم الأَرض وأنّه هو الكسف الساقط من بنی هاشم تأويلاً لقوله سبحانه": وإن يَرَوْا كِسفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَركُوم ("الطور ـ ۴۴) وقد ذكر الأَشعری عقائدهم الفاسدة التی لا تمت صلة بالديانات الإِلهية (۱).

قال البغدادی: وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنّة والنار وتأوّلوا الجنّة علی نعيم الدنيا والنار علی محن الناس فی الدنيا واستحلّوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم، واستمرت فتنتهم علی عادتهم إلی أن وقف يوسف بن عمر الثقفی والی العراق فی زمانه علی عوارت المنصورية فأخذ أبا منصور العجلی وصلبه، وهذه الفرقة كالمتقدمة عليها غير معدودة من فرق الإِسلام لكفرها بالقيامة والجنّة والنار (۲).

السادسة: الخطابية المطلقه:

أصحاب أبی الخطاب بن أبی زينب، يقولون: إنّ الإِمامة فی أولاد علیّ إلی أن انتهت إلی جعفر الصادق، ويزعمون أنّ الأَئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يزعم أوّلاً أنّ الأَئمة أنبياء، ثم زعم أنّهم آلهة، وأنّ أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء اللّه وأحباءه، وكان يقول: إنّ جعفراً إله، ولما بلغ ذلك جعفراً ـ عليه السلام ـ لعنه وطرده. وكان أبو الخطاب يدّعی بعد ذلك، الإِلهية لنفسه وزعم أتباعه أنّ جعفراً إله غير أنّ أبا الخطاب أفضل منه وأفضل من علی (۳).

وخرج أبو الخطاب على أبى جعفر فقتله عيسى بن موسى فى سبخة الكوفة، ثم إنّ الذين جاءوا بعد أبى الخطاب انقسموا إلى فرق ذكرها الأشعرى وقد عبر عن مؤسس الفرقة بالخطابية المطلقة لتتميز عن الفرق اللاحقة_____.

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۹ ـ ۱۰.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۳.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۷.

(۱۷)

السابعة: الخطابية المعمرية:

يزعمون أنّ الإمام بعد أبى الخطاب رجل يقال له «معمر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب. قال: واستحلّوا الخمر والزنا واستحلّوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة (۱) وقد لعنه الإمام الصادق _ عليه السلام _ وسيأتيك نصه.

الثامنة: الخطابية البزيعية:

أصحاب بزيع بن موسى يزعمون أن جعفر بن محمد _ عليه السلام _ هو اللّه، وزعموا أن كل ما يحدث فى قلوبهم وحى، وأنّ كل مؤمن يوحى إليه، وزعموا أنّ منهم من هو خير من جبرئيل وميكائيل وأن أحدهم إذا بلغت عبادته، رفع إلى الملكوت (۲) .

التاسعة: الخطابية العميرية:

أصحاب عمير بن بيان العجلى، وهذه الفرقة تكذب من قال منهم: إنّهم لا يموتون ويزعمون أنّهم يموتون ولا يزال خَلَفٌ منهم فى الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفراً كما عبده اليعمريون وزعموا أنّه ربّهم وقد كانوا ضربوا خيمة فى كناسة الكوفة ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة« عمير بن البيان» فقتله فى الكناسة وحبس بعضهم (۳).

العاشرة: الخطابية المفضلية:

لأنّ رئيسهم كان صيرفياً يقال له المفضل يقولون بربوبية جعفر كما قال_____

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۱، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ۸۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۸.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۲، النوبختى: فرق الشيعة: ۴۳.

(۳) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۲، النوبختى: فرق الشيعة: ۴۴.

(۱۸)

غيرهم من أصناف الخطابية وانتحلوا النبوة والرسالة وإنّما خالفوا فى البراءة من أبى الخطاب لأنّ جعفراً أظهر البراءة منه(۱).

الحادية عشرة:

من أصناف الغالية يزعمون أنّ روح القدس هو اللّه عزّ وجلّ وكانت فى النبى ثم فى على ثم فى باقى الأئمة الاثنى عشر، ولم يذكر الإمام الأشعرى اسم مؤسس الفرقة كالفرقة التالية (۲).

الثانية عشرة:

يزعمون علياً هو اللّه، ويكذبون النبى ويشتمونه ويقولون: إنّ علياً وجّه بهِ ليبين أمره فادّعى الأمر لنفسه (۳) .

الثالثة عشرة:

هم أصحاب «الشريعى» يزعمون أنّ اللّه حلَّ فى خمسة أشخاص فى النبى وفى على والحسن وفى الحسين وفى فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم وليس يطعن أصحاب الشريعى على النبى _ صلى الله عليه وآله وسلم ... (_ ۴) .

الرابعة عشرة: السبائية:

أصحاب عبد اللّه بن سبأ، يزعمون أنّ علياً لم يمت وأنّه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا(۵) .

(۱) الأشعری: مقالات الإسلامیین: ۱۳، البغدادی: الفرق بین الفرق: ۲۵۰.

(۲)۳ـ۴ـ۵ـ الأشعری: مقالات الإسلامیین: ۱۴، ۱۵، ۱۶، ولاحظ فی الوقوف علی عقائد هذه الفرق کتب أصحاب المقالات والملل والنحل، وکأنّ المتأخرین عن الأشعری عمدوا إلی تحریر ما ذکره، ولانطیل المقام بذکر المصادر.

(۱۹)

وقد تعرفت فی الجزء السادس علی أنّ عبد اللّه بن سبأ علی النحو الذی یذکره أصحاب التواریخ والمقالات أُسطورة تاریخیة.

الخامسة عشرة: المفوضة:

یزعمون أنّ اللّه عزّ وجلّ وکّل الأُمور وفوّضها إلی محمّد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وأنّه أقدره علی خلق الدنیا فخلقها ودبرها وأنّ اللّه لم یخلق من ذلک شیئاً، ویزعمون أنّ الأئمة ینسخون الشرائع ویهبط علیهم الملائکة... (۱).

ونحن بدورنا نعلّق علی هذه الفرق التی ذکروها فرقاً للشیعة وبالتالی فرقاً للإسلام بأمرین:

الأوّل: من المظنون جداً ـ أنّ هذه الفرق علی فرض التأکد من وجودها فی عصورها ممّا صنعتها ید السیاسة الأثیمة لتشویش سمعة الأئمة الطاهرین ـ علیهم السلام ـ بین المسلمین ومحق روعتهم، وقد استعانت فی ذلک، برجال کانوا غامرین فی حبّ التصدر والفخفخة، وجنون العظمة، ولما کانت دعوتهم علی خلاف العقل والنقل، والفطرة الإنسانیة، لم یُقم المجتمع الإسلامی لهم وزناً ولم یعیشوا إلاّ أیّاماً قلائل وقد قامت أئمة أهل البیت بدورهم علی إیقاظ الأُمّة عند استفحال الفساد وتبرّأوا من أصحاب هذه المقالات وعقائدهم. وسیوافیک کلامهم فی حقّ هؤلاء الغلاة فانتظر.

الثانی: نحن نعاتب المشایخ: النوبختی والأشعری والبغدادی والإسفرائینی، والشهرستانی والرازی وغیرهم من کتّاب تاریخ العقائد، وأصحاب المقالات، حیث نسبوا هؤلاء إلی الشیعة مع تصریحهم بأنّهم غلاة کفار، لایمتّون إلی الإسلام والمسلمین بصلة، وأقلُّ، کلمة یمکن أن یقال فی حقهم إنّ الجنون_____

(۱) الأشعری: مقالات الإسلامیین:۱۶.

(۲۰)

والمجون، وحب الجاه والمقام أسفت بهؤلاء إلی هوة المذلة واللعنة ثم الفناء المطلق فلیس لأحد أن یطعن الشیعة بانتماء هؤلاء إلیهم، فما أحسن قول القائل:

غیری جنی وأنا المعاقب فیکم * فکأنّنی سبابة المتندِّم" قُلْ هذِهِ سَبِیلی أدعُوا إلی اللّهِ عَلَی بَصِیرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِی وَسُبحانَ اللّهِ وَما أنا مِنَ المُشرِکِین ("یوسف ـ ۱۰۸) .

ولیس انتماؤهم إلی الشیعة إلاّ کانتماء النصاری القائلین بالتثلیث إلی المسیح ـ علیه السلام ـ وهل یؤخذ البریء بجرم المعتدی؟!. لا واللّه.

موقف الأئمة من الغلاة:

إنّ موقف أئمة أهل البیت من هؤلاء المرتدّین موقف النبی الأکرم من مشرکی عصره والأعصار الآتیة فقد طردوهم، ولعنوهم وکفّروهم وحذّروا شیعتهم من مکائدهم ومصائدهم، وإلیک قسماً من الروایات الواردة فی حقّ سعید بن المغیرة، وأبی الخطاب، ولفیفاً من رجال العیث والفساد الذین کانوا یتظاهرون بالانتماء إلی أهل البیت ـ علیهم السلام ـ ولم یکونوا منهم بشیء.

وبما أنّ کتاب الرجال للشیخ الکشی الذی یعد من علماء القرن الرابع أحسن کتاب وضع فی مجال التوثیق والجرح علی أساس الروایات الواردة عن المعصومین ـ علیهم السلام ـ فی حقّ الرواة، نقتبس الروایات من هذا الکتاب وإن کان لها مصادر أُخری.

(۲۱)

المغیرة بن سعید فی روایات أئمة أهل البیت ـ علیهم السلام ـ:

۱ ـ روی الکشی عن جعفر بن عیسی وأبی یحیی الواسطی قال: قال أبو الحسن الرضا ـ علیه السلام: «ـ کان المغیرة بن سعید یکذب علی أبی جعفر ـ علیه السلام ـ فأذاقه اللّه حرّ الحدید».

۲ ـ أخرج الکشی عن عبد اللّه بن مسکان عمّن حدثه من أصحابنا عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: سمعته یقول: لعن اللّه المغیرة بن سعید إنّه کان یکذب علی أبی، فأذاقه اللّه حرّ الحدید. لعن اللّه من قال فینا ما لا نقوله فی أنفسنا، ولعن اللّه من أزالنا عن العبودیة للّه، الذی خلقنا وإلیه مآبنا ومعادنا وبیده نواصینا.

۳ ـ أخرج الکشی عن محمد بن عیسی بن عبید: أنّ بعض أصحابنا سأل یونس بن عبد الرحمن وأنا حاضر، فقال له: یا أبا محمد ما أشدَّک فی الحدیث وأکثر إنکارک لما یرویه أصحابنا فما الذی یحملک علی ردّ الأحادیث؟ فقال: حدثنی هشام بن الحکم أنّه سمع أبا عبد اللّه ـ علیه السلام ـ یقول: لا تقبلوا علینا حدیثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحادیثنا المتقدمة، فإنّ المغیرة بن سعید لعنه اللّه دسّ فی کتب أصحاب أبی أحادیث لم یُحدِّث بها أبی فاتقوا اللّه ولاتقبلوا علینا ما خالف قول ربّنا تعالی وسنّة نبینا ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فإنّا إذا حدّثنا قلنا قال اللّه عزّ وجلّ وقال رسول اللّه.

۴ ـ أخرج الکشی عن هشام بن الحکم أنّه سمع أبا عبد اللّه ـ علیه السلام ـ یقول: «کان المغیرة بن سعید یتعمَّد الکذب علی أبی ویأخذ کتب أصحابه، وکان أصحابه المستترون فی أصحاب أبی، یأخذون الکتب من أصحاب أبی فیدفعونها إلی المغیرة فکان یدسّ فیها الکفر والزندقة ویُسندها إلی أبی ثم یدفعها إلی أصحابه فیأمرهم أن یبثّوها فی الشیعة فکل ما کان فی کتب أصحاب أبی من الغلو فذاک مما دسّه المغیرة فی کتبهم».

(۲۲)

۵ ـ أخرج الکشی عن علی بن الحسان عن عمّه عبد الرحمن بن کثیر قال: قال أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ یوماً لأصحابه: «لعن اللّه المغیرة بن سعید ولعن اللّه یهودیة کان یختلف إلیها یتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاریق، إنّ المغیرة کذب علی أبی فسلبه اللّه الإیمان وإنّ قوماً کذبوا علیّ، ما لهم، أذاقهم اللّه حرّ الحدید، فو اللّه ما نحن إلاّ عبید الذی خلقنا واصطفانا، مانقدر علی ضرّ ولا نفع إن رُحمنا فبرحمته وإن عُذّبنا فبذنوبنا، واللّه مالنا علی اللّه من حجّة ولامعَنا من اللّه براءة وإنّا لمیتون ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسوَولون، ویلهم مالهم، لعنهم اللّه آذوا اللّه وآذوا رسوله ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فی قبره وأمیر المومنین وفاطمة والحسن والحسین وعلیّ بن الحسین ومحمد بن علی، وها أنا ذا بین أظهرکم، لحم رسول اللّه وجلد رسول اللّه، أبیت علی فراشی خائفاً وجلاً مرعوباً، یأمنون وأفزع، وینامون علی فرشهم، وأنا خائف ساهر، وَجِل اتقلقل بین الجبال والبراری أبرأ إلی اللّه ممّا قال فیّ الأجدع البّراد عبد بنی أسد أبو الخطاب، لعنه اللّه، واللّه لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلک لکان الواجب الاّ تقبلوه فکیف وهم یرونی خائفاً وجلاً استعدی اللّه علیهم وأتبرّأ إلی اللّه منهم أشهدکم إنّی امروَ ولدنی رسول اللّه وما معی براءة من اللّه، إن أطعته رحمنی وإن عصیته عذّبنی عذاباً شدیداً أو أشد عذابه».

۶ ـ أخرج الکشی عن سلمان الکنانی: قال: قال لی أبو جعفر ـ علیه السلام: ـ هل تدری ما مثل المغیرة؟ قال: قلت: لا، قال: مثله مثل بلعم بن باعور، قلت: ومن بلعم قال: الذی قال اللّه عزّ وجلّ "": الَّذِی آتَینَاهُ آیاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیطانُ فَکانَ مِنَ الغاوین ("۱).

إلی غیر ذلک من الروایات التی وردت فی ذمّه ونقلها الکشی فی رجاله(۲_____)

(۱) الأعراف: ۱۷۵.

(۲) الکشی: الرجال: ۱۹۴ ـ ۱۹۸.

(۲۳)

أبو زینب وأتباعه فی روایات أئمة أهل البیت :

قال الکشی فی رجاله: محمد بن أبی زینب اسمه مقلاص بن الخطاب البرّاد الأجدع الأسدی ویکنّی أبا إسماعیل ویکنّی أیضاً أبا الضبیان:

۱ ـ أخرج الکشی عن عیسی بن أبی منصور قال: سمعت أبا عبد اللّه ـ علیه السلام ـ یقول وذکر أبا الخطاب فقال: اللهم العن أبا الخطاب فإنّه خوّفنی قائماً وقاعداً وعلی فراشی، اللهم أذقه حرّ الحدید.

۲ ـ أخرج الکشی عن برید العجلی عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: سألته قول اللّه عزّ وجلّ " هل أُنَبِّئُکُم علی مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیاطین * تَنَزَّلُ علَی کُلِّ أفّاکٍ أثِیم ("۱) قال: هم سبعة: المغیرة بن سعید، وبیان، والصائد النهدی، والحارس الشامی، وعبد اللّه بن حارث، وحمزة بن عمار البربری وأبو الخطاب (۲).

۳ ـ أخرج الکشی عن بشیر الدهان عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: کتب أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ إلی أبی الخطاب بلغنی أنّک تزعم أنّ الزنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصراط رجل، وأنّ الصیام رجل، والفواحش رجل، ولیس هو کما تقول، أنا أصل الحقّ، وفروع الحقّ طاعة اللّه، وعدوّنا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وکیف یطاع من لا یعرف وکیف یعرف من لا یطاع»؟

۴ ـ أخرج الکشی عن الحمادی رفعه إلی أبی عبد اللّه أنّه قیل له: روی عنکم أن الخمر والمیسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما کان اللّه عزّ وجلّ لیخاطب خلقه بما لا یعلمون_____».

(۱) الشعراء: ۲۲۱ ـ ۲۲۲.

(۲) جری الإمام ـ علیه السلام ـ فی تفسیر الآیة بهؤلاء السبعة، مجری الجری وتطبیق الکلّی علی مصادیقه الکثیرة.

(۲۴)

۵ ـ أخرج الکشی عن سدیر عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: کنت جالساً عند أبی عبد اللّه ومیسر عنده ونحن فی سنة ثمان وثلاثین ومائة فقال میسر بیاع الزطی: جعلت فداک عجبت لقوم کانوا یأتون معنا إلی هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنیت آجالهم، قال: «ومن هم؟» قلت: أبو الخطاب وأصحابه، فکان متکئاً فجلس فرفع اصبعه إلی السماء ثم قال: «علی أبی الخطاب لعنة اللّه والملائکة والناس أجمعین فاشهدوا باللّه أنّه کافر، فاسق مشرک وأنّه یحشر مع فرعون فی أشد العذاب غدواً وعشیاً، ثم قال: أما واللّه إنّی لانفس (۱)علی أجساد أُصیبت معه النار».

۶ ـ أخرج الکشی عن المفضل بن یزید قال: قال أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ وذکر أصحاب أبی الخطاب والغلاة فقال لی: «یامفضل لاتقاعدوهم ولاتواکلوهم ولاتشاربوهم ولاتصافحوهم ولاتوارثوهم».

۷ ـ أخرج الکشی عن مرازم قال: قال أبو عبد اللّه: « قل للغالیة توبوا إلی اللّه فإنّکم فسّاق کفّار مشرکون».

۸ ـ أخرج الکشی عن أبی بصیر قال: قال لی أبو عبد اللّه ـ علیه السلام: «ـ یا أبا محمد ابرأ ممن یزعم أنّا أرباب» قلت: بریَ اللّه منه، فقال: «ابرأ ممن زعم أنّا أنبیاء» قلت: بریَ اللّه منه.

۹ ـ أخرج الکشی عن قاسم الصیرفی قال: سمعت أبا عبد اللّه یقول: «قوم یزعمون أنّی لهم إمام واللّه ما أنا لهم بإمام، مالهم لعنهم اللّه کلما سترتُ ستراً هتکوه، هتک اللّه ستورهم».

۱۰ ـ أخرج الکشی عن الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: «من قال بأنّنا أنبیاء فعلیه لعنة اللّه ومن شک فی ذلک فعلیه لعنة اللّه_____».

(۱) نَفسَ به وعلیه: ضنَّ به.

(۲۵)

۱۱ ـ أخرج الکشی عن زرارة عن أبی جعفر قال: سمعته یقول: «لعن اللّه «بیان التبان» وأنّ «بیاناً» لعنه اللّه یکذب علی أبی أشهد أنّ أبی علی بن الحسین کان عبداً صالحاً».

۱۲ ـ أخرج الکشی عن أبی یحیی الواسطی قال: قال أبو الحسن الرضا ـ علیه السلام ـ: «کان بیان یکذب علی علی بن الحسین ـ علیه السلام ـ فأذاقه اللّه حر الحدید، وکان المغیرة بن سعید یکذب علی أبی جعفر ـ علیه السلام ـ فأذاقه اللّه حرّ الحدید.

وکان محمد بن بشیر یکذب علی أبی الحسن موسی فأذاقه اللّه حرّ الحدید.

وکان أبو الخطاب یکذب علی أبی عبد اللّه فأذاقه اللّه حرّ الحدید والذی یکذب علیّ، محمد بن فرات» قال أبو یحیی: وکان محمد بن فرات من الکتاب فقتله إبراهیم بن شکلة.

۱۳ ـ أخرج الکشی عن عبد اللّه بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ: «إنّا أهل بیت صادقون لا نخلو من کذّاب یکذب علینا فیسقط صدقنا بکذبه علینا عند الناس، کان رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ أصدق البریة لهجة وکان مسیلمة یکذب علیه، وکان أمیر المؤمنین ـ علیه السلام ـ أصدق من برأ اللّه، من بعد رسول اللّه وکان الذی یکذب علیه ویعمل فی تکذیب صدقه بما یفتری علیه من الکذب عبد اللّه ابن سبأ لعنه اللّه».

ذکر أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ الحارث الشامی وبیان فقال: کانا یکذبان علی علی بن الحسین ـ علیه السلام، ـ ثم ذکر المغیرة بن سعید وبزیعاً والسریّ وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الأشعری وحمزة البریری وصائد النهدی فقال: «لعنهم اللّه إنّا لا نخلو من کذاب یکذب علینا أو عاجز الرأی، کفانا اللّه مؤنة کل کذّاب، وأذاقهم اللّه حر الحدید».

(۲۶)

۱۴ ـ أخرج الکشی عن ابن أبی یعفور قال: کنت عند أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ فاستأذن علیه رجل حسن الهیئة، فقال: اتق السفلة فما تقارّت فی الأرض حتی خرجت فسألت عنه فوجدته غالیاً.

إلی غیر ذلک من الروایات التی جمعها الکشی فی رجاله

(۱)وقد اکتفینا بهذا المقدار وإلاّ ـ فالروایات التی تذم هؤلاء الغلاة الکفّار کثیرة. وقد أشار الإمام فی ثنایا کلامه أنّهم کانوا بصدد تشویه سمعة الأئمة بالکذب علیهم حیث قال: فیسقط صدقنا بکذبهم علینا عند الناس_____.

(۱) الکشی: الرجال: ۲۹۰ ـ ۳۰۸.، ولقد قابلنا الأحادیث مع الطبعة التی حقّقها العلاّمة المصطفویّ، ومع ذلک لا تخلو أیضاً من هفوات.

(۲۷) الکیسانیة والإبهامات المحدقة بها قد علمت أنّ الغلاة لیسوا من المسلمین ولا من الشیعة ولا یصح عدّهم من الفرق الإسلامیة، وإنّ هذا الخطأ صدر من النوبختی والأشعری وجاء الباقون فساروا علی سیرتهما. نعم یظهر من کتب الفرق أنّ فرقاً للشیعة برزت إلی حیّز الوجود قبل ثورة زید بن علی. وفرقاً أُخری ظهرت بعد ثورته. ولعل القسم الأوّل منحصر فی الکیسانیة التی یدعی أصحاب المقالات أنّها ظهرت بعد ثورة الحسین ـ علیه السلام ـ أیام إمامة ولده زین العابدین ـ علیه السلام، ـ وبدورنا نذکر بعض نصوصهم حول الکیسانیة. ثم نرجع إلی تحریر المتحصل منها، ولأجل ذکر النصوص فی بدء البحث نستغنی عن الإرجاع إلی المصادر عند التحلیل فنقول:

۱ ـ قال الأشعری: الکیسانیة وهی إحدی عشرة فرقة، وإنّما سمّوا کیسانیة لأنّ المختار الذی خرج وطلب بدم الحسین بن علی ودعا إلی محمد ابن الحنفیة کان یقال له کیسان، ویقال إنّه مولی لعلی بن أبی طالب ـ رضی اللّه عنه ـ.

الفرقة الأُولی من الکیسانیة یزعمون أنّ علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ نصّ علی إمامة ابنه محمد ابن الحنفیة، لأنّه دفع إلیه الرایة بالبصرة.

والفرقة الثانیة: منهم یزعمون أنّ علی بن أبی طالب نصّ علی إمامة ابنه الحسن بن علی وأنّ الحسن بن علی نصّ علی إمامة أخیه الحسین بن علی وأنّ الحسین بن علی نصّ علی إمامة أخیه محمد بن علی وهو محمد ابن الحنفیة.

والفرقة الثالثة: من الکیسانیة هی الکربیة أصحاب أبی کرب الضریر

(۲۸)

يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية حيّ بجبال رضوى، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه.

ومن القائلين بهذا القول كُثَيِّر الشاعر وفى ذلك يقول:

ألاّ إنّ الاَئمة من قريش * ولاة الحقّ أربعة سواء

على والثلاثة من بنيه * هم الاَسباط ليس بهم خفاء

فسبط، سبطُ إيمانٍ وبرّ * وسبطٌ غيّبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يَقْدُمها اللواء

تغيّب لا يُرى فيهم زمان * برضوى عنده عسل وماء الفرقة الرابعة: يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية إنّما جعل بجبال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته إيّاه.

والفرقة الخامسة: يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية مات وأنّ الاِمام بعده ابنه أبو هاشم: عبد اللّه بن محمد الحنفية (۱).

والفرقة السابعة: قالت إنّ الاِمامة بعد موت أبى هاشم لابن أخيه الحسن بن على بن محمد ابن الحنفية.

والفرقة الثامنة: قالت إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه على بن محمد، وعلىّ أوصى إلى ابنه الحسن، فالاِمامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج إلى غيرهم (۲).

والفرقة التاسعة: يزعمون أنّ الاِمام بعد أبى هاشم محمد بن على بن عبد_____

(۱) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۱۸ ـ ۲۰، وقد سقط من الطبع الفرقة السادسة من الكيسانية ولذلك ابتدأنا بالسابعة، ولما كانت نسخة مقالات الاِسلاميين مشوشة فى بيان الفرقة السابعة والثامنة أخذناهما من كتاب الملل والنحل للشهرستانى.

(۲) هاتان الفرقتان نقلناهما من الملل والنحل للشهرستانى ثم نتابع النقل من مقالات الاِسلاميين.

(۲۹)

اللّه ابن العباس قالوا: وذلك أنّ أبا هاشم مات بأرض الشراة (۱)منصرفة من الشام فأوصى هناك إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس وأوصى محمد بن على إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبى العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هوَلاء عن هذا القول وزعموا أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً، ثمّ نصّ العباس على إمامة ابنه عبد اللّه ونصّ عبد اللّه على إمامة ابنه على بن عبد اللّه، ثم ساقوا الاِمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبى جعفر المنصور.

الفرقة العاشرة: يزعمون أنّ أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمى وانّه لم يكن له أن يوصى بها إلى عقبه.

الفرقة الحادية عشرة: يزعمون أنَّ الاِمام بعد أبى هاشم عبد اللّه بن محمد ابن الحنفية وعلىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب(۲)

وقال النوبختى: وفرقة قالت بإمامة محمد ابن الحنفية، لاَنّه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسمّوا الكيسانية، وإنّما سمّوا بذلك لاَنّ المختار ابن أبى عبيدة الثقفى كان رئيسهم وكان يلقب «كيسان» وهو الذى طلب بدم الحسين بن على صلوات اللّه عليهم وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قَتَل، وادّعى (المختار) أنّ محمد ابن الحنفية أمره بذلك وأنّه الاِمام بعد أبيه، وإنّما لقّب المختار كيسان لاَنّ صاحب شرطته المكنّى بأبى عمرة كان اسمه كيسان، وكان أفرط فى القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول: إنّ محمد ابن الحنفية وصىّ على بن أبى طالب، وأنّه الاِمام وأنّ المختار قيّمه وعامله ويُكفر من تقدّم_____

(۱) كذا فى النسخة المطبوعة والصحيح «السراة» وهى موضع بالشام.

(۲)۲ ـ الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۲۰ ـ ۲۱.

(۳۰)

علياً ويُكّفِر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أنّ جبرئيل ـ عليه السلام ـ يأتى المختار بالوحى من عند اللّه عزّ وجلّ فيخبره ولا يراه. وروى بعضهم أنّه سمّى بكيسان مولى على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ وهو الذى حمله على الطلب بدم الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ ودلّه على قتلته، وكان صاحب سرّه وموَامرته والغالب على أمره(۱)

وقالت فرقة من الكيسانية إنّ محمد بن الحنفية ـ رحمه اللّه تعالى ـ هو المهدى، وهو وصىّ على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ ليس لَاحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولايُشهّر سيفه إلّا بإذنه، وإنّما خرج الحسن بن على ـ عليهما السلام ـ إلى معاوية محارباً له بإذن «محمّد» وأودعه وصالحه بإذنه، وأنّ الحسين إنّما خرج لقتال يزيد بإذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلّا وأنّ من خالف محمد ابن الحنفية كافر مشرك وأنّ محمد استعمل المختار بن أبى عبيدة على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين ـ عليه السلام ـ وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا، وسمّاه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمّون (المختارية) ويدعون (الكيسانية) (۲).

معتقدهم :

إنّ الكيسانية على كثرة فرقهم يجمعهم شيئان:

أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفية.

والثانية: القول بالبداء على اللّه عزّ وجلّ، وقالت طائفة منهم بأنّه المهدى المنتظر فى الرضوى (۳_____).

(۱) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۲ ـ ۲۴.

(۲) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۶.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۲.

(۳۱)

الاِبهامات حول هذه الفرقة :

قد عرفت كلمات أصحاب المقالات وكتاب العقائد والظاهر منهم ومن غيرهم افتراض فرقة إسلامية شيعية نجمت بعد وقعة الطف (۶۱ ـ ۶۷هـ) والتفّت عدّة من الشيعة حول محمد ابن الحنفية واتّخذوه قائداً (فى حياة الاِمام زين العابدين ـ عليه السلام) ـ وقد لبّى هو وولده أبو هاشم ووصيه، ولم يكن هناك أى اعتراض واستنكار من رجالات البيت الهاشمى فاستتب الاَمر لابن الحنفية وابنه ومن بعده واستفحل أمرهم إلى عصر أبى جعفر المنصور العباسى، وقد كان العباسيون يستمدون شرعية دولتهم وخلافتهم من انتمائهم إلى تلك الفرقة وكانت لهم أُصول عقائد يتميزون بها عن سائر الفرق.

لكن الاِبهامات التى تحدق بهذه الفرقة من جوانب شتى يدفع الاِنسان إلى التأكد الكثير من وجود هذه الفرقة الاِسلامية فى الساحة وبروزهم إليها باسم الدين وإليك بيانها:

۱ ـ الاختلاف فى المسمّى بكيسان :

إنّ الكيسانية منسوبة إلى «كيسان» وقد اختلفوا فى المسمّى به إلى أقوال فمن قائل: إنّه اسم محمد ابن الحنفية، إلى آخر: إنّه اسم مولى لعلى، إلى ثالث: إنّه اسم نفس المختار بن أبى عبيدة الثقفى، إلى رابع: إنّه اسم صاحب شرطته المكنى بـ«أبى عمرة» وكان اسمه كيسان (۱).

۲ ـ الاختلاف فيمن نصب محمداً الحنفية للاِمامة :

إنّ القائد الذى تنتهى إليه تلك الفرقة هو محمد الحنفية، فقد_____

(۱) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۱۸، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ۳و ۳۸، والنوبختى: فرق الشيعة: ۲۲.

(۳۲)

اختلفوا فی مرشحه للإمامة إلی قولین: فمن قائل بأنّ المعیّن، هو الإمام علی، إلی آخر أنّه الإمام الحسین وهو الذی نصبه للخلافة.

۳ ـ الاختلاف فی مبدأ قیادته :

کما اختلفوا فی الموصی والمعیّن، اختلفوا فی مبدأ قیادته، فمن قائل بأنّه الإمام المنصوب من جانب الإمام علی وهو الإمام بعد رحیل والده دون أخویه، إلی آخر بأنّه الإمام بعد استشهاد الحسین ـ علیه السلام .ـ

۴ ـ الاختلاف فی کونه حیاً أو میتاً :

اختلفوا فی کونه حیاً أو میتاً، فقد نسب إلی جماعة أنّهم قالوا بکونه المهدی المنتظر وأنّه حی بجبال رضوی، یصونه الأَسد والنمر، معه العسل والماء، وفی مقابلهم من قال بموته، وأنّ الإمامة انتقلت إلی فرد آخر.

۵ ـ اختلافهم فی کونه حیّاً کرامة أو عقوبة :

اختلف القائلون بکونه حیاً، فهل هو حی کرامة، بشهادة أنّه یصان بالأَسد والنمر عن الیمین والشمال ویأتیه رزقه غدواً وعشیاً إلی وقت خروجه کما قال به کثیر الشاعر، أو أنّه حی عقوبة لرکونه إلی عبد الملک بن مروان وبیعته إیّاه.

۶ ـ الاختلاف فی الإمام بعد أبی هاشم :

توفی محمد الحنفیة عام ثمانین أو واحد وثمانین وتوفی ابنه أبو هاشم «عبد اللّه ابن محمد الحنفیة» سنة ثمان أو تسع وتسعین وعرفه ابن شهر آشوب بأنّه کان ثقة جلیلاً من علماء التابعین روی عنه الزهری وأثنی علیه وعمرو بن دینار وغیرهما (۱)

وقد اختلفت الأَقوال فی وصیه إلی قائل بأنّه أوصی إلی الحسن بن علی بن_____

(۱) المامقانی: تنقیح المقال: ۲|۲۱۲ برقم ۷۰۴۲.

محمد الحنفیة، إلی آخر بأنّه أوصی إلی أخیه، علی بن محمد الحنفیة، وأنّه أوصی إلی ابنه الحسن، إلی ثالث أنّه أوصی إلی محمد بن علی بن عبد اللّه بن العباس، إلی رابع بأنّه أوصی إلی بیان بن سمعان، إلی خامس أنّه أوصی إلی عبد اللّه بن عمرو بن حرب.

۷ ـ الاختلاف فی المعتقد :

إنّ الکیسانیة علی کثرة فرقهم یجمعهم شیئان: أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفیة والثانیة: القول بأنّه المهدی المنتظر مضافاً إلی القول بالبداء(۱).

أقول: إنّ القول بالبداء لیس من عقائد هذه الطائفة وإنّما هو عقیدة إسلامیة جاء بها القرآن الکریم ونصت به السنّة النبویة (۲)ولو فسرت علی وجه صحیح لعلم أنّ المسلمین بأجمعهم متفقون علی القول بها.

وإنّما نشأ النزاع من تفسیره علی وجه باطل، أعنی: الظهور بعد الخفاء علی اللّه تعالی، ولا یقول به أحد من المسلمین، وتفسیره الصحیح قائم بکلمتین: إحداهما یرجع إلی مقام الثبوت، والأُخری إلی مقام الإثبات، أمّا الأُولی، فالبداء عبارة عن تغییر المصیر بالأَعمال الصالحة أو الطالحة، کما کان الحال کذلک فی قوم یونس، وأمّا الثانیة فهی الإظهار بعد الإخفاء، وأمّا علمه سبحانه فلا یتغیر ولایتبدل وأوضحنا حقیقتها فی الجزء السادس من هذه الموسوعة (۳).

قد نقل فی کتب الملل والنحل أنّهم استدلوا علی کون محمد ابن الحنفیة إماماً بقول علی ـ علیه السلام ـ له یوم البصرة وقد أقدم بالرایة: «أنت ابنی حقاً_____» !

(۱) البغدادی: الفرق بین الفرق: ۵۲.

(۲) الإمام البخاری: الصحیح: ۴|۲۰۸، کتاب الأَنبیاء، باب ۵۱ حدیث أبرص وأعمی وأقرع.

(۳) بحوث فی الملل والنحل: ۶|۳۰۴ ـ ۳۲۷.

وأنت خبير بأنّ أحقّية البنوّة هو كونه شبيه والده فى الشجاعة لا أنّه إمام بعده أو بعد السبطين.

كما نقل أنّهم استدلوا على كونه مهدياً غائباً بقول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم:«ـ لن تنقضى الأيام والليالى حتى يبعث اللّه رجلاً من أهل بيتى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى».

ولكن الاستدلال فى غاية الضعف لأنّ اسم والد محمد هو على لا عبد اللّه. نعم كان على صلوات اللّه عليه عبداً للّه وصفيّاً لا علَمياً.

على أنّه لو صحّ الاستدلال فالنفس الزكية، أعنى: محمد بن الحسن بن عبد اللّه بن الحسن المثنى، أولى منه.

واستدلوا أيضاً على أنّ خروج المختار كان بإذنه.

يلاحظ عليه: أنّ الإذن بالخروج لايدلّ على أنّه ادّعى الإمامة ودعا الناس إليها، وقد روى الشيخ المفيد أنّه سئل محمد ابن الحنفية عن ظهور المختار وادّعائه أنّ خروجه بأمره فأجاب:

واللّه ما أمرته بذلك لكن لا أُبالى أن يأخذ بثأرنا كل أحد، وما يسوءنى أن يكون المختار هو الذى يطلب بدمائنا.

فاعتمد السائلون على ذلك وكانوا كثيرين. وقد رحلوا إليه بهذا المعنى بعينه، فنصروا المختار على الطلب بدم الحسين ـ عليه السلام ـ.

وأخيراً نقول إنّ الإمامة إمّا بالنصّ أو بالبيعة، فإن كان الأوّل فأين النصّ؟ وإن كانت بالبيعة فأين بايعه أهل الحل والعقد؟

وتوضيح المقال بذكر أمرين:

الأوّل: أنّ محمد الحنفية وليد البيت العلوى وربيبه الذى وصفه أمير المؤمنين، بقوله: «إنّ المحامدة تأبى أن يعصى اللّه عزّ وجلّ » قال الراوى، قلت:

(۳۵)

ومن المحامدة؟ قال ـ عليه السلام: «ـ محمد بن جعفر، ومحمد بن أبى بكر، ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية» (۱)وكان أعرف الناس بعظم مقام الإمامة وخطورتها وأنّها لا تصلح إلّا لمن ثبت فى حقّه النص، من صاحب الرسالة أو من بايعه الناس، أو خصوص أهل الحل والعقد ومع ذلك كيف يلبّى دعوة نفر أو نفرين للقيام بأعباء الإمامة ولم يكن هناك تنصيص ولا بيعة من وجوه المسلمين ولم يكن الرجل من الانتهازيين أو من أبناء البيت الساقط الذين كانوا يدوسون كل الأُصول الإسلامية، للحصول على الغايات ويستهويهم النهمة والشره لاختلاس الأموال أو حيازة جاه.

ونحن نُجلُّ محمد ابن الحنفية عن الرغبة إلى حيازة المقام الذى لا يصلح إلّا لمن اجتمع لديه الشرط من التنصيص أوّلاً، أو البيعة ثانياً.

والذى يؤيد ذلك أنّه لم تشاهد منه دعوة إلى نفسه، بإلقاء الخطابة والمحاضرة، أو بعث الرسل إلى الأطراف والأكناف، أو تصدى أمر، يعد من شؤون الحكومة، ولو كان كذلك لكان له أنصار وأعوان، ولما ألقى عليه القبض، ابن الزبير لغاية أخذ البيعة والتهديد بالإحراق عند رفضها. كما أنّه كان يتعاطف مع عبد الملك بن مروان ـ عملاً بواجبه ـ حتى أدركته المنية عام ثمانين أو واحد وثمانين.

الثانى: لو أغمضنا عن ذلك فهل كان هناك جماعة، مؤمنون بإمامته وقيادته؟ وأنّ الفراغ الذى حصل، لدى الشيعة بشهادة السبط، مُلئ ببيعة أهل العراق ولفيف من أهل المدينة ومكة له، أو لا ؟.

والحقّ هو الثانى وأنّ كثير من الشيعة كانوا حيارى فى أمر الإمامة لأجل الضغط من جانب الحكومة الأموية إلّا الأخصّاء ولكن كانت الشيعة بأجمعهم_____

(۱) المامقانى: تنقيح المقال: ۲|۵۷ برقم ۱۰۲۳۰، نقلاً عن رجال الكشى.

(۳۶)

يتعاطفون مع أهل البيت وعلى مقدمتهم الشخصيتان البارزتان: محمد ابن الحنفية، و على بن الحسين زين العابدين ـ عليه السلام ـ من دون أن يتخذ ابن الحنفية إماماً وقدوة للشيعة.

ففی هذه الظروف نهض إنسان غیور، وشجاع مقدام، وسیف بتّار، لَاخذ ثار الإمام الحسین ألا وهو المختار بن أبی عبیدة الثقفی الذی کان یحب أهل البیت ـ علیهم السلام ـ منذ نعومة أظفاره إلی أن ألقی حمامه فی طریق أخذ ثارهم، ونال أُمنیته باجتثاث جذور أعدائهم، وسفک دمائهم، فأشفی صدور قلوب المؤمنین وعلی رأسهم أئمة أهل البیت والهاشمیون والهاشمیات بأجمعهم.

لقد کان الاتصال الوثیق مع أکابر أهل البیت یوم ذاک رصیداً کبیراً للثائر لغایة التفاف شیعة العراق حول المختار ولولا ذلک لما تمکن من إنهاضهم إلی میادین القتال. وبما أنّ محمد ابن الحنفیة ـ رض ـ کان کبیر العلویین فی السن لم یکن له بد من التعاطف معه وکان له مثل ذلک سید الساجدین، ولَاجل المواصلة والمکاتبة مع العظیمین جلب اهتمام الشیعة لنفسه، وأقام نهضة کبیرة أخذ بها ثأر الحسین ـ علیه السلام ـ لا بل کانت ناراً أحرقت أُمنیات بنی أُمیة وأبادت آثارهم واجتثت جذورهم.

ولما کانت ثورته ثقیلة علی مناوئی أهل البیت ـ علیهم السلام ـ أرادوا إسقاطه من أعین الناس فتحاملوا علیه من جانب العقیدة فرموه باختراع المذهب حتی رموه بادّعاء النبوة ونزول الوحی حتی صاغوا له جملاً مضاهیة لجمل الکهنة، ونسبوها إلیه (۱). ولم یکن لهم غایة إلّا القضاء علی نهضته وثورته.

یقول البغدادی: «فلمّا تمت للمختار ولایة الکوفة والجزیرة والعراقین_____،

(۱) البغدادی: الفرق بین الفرق: ۴۶.

تکهّن بعد ذلک وسجع کإسجاع الکهنة، وحکی أیضاً أنّه ادّعی نزول الوحی علیه»(۱).

لم یکن المترقّب من البیت الَاموی وحماته الذین شربوا کأس المنون بید الثائر المتفانی فی حب أهل البیت، إلّا رمیه بادّعاء النبوة ونزول الوحی، ولنفترض أنّ الثائر الثقفی لم یکن رجلاً ـ دینیاً، ولم ینهض بدافع إلهی، وإنّما ثارت ثورته، بدافع نفسی مادی، ولکنه کان رجلاً عملاقاً وسیاسیاً عبقریاً، قاد أعظم الثورات التی شاهدها التاریخ فی ذلک العصر وامتدت سلطته إلی أرمینیا، وهل مثله ـ وهو یحکم باسم الإسلام والدین، وبتأیید من أئمة أهل البیت ـ علیهم السلام ـ یدّعی النبوة ونزول الوحی ویتکلم بکلام الکهنة مع أنّ التاریخ ضبط خطبه وکلامه حتی نقلها البغدادی (۲)کلا، ولا، وما جاء به البغدادی، لیس إلّا نسبة مفتعلة.

«من یتحقّق فی سیرة المختار وحربه للَامویین ودکه لجیش قائدهم عبید اللّه ابن زیاد، وفی عدائه للزبیریین ابتداء من انتزاع الحکم منهم فی أوّل ثورته حتی قتاله لمصعب الذی سیطر علی الحکم بعد المختار، ـ من یتحقّق فی هذا ـ یستطع تحلیل اتّهام المختار بالکذب والانحراف واستغلال الإسلام وقتل الإمام الحسین ـ علیه السلام ـ من أجل مصالحه الشخصیة، وأن تنسب له أقاویل مضادة للإسلام. وکیف لایتهم بالأُمور السالفة وأضرابها وقد أطبقت علی عدائه دولتان، دولة ابن الزبیر ودولة الَاموین؟» (۳).

وهناک بعض التساوَلات علی صعید البحث نشیر إلیها:

الَاوّل: روی الشیخ الکلینی بسند صحیح عن أبی جعفر ـ علیه السلام ـ مناشدة محمد ابن الحنفیة لعلی بن الحسین فی مسألة الوصایة والإمامة حتی اتفقا_____

(۱)۱ ـ البغدادی: الفرق بین الفرق: ۴۵ و ۴۶.

(۲)۲ ـ البغدادی: الفرق بین الفرق: ۴۵ و ۴۶.

(۳) محمود البغدادی: النظریة السیاسیة: ۲۸۴.

علی تحکیم الحجر الَاسود وطلب الشهادة منه علی أحدهما، فانطلقا حتی أتیا الحجر الَاسود، فقال علی بن الحسین لمحمد ابن الحنفیة: «إبدأ أنت فابتهل إلی اللّه عزّ وجلّ وسله أن ینطق لک الحجر ثم سل» فابتهل محمد فی الدعاء وسأل اللّه ثم دعا الحجر فلم یجبه، فعند ذلک تقدم علی بن الحسین وقال: «أسألک بالذی جعل فیک میثاق الَانبیاء ومیثاق الَاوصیاء ومیثاق الناس أجمعین لما

أخبرتنا مَن الوصى والإمام بعد الحسين بن على ـ عليهما السلام ؟» ـ فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه اللّه عزّ وجلّ بلسان عربى مبين فقال: اللّهم إنّ الوصى والإمام بعد الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب وابن فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ قال فانصرف محمد بن على وهو يتولّى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ(۱).

لكن الإجابة عن هذا السوَال واضحة، فإنّا لو افترضنا صحة المضمون، واكتفينا فى مثل هذه الواقعة الخطيرة بالخبر الواحد، لنا أن نقول بأنّ المناشدة كانت لأجل إفهام الآخرين بإمامة على بن الحسين حتى يوجه نظر الجماهير إلى الإمام الحقيقى.

إنّ محمد ابن الحنفية أجل من أن لا ـ يعرف شروط الإمامة وإنّها لم تكن متوفرة فى حقّه. إذ لو كانت بالنص فلم يكن هناك نصّ عليه، ولو كانت بالمبايعة والتصفيق بالأيدى فلم تكن هناك مبايعة. ومع ذلك فهل يحتمل أن يشهد له الحجر بالإمامة.

الثانى: إذا لم تكن هناك دعوة باسم الكيسانية وإنّما خلقها أعداء المختار لإسقاطه من أعين الناس فبماذا يفسر ما أنشأه الشاعر كُثَيِّر عزّة_____.

(۱) الكلينى: الكافى: ۱|۳۴۸ ح۵، كتاب الحجّة.

(۳۹)

ألا إنّ الأئمة من قريش * ولاة حقّ أربعة سواء

على والثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء (۱) أو ما أنشأه السيد الحميرى:

ياشعب رضوى ما لمن بك لا يرى * وبنا إليه من الصبابة أولق

حتى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى * يابن الرسول وأنت حيٌّ ترزق (۲) والأجابة عن هذا السوَال واضحة لأنّا أيضاً نرافق القارئ فى حكاية هذه الأشعار عن ظهور عقيدة خاصة فى حقّ محمد ابن الحنفية، ولكنها لم تكن تتجاوز عن حدوث فتنة دينية أثارت شكوكاً تارة وأوهاماً أُخرى على بعض الناس ولم يمض شىء حتى ذهبت أدراج الرياح، ولاتعد مثل ذلك فرقة إسلامية لها دور على بعض الناس على أنّ شعر السيد لا يثبت هذا المطلب لأنّه يقول: يا ابن الرسول ولم يكن محمد ابن الحنفية ابناً للرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

الثالث: روى أنّ السيد الحميرى كان كيسانياً وله شعر فى هذا المذهب ولكنه رجع إلى الحقّ بفضل الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ وقال:

تجعفرتُ باسم اللّه واللّه أكبر * وأيقنتُ أنّ اللّه يعفو ويغفر

ودنتُ بدينٍ غير ما كنتُ داياً * به ونهانى سيد الناس جعفر

فقلت هب أنّى قد تهوّدتُ برهة * وإلّا فدينى دين من يتنصر

فلست بغال ما حييتُ وراجع * إلى ما عليه كنت أخفى وأُضمر

ولا قائل قولاً لكيسان بعدها * وإن عاب جهال مقالى وأكثروا

ولكنه من قد مضى لسبيله * على أحسن الحالات يقضى ويوَثر (۳_____)

۱ ـ المسعودى : مروج الذهب : ۷۸ ـ ۷۹ ، طبعة دار الاندلس .

۲ ـ المسعودى : مروج الذهب : ۷۸ ـ ۷۹ ، طبعة دار الاندلس .

۳ ـ السيد المرتضى : الفصول المختارة : ۵۹۸ .

(۴۰)

إنّ شعره هذا يحكى عن وقوع شبهة لبعض أولياء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فتصوروا المجاز حقيقة، ولكنهم رجعوا إلى شرعة

الحقيقة وشربوا من مائها العذب المعين.

وقد اتضح بهذا البحث الضافى على أنّ المذهب الكيسانى تحدقه إبهامات وغموض فى موَسسه وأتباعه وأهدافه تكاد تدفع الإِنسان إلى أنّه مذهب مختلق من جانب الأَعداء، ملصق بشيعة أهل بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لغاية تشويش أذهان الشيعة أوّلاً وتحطيم سمعة السيف البتار المختار بن أبى عبيدة ثانياً.

وهناك كلمة تدعم ما ذكرنا بأحسن وجه وهى أنّ الباعث الوحيد لترويج هذا المسلك هو العباسيون فى بداية أمرهم لأَنّهم كانوا يستمدون شرعية خلافتهم من هذا الطريق إذ يدعون أنّ أبا هاشم أوصى إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس.

قال الأَشعرى: قالوا إنّ أبا هاشم مات بأرض السراة منصرفاً من الشام فأوصى هناك إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس، وأوصى محمد بن على، إلى ابنه إبراهيم بن محمد ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبى العباس ثم أفضت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض (۱).

فالعباسيون لأَجل إضفاء الشرعية على خلافتهم كانوا يدعمون هذا المذهب ويصوّرونه أمراً واقعياً وصل إليهم من أئمة أهل البيت فمن الحسين ـ عليه السلام ـ إلى أخيه محمد ابن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس إلى أن وصل إلى المنصور ذلك الحاكم الطاغى قاتل العلويين.

قال ابن خلدون فى مقدمته: وآخرون يزعمون أنّ أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفاً من الشام، أوصى إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس، وأوصى_____

(۱) الاشعرى : مقالات الاسلاميين : ۲۱ ، وفى النسخة «الشراة».

(۴۱)

محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالإِمام، وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد اللّه بن الحارثية الملقب بالسفاح، وأوصى هو إلى أخيه عبد اللّه أبى جعفر الملقب بالمنصور، وانتقلت فى ولده بالنص والعهد واحداً بعد آخر إلى آخرهم، وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بنى العباس، وكان منهم: أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلاّل وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بأنّ حقهم فى هذا الأَمر يصل إليهم من العباس، لأَنّه كان حياً وقت الوفاة وهم أولى بالوراثة بعصبيّة العمومة (۱).

والجدير بإلفات نظر القارىَ هو قول ابن خلدون: « وربما يعضدون ذلك بأنّ حقهم فى هذا الأَمر يصل إليهم من العباس» فإن ظاهره أنّ العباسيين يعضدون الكيسانية ويروجونها إذ من ذلك الطريق يصلون إلى شرعية حكمهم (۲).

وفى الختام نأتى بكلمتين للشيخ المفيد، قال:

۱ ـ أنّ جميع ما حكيناه من اعتقادات القوم، أمر حادث ألجأ القوم إليه الاضطرار، عند الحيرة، وفراقهم الحقّ، والأَصل المشهور ما حكيناه من قول الجماعة المعروفة بإمامة أبى القاسم ـ محمد الحنفية ـ بعد أخويه والقطع على حياته وأنّه القائم (وأمّا غير هذا القول فقد حدث بعد زمن، ألجأهم الاضطرار إليه).

۲ ـ انقرضت الكيسانية حتى لا يعرف منهم فى هذا الزمان أحد إلاّ ما يحكى ولا تُعرف صحته، ويقول فى مورد آخر: «إنّ الكيسانية فى وقتنا هذا لا بقية لهم ولا يوجد عدد منهم، يقطع العذر بنقله، بل لا يوجد أحد منهم يدخل فى جملة أهل العلم بل لا نجد أحداً منهم جملة، وإنّما تقع مع الناس الحكاية عنهم خاصة (۳_____) .

(۱) ابن خلدون: المقدمة: ۱| ۲۵۰، طبع دار الفكر، بيروت.

(۲) لاحظ البغدادى: الفرق بين الفرق: ۴۰ ـ ۴۱.

(۳) الشيخ المفيد: الفصول المختارة: ۲۹۷ ـ ۳۰۵.

(۴۲) حول سائر فرق الشيعة قد ذكر أصحاب المقالات للشيعة فرقاً بصورة عامة وللزيدية والإِمامية بصورة خاصة، أمّا فرق الزيدية

فسوف نتناولها فى مستقبل الكتاب ونثبت أنّ زيداً الثائر لم يكن إماماً فى العقائد ولافقيهاً صاحب منهج فى الفقه ولم يكن له أى ادّعاء فى ذينك المجالين حتى يكون إماماً فى أحدهما ويشكل فرقة خاصة باسم الزيدية، نعم بعدما قتل زيد فى المعركة وأدّى واجبه تفرّق أصحابه إلى فرق ومذاهب لاتمت بالثائر بصلة، فانتماء الفرق الزيدية إلى اتباع زيد الصق بهم من زيد ـ رضى اللّه عنه ـ وسيوافيك التفصيل فى محله.

إنّما الكلام عن الفرق التى ذكروها فرقاً للإمامية وقد كبّروها وعدّوها خمس عشرة فرقة وهى:

۱ ـ الكاملية ۲ ـ المحمدية ۳ ـ الباقرية ۴ ـ الناووسية ۵ ـ الشمطية ۶ ـ العمارية ۷ ـ الإسماعيلية ۸ ـ المباركية ۹ ـ الموسوية ۱۰ ـ القطعية ۱۱ـ الاثنا عشرية ۱۲ ـ الهشامية ۱۳ ـ الزرارية ۱۴ ـ اليونسية ۱۵ ـ الشيطانية (۱).

وهوَلاء الذين ذكرهم البغدادى تبعاً للأشعرى، وتبعهما الإسفرائينى فى كتابه «التبصير فى الدين» والشهرستانى فى «الملل والنحل» والرازى فى «اعتقادات المسلمين والمشركين» تدور بين الصحيح والمختلق، فإنّ كثيراً منها_____

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۵۰.

فرق فى عالم الوهم والخيال نسجها مناوئوا أهل البيت لتشويه سمعة الشيعة الإمامية، ولنأتى بنموذج عنها وهم الفرق الأربعة الأخيرة، أعنى: الهشامية والزرارية واليونسية والشيطانية فإنّك لا ترى أثراً من هذه الفرق فى كتب الشيعة الإمامية.

أمّا الأُولى: أى المنسوبة إلى هشام بن الحكم فمختلقة، فإنّ هشام بن الحكم من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم وممّن دعا له الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ فقال: « ماتزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

قال الشهرستانى: هذا هشام بن الحكم صاحب غور فى الأُصول لا يجوز أن يُغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون مايُظهره من التشبيه!! و ذلك أنّه ألزم العلاّف (۱).

سيوافيك أنّ ما نقله عنه من التشبيه يرجع إلى زمن شبابه قبل اتصاله بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ويعتبر الرجل بخواتيم أعماله ومعتقداته.

يقول أحمد أمين: أكبر شخصية شيعية فى الكلام وكان جداً قوى الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه ونقلت له فى كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدلّ على حضور بديهته وقوة حجّته.

إنّ الشيخ الأشعرى قد أطنب الكلام عنه وذكر له عقائد خرافية فى تجسيمه سبحانه وعطف عليه هشام بن صادق الجواليقى واشتراكهما فى التجسيم ومضاعفاته (۲) وذكره البغدادى بنفس النص مع تلخيص (۳)، وتبعهما من جاء بعدهما كالشهرستانى غير أنّ هوَلاء لابتعادهم عن التعرّف برجال الشيعة لم يعرفوا هشام بن الحكم حقّ المعرفة واشتبه عليهم الأمر، فإنّ هشام كان بداية أمره

---

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۸۵.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱|۳۱ ـ ۳۴.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۵ ـ ۶۹.

من تلامذة أبى شاكر الديصانى صاحب النزعة الإلحادية، ثم تبع جهم بن صفوان الجبرى المتطرف المقتول بـ«ترمذ» عام ۱۲۸هـ ولما التحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ودان بمذهب الإمامية ترك ما كان يعتقد به من تجسيم وتشبيه فقد تطبعت عقليته على معارف أهل البيت إلى حد كبير، ولا يخفى على إنسان ملمّ بالحديث والكلام أنّ التنزيه شعار أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ولقد كفانا الشيخ عبد اللّه نعمة فى رسم حياة هشام رسماً واقعياً منزّهاً عن كل رأى مفتعل (۱).

وأمّا الثانيـة: أعنى الزرارية فهذه الفرقة المختلقة منسوبة إلى زرارة بن أعين من أجلّاء تلاميذ الإمامين الباقر والصادق ـ عليهما السـلام ـ يقول النجاشـى فى حقه: شـيخ أصحابنا فى زمانه ومتقدّمهم وكان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين (۲)وقـد ذكرنا له ترجمـة ضافيـة طبعت فى مقدمـة مسـنده، مات رحمه اللّه عام ۱۵۰هـ ولم يكن له أى شـطح فى العقيـدة أو اعوجاج فى الفكر، وإنّما كان يسير على ضوء إماميه الباقر والصادق ـ عليهما السـلام ـ وقـد أثنيا عليه بجمل ضافيـة، ومسـنده المطبوع لأصدق دليل على براءته فى الكلام واضطلاعه فى الفقه.

نعم أنّ الضـغائن والحقـد على هـذا المتكلّم وعلى من سـبقه ـ هشـام بن الحكم ـ دفع المخـالفين على رميهم بالانحراف الفكرى، قال البغدادى: ومنهم الزرارية أتباع زرارة بن أعين الرافضـى، فى دعواها حدوث جميع صفات اللّه عزّ وجلّ وإنّها من جنس صفات اللّه عزّ وجلّ وزعموا أنّ اللّه تعالى لم يكن فى الأزل حياً، ولاعالماً ولا قادراً ولا مريداً ولاسـميعاً، ولا بصـيراً وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة وقدرة وعلماً وأرادة وسمعاً وبصراً. (۳_____)

(۱) لاحظ كتابه حياة هشام بن الحكم، طبع بيروت.

(۲) النجاشى: الرجال: ۱|۳۹۷ برقم ۴۶۱. ولاحظ مقدمة المؤلّف على مسنده.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۳۰.

(۴۵)

ما عزى إليه، نسـبة مفتعلة، والرجل ممّن برع فى الفقه الأكبر والأصـغر فى أحضان الإمامين الباقر والصادق ـ عليهما السـلام ـ وحاشـا أنّ يقول مثله بحدوث الأوصاف الثبوتية للّه.

وأمّا الثالثـة: فهى اليونسـية المنسوبـة إلى يـونس بن عبـد الرحمن مولى على بن يقطين بن موسـى، مولى بنى أسـد، فقـد كـان حـافظاً للحديث، فقيهاً فى الدين، متكلّماً على مذهب أهل البيت. يقول النجاشى:

كان وجهاً فى أصـحابنا، متقدماً ،عظيم المنزلة، ولد فى أيام هشام بن عبد الملك ورأى جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وروى عن أبى الحسن موسـى والرضا ـ عليهما السـلام، ـ وكان الرضا ـ عليه السـلام ـ يشير إليه فى العلم والفتيا له كتـاب يوم وليلـة وقـد قـال فى حقّه الإمـام العسـكرى ـ عليه السـلام ـ: «أتـاه اللّه بكـل حرف نوراً يوم القيامـة» وكتب أُخرى ذكرها النجاشى(۱).

وقد نسب إليه البغدادى من أنّه كان يقول: إنّ اللّه تعالى يحمله حملة عرشه وإن كان هو أقوى منها (۲).

وأمّا الرابعـة: فهوَلاء يريـدون من الشـيطان، محمـد بن على بن النعمـان بن أبى طريفـة البجلى، كوفى صـيرفى يلقّب بـ «موَمن الطاق» و«صـاحب الطـاق»، وإنّما لقبه المخالفون بشـيطان الطاق، وكان دكانه فى طاق المحامل بالكوفـة فيرجع إليه فى النقـد فيرد رداً فيخرج كمـا يقول فيقـال شـيطان الطـاق. له كتـاب الاحتجـاج فى إمامـة أمير الموَمنين، وكتاب رد فيه على الخوارج، ومناظرات مع أبى حنيفة والمرجئة.

وقال ابن النديم: كان متكلماً حاذقاً. وله من الكتب: الإمامة وكتاب المعرفة_____

(۱) النجاشى: الرجال: ۲|۴۲۱ ـ ۴۲۲.

(۲) البغـدادى: الفرق بين الفرق: ۲۲۸، والنسـبة مفتعلة، والعدل والتنزيه من شـعار أئمة أهل البيت، وما نقل أشـبه بكلام المجسّـمة من الحنابلة والحشوية.

(۴۶)

وكتاب الرد على المعتزلة فى إمامة المفضول، وكتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة (۱).

نسب إليه البغدادى من أنّ اللّه تعالى إنّما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها، ولا يكون قبل تقديره الأشياء عالماً بها، وإلّا ما صحّ تكليف

العباد (۲)

إنّ دراسة حياة هوَلاء الاَكابر تشهد على أنّهم من حفاظ أحاديث أهل البيت ومن مقتفى آثارهم، فعقيدتهم لاتختلف قدر شعرة مما كان عليه الاِمام الصادق والاِمام الكاظم ـ عليهما السلام.ـ

هوَلاء كانوا صواعق تنزل على روَوس المنافقين وتدمر أوكار أفكارهم، فلم يجد الخصوم بدّاً من الازدراء بهم حتى لقّبوا بعضهم بالشيطانية تنابزاً بالاَلقاب.

نحن نسلم أنّ له رأياً فيما ترجع إلى الاستطاعة كما زعمها الاَشعرى فى موَمن الطاق ومن تقدّمه (۳)

أفيصح أن يعد هوَلاء موَسّسين لفرق إسلامية بحجّة أنّ لهم رأياً فى مسألة كلامه ولو صلح ذلك لبلغت عدد الفرق الاِسلامية المائة بل المئات، إذ ما من مسألة كلامية إلاّ فيها خلاف بين علماء الكلام.

هذا ما يرجع إلى الفرق الاَربعة التى ذكرها البغدادى فى آخر الفرق للاِمامية، ولنرجع إلى ماصدّر به فرق الاِمامية ونشرحها بالمشراط العلمى.

* * *

(۱) ابن النديم: الفهرست: ۲۶۴، وأيضاً: ۲۵۸.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۷۱.

(۳) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۴۳.

(۴۷)

قالوا: منهم الكاملية:

يقول البغدادى: هوَلاء أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبى كامل، وكان يزعم بأنّ الصحابة قد كفروا بتركهم بيعة على، وكفر علىّ، بتركه قتالهم، وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين، وكان بشار بن برد الشاعر الاَعمى على هذا المذهب، وروى أنّه قيل: له ماتقول فى الصحابة؟ قال: كفروا، فقيل له: فماذا تقول فى على؟ فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنّه ضم إلى ضلالته فى تكفير الصحابة وتكفير على معهم ضلالتين أُخريتين.

إحداهما: قوله برجعته إلى الدنيا قبل يوم القيامة، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الرافضة.

الثانية: قوله بتصويب إبليس فى تفضيل النار على الاَرض، واستدلوا فى ذلك بقول بشار فى شعر له:

الاَرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار (۱) يلاحظ عليه: بما ذكرنا فى أوّل الفصل من أنّ عد فرقة من المذاهب الاِسلامية مشروط بوجود المقسم فى القسم فلو لم يشم القسم رائحة المقسم فلا يصح عدّه قسماً منه، فإنّ التشيع بالمعنى الاصطلاحى هو الاعتقاد بأنّ علياً ـ عليه السلام ـ هو المنصوب للقيادة بعد رحيل الرسول الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ ومعنى ذلك لزوم متابعته والاقتفاء بأثره، وأنّه الرجل الاَمثل والاَفضل بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ فإذا كان الرجل مبغضاً

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۴، والاِسفرائينى، التبصير: ۳۵، تحقيق كمال يوسف الحوت.

(۴۸)

ومكفّراً لعلى وإن كان مكفّراً لسائر الخلفاء، فهل يصح عدّه من الشيعة وعدّ مذهبه فرقة من فرق الشيعة الاِمامية؟!.

لا أدرى ولا المنجم يدرى ولا القراء يدرون !!

على أنّ الرجعة ليست بمعنى رجوع جميع الناس إلى الدنيا المستلزم لاِنكار البعث، بل المقصود رجوع عدد قليل من الصلحاء

والطواغيت عند ظهور المهدى ـ عليه السلام ـ ولعل عددهم لا يتجاوز عدد الاَصابع، وقد أوضحنا معناها فى الجزء السادس من هذه الموسوعة (۱).

ومنهم المحمدية:

هوَلاء ينتظرون محمد (النفس الزكية) بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولا يصدّقون بقتله ولا بموته، ويزعمون أنّه فى جبل حاجز من ناحية نجد إلى أن يوَمل بالخروج، وكان المغيرة بن سعيد العجلى مع ضلالاته فى التشبيه يقول لاَصحابه: إنّ المهدى المنتظر، محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ابن على، ويستدل على ذلك بأنّ اسمه كاسم رسول اللّه واسم أبيه عبد اللّه كاسم أبى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ وقال فى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قوله فى المهدى: «إنّ اسمه يوافق اسمى، واسم أبيه اسم أبى» فلما أظهر محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على دعوته بالمدينة واستولى على مكة والمدينة، واستولى أخوه إبراهيم بن عبد اللّه على البصرة، واستولى أخوهما الثالث ـ وهو إدريس بن عبد اللّه ـ على بلاد المغرب، وكان ذلك فى زمان الخليفة أبى جعفر المنصور فبعث المنصور إلى حرب «محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن» بعيسى بن موسى فى جيش كثيف قاتلوا محمّداً بالمدينة وقتلوه فى المعركة، ثم أنفذ بعيسى بن موسى أيضاً إلى حرب «إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على» مع جنده، فقتلواإبراهيم بباب_____

(۱) السبحانى: موسوعة بحوث فى الملل والنحل: ۶|۳۶۳.

(۴۹)

حمرين على الستة عشر فرسخاً من الكوفة، ومات فى تلك الفتنة إدريس بن عبد اللّه بن الحسن بأرض المغرب، وقيل: إنّه سُمَّ بها، ومات عبد اللّه بن الحسن بن الحسن والد أُولئك الاِخوة الثلاثة فى سجن المنصور، وقبره بالقادسية، وهو مشهد معروف يزار (۱).

يلاحظ عليه: من سبر تاريخ العلويين يذعن بأنّه كانت فى عصر الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ وأيام إمامته (۱۱۴ ـ ۱۴۸هـ) فكرتان تسودهم، فمن معتقد بأن طريق إنقاذ الاُمة الاِسلامية من أيدى الاَمويين ثم العباسيين يكمن فى الكفاح المسلّح، إلى آخر بأنّ الظروف لاتسمح للكفاح المسلح وإنّما الواجب توعية الناس وتثقيفهم وتعليمهم وإعدادهم إلى الظرف المناسب.

وقد سلك زيد الثائر الدرب وفق المعتقد الاَوّل، وأعقبه أبناوَه:يحيى بن زيد وعيسى بن زيد، ثم الحسنيون عامة، ولذلك قام محمد بن إبراهيم بن الحسن المثنى بطرق هذا الباب وأثار ثورة مع إخوته كما عرفت، ولم يكن له ولا لاِخوته أو غيره أى دعوة إلى شخصهم وإنّما فرضوا على أنفسهم إزالة الحكومة الجائرة ثم تفويض الاَمر إلى الاَليق والاَمثل من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ،وعلى ضوء ذلك فلا يصح لنا عد ثائر على الظلم موَسساً لمذهب ومكوناً لفرقة، وأمّا أنّ أمثال المغيرة بن سعيد من رجال العبث والفساد الذين استبطلوه بتعريفهم إيّاه للملاَ على أنّه المهدى المنتظر فلا يمت إلى الثائر بصلة، وقد تقدّم أنّ أئمة أهل البيت تبرّأوا من ابن سعيد وأذنابه عملاء الفسق والفساد.

ومنهم: الباقرية والجعفرية:

إنّ الاِمامية عن بكرة أبيهم يعتقدون بأنّ الاَئمة اثنا عشر خلفاء اللّه بعد وفاة_____

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۷ ـ ۵۸، وقد بسط الكلام فى هذه الفرقة الاِسفرائينى فى التبصير: ۳۵ ـ ۳۶.

(۵۰) الرسول الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد ذكر الرسول الاَكرم أسماءهم لخُلَّص أصحابه، منهم جابر بن عبد اللّه الاَنصارى وغيره (۱)وقد تضافر عن الرسول حسب ما رواه أحمد فى صحيحه أنّه يملك هذه الاُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بنى إسرائيل (۲)وروى البخارى عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: إنّه قال: «كلّهم من قريش» (۳)وروى مسلم عنه أيضاً يقول: سمعتُ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا يزال الاِسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لاَبى: ماقال؟ فقال: كلّهم من قريش(۴).

إلی غیر ذلک من الروایات الناصة علی أنّ خلفاء الرسول اثنا عشر خلیفة، وقد ذکرنا متون الروایات فی الجزء السادس من هذه الموسوعة

(۵).

وقد اتفقت الإمامیة علی أنّ محمداً الباقر وجعفراً الصادق ـ علیهما السلام ـ من الأئمة الاثنی عشر بلا ریب أو شک، کما اتفقت الأُمّة علی فضلهما وجلالتهما بلا ریب أو شک.

قال ابن خلّکان: أبو جعفر محمد بن زین العابدین الملقب بـ«الباقر» أحد الأئمة الاثنی عشر فی اعتقاد الإمامیة، وهو والد جعفر الصادق، کان الباقر عالماً سیّداً کبیراً، وإنّما قیل له الباقر، لأنّه تبقّر فی العلم، أی توسّع، وفیه یقول الشاعر:

یا باقر العلم لأهل التقی * وخیر من لبّی علی الأجْبُلِ

(۶)

---

(۱) الحویزی: نور الثقلین: ۱|۴۱۴، فی تفسیر قوله تعالی: (أطیعُوا اللّهَ وأطِیعُوا الرسولَ) (النساء ـ ۵۹).

(۲) أحمد بن حنبل، المسند: ۱|۳۹۸.

(۳) البخاری: الصحیح: ۹|۱۰۱، کتاب الأحکام الباب ۵۱ (باب الاستخلاف)

(۴) مسلم: الصحیح: ۶|۳.

(۵) السبحانی: بحوث فی الملل والنحل: ۶|۵۸ ـ ۶۲.

(۶) ابن خلّکان: وفیات الأعیان: ۴|۱۷۴.

وهذا هو الشهرستانی یعرف الإمام جعفر الصادق ـ علیه السلام ـ بقوله: وهو ذو علم غزیر فی الدین، وأدب کامل فی الحکمة، وزهد بالغ فی الدنیا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدینة مدّة یفید الشیعة المنتمین إلیه، ثم دخل العراق وأقام بها مدّة

(۱).

نعم کان الاعتقاد بظهور المهدی أمراً مسلماً بین المسلمین عامّة والشیعة خاصة، وربما تطرأ الشبهة للعوام فی حقّ بعض الأئمة، وقد نقل البغدادی أنّ من بین الشیعة من یقول: إنّ الإمام الباقر هو المهدی المنتظر، ویستدل بما روی عن النبی أنّه قال لجابر بن عبد اللّه الأنصاری: «إنّک تلقاه فاقرئه منی السلام» وکان جابر آخر من مات بالمدینة من الصحابة، وکان قد عمی فی آخر عمره، وکان یمشی فی المدینة ویقول: یاباقر، یاباقر، متی ألقاک؟ فمرّ یوماً فی بعض سکک المدینة فناولته جاریة صبیاً کان فی حجرها، فقال لها: من هذا؟ فقالت: هذا محمد ابن علی بن الحسین بن علی، فضمه إلی صدره وقبّل رأسه ویدیه ثم قال: یابنی، جدّک رسول اللّه یقرئک السلام. ثم قال جابر: قد نعیت إلی نفسی، فمات فی تلک اللیلة

(۲).

وتبعه الإسفرائینی فی «التبصیر»، ونسبا إلی بعض الشیعة أنّهم اعتقدوا بأنّ المهدی المنتظر هو أبو جعفر الباقر ـ علیه السلام ـ ولیس فی کتب الشیعة من هذه الفرقة من أثر، ولعله کانت هنا شبهة لبعض الناس فماتت الشبهة بموتهم.

ومنهم: الناووسیة:

قال الأشعری: وهؤلاء یسوقون الإمامة إلی أبی جعفر محمد بن علی، وأنّ_____

(۱) الشهرستانی: الملل والنحل: ۱|۱۶۶.

(۲) البغدادی: الفرق بین الفرق: ۶۰.

(۵۲) أبا جعفر نصّ على إمامة جعفر بن محمد، وأنّ جعفر بن محمّد حيّ لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدى وهذه الفرقة تسمّى الناووسية، لقبوا برئيس لهم يقال له: «عجلان بن ناووس» من أهل البصرة (۱).

وفى الحور العين:إنّهم أتباع رجل يقال له «ناووس» وقيل: نسبوا إلى قرية ناووس

(۲) .

إذا تردّد أمر مؤسس المذهب من أنّه هو «ناووس» أو ابنه عجلان، أو شخص ثالث منسوب إلى «ناووس» يكون أولى بأن يشك الإنسان فى أصله وغاية ما يمكن أن يقال طروء شبهة لشخص أو شخصين فى أمر المهدى فزعموا أنّه الإمام الصادق _ عليه السلام_ لكن ماتت الشبهة بموت أصحابها ولايعد مثل ذلك فرقة، غير أنّ حبّ أصحاب المقالات لتكثير فرق الشيعة أوّلاً، وفرق المسلمين ثانياً لتجسيد حديث افتراق الأُمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة، جرّهم إلى عدّ هؤلاء فرقة.

والحاصل بما أنّه لم يذكر لهم دور فى الحياة، ولا حركة فى المجتمع، يظن أنّه حصلت شبهة فى مسألة المهدى، فزعم الرجل أنّه الإمام الصادق وتبعه واحد أو اثنان، ثم ماتت الفرقة بموت المشتبه فلا يعد مثل ذلك فرقة.

نحن نطلق الفرقة على جماعة لهم منهج فى العقيدة أو مذهب فى الفقه أو لهم دعايات وبلاغات وحركات فى المجتمع.

إلى هنا لم نجد للشيعة الإمامية فرقة صحيحة قابلة للذكر فهى بين خارجة عن الدين من رأس كالغلاة، ومغمورة فى أطباق الإبهام كالكيسانية، أو طارئة عليها الشبهة ولم يكتب لها البقاء إلّا أياماً قلائل، والمظنون أنّ الشيعة الإمامية إلى عصر الإمام الصادق _ عليه السلام _ كانوا متماسكين غير منفصلين_____.

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۵.

(۲) الحاكم الجشمى: الحور العين: ۱۶۲.

(۵۳)

قال الشهرستانى: إنّ الإمامية متفقون فى الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق _ عليه السلام، _ ومختلفون فى المنصوص عليه من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد، وقيل ستة: محمد وإسحاق وعبد اللّه وموسى وإسماعيل

(۱).

* * *

الفرق الواقعية للشيعة بعد رحيل الإمام الصادق ـ عليه السلام:

لقد عرفت أنّ جماهير الشعية كانوا متماسكين غير مختلفين، ولو طرأت هناك شبهة فلواحد أو اثنين فلم تكن موثرة على التحامهم.

نعم، توفى الإمام الصادق _ عليه السلام _ وكان الضغط على الشيعة شديداً وكان أبو جعفر المنصور ذلك الحاكم الطاغى يقتل العلويين بقسوة شديدة، ففى هذه الظروف أى عام ۱۴۸هـ لبى الإمام الصادق _ عليه السلام _ دعوة ربّه ولم يكن فى إمكانه التصريح العام بالإمام الذى بعده، حتى أنّه لما مات أوصى إلى خمسة أشخاص منهم أبو جعفر المنصور ومنهم حاكم المدينة وثالثهم زوجته، وبذلك جعل الأمر مخفياً على الأعداء. وعند ذلك نشأ اختلاف بين الشيعة وتفرّقوا إلى فرق ثلاث:

الأُولى: السميطية:

قالوا بأنّ الإمام هو محمد بن جعفر والإمامة فى ولده، نسبت تلك العقيدة إلى رئيس لهم باسم يحيى بن سميط

(۲)ولم يكتب البقاء لهذه الفرقة وليس لها رسم ولا اسم بين كتب الشيعة الذين هم أعرف بفرقهم_____.

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۶۷.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۱، الإسفرائينى: التبصير: ۲۳.

وفى الحور العين: يحيى بن أبى شميط.

(۵۴) الثانية: الفطحية:

وهم القائلون بإمامة الاثنى عشر مع عبد اللّه الاَفطح ابن الصادق ـ عليه السلام ـ يدخلونه بين أبيه وأخيه (الإمام الكاظم ـ عليه السلام) ، ـ وعن الشهيد ـ رحمه اللّه ـ أنّهم يدخلونه بين الكاظم والرضا ـ عليهما السلام ـ وقد كان أفطح الرأس، وقيل: أفطح الرجلين، وإنّما دخلت عليهم الشبهة مما رووا عن الاَئمة: الإمامة فى الاَكبر من ولد الإمام، ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الاَشياء التى لا ينبغى أنّ تظهر من الإمام، ثم إنّ عبد اللّه مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقون ـ الشذّاذ منهم ـ عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبى الحسن موسى ـ عليه السلام ـ .

وقد أسماهم أبو الحسن الاَشعرى بـ «العمارية» وقال: وأصحاب هذه المقالة منسوبون إلى زعيم منهم يسمى: عماراً، ولعل المراد منه هو: عمار بن موسى الساباطى من روَساء الفطحية. قال: الشيخ الطوسى: عمار بن موسى الساباطى وكان فطحياً له كتاب كبير جيد معتمد

(۱).

الثالثة: الإسماعيلية:

وربّما يعبر عنهم بالقرامطة: وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر ولما مات إسماعيل فى حياة أبيه صارت الإمامة فى ابنه محمد بن إسماعيل، وهم فرقة كبيرة موجودة فى العصر الحاضر_____.

(۱) الاَشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۷، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۲. والنوبختى: فرق الشيعة: ۶۸، والطوسى : الفهرست: برقم ۵۲۷.

(۵۵) الرابعة: الواقفية:

إنّ الشيعة الإمامية القائلة بإمامة الاثنى عشر قالت بإنّ الإمام بعد جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ هو ابنه موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ولهم على إمامته براهين وحجج مقنعة، فلما توفى وقفت عدّة على إمامة موسى ـ عليه السلام ـ ولم يقولوا بإمامة ولده على بن موسى الرضا ـ عليه السلام .ـ

قال الاَشعرى: وهذا الصنف يدعون الواقفة لاَنّهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفى هذه الفرقة يدعونهم بالممطورة، وذلك أنّ رجلاً منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن فقال له يونس: أنتم أهون علىّ من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا النبز وربما يطلق عليهم: الموسوية

(۱).

هذه الفرق الاَربعة، السميطية، الفطحية، الإسماعيلية والواقفية هى الفرق الواقعية للشيعة بعد الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وقد هلكت جميعها ولم يبق منهم إلاّ ـ الإسماعيلية وأمّا النصيرية، أعنى: أصحاب محمد بن نصير الفهرى، فهم من الغلاة الذين لا يمتّون إلى الإسلام والتشيع بصلة، ظهرت فى عصر الإمام الهادى ـ عليه السلام ـ وهم أصحاب محمد بن نصير النميرىّ وقيل فيهم غير ذلك ومثلهم المفوضة ببعض معانيها. بما أنّ نطاق هذا الجزء يضيق عن التبسط سنبحث عن هذه الفرق فى مقدّمة الجزء الثامن المختص بالإسماعيلية بفضل من اللّه تبارك وتعالى_____.

(۱) الاَشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۸ ـ ۲۹.

الفصل الثانى حياة زيد فى عصر الاَئمة الثلاثة

الفصل الثانى حياة زيد فى عصر الاَئمة الثلاثة

ـ عليهم السلام ـ بَخَس المورخون حقوق آل البيت جميعاً، وحقوق زيد الثائر الشهيد خصوصاً ولم يذكروا من أحواله شيئاً كثيراً، مع أنّهم استقصوا بيان حياة الجائرين من بنى أُمية والعباس وذكروا مجالس المجون والخلاعة لهم، وما جرى بينهم وبين المغنّيات وسائر

الاَجلاف فيها. من القصص والهزليّات وهذا إن دل على شيء فإنّما يدلّ على اضطهاد أهل البيت حتى عند أهل القلم والبيان، فأخفوا آثارهم ومناقبهم. ولاَجل ذلك نذكر فى المقام ما وقفنا عليه فى طيات الكتب معتذرين عن قلة ما نهدى إلى سدنة ثائرنا ـ قدس اللّه نفسه الزكية ـ .

فنقول:

حياته فى عصر الاِمام زين العابدين ـ عليه السلام :ـ

أدرك زيد بن على من الاَئمة الاثنى عشر، ثلاثة:

۱ـ والده على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليه السلام (ـ ۳۸ ـ ۹۴ هـ).

۲ـ أخوه الاَكبر أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ـ عليه السلام (ـ ۵۷ـ ۱۱۴هـ).

۳ـ ابن أخيه الاِمام جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام (ـ ۸۳ ـ ۱۴۸هـ).

فلنذكر فيما يرجع إلى المحور الاَوّل من المحاور الثلاثة، نسبه وميلاده ومواصفاته الخلقية وما يمتّ إليه بصلة.

نسبه الوضّاح :

هو زيد الشهيد، بن زين العابدين على، بن سيد الشهداء الحسين، بن مولى الموحدين وسيد الوصيين على، بن حامى الرسول والذائد عن حريمه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أبى طالب، هوَلاء آباوَه فله أن يفتخر ويقول:

أُولئك آبائى فجئنى بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأمّا أُمّه فاسمها حورية أو حوراء اشتراها المختار بن أبى عبيدة الثقفى وأهداها إلى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ روى أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين: انّ المختار بن أبى عبيدة اشترى جارية بثلاثين ألفاً. فقال لها: أدبرى، فأدبرت، ثم قال لها: أقبلى، فأقبلت، ثم قال: ما أرى أحداً أحقّ بها من على بن الحسين، فبعث بها إليه، وهى أُم زيد بن على ـ عليه السلام ـ وأنجبت له زيداً وعمر، وعلياً وخديجة (۱) .

روى ابن قولويه (م ۳۶۹ هـ) قال: روى بعض أصحابنا، قال: كنت عند على بن الحسين ـ عليه السلام ـ فكان إذا صلّى الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس فجاءُوه يوم ولد فيه زيد، فبشّروه به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: «أى شيء ترون أن أُسمّى هذا المولود؟» فقال كل رجل منهم: سمّه كذا، سمّه كذا. قال: فقال: «يا غلام علىّ بالمصحف»، فجاءُوا بالمصحف، فوضعه على_____

(۱) أبو الفرج :مقاتل الطالبيين: ۸۶، المكتبة الحيدرية، النجف الاَشرف (۱۳۸۵هـ ـ ۱۹۶۵م) .

حجره. قال: ثم فتحه، فنظر إلى أوّل حرف فى الورقة، فإذا فيه": فَضَّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ على القاعِدِينَ أجراً عَظِيماً ("النساء ـ ۹۵) قال: ثم طبقه، ثم فتحه، فنظر فإذا فى أوّل الورقة": إنَّ اللّهَ اشترى مِنَ المُؤمِنِينَ أنفُسَهُم وأموالَهمْ بِأنَّ لَهُمُ الجنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التوراة والاِنجيلِ والقُرآنِ ومَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فاسْتَبشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الّذِى بايَعْتُم بِهِ وذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيم ("التوبة ـ ۱۱۱) ثم قال: «هو واللّه زيد، هو واللّه زيد». فسمّى زيداً(۱).

وفى الروض النضير بعد نقل الآيتين، قال الاِمام: «عزّيت عن هذا المولود وأنّه لمن الشهداء» (۲)وإنّما اختار الاِمام هذا الاسم بعد التفاوَل بالقرآن والمفاجأة بالآيتين، فى صدر الورقةلما تضافر عن النبى والوصى والحسين بن على ـ عليهم السلام ـ أنّه قال مشيراً إلى الحسين ـ عليه السلام: «ـ إنّه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، ويقتل بالكوفة، يصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء وتبتهج به أهل السماوات» (۳)فأيقن أنّ المولود هو الذى تنبأ به الرسول الاَعظم ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

میلاده :

اختلف المؤرّخون فی میلاده، ویرجع بعضُ الاختلافِ فی میلاده، إلی الاختلاف فی مقتله، وأنّه هل استشهد سنهٔ مائهٔ وعشرین، أو مائهٔ وإحدی وعشرین، أو مائهٔ وثنتین وعشرین، أو مائهٔ وثلاث وعشرین، وبما أنّ المشهور أنّه_____

(۱) ابن إدریس: السرائر: ۳|۶۳۸، قسم المستطرفات، فیما استطرفه من روایات أبی القاسم بن قولویه وحمید بن أحمد المحلی (۵۸۲ ـ ۶۵۲هـ) : الحدائق الوردیهٔ: ۱۳۷ ـ ۱۳۸.

(۲) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۰۰.

(۳) الصدوق: عیون أخبار الرضا _ علیه السلام : _ ۱|۲۵۰، الباب ۲۵، وحمید بن أحمد المحلی: الحدائق الوردیهٔ: ۱۳۸ ـ ۱۳۹، وسیوافیک تفصیل التبّوَات فی محلها.

(۶۰)

استشهد عن عمر یناهز (۴۲ سنهٔ) ، وتلک الشهرهٔ منضمهٔ إلی الاختلاف فی نفس المیلاد، صارا سبباً للاختلاف الاَکثر فی میلاده، وها أنّا نسرد أقوال المؤرخین والمترجمین، وعلی جمیع الاَقوال یدور میلاده بین سنهٔ (۷۵) و (۷۹) وربما یبدو أنّ الحقّ غیر ذلک، وسیوافیک آخر البحث:

۱ـ قال محمد بن سعد: قتل یوم الاثنین للیلتین خلتا من صفر سنهٔ عشرین ومائهٔ ویقال: سنهٔ اثنتین وعشرین ومائهٔ (۱).

۲ ـ وقال البخاری: زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب الهاشمی عن أبیه، روی عنه عبد الرحمن بن الحارث ویقال: کنیته أبو الحسین، أخو محمد بن علی، وحسین بن علی قتل سنهٔ ثنتین وعشرین ومائهٔ (۲).

۳ ـ وقال ابن حِبّان فی الثقات: رأی جماعهٔ من أصحاب رسول اللّه _ صلی الله علیه وآله وسلم _ وروی عنه ولده، وقتل سنهٔ ثنتین وعشرین ومائهٔ (۳).

۴ ـ وعن مصعب بن عبد اللّه الزبیری: قتل زید بن علی بالکوفهٔ. قتله یوسف بن عمر فی زمن هشام بن عبد الملک وقتل یوم الاثنین لثلاث خلت من صفر سنهٔ عشرین ومائهٔ، وهو یوم قتل، ابن اثنتان وأربعین سنهٔ (۴).

۵ ـ وقال الذهبی: اختلف فی تاریخ مصرعه علی أقوال: فقال مصعب الزبیری: قتل فی صفر سنهٔ عشرین ومائهٔ وله اثنتان وأربعون سنهٔ.

وقال أبو نعیم: قتل یوم عاشوراء سنهٔ اثنتین وعشرین ومائهٔ، رواه ابن سعد.

وقال الزبیر بن بکار: قال محمد بن الحسن: قتل زید یوم الاثنین ثانی صفر_____

(۱) ابن سعد: الطبقات: ۵|۳۲۶.

(۲) البخاری: التاریخ الکبیر: ۲|۴۰۳ برقم ۱۳۴۱.

(۳) ابن حبان: الثقات: ۴|۲۴۹ ـ ۲۵۰.

(۴) المزی: تهذیب الکمال: ۱۰|۹۸.

(۶۱)

سنهٔ اثنتین وعشرین ومائهٔ (۱)

۶ ـ وقال الصفدی: وکانوا قد صلبوه بالکناسهٔ سنهٔ إحدی واثنتین أو ثلاث وعشرین ومائهٔ، وله اثنتان أو أربع وأربعون سنهٔ ثم حرقوه بالنار، فسمّی زید النار، ولم یزل مصلوباً إلی سنهٔ ست وعشرین ثم أُنزل بعد أربع سنین من صلبه (۲)

۷ ـ وروی السیاغی عن الإمام المرشد باللّه فی أمالیه أنّه ولد سنهٔ ۷۵ واستشهد سنهٔ ۱۲۲هـ (۳).

وسیوافیک عن الطبری والجزری فی الفصل المختص بثورته أنّهما ذکرا تاریخ خروجه واستشهاده عام ۱۲۲هـ

القول الحق فی میلاده :

ولكن هنا احتمالاً آخر لا يتفق مع جميع الاَقوال لكن توَيده القرائن والروايات وهى أنّ أُم زيد كما تقدم ـ كانت أمة أهداها المختار إلى الاِمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ ـ وقد خرج المختار عام ۶۶ وقتل عام ۶۷هـ وطبع الحال يقتضى أنّه أهداها إلى الاِمام فى أحد العامين، ولا ـ يمكن تأخره عنهما، وبما أنّ زيداً كان أوّل ولدٍ أنجبت فلا محيص عن القول بأنّ زيداً من مواليد سنة ۶۷هـ أو بعدها، ولو قلنا بتأخر ولادة زيد إلى عام ۷۵هـ وما بعده فلازم ذلك أن لا يمسّها الاِمام إلى ذلك العام أو كانت لا تلد إلى تلك السنة أو أولدت ولكن لم يكن له حظ من البقاء والكل بعيد. وعلى ضوء ذلك يحتمل قوياً أنّ يكون ميلاد زيد هو_____

(۱) الذهبى: تاريخ الاِسلام ووفيات المشاهير والاَعلام: ۱۰۷ ـ ۱۰۸ (حوادث سنة ۱۲۱ ـ ۱۴۰هـ) .

(۲) الصفدى: الوافى بالوفيات: ۱۵|۳۴. (إنّ «زيد النار» لقب زيد بن موسى بن جعفر الذى خرج فى عصر «المأمون» وأحرق بيوت بنى العباس: والظاهر أنّ الصفدى قد سها فى تسمية زيد بن على به).

(۳) السياغى: الروض النضير: ۱|۹۶.

(۶۲)

عام قتل المختار، أعنى: ۶۷هـ أو عام بعده، فلو أخذ فى مقتله بالقول المشهور، وأنّه استشهد عام ۱۲۲هـ يكون عمره عند ذاك حوالى ۵۵ سنة.

هذا وتوَيد ذلك روايات تنصّ على أنّ أُمّه حملت زيداً عام الاَهداء وإليك نصّها:

۱ ـ روى الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفى ـ من أعلام أوائل القرن الرابع ـ فى تفسيره عن الجعفى عن أبيه، قال: كنت أُدمن الحجّ فأمرّ على على ابن الحسين ـ عليهما السلام ـ فأُسلِّمُ عليه ففى بعض حججى غدا علينا على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ ووجهه مشرق فقال: «جاءنى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى ليلتى هذه حتى أخذ بيدى فأدخلنى الجنّة، فزوّجنى حوراء فواقعتها فعلقته، فصاح بى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ـ يا على بن الحسين سمِّ المولود منها زيداً».

قال: فما قمنا من مجلس علىّ بن الحسين ذلك اليوم، وعلى بن الحسين ـ عليهما السلام ـ يقصّ الروَيا حتى أرسل المختار بن أبى عبيدة بأُم زيد أرسل بها إليه المختار ابن أبى عبيدة هدية إلى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ شراها بثلاثين ألفاً، فلما رأينا إشغافه بها تفرّقنا من المجلس، فلما كان من قابل حججت ومررت على على بن الحسين ـ (عليهما السلام.ـ أ) لاُسلِّم عليه فأخرج يزيد على كتفه الاَيسر وله ثلاثة أشهر وهو يتلو هذه الآية ويومىَ بيده إلى زيد وهو يقول": هذا تَأوِيلُ رُوَيايَ مِن قَبلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّى حَقّاً("۱)

۲ ـ روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى وقال: وعن أبى حمزة الثمالى قال: كنت أزور على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ فى كل سنة مرّة فى وقت الحجّ، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبىّ، فقام الصبى فوقع على عتبة الباب فانشجّ رأسه، فوثب إليه على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ مُهَروِلاً فجعل ينشف دمه بثوبه_____

(۱) فرات بن إبراهيم: التفسير: ۲۰۰، تحقيق محمد الكاظم.والآية ۱۰۰ من سورة يوسف.

(۶۳)

ويقول له: «يابنى أُعيذك باللّه أن تكون المصلوب فى الكناسة!» قلت: بأبى أنت وأُمى أىّ كناسة؟ قال: «كناسة الكوفة». قلت: جعلت فداك ويكون ذلك ؟ قال: «أى واللّه إن عشت بعدى لترينّ هذا الغلام فى ناحية من نواحى الكوفة مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً فى الكناسة ثم ينزل فيحرق ويدق ويذرى فى البر».

قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: «زيد». ثم دمعت عيناه، ثم قال: «ألا أُحدثك بحديث ابنى هذا، بينما أنا ليلة ساجد وراكع، ذهب بى النوم فرأيت كأنّى فى الجنة، وكأنّ رسول اللّه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ قد زوّجونى جارية من الحور العين، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى وَوَلِّيت، وهاتف يهتف بى: لِيُهنَّك زيد، ليهنّك زيد، ليهنّك زيد. فاستيقظت فأصبت جنابة، فقمت فتطهرت وصليت صلاة الفجر، فدقّ الباب وقيل لى: على الباب رجل يطلبك. فخرجت فإذا أنا

برجل معه جارية ملفوف كمها على يده، مخمرة بخمار، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أريد على بن الحسين. فقلت: أنا على بن الحسين. قال: أنا رسول المختار بن أبى عبيدة الثقفى وهو يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية فى ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك (۱) ودفع إلىّ كتاباً، فأدخلت الرجل والجارية وكتبت له جواب كتابه، وقلت للجارية: ما اسمك ؟ قالت: حوراء. فهيّوَوها لى وبتُّ بها عروساً فعلقت بهذا الغلام فسمّيته زيداً، وهو هذا، وسرّى ما قلت لك_____».

(۱) روى ابن الاَثير: أنّ المختار وجد فى بيت المال تسعة آلاف ألف فقسّمها بين أصحابه (الكامل: ۴|۲۲۶) ولعله عند ذاك بعث بهذه الدنانير إلى على بن الحسين _ عليهما السلام، _ فيكون عام الإهداء هو عام الخروج.

(۶۴)

قال أبو حمزة: فما لبثت إلّا برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة فى دار معاوية بن إسحاق فسلّمت عليه. ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فكنت أختلفُ إليه فجئته ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه وجلست عنده. فقال: يا أبا حمزة تقوم حتى تزور قبر أمير المؤمنين على _ عليه السلام ؟ ـ _ قلت: نعم جعلت فداك.

ثم ساق أبو حمزة الحديث حتى قال:

أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر على بن أبى طالب _ عليه السلام _ ثم رجعنا فكان من أمره ما كان. فواللّه لقد رأيته مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً بالكناسة ثم أُحرق ودق وذُرى فى الهواء (۱)

۳ ـ ما رواه أبو القاسم على الخزاز قال: عن زيد بن على _ عليه السلام _ قال: كنت عند أبى على بن الحسين _ عليه السلام _ إذ دخل عليه جابر بن عبد اللّه الاَنصارى، (م۷۸هـ) فبينما هو يحدثه إذ خرج أخى محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمد». قال: ابن من؟ قال: «ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب»، قال: أنت إذاً الباقر. قال: فأبكى (فانكبّ) عليه وقبّل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إنّ رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ يقرئك السلام. قال: «على رسول اللّه أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام».

ثم عاد إلى مصلّاه، فأقبل يحدث أبى ويقول: إنّ رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ قال لى يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقرأه منى السلام فإنّه سميّى وأشبه الناس بى، علمه علمى وحكمه حكمى، سبعة من ولده أُمناء_____

(۱) الثقفى: الغارات: ۲|۸۶۰ ـ ۸۶۱؛ وابن طاووس: فرحة الغرىّ: ۵۱، المطبوع فى ذيل مكارم الاَخلاق.

(۶۵)

معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذى يملاَ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثمّ تلا رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم": _ وَجَعَلناهُمْ أئمّةً يَهدُونَ بِأَمرنا وأوْحَيْنا إلَيْهِم فِعْلَ الخَيْراتِ وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاءَ الزَّكاةِ وكَانُوا لَنا عابِدِينَ ("۱) .

المشهور أنّ جابر، توفى بين السبعين والثمانين من الهجرة(۲)

وهذه الروايات المسندة، التى رواها الاَثبات من العلماء، مع ما ذكرنا من القرينة يدفع جميع الاَقوال ويثبت أنّ ميلاده كان متقدماً على عقد السبعين كما عرفت.

إكمال :

ولعل ما يرويه الكلينى فى كافيه من تعبير عبد الملك تزويج الإمام السجاد، أمته راجع إلى أُم زيد التى كانت أمة وتزوجها الإمام بعد الاعتاق، وإليك النص:

كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علىّ بن الحسين _ عليه السلام _ أعتق جارية له ثم تزوّجها، فكتب العين إلى عبدالملك.

ثم کتب عبد الملک إلی علی بن الحسین ـ علیه السلام: « ـ أمّا بعد: فقد بلغنی تزویجک مولاتک، وقد علمت أنّه کان فی أکفّائک من قریش من تُمجّد به فی الصهر، وتستنجبه فی الولد، فلا لنفسک نظرت، ولا علی ولدک أبقیت والسلام.

فکتب إلیه علی بن الحسین ـ علیه السلام: «ـ أمّا بعد: فقد بلغنی کتابک تعنّفنی بتزویجی مولاتی وتزعم أنّه قد کان فی نساء قریش من أتمجّد به فی_____

(۱) الخزاز: کفایة الأثر فی النص علی الأئمة الاثنی عشر: ۲۹۸.والآیة ۷۳ من سورة الأنبیاء.

(۲) قال الشیخ الطوسی فی رجاله: أنّه توفی عام ۷۸، وبه قال ابن قتیبة فی معارفه، والطبری فی ذیوله لاحظ: قاموس الرجال لشیخنا التستری: ۲|۵۱۹.

(۶۶)

الصهر، واستنجبه فی الولد، وأنّه لیس فوق رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ مرتقاً فی مجد، ولا مستزاد فی کرم. وإنّما کانت ملک یمینی خرجت منّی، أراد اللّه عزّ وجلّ منّی بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها علی سنة، ومن کان زکیاً فی دین اللّه فلیس یخل به شیء من أمره، وقد رفع اللّه بالإسلام الخسیسة، وتمّم به النقیصة، وأذهب اللوَم، فلا لوَم علی أمرئ مسلم إنّما اللوَم لوَم الجاهلیة والسلام».

فلمّا قرأ، الکتاب رمی به إلی ابنه سلیمان فقرأه، فقال: یا أمیر المؤمنین لشدّ ما فخر علیک علی بن الحسین!! فقال: یا بنی لا تقل ذلک فإنّها ألسُن بنی هاشم التی تفلق الصخر، وتغرف من بحر، أنّ علی بن الحسین ـ علیه السلام ـ یا بنی یرتفع من حیث یتّضع الناس(۱).

مواصفاته الخلقیة :

نقل السیاغی عن الشیخ أبی محمد یحیی بن یوسف بن محمد الحجوری الشافعی: أنَّ زیداً کان أبیض اللون، أعین، مقرون الحاجبین، تام الخلق، طویل القامة، کث اللحیة، عریض الصدر، أقنی الأنف، أسود الرأس واللحیة، إلّا أنّه خالطه الشیب فی عارضیه.

کان مثل جده ـ علیه السلام ـ فی شجاعته وسخاوته وفصاحته وبلاغته وعلمه وحلمه ـ إلی أن قال: ـ وما أشبه حاله بقول من قال:

فما إن براه اللّه إلّا لأربع * یقرّ له القاصی بهنّ مع الدانی

إمامٌ لأخیارٍ، وقلبٌ لجحفلٍ * وفارسُ میدانٍ وصدرٌ لإیوانِ_____

(۱) الکلینی: الکافی: ۵|۳۴۴.

(۶۷)

إلی أن قال: ونحن نعلم بأنّ من بنی أُمیة من خطب له فی ثمانین ألف منبر، فإذا مات، مات ذکره معه، وکان من بنی العباس من کانت دولته خمسین سنة وملک أقطار الأرض من شرق وغرب فما کان ذکرهم إلّا مدّة حیاتهم (۱).

روی أبو الفرج عن مولی آل الزبیر، قال: کنّا عند علی بن الحسین ـ علیه السلام ـ فدعا ابناً له یقال له: زید، فکبا لوجهه، وجعل یمسح الدم عن وجهه ویقول: «أُعیذک باللّه أن تکون زیداً المصلوب بالکناسة من نظر إلی عورته متعمداً أصلی اللّه وجهه النار» (۲).

وعن أبی خالد الواسطی وأبی حمزة الثمالی عن أبی جعفر ـ علیه السلام ـ أنّه قال لهما: «یا أبا خالد، وأنت یا أبا حمزة إنّ أبی دعا زیداً فاستقرأه القرآن، فقرأ علیه، فسأله عن المعضلات ثم دعا له وقبّل بین عینیه»، ثم قال أبو جعفر ـ علیه السلام ـ: «یا أبا حمزة إنّ زیداً أُعطی من العلم علینا بسطة» (۳).

والظاهر أنّ الراوی صحّف کلمة الإمام وأضاف لفظة «علینا» وأنّ أبا جعفر قال: إنّ زیداً أُعطی من العلم بسطة مشیراً إلی قوله سبحانه: "وزادَهُ بَسْطَةً فی العِلْمِ والجِسْمِ ("البقرة ـ ۲۴۷) .

ولو صحّ ما ذکره السیاغی فیرجع کونه ذا قراءة خاصة إلی عصره والده السجاد ـ علیه السلام: ـ فقال أبو سعید الحمیری أنّه ضلیع بعدّة علوم منها علم القرآن، ووجوه القراءات وله قراءة خاصة مفردة مرویة عنه (۴).

ونقل الشیخ الطوسی فی الفهرست أنّ قراءته هی عین قراءة جده الإمام_____

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۹۷، حمید بن أحمد المحلی: الحدائق الوردیة: ۱۳۸.

(۲) أبو الفرج: مقاتل الطالبیین: ۸۹.

(۳) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۰۲، حمید بن أحمد المحلی: الحدائق الوردیة: ۱۴۲.

(۴) الحور العین: ۱۸۶.

(۶۸)

علی ابن أبی طالب _ علیه السلام (_ ۱).

قال محقّق تفسیره فی مقدمته: «ولعلّ أوّل من جمع قراءته بکتاب مستقل عمر بن موسی الوجیهی الذی کان معاصراً لزید فقال عنها: «إنّ هذه القراءة سمعتها عن زید بن علی _ علیه السلام » _ وکان هذا الکتاب موجوداً بعد سنة إحدی وستین ومائتین فقد استنسخها إبراهیم بن مسکین فی السنة ذاتها ونقل عنه بعد ذلک یحیی بن کهمش.

وقد جمع قراءته أیضاً الحسن بن علی الاَهوازی. ولعل أبا حیان قد اطّلع علیها أو علی قسم منها علی الاَقل، فقد استشهد منها فی کتابه البحر المحیط فذکر «أنّ الاَهوازی... فی قراءة زید بن علی أنّه قرأ ربّ العالمینَ الرحمنَ الرحیمَ بنصب الثلاثة».

وجمعها أیضاً أبو حیان فی کتاب سمّاه: «النیر الجلی فی قراءة زید بن علی».

ووردت قراءة زید أیضاً کاملة فی کتب القراءة والتفسیر لکنها مقرونة بغیرها من القراءات حسب ورود کل منها علی الآیة القرآنیة الکریمة.

فقد جاءت بهذه الطریقة فی کتب القراءات کما فی کتاب «شواذ القراءة» للکرمانی، وأیضاً فی کتاب «معجم القراءات القرآنیة».

وکذلک وردت کاملة فی کتب التفسیر کما فی کتاب «البحر المحیط» لاَبی حیان وکذلک ضمها الآلوسی لکتابه فی التفسیر المسمّی «روح المعانی» (۲).

وقال الکاتب الچلبی: کتاب «النیر الجلی فی قراءة زید»لاَبی علی الاَهوازی المقری (۳_____) .

(۱) الطوسی: الفهرست: ۱۴۰.

(۲) الدکتور حسن محمد تقی الحکیم: تفسیر الشهید زید بن علی: ۳۷، المقدمة.

(۳) الکاتب الچلبی: کشف الظنون:۲|۶۲۴.

(۶۹)

وفی الختام:

نقل المقریزی عن عاصم بن عبید اللّه أنّه قال: لقد أُصیب عندکم رجل ماکان فی زمانکم مثله، ولا أراه یکون بعده مثله (زید بن علی) لقد رأیته وهو غلام حدث، وأنّه لیسمع الشیء من ذکر اللّه فیغشی علیه، حتی یقول القائل ما هو بعائد إلی الدنیا... (۱).

* * *

حیاته فی عصر الإمام الباقر _ علیه السلام :_

التحق الإمام زید العابدین _ علیه السلام _ بالرفیق الاَعلی، ونصّ علی إمامة ولده البارّ، أبی جعفر محمد الباقر _ علیه السلام _ الذی دان بفضله وعلمه وورعه الدانی والقاصی، والموَالف والمخالف قال ابن حجر: سمّی الإمام باقراً، لاَنّه من بقر الاَرض أی شقّها وإثارة مخبآتها ومکامنها، فکذلک هو أظهر من مخبآت کنوز المعارف وحقائق الاَحکام والحکم واللطائف ما لا یخفی إلّا علی منطمس البصیرة أو فاسد الطویّة والسریرة، ومن ثم قیل هو باقر العلم وشاهر علمه ورافعه(۲).

لقد استنارت بقیة الصحابة ووجوه التابعین، من نوره، وارتووا من منهل علمه، فکان الاحتفال بمجالسه أکبر احتفال، یوم ذاک. توفی

الاِمـام زین العابـدین ـ علیه السـلام ـ وزیـد بن علی فی أوان حلُمه، أو بعـده بقلیـل فضّـمه الاِمـام البـاقر إلی أولاده فکان یعطف علیه ویحنو إلیه کالوالد الروَوف بالنسـبة إلی أولاده إلی أن شبّ وترعرع، وبلغ فی العلم والعمل ما بلغ، وقد نصّ بذلک أکثر من کتب عن زید_____:

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱ |۹۸، لاحظ الخطط للمقریزی: ۲|۴۱۹.

(۲) ابن حجر: الصواعق المحرقة: ۲۰۰، ط۲، مکتبة القاهرة (۱۳۸۵هـ ـ ۱۹۶۵م) .

(۷۰)

۱ ـ قال الشیخ فی فصل أصحاب الاِمام الباقر ـ علیه السلام: «ـ زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب أبو الحسن، أخوه ـ علیه السلام، ـ ذکره أیضاً فی أصحاب أبیه زین العابدین ـ علیه السلام (ـ ۱)

۲ ـ قال المزی: روی عن: أبان بن عثمان، وعبید اللّه بن أبی رافع، وعروة بن الزبیر وأبیه علی بن الحسین وأخیه أبی جعفر محمد بن علی الباقر (۲).

۳ ـ وذکره بهذا النصّ ابن حجر فی تهذیب التهذیب (۳).

۴ ـ وقال الذهبی: زید بن علی بن الحسین... الهاشمی العلوی أخو أبی جعفر... روی عن: أبیه وأخیه أبی جعفر وعروة وکان أحد العلماء الصلحاء بدت منه هفوة (۴) فاستشهد فکانت سبباً لرفع درجته فی آخرته (۵).

لقد عاش زید تحت رعایة أخیه الکبیر البار الحنون فتلقی منه الحدیث والتفسیر والاُصول والمعارف حتی فاق وبرع أقرانه.

قال ابن زهرة: وقد مات أبوه (زید) عام ۹۴هـ أی وهو فی الرابعة عشرة من عمره فتلقی الروایة عن أخیه محمد الباقر ـ علیه السلام ـ الذی یکبره بسن تسمح بأن یکون له أباً إذ إنّ الاِمام جعفر الصادق بن الاِمام محمد الباقر ـ علیهما السلام، ـ کان مثل سن الاِمام زید رضی اللّه عنهم أجمعین_____.

(۱) الشیخ الطوسی: الرجال: باب الزای: ۸۹ ـ ۱۲۲.

(۲) جمال الدین المزّی: تهذیب الکمال: ۱۰|۹۶.

(۳) ابن حجر العسقلانی: تهذیب التهذیب: ۳|۴۱۹.

(۴) أُنظر إلی کلام الرجل، وتسمیته الخروج علی الظلم والعدوان هفوة والمداراة مع الظالمین ثباتاً علی الدین. ولا عتب لاَنّه من الذین رأوا الخروج علی الظالمین حراماً، علی خلاف قول رسول اللّه من رأی سلطاناً جائراً مستحلاً حرم اللّه، ناکثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، یعمل فی عباده بالاِثم والعدوان، فلم یُغیر علیه بفعل أو قول کان حقاً علی اللّه أن یدخله مدخله (الطبری: التاریخ: ۴|۳۰۴) وسیوافیک الکلام فی هذا المجال فی المستقبل.

(۵) الذهبی: تاریخ الاِسلام: ۱۰۵ (حوادث سنة ۱۲۱ ـ ۱۴۰هـ) .

(۷۱)

وما کان من المعقول أن یجمع الاِمام زید وهو فی سن الرابعة عشرة کل علم آل البیت فلابد أن یکمل أشطراً من أخیه الذی تلقی علم أبیه کاملاً، وقد کان الباقر ـ علیه السلام ـ إماماً فی الفضل والعلم، وأخذ عنه کثیرون من العلماء ورووا عنه ومن هوَلاء أبو حنیفة شیخ فقهاء العراق، وقد نال الباقر ـ علیه السلام ـ فضل الاِمامة العلمیة، حتی أنّه کان یحاسب العلماء علی أقوالهم وما فیها من خطأ وصواب(۱) .

کان الاِمام الباقر ـ علیه السلام ـ ینظر إلیه نظر أخٍ عطوف ویثنی علیه أحیاناً ویطریه، ویأمر بعض أصحابه بإنشاء طرائف تمثل شخصیة زید ونفسیته وإلیک بعض ما وقفنا علیه:

۵ ـ روی الصدوق فی الاَمالی عن أبی الجارود قال: إنّی لجالس عند أبی جعفر محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ إذ أقبل زید

فلما نظر إليه وهو مقبل، قال: «هذا سيد أهل بيته والطالب بأوتارهم لقد أنجبت أُمٌّ، ولدتك يازيد» (۲).

۶ ـ وعن جابر الجعفی قال سمعت أبا جعفر ـ علیه السلام ـ وقد نظر إلى أخيه زيد بن على فتلا هذه الآية": « فالّذِينَ هَاجَرُوا وأُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبِيلِي وقاتَلُوا وقُتِلُوا " ...الآية، وقال: هذا واللّه من أهل ذلك» (۳).

۷ ـ وعنه أيضاً سألت محمد بن على ـ عليهما السلام ـ عن أخيه زيد فقال: «سألتنى عن رجل ملیء إيماناً وعلماً من أطراف شعره وقدمه وهو سيد أهل بيته»(۴).

دخل زيد على الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ فلما رآه تلا": يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوامِينَ لِلّهِ شُهداءَ بالقِسطِ "ثم قال: «أنت واللّه يا زيد من أهل ذلك» (۵_____).

(۱) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية: ۲ |۴۶۵.

(۲) الصدوق: الأمالی: ۳۳۵، الحديث ۱۱.

(۳) السياغی: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۴) السياغی: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۵) السياغی: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۷۲)

۸ ـ روى الصدوق عن جابر الجعفی، قال: دخلت على الباقر ـ عليه السلام ـ وعنده زيد أخوه، فدخل عليه معروف بن خربوذ المكی، قال له أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «يامعروف أنشدنی من طرائف ما عندك»، فأنشد:

لعمرك ! ما إن أبو مالك * بوان، ولا بضعيف قواه

ولا بألدّ «لدى قوله» (۱) * يعادى الحكيم إذا ما نهاه

ولكنه سيد بارع * كريم الطبايع حلو نثاه (۲) إذا سُدته، سُدتَ مِطواعة * ومهما وكلت إليه كفاه

قال: فوضع أبو جعفر ـ عليه السلام ـ يده على كتفی زيد، وقال: هذه صفتك يا أبا الحسين! (۳).

۹ ـ روى أبو الفرج عن أبی جعفر ـ عليه السلام ـ أنّه قال له بعد التمثل بالأبيات السابقة: «ولقد أنجبت أُمّ ولدتك يا زيد. اللّهم أشدد أُزرى بزيد» (۴).

_____* * *

(۱) ورواه فی الأغانی بالنحو التالی:

ولا ـ بالألدَّ، له فارغ * يعادى أخاه إذا ما نهاه (الأغانی: ۲۴|۱۰۶) . (۲) بتقديم النون على الثاء المثلثة لاحظ تعليقة المحقّق على البحار: ۴۶|۱۶۹.

(۳) عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام :ـ ۱|۲۵۱ ح۵ الباب ۲۵، أبو الفرج: الأغانی: ۲۴|۱۰۶، ورواه فی الأغانی بالنحو التالی:

ولكنّه هيِّن ليِّنٌ * كعالية الرمح عَردٌ نَساه قال المعلّق: عرد نساه شديد ساقه. (الأغانی: ۲۴|۱۰۶)

(۴) أبو الفرج: الأغانی: ۲۴|۱۰۷ ومر صدره فی حديث الصدوق.

(۷۳)

حياته فی عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام :ـ

۱ ـ لم يذكر التاريخ شيئاً من حياته فی عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام، ـ غير تجواله فی البلاد، لدعم الخروج، وجمع العُدّة والعِدّة، الذی سيمر عليك فی الفصول الآتية غير أنّه لو صحّ ما يرويه أبو الفرج الاصفهانی عن عبد اللّه بن جرير أنّه رأى أنّ جعفر بن محمد ـ عليه السلام «ـ يمسك لزيد بن على بالركاب ويسوى ثيابه على السرج» (۱)لدل على أنّ الإمام ـ عليه السلام ـ كان يكرمه

لكونه عمه ـ وهو بمنزلة الاَب ـ ولاَنّه أكبر منه سناً، خصوصاً على ما حقّقنا من أنّه من مواليد عام ۶۷ أو ۶۸، فيدل على تواضعه وكمال أدبه، وقد كان ذلك رائجاً بين بنى هاشم.

وقد كان بين زيد، وعبد اللّه بن الحسن المثنى مناظرة فى صدقات على ـ عليه السلام ـ فكانا يتحاكمان إلى قاض، فإذا قاما من عنده أسرع عبد اللّه إلى دابة زيد فأمسك له بالركاب (۲).

وقد كانت أواصر الحب والود بين الاِمام وعمه متبقية إلى يوم حمامه، ولما بلغ نعيه إلى المدينة أخذ الناس يفدون إلى الاِمام ويعزّونه.

۲ ـ روى أبو الفرج عن فضيل بن رسام: دخلت على جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ أُعزّيه عن عمّه ثم قلت له: ألا أُنشدك شعر السيد (الحميرى) فقال: «أنشد» فأنشدته قصيدته (العينية المعروفة) التى يقول فيها:

الناس يوم البعث راياتهم * خمس فمنها هالك أربع (۳_____)

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۸۷.

(۲) سيوافيك شرح المحاكمة بينهما.

(۳) أبو الفرج: الاَغانى: ۷|۲۵۱، وللقصة صلة، فمن أراد فليرجع إلى مصدرها.

۳ ـ لمّا توفى الاِمام أبو جعفر الباقر _ عليه السلام _ أنشد زيد قصيدة ـ سنوافيك بها فى فصل خطبه وأشعاره ـ عزّى فيها الاِمام الصادق _ عليه السلام _ وقال:

أبا جعفر الخير أنت الاِمام * وأنت المرجى لبلوى غدى (۱)

ويظهر من بعض الروايات أنّه استشار الاِمام الصادق _ عليه السلام _ فى خروجه فقال له: «يا عم إن رضيت أن تكون المقتول (المصلوب) بالكناسة فشأنَك» فلمّا ولّى، قال جعفر بن محمد _ عليهما السلام: «_ ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» (۲) .

روى الصدوق عن معمر بن خيثم: كنت جالساً عند الصادق _ عليه السلام _ فجاء زيد بن على بن الحسين فأخذ بعضادتى الباب، فقال له الصادق ـ عليه السلام ـ: «أُعيذك أن تكون المصلوب بالكناسة» (۳).

كل ذلك يدلّ على ودٍّ عميق للعمّ، وأدب لائق بأهل البيت.

---

(۱) ابن شهر آشوب: المناقب: ۴|۱۹۷، طبعة دار الاَضواء، بيروت.

(۲) عيون أخبار الرضا _ عليه السلام : _ ۱|۲۴۸ ح ۱، عنه البحار: ۴۶|۱۷۴ ح ۲۷.

(۳) الصدوق: العيون: ۱، الباب ۲۵، الحديث: ۴، طبعة قم. وسنوافيك ببقية الرواية.

الفصل الثالث فى خطبه، وكلماته

الفصل الثالث فى خطبه، وكلماته وأشعاره، ومناظراته وعبادته كان زيد الشهيد فصيحاً، بليغاً يأخذ بجوامع الكلم ويستعملها فى مواردها وقد شهد به الصديق والعدو، قال الواقدى: وبلغ هشام بن عبد الملك مقامُ زيد بالكوفة، فكتب إلى يوسف بن عمر: أشخِصْ زيداً إلى المدينة فإنّى أخاف أن يخرجه أهل الكوفة لاَنّه حلو الكلام، شديد البيان، خليق بتمويه الكلام (۱)وإليك بعض ما أثر عنه من المواعظ والحكم والاَدب ونحوها:

۱ ـ روى أبو المؤيد موفق بن أحمد المدعو بـ«أخطب خوارزم»: «قيل لزيد ابن على: الصمت خير أم الكلام؟ فقال: قبح اللّه المساكتة، ما أفسدها للبيان، وأجلبها للعىّ والحصر، واللّه للمماراة أسرع فى هدم الفتى من النار فى يبس العرفج، ومن السيل إلى الحدور (۲) (۳_____).

(۱) سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ۳۰۰، اليعقوبى: التاريخ: ۲|۳۲۵ الخوارزمى: مقتل الحسين: ۲|۱۱۹.

(۲) الحدور على وزن رسول هو المكان ينحدر منه. (لسان العرب: ۴|۱۷۲، مادة «حدر»).

(۳) محسن الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۲۳، نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمى.

(۷۶)

فقد فضل الكلام على السكوت، وذم المماراة، فالكلام أفضل بشرط أن لا يكون مماراة.

۲ ـ إذا تلا زيد بن على قوله سبحانه": وإن تَتَولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أمْثَالَكُم("محمد ـ ۳۸) .

يقول: «إنّ كلام اللّه هذا تهديد وتخويف، ثم يقول: اللّهم لا تجعلنا ممّن تولّى عنك فاستبدلت به بدلاً » (۱).

۳ ـ قال زيد بن على لاَصحابه: «أُوصيكم بتقوى اللّه، فإنّ الموصى بها لم يدَّخر نصيحة، ولم يقصِّر فى الاِبلاغ، فاتقوا اللّه فى الاَمر الذى لا يفوتكم منه شىء وإن جهلتموه وأجملوا فى الطلب، ولاتستعينوا بنعم اللّه على معاصيه، وتفكّروا، وأبصروا هل لكم قبل خالقكم من عمل صالح قدمتموه فَشَكَرَه لكم، فبذلك جعلكم اللّه تعالى من أهل الكتاب والسنّة، وفضّلكم على أديان أبائكم، ألم يستخرجكم نطفاً من أصلاب قوم، كانوا كافرين، حتى بثّكم فى حجور أهل التوحيد، وبث من سواكم فى حجور أهل الشرك، فبأى سوابق أعمالكم طهركم إلاّ بمنّه وفضله الذى يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم» (۲).

۴ ـ وقال مبيّناً لما هو الغاية من الخروج: «وإنّما خرجت على بنى أُمية الذين قتلوا جدى الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت اللّه بحجر المنجنيق والنار» (۳).

۵ ـ روى عبد اللّه بن مسلم بن بابك قال: خرجنا مع زيد بن على إلى مكة، كان نصف الليل واستوت الثريا فقال: «يا بابكىّ، ما ترى هذه الثريا أترى أن_____

(۱) محسن الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۲۳.

(۲) الاَمير أُسامة بن مرشد، لباب الآداب نقلاً عن المدائن كما فى زيد الشهيد للسيد الاَمين العاملى: ۹۲.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۵ ـ ۳۶.

(۷۷)

أحداً ينالها؟» قلت: لا، قال: «واللّه لوددت أن يدى ملصقة بها فأقع إلى الاَرض أو حيث أقع، فأتقطَّع قطعة قطعة وإنّ اللّه أصلح بين أمة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم» (ـ ۱) .

۶ـ إنّ زيداً كتَّب كتائبه، فلمّا خفقت راياته رفع يده إلى السماء فقال: «الحمد للّه الذى أكمل لى دينى، واللّه ما يسرنى إنّى لقيت محمّداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم آمر أُمّته بمعروف ولم أنههم عن منكر».

وفى رواية أُخرى: «واللّه إنّى لاَستحيى من رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا لقيته ولم آمر أُمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر واللّه ما أُبالى إذا أقمت كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه إن أُجّجت لى نار وقذفتُ فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة اللّه عزّ وجلّ، واللّه لا ينصرنى أحد إلاّ كان فى الرفيق الاَعلى مع محمّد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات اللّه عليهم ـ ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء وأهل الحجى أنا حجة اللّه عليكم هذه يدى مع أيديكم، على أن نقيم حدود اللّه ونعمل بكتابه...» (۲).

۷ـ كانت بيعته التى يبايع عليها الناس هى: «إنّا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفىء بين أهله بالسوية ورد الظالمين، وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا، وجهل حقنا. أتبايعون على ذلك؟» فإذا قالوا نعم، وضع يده على يده ثم يقول: «عليك عهد اللّه وميثاقه وذمته أو ذمة رسول اللّه لتفينّ ببيعتى، ولتقاتلنّ عدوى، ولتنصحنّ لى فى السر والعلانية» فإذا قال نعم مسح يده على يده، ثم قال: «اللهم اشهد» (۳_____).

(۱) المجلسی: البحار: ۴۴|۳۲۹.

(۲) أخطب خوارزم: مقتل الحسین: ۲|۱۰۸.

(۳) الطبری: التاریخ: ۵|۴۹۲، ابن الأثیر: الکامل: ۴|۲۳۳، باختلاف یسیر فی الکلمات.

(۷۸)

۸ ـ ومن کلامه: «إنّا ندعوکم إلی کتاب اللّه وسنّة نبیه وإلی السنن أنّ تحیی، وإلی البدع أن تدفع، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبیتم فلست علیکم بوکیل» (۱).

۹ ـ ومن کلامه المعروف قاله لهشام أنّه: « لم یکره قوم قطُّ حدّ السیف إلاّ ذلّوا» (۲).

۱۰ـ وروی ابن عساکر أنّه قال: «واللّه ما کره قوم الجهاد فی سبیل اللّه إلاّ ضربهم اللّه تعالی بالذل» (۳)

۱۱ـ وقال أیضاً لهشام: «أنّه لیس أحد یکبر عن تقوی اللّه، ولا یصغر دون تقوی اللّه» (۴)

إلی غیر ذلک من الکلمات التی سیمرّ بعضها علیک فی المستقبل. غیر أنّ کل ذلک حکم قصیرة یبادی فیها، ما ورثه عن مطلع الفصاحة والبلاغة جدّه الإمام أمیر المؤمنین.

ثم لزید خطب، ورسائل، نکتفی من کل منهما بواحد، والإمعان فیهما یعرف مقدرته علی إنشاء الکلام البلیغ، وإبداعه المعانی السامیة، فی جمل قصیرة وإلیک الخطبة ثم الرسالة:

۱۲ ـ خطبته التی، یعرّف فیها موقفه من الخروج وأنّه لیس إلاّ الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، وإنهاض المسلمین لإزالة المروانیّین عن منصة الحکومة الإسلامیة ورد الأمر إلی أهل بیت النبی وإلیک نصها:

«یا أیّها الناس إنّ اللّه قد بعث فی کل زمان خیرة، ومن کل خیرة منتجباً_____

(۱) الطبری: التاریخ: ۵ |۴۹۸؛ ابن الأثیر: الکامل: ۵|۲۴۳.

(۲) المفید: الإرشاد: ۲۶۹.

(۳) مختصر تاریخ دمشق: ۹|۱۵۱.

(۴) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۰۶، طبعة دار الأندلس، بیروت.

(۷۹)

خیرة منه قال": اللّهُ أعلَمُ حَیثُ یَجعَلُ رِسالَتَه ("الأنعام ـ ۱۲۴) فلم یزل اللّه یتناسخ خیرته حتی خرج محمد _ صلی الله علیه وآله وسلم _من أفضل تربة وأطهر عترة أُخرجت للناس، فلمّا قبض اللّه محمّداً _ صلی الله علیه وآله وسلم _ ولا ـ عارف أمخرکم (۱) بعد زخورها وحصّن حصونک علی سائر الأحیاء بأنّ محمداً _ صلی الله علیه وآله وسلم _ کان قریشیاً، ودانت العجم للعرب بأنّ محمد_ صلی الله علیه وآله وسلم _ کان عربیاً حتی ظهرت الکلمة وتمت النعمة فاتّقوا اللّه عباد اللّه وأجیبوا إلی الحقّ وکونوا أعواناً لمن دعاکم إلیه، ولاتأخذوا سنّة بنی إسرائیل، کذّبوا أنبیاءهم، وقتلوا أهل بیت نبیهم.

ثم أنا أُذکرکم أیّها السامعون لدعوتنا، المتفهّمون لمقالتنا، باللّه العظیم الذی لم یذکر المذکورون بمثله، إذا ذکروه وجلت قلوبکم واقشعرّت لذلک جلودکم، ألستم تعلمون أنّا ولد نبیکم المظلومون المقهورون، فلا سهمُ وُفینا، ولا تراث أُعطینا، وما زالت بیوتاً تهدم وحرمتنا تنتهک وقائلنا یعرف، یولد مولودنا فی الخوف، وینشأ ناشئنا بالقهر ویموت میّتنا بالذل؟

ویحکم إنّ اللّه قد فرض علیکم جهاد أهل البغی والعدوان من أُمتکم علی بغیهم، وفرض نصرة أولیائه الداعین إلی اللّه وإلی کتابه قال": ولَیَنصُرَنَّ اللّهُ مَن یَنصُرُهُ إنَّ اللّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیز ("الحجّ ـ ۴۰) .

ویحکم إنّا قوم غَضِبْنا للّه ربّنا، ونقمنا الجور المعمول به فی أهل ملتنا، ووضعنا من توارث الإمامة والخلافة، وحکم بالهوی ونقض العهد، وصلّی الصلاة لغیر وقتها، وأخذ الزکاة من غیر وجهها ودفعها إلی غیر أهلها، ونسک المناسک بغیر هدیها، وأزال الأفیاء

والاَخماس والغنائم ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطّل الحدود وأخذ منه الجزيل، وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل، وقرب الفاسقين ومثل بالصالحين، واستعمل الخيانة وخوّن أهل الاَمانة_____،

(۱) وفی نسخة: أنجزكم.

(۸۰)

وسلّط المجوس وجهز الجيوش، وخلد فی المحابس وجلد المبين وقتل الوالد، وأمر بالمنكر ونهی عن المعروف بغير مأخوذ من كتاب اللّه وسنّة نبيه.

ثم يزعم زاعمكم الهزاز علی قلبه، يطمع خطيئته إنّ اللّه استخلفه يحكم بخلافته، ويصد عن سبيله وينتهك محارمه ويقتل من دعا إلی أمره، فمن أشرّ عند اللّه منزلة ممّن افتری علی اللّه كذباً أو صد عن سبيله أو بغاه عوجاً، ومن أعظم عند اللّه أجراً ممّن أطاعه وأدان بأمره وجاهد فی سبيله وسارع فی الجهاد، ومن أشرّ عند اللّه منزلة ممّن يزعم أن بغير ذلك يحقّ عليه ثم يترك ذلك استخفافاً بحقّه وتهاوناً فی أمر اللّه وإيثاراً لدنياه"، ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً ممّن دَعا إلی اللّهِ وعَمِلَ صالِحاً وقالَ إنّنی مِنَ المُسْلِمين ("فصلت ـ ۳۳)(۱)

۱۳ ـ روی حميد بن أحمد المحلی (۵۸۲ ـ ۶۵۲هـ) بالإسناد المنتهی إلی أبی الجارود أن زيداً لمّا ظهر، خطب وقال: «الحمد للّه الذی منّ علينا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحقّ دثاره ـ إلی أن قال: ـ فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرّقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلی سبيلنا وجاهد بنفسه نفسه ومن يليه من أهل الباطل، ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن ردّ علينا دعوتنا وأبی إجابتنا واختار الدنيا الزائلة الآفلة، علی الآخرة الباقية، فاللّه من أُولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلی أمركم، فلَان يستجيب لكم رجل واحد خير ممّا طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علی بن طالب ـ عليه السلام ـ بالبصرة والشام: لا تتبعوا مُدبِراً ولا تُجهِزوا علی جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً، واللّه علی ما أقول وكيل_____.

(۱) فرات بن إبراهيم الكوفی: التفسير: ۱۳۶ ـ ۱۳۷، ط ۱، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الإرشاد، طهران (۱۴۱۰ هـ ـ ۱۹۹۰م) .

(۸۱)

عباد اللّه لا تقاتلوا علی الشك فتضلّوا عن سبيل اللّه، ولكن البصيرة ثم القتال، فإنّ اللّه يجازی عن اليقين أفضل جزاء يجزی به علی حقّ. عباد اللّه: البصيرة» قال أبو الجارود: يابن رسول اللّه، يبذل الرجل نفسه عن غير بصيرة؟ قال: «نعم أنّ أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا فالطمع أرداهم إلّا القليل الذين لا تخطر الدنيا علی قلوبهم، ولا لها يسعون فأُولئك منی وأنا منهم» (۱).

۱۴ ـ وها نحن ننشر فی المقام رسالته إلی علماء الاُمّة قبيل خروجه، فحاول فيها بكل وسيلة تشجيع الناس علی رفض الظلم والمطالبة بالحرية والعدالة.

قام بتحقيقها وتصحيحها محمد يحيی سالم عزان عن أربع نسخ، نوّه بخصوصيتها فی مقدمتها ونشرها دار التراث اليمنی صنعاء عام ۱۴۱۲هـ

وإليك نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين حتی يرضی وصلّی اللّه وسلم وبارك وترحّم وتحنّن وسلّم علی سيّدنا محمد وعلی آل سيّدنا محمّد.

إلی علماء الاُمّة الذين وجبت للّه عليهم الحجّة.

من «زيد بن علی» ابن رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم.ـ

سلام على أهل ولاية اللّه وحزبه.

ثم إنّى أُوصيكم معشر العلماء بحظّكم من اللّه فى تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس (۲)من الثمن، والحقير من البدل، واليسير من العِوَض، فإنّ كلّ_____

(۱) حميد المحلى: الحدائق الوردية: ۱۴۱، الطبعة الثانية ـ ۱۴۰۵هـ ق. وقد جئنا بخلاصة الخطبة ومن أراد الوقوف على الجميع فعليه الرجوع الى المصدر.

(۲) المكس: النقص والظلم.

(۸۲)

شىء آثرتموه وعملتم له من الدنيا ليس بخَلَف ممّا زيّن اللّه به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأنّ العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين.

[الاعتبار من الأُمم السابقة]

فتفكّروا عباد اللّه واعتبروا، وانظروا وتدبّروا وازدجروا بما وعظ اللّه به هذه الأُمّة من سوء ثنائه على الأَحبار والرهبان.

إذ يقول": لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَبّانِيُّونَ والأَحبارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ("۱).

وإنّما عاب ذلك عليهم بأنّهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حقّ اللّه مضيعاً، ومال اللّه دُولة يوَكل بينهم ظلماً ودولة بين الأَغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة فيما عندهم من العَرَض الآفل، والمنزل الزائل، ومداهنة (۲)منهم على أنفسهم.

وقد قال اللّه عزّ وجلّ لكم": يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أموالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَهَبَ وَالفِضَّةَ وَلايُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ("۳)كيما تحذروا.

وإذا رأيتم العالم بهذه الحالة والمنزلة فأنزلوه منزلة من عاث فى أموال الناس بالمصانعة (۴)، والمداهنة، والمضارعة (۵)لظلمة أهل زمانهم، وأكابر_____

(۱) المائدة: ۶۳.

(۲) المداهنة: المداراة والملاينة، وداهن على نفسه أبقى عليها.

(۳) التوبة: ۳۴.

(۴) المصانعة: الرشوة والمداراة.

(۵) المضارعة: التقرب والمقارنة.

(۸۳)

قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه. رغبة فيما كانوا ينالون من السحت (۱) بالسكوت عنهم.

وكان صدودهم عن سبيل اللّه بالإتباع لهم، والاغترار بإدهانهم (۲) ومقارنتهم الجائرين الظالمين المفسدين فى البلاد. ذلك بأنّ أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علماؤهم. فحذروا علماء السوء الذين سلكوا سبيل من ذَمّ اللّه وباعوا طاعة اللّه الجائرين.

إنّ اللّه عزّ وجلّ قال فى كتابه": إِنّا أَنْزَلْنَا التوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُوراً يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الّذِينَ أَسْلَمُوا لِلّذِينَ هَادُوا وَالرّبّانِيّونَ والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا الناسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُون ("۳).

فعاب علماء التوراة والإنجيل بتركهم ما استحفظهم من كتابه، وجَعَلَهم عليه شهداء خشية الناس، ومواتاة (۴)للظالمين، ورضاً منهم بأعمال المفسدين. فلم يوَثروا اللّه بالخشية فسخط اللّه عليهم لمّا اشتروا بآياته ثمناً قليلاً، ومتاعاً من الدنيا زائلاً. والقليل عند اللّه الدنيا

وما فيها من غضارتها (۵)وعيشتها ونعيمها وبهجتها، ذلك بأنّ اللّه هو علاّم الغيوب.

قد علم بأنّ ركوب معصيته، وترك طاعته، والمداهنة للظلمة فى أمره ونهيه، إنّما يلحق بالعلماء للرهبة والرغبة من عند غير اللّه، لأنّهم علماء باللّه، وبكتابه وبسنّة نبيّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

(۱) السحت: ما خبث من المكاسب.

(۲) الإدهان والمداهنة بمعنى: المصانعة واللين، وقيل: الإدهان الغش.

(۳) المائدة: ۴۴.

(۴) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

(۵) غضارة الدنيا: النعمة والسعة والخصب.

(۸۴)

[الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر]

ولعمرى لو لم يكن نال علماء الأزمنة من ظلمتها، وأكابرها، ومفسديها، شدة وغلظة وعداوة، ما وصّاهم اللّه تعالى وحذّرهم. ذلك أنّهم ما ينالون ما عند اللّه بالهوينا ولا يخلدون فى جنّته بالشهوات.

فكره اللّه تعالى للعلماء ـ المستحفظين كتبه وسنّته وأحكامه ـ ترك ما استحفظهم، رغبة فى ثواب من دونه، ورهبة عقوبة غيره. وقد ميزكم اللّه تعالى حقّ تميز، ووسمكم سمة (۱)لا ـ تخفى على ذى لب، وذلك حين قال لكم": والمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلئِكَ سَيرْحَمُهُمُ اللّهُ إنَّ اللّهَ عَزيزٌ حَكِيم ("۲).

فبدأ بفضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم بفضيلة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عنده، وبمنزلة القائمين بذلك من عباده.

ولعمرى لقد استفتح الآية فى نعت المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فاعتبروا عباد اللّه وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالى فى الآخرين": المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ("۳).

فلعمرى لقد استفتح الآية فى ذمّهم بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف فاعتبروا عباد اللّه وانتفعوا ـ.

(۱) السمة: العلامة.

(۲) التوبة: ۷۱.

(۳) التوبة: ۶۷.

(۸۵)

واعلموا أنّ فريضة اللّه تعالى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هَيّنُها وشديدها.

وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو:

الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، ورد الظالم، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها فى مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

يقول اللّه تعالى لكم": وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرّ وَالتَقْوَى وَلاَتَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَالعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ("۱)فقد ثبت فرض اللّه تعالى فاذكروا عهد اللّه الذى عاهدتموه وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم": سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (۲).

[دور العلماء ومكانتهم]

عباد اللّه فإنّما تصلح الاَمور على أيدى العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر اللّه تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين، الجائرين، فكذلك الجهّال والسفهاء إذا كانت الاُمور فى أيديهم، لم يستطيعوا إلاّ بالجهل والسفه إقامتها فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الاَحكام، ويفتضح المسلمون (۳).

وأنتم أيّها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة اللّه_____

(۱) المائدة: ۲.

(۲) المائدة: ۷.

(۳) يفتضح المسلمون بمعنى يفرط المسلمون. قال الزمخشرى: سمعتهم يقولون: افتضحنا فيك أى فرطنا فى زيارتك وتفقدك.

(۸۶)

منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم فى أعين الناس مهابة، وفى المدائن والاَسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه. يُبدَأ بكم عند الدُعوَة، والتُحَفَة (۱)، ويشار إليكم فى المجالس، وتشفعون فى الحاجات، إذا امتنعت على الطالبين. وآثاركم متبعة، وطرقكم تسلك.

كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة فى عرفان حقّ اللّه تعالى. فلاتكونوا عند إيثار (۲)حقّ اللّه تعالى غافلين، ولاَمره مضيّعين، فتكونوا كالاَطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى. وكرعاة استوفوا الاَجر وضلّوا عن المرعى. وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الاَعداء، هذا مثل علماء السوء.

لا_ مالاً_ تبذلونه للّه تعالى، ولانفوساً تخاطرون بها فى جنب اللّه تعالى، ولاداراً عطلتموها، ولازوجة فارقتموها، ولاعشيرة عاديتموها. فلاتتمنوا ما عند اللّه تعالى وقد خالفتموه.

فترون أنّكم تسعون فى النور، وتتلقاكم الملائكة بالبشارة من اللّه عزّ وجلّ؟ كيف تطمعون فى السلامة يوم الطامة؟! وقد أخرجتم الاَمانة، وفارقتم العلم، وأدهنتم فى الدين. وقد رأيتم عهد اللّه منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لاتفزعون ومن اللّه لاترهبون.

فلو صبرتم على الاَذى، وتحمّلتم المؤنة فى جنب اللّه لكانت اُمور اللّه صادرة عنكم، وواردة إليكم_____.

(۱) التحفة: بضم المثناة وتسكين المهملة: البر واللطف.

(۲) الإيثار: التقديم والتفضيل، والمعنى هنا: فلا تكونوا غافلين عند إيثار وتقديم حقّ اللّه تعالى والدفاع عنه.

(۸۷)

عباد اللّه لاتمكّنوا الظالمين من قِيادِكم (۱)بالطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا الزائل، وتراثها الآفل، فتخسروا حظّكم من اللّه عزّ وجلّ.

عباد اللّه استقدموا إلى الموت بالوثيقة فى الدين، والاعتصام بالكتاب المتين، ولاتعجبوا بالحياة الفانية فما عند اللّه هو خير لكم، وإنّ الآخرة هى دار القرار.

عباد اللّه اندبوا الإيمان ونوحوا على القرآن، فو الذى نفس «زيد بن على» بيده لن تنالوا خيراً لا يناله أهل بيت نبيّكم _ صلى الله عليه وآله وسلم، _ ولا أصبتم فضلاً إلاّ أصابوه فأصبتم فضله.

[إلى علماء السوء]

فيا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنّها لناهية لكم عنها، ومحذرة لكم منها، نصحت لكم الدنيا بتصرفها فاستغششتموها، وتَفَتحت لكم الدنيا فاستحسنتموها، وصدقتكم عن نفسها فكذبتموها.

فيا علماء السوء هذا مهادكم الذى مهدتموه للظالمين، وهذا أمانكم الذى أتمنتموه (۲) للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين. فأنتم معهم فى النار غداً خالدون". ذلِكُم بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ فِى الاَرْضِ بِغَيْرِ الحَقّ وَبِمَا كُنْتُم تَمْرَحُونَ("۳)

فلو كنتم سلّمتم إلى أهل الحقّ حقهم، وأقررتم لَاهل الفضل بفضلهم لكنتم أولياء اللّه، ولكنتم من العلماء به حقاً، الذين امتدحهم اللّه عزّ وجلّ فى كتابه بالخشية منهم_____.

(١) القياد كالمقود: ما يقاد به، واستعماله هنا مجاز ، والمعنى: لا تمكّنوا الظالمين من قودكم كما تقاد البهائم.

(٢) أتمنتموه بمعنى أمنتموه، حكاه فى اللسان عن ثعلب وقال: وهى نادرة.

(٣) غافر: ٧٥.

(٨٨)

فلا- أنتم علمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضال، ولا أنتم فى خلاص الضعفاء تعملون، ولابشرط اللّه عليكم تقومون، ولا فى فكاك رقابكم [ولا السلب إلّا سلبكم].

يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكّروا فى أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.

يا علماء السوء إنّما أمنتم عند الجبارين بالإدهان، وفزتم بما فى أيديكم بالمقاربة، وقربتم منهم بالمصانعة (١)، قد أبحتم الدين، وعطّلتم القرآن، فعاد علمكم حجّة للّه عليكم، وستعلمون إذا حشرج الصدر، وجاءت الطامة، ونزلت الداهية.

يا علماء السوء أنتم أعظم الخلق مصيبة، وأشدهم عقوبة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأنّ اللّه قد احتج عليكم بما استحفظكم إذ جعل الاُمور ترد إليكم، وتصدر عنكم.

الَاحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تختبر. يقول المتبعون لكم: أنتم حجّتنا بيننا وبين ربّنا. فبأى منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة؟

فوالذى نفس «زيد بن على» بيده لو بيّنتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحقّ الذى تعرفون، لتضعضع بنيان الجبارين، ولتهدّم أساس الظالمين، ولكنّكم اشتريتم بآيات اللّه ثمناً قليلاً، وأدهنتم فى دينه، وفارقتم كتابه.

هذا ما أخذ اللّه عليكم من العهود والمواثيق، كى تتعاونوا على البر والتقوى، ولا- تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزيّنتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء فمحوتم كتاب اللّه محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً_____،

(١) المصانعة: المداراة والمداهنة.

(٨٩)

فند(١) واللّه نديد البعير الشارد، هرباً منكم.

فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحقّ من ذرية النبى _ صلى الله عليه وآله وسلم، _ ورفعت روَوسهم فوق الَاسنّة، وصُفّدُوا فى الحديد، وخلص إليهم الذل، واستشعروا الكرب وتسربلوا الَاحزان، يتنفسون الصعداء (٢)، ويتشاكون الجهد.

فهذا ما قدّمتم لَانفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فاللّه المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضى بالحق وهو خير الفاصلين.

[دعوة إلى الجهاد]

وقد كتبت إليكم كتاباً بالذى أُريد من القيام به فيكم. وهو: العمل بكتاب اللّه، وإحياء سنّة رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم.__ فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنّة يثبت الدين. وإنّما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتّبع، يتولّى فيها وعليها رجال رجالاً صدّوهم عن دين اللّه، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرها المؤمن، ونهى عنها المُوَحّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة!!

وأيم اللّه ما البدعة إلّا التى أحدث الجائرون، ولا الفساد إلّا الذى حكم به الظالمون.

وقد دعوتكم إلى الكتاب. فأجيبوا داعى اللّه، وانصروه، فوالذى بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أنّى قد حميتكم مراتع (٣)الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كنت أوقد_____

(۱) ند البعیر: شرد ونفر.

(۲) فی القاموس: بالضم بعده سکون، وفی لسان العرب: بالضم بعده تحریک بالفتح: النفس بتوجع، وفی شرح القاموس الاَوّل أصح.

(۳) مراتع: مواضع.

(۹۰)

ناراً فأقذف بنفسی فیها، لا یقربنی ذلک من سخط اللّه، زهداً فی هذه الحیاة الدنیا، ورغبة منّی فی نجاتکم، وخلاصکم. فإن أجبتمونا إلی دعوتنا کنتم السعداء والموفورین حظاً ونصیباً.

عباد اللّه انصحوا داعی الحقّ وانصروه إذ قد دعاکم لما یحییکم. ذلک بأنّ الکتاب یدعو إلی اللّه، وإلی العدل والمعروف، ویزجر عن المنکر.

فقد نظرنا لکم وأردنا صلاحکم، ونحن أولی الناس بکم. رسول اللّه _ صلی الله علیه وآله وسلم «_ جدّنا»، والسابق إلیه المؤمن به «أبونا»، وبنته سیدة النسوان «أُمّنا»، فمن نزل منکم منزلتنا. فسارعوا عباد اللّه إلی دعوة اللّه، ولا تنکلوا عن الحق، فبالحق یُکبَت (۱)عدوّکم، وتمنع حریمکم، وتأمن ساحتکم.

وذلک أنّا ننزع الجائرین عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفیء، والغنائم، ونثبت الاَمین المؤتمن، غیر الراشی والمرتشی، الناقض للعهد. فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربّنا، وأدّینا الحقّ إلیه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأی هذا یکره المؤمن، وفی أی هذا یرهب المسلم، وقد قال اللّه عزّ وجل لنبیه _ صلی الله علیه وآله وسلم": _ وَلاَ تُجادِلْ عَنِ الَّذِینَ یَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَیُحِبُّ مَنْ کَانَ خَوَّاناً أَثِیماً (۲).

وإذا بدأت الخیانة، وخربت الاَمانة، وعمل بالجور، فقد افتضح الوالی. فکیف یکون إماماً علی المؤمنین من هذا نعته وهذه صفته؟!

اللّهم قد طلبنا المعذرة إلیک، وقد عرّفتنا إنّک لاتصلح عمل المفسدین، فأنت اللّهم ولیّنا، والحاکم فیما بیننا وبین قومنا بالحقّ.

هذا ما نقول، وهذا ما ندعو إلیه، فمن أجابنا إلی الحقّ فأنت تثیبه وتجازیه_____،

(۱) یکبت: یرد العدو ویغیضه.

(۲) النساء: ۱۰۷.

(۹۱)

ومن أبی إلاّ عتوّاً وعناداً فأنت تعاقبه علی عتوّه وعناده.

فاللّه اللّه عباد اللّه أجیبوا إلی کتاب اللّه، وسارعوا إلیه، واتخذوه حکماً فیما شجر بینکم، وعدلاً فیما فیه اختلفنا، وإماماً فیما فیه تنازعنا، فإنّا به راضون، وإلیه منتهون، ولما فیه مسلمون، لنا وعلینا. لانرید بذلک سلطاناً فی الدنیا، إلاّ سلطانک، ولانلتمس بذلک أثرة علی مؤمن، ولا مؤمنة، ولاحر، ولا عبد.

عباد اللّه فأجیبونا إجابة حسنة تکن لکم البشری.

یقول اللّه عزّ وجلّ فی کتابه": فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ (۱) .

ویقول": وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلی اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقالَ إِنَّنِی مِنَ المُسْلِمِینَ (۲).

[مکانة أهل البیت _ علیهم السلام]_

عباد اللّه فاسرعوا بالإنابة وأبذلوا النصیحة، فنحن أعلم الاُمّة باللّه، وأوعی الخلق للحکمة، وعلینا نزل «القرآن»، وفینا کان یهبط «جبریل» _علیه السلام، _ ومن عندنا اقتبس الخیر. فمن علم خیراً فمنّا اقتبسه، ومن قال خیراً فنحن أصله، ونحن أهل المعروف، ونحن الناهون عن المنکر، ونحن الحافظون لحدود اللّه.

عباد اللّه فأعینونا علی من استعبد أُمّتنا، وأخرب أمانتنا، وعطّل کتابنا، وتشرف بفضل شرفنا. وقد وثقنا من نفوسنا بالمضی علی أُمورنا،

والجهاد فى سبيل خالقنا، وشريعة نبينا _ صلى الله عليه وآله وسلم، _ صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديننا_____.

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٩٢)

فتعاونوا، وانصروا، يقول اللّه عزّ وجلّ فى كتابه": يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أقدامَكُمْ ("١).

ويقول اللّه عزّ وجلّ": وَلَيَنْصُرَنَّ اللّه مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللّه لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * الّذِينَ إنْ مَكّنَّاهُمْ فِى الاَرضِ أقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ وَأَمَرُوا بِالمعَرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وللّهِ عاقِبَةُ الاُمورِ ("٢).

عباد اللّه فالتمكين قد ثبت بإثبات الشريعة، وبإكمال الدين يقول اللّه عزّ وجلّ": فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أنْتَ بِمَلُوم ("٣).

وقال اللّه عزّ وجلّ فيما احتج به عليكم": اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً ("۴).

عباد اللّه فقد أكمل اللّه تعالى الدين، وأتم النعمة، فلا تنقصوا دين اللّه من كماله، ولا تبدّلوا نعمة اللّه كفراً فيحل بكم بأسه وعقابه.

عباد اللّه إنّ الظالمين قد استحلّوا دماءنا، وأخافونا فى ديارنا، وقد اتّخذوا خذلانكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقّنا، وفيما أنكروه من فضلنا عناداً للّه، فأنتم شركاؤهم فى دمائنا، وأعوانهم فى ظلمنا، فكل مال للّه أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه (۵)، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة للّه تعالى أخفروها (۶) وكل مسلم أذلّوه، وكل كتاب نبذوه، وكل

---

(١) محمد: ٧.

(٢) الحج: ۴٠ـ ۴١.

(٣) الذاريات: ۵۴.

(۴) المائدة: ٣.

(۵) شحذوه: أحدّوه.

(۶) أخفره: نقض عهده.

(٩٣)

حكم للّه تعالى عطّلوه، وكل عهد للّه تعالى نقضوه، فأنتم المعينون لهم على ذلك بالسكوت عن نهيهم عن السوء.

عباد اللّه إنّ الاَحبار والرهبان من كل أُمّة مسوَولون عما استحفظوا عليه، فأعدّوا جواباً للّه عزّ وجلّ على سوَاله.

اللهم إنّى أسألك بنبيّنا محمّد _ صلى الله عليه وآله وسلم _ تثبّتاً منك على الحقّ الذى ندعو إليه وأنت الشهيد فيما بيننا، الفاصل بالحقّ فيما فيه اختلفنا، ولاتستوى الحسنة ولا السيئة.

والسلام على من أجاب الحقّ، وكان عوناً من أعوانه الدالّين عليه.

تمّ ذلك بحمد اللّه ومنّه.

* * *

مناظراته :

إنّ لزيد الشهيد مناظرات جرت بينه وبين هشام وأُناس أُخر وفيها دلالة واضحة على قوة منطقه، ونضاجة فكره وبالاَخص على حضور بديهته نقتطف ما يلى:

١ ـ روى موفق الدين عن معمر بن خيثم: قال لى زيد بن على: كنت أُبارى هشام بن عبد الملك وأُكايده فى الكلام، فدخلت عليه

يوماً فذكر بنى أَميـة، فقال: واللّه هم أشـدّ قريش أركاناً، وأشـدّ قريش مكاناً، وأشدّ قريش سـلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا روَوس قريش فى جاهليّتها، وملوكهم فى إسـلامها فقلت له: على من تفخر؟ أعلى بنى هاشم، أوّل من أطعم الطعامَ وضرب الهامَ وخضعت لها قريش بإرغـام، أم على بنى المطلب سـيد مُضر جميعـاً، وإن قلت معـد كلّهـا صـدَقت، إذا ركب مشـوا، وإذا انتعـل احتفـوا، وإذا تكلّم سكتوا، وكان يطعم الوحوش فى روَوس

(۹۴) الجبـال والطير، والسـباع والاِنس فى السـهل، حافر زمزم، وساقى الحجيـج، أم على بنيه أشـرف رجال، أم على نبى اللّه ورسوله حمله اللّه على البراق، وجعل الجنـة عن يمينه، والنار عن شـماله فمن تبعه دخل الجنة، ومن تأخّر عنه دخل النار، أم على أمير المؤمنين وسـيد الوصـيين على بن أبى طـالب ـ عليه السـلام ـ أخى رسول اللّه وابن عمه المفرِّج الكرب عنه وأوّل من قـال لا ـ إله إلاّ ـ اللّه بعد رسول اللّه لم يبارزه فارس قط إلاّ قتله، وقال فيه رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ مالم يقله فى أحد من أصحابه ولا لَاحد من أهل بيته، قال: فاحمر وجهه (۱).

۲ ـ دخل زيد على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام أهل الشام وأمر أن يتضايقوا فى المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قربه، فقـال له زيـد: إنّه ليس من عبـاد اللّه أحـد فـوق أن يوصـى بتقـوى اللّه، ولا ـ من عبـاد اللّه أحـد دون أن يوصـى بتقوى اللّه، وأنا أُوصـيك بتقوى اللّه يا أمير المؤمنين فاتقه، فقال له هشام: أنت المؤهل نفسك للخلافـة، الراجى لها؟ وما أنت وذاك لا أُمّ لك وإنّما أنت ابن أمـة، فقال له زيـد: إنّى لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند اللّه من نبىّ بعثه وهو ابن أمة، فلو كان ذلك يقصـر عن منتهى غاية، لم يبعث، وهو إسـماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السـلام ـ فالنبوة أعظم منزلـة عند اللّه أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصـر برجل أبوه رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو ابن على بن أبى طالب، فوثب هشام عن مجلسه (وزيد فى عمدة الطالب ووثب الشاميون) ودعا قهرمانه فقال: لا يبيتن هذا فى عسكرى (الليلة) فخرج زيد وهو يقول: إنّه لم يكره قط أحد حد السيوف إلاّ ذلّوا

(۲).

۳ ـ قد وشـى بزيد إلى هشام، فسأله عن ذلك فقال: أحلف لك. قال هشام: فإذا حلفت أفأُصدقك؟! قال: إتق اللّه. قال هشام: أومثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى_____

(۱) موفق الدين الخوارزمى : مقتل الحسين: ۲ | ۱۱۷ .

(۲) المفيد: الاِرشاد: ۲۶۸،طبعة النجف الاَشرف.

(۹۵) اللّه، قال: لا أحد فوق أن يوصـى بتقوى اللّه، ولا أحد دون أن يوصـى بتقوى اللّه. قال هشام: بلغنى أنّك تريد الخلافة وأنت لا تصـلح لها لاَنّك ابن أمـة قال: قد كان إسـماعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسـحق ابن حرة، فأخرج اللّه من صـلب إسـماعيل النبىّ الكريم، فعندها قال له هشام: قم، قال: إذاً لا ترانى إلاّ حيث تكره (۱).

۴ ـ روى خالـد بن صـفوان اليمامى، قال: أتينا زيـد بن على وهو يومئـذ بالرصافة، رصافة هشام بن عبد الملك، فدخلنا عليه فى نفر من أهل الشام وعلمائهم وجاءُوا معهم برجل انقاد له أهل الشام فى البلاغة، والبصر بالحجج، وكلّمنا زيد بن على فى الجماعة وقلنا: إنّ اللّه مع الجماعـة وأنّ أهل الجماعة حجّة اللّه على خلقه، وأنّ أهل القلّة هم أهل البدعة والضـلالة، قال: فحمد اللّه وأثنى عليه وصـلّـى على محمد ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ثم تكلّم بكلام ما سمعت قرشيّاً ولا عربيّاً أبلغ موعظة، ولا أظهر حجّة ولا أفصح لهجة منه، قال: ثم أخرج إلينا كتاباً قاله فى الجماعـة والقلـة، ذكر من كتاب اللّه فلم يـذكر كثيراً إلاّ ذمّه ولم يـذكر قليلًا إلاّ مدحه، والقليل فى الطاعة هم أهل الجماعة، والكثير فى المعصـية هم أهل البدع. قال خالد بن صـفوان: فيئس الشامى فما أحلى ولا أمر (كذا) وسـكت الشاميون فمـا يجيبون بقليـل ولا ـ كثير، ثم قـاموا من عنـده فخرجوا وقالوا لصاحبهم: فعل اللّه بك وفعل، غررتنا وفعلت، زعمت أنّك لا تـدع له حجّة إلاّ كسـرتها فخرست، فلم تنطق، فقال لهم: ويلكم كيف أكلّم رجلًا إنّما حاجّنى بكتاب اللّه أفأسـتطيع أن أرد كلام اللّه؟! فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت فى الدنيا رجلًا قرشياً ولا عربياً يزيد فى العقل والحجج غير زيد بن على ـ عليهما السلام ـ

(۲_____).

(۱) مختار البیان والتبیین کما فی زید الشهید للاَمین: ۴۸ ـ ۴۹.

(۲) حمید المحلی: الحدائق الوردیة: ۱۴۲ ـ ۱۴۳؛ السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۰۰.

(۹۶) أشعاره :

هذه نتف من مناظراته وفیها غنی وکفایة، فلنعطف عنان البحث إلی ما جادت به قریحته فی مواقف مختلفة ویبدو أنّه لا ینظم الشعر إلاّ فی مجالات قلیلة، یصبّ ما فی نفسه من جوی وشکوی، وحماس فی قالب النظم وإلیک بعض ما وقفنا علیه:

۱ ـ روی أبو الفرج عن زکریا قال: أردت الخروج إلی الحجّ فمررت بالمدینة، فقلت: لو دخلت علی زید بن علی، فدخلت فسلمت علیه فسمعته یتمثّل:

ومن یطلب المال الممنّع بالقنا * یعش ماجداً أو تخترمه المخارم

متی تجمع القلب الذکی وصارماً * وأنفاً حمیاً تجتنبک المظالم

وکنت إذا قوم غزونی غزوتهم * فهل أنا فی ذا یالهمدان ظالم

یقول: فخرجت من عنده وظننت أنّ فی نفسه شیئاً وکان من أمره ما کان

(۱)

۲ ـ روی الخزاز عن ابن بکیر أنّه قال لزید: یابن رسول اللّه هل عهد إلیکم رسول اللّه متی یقوم قائمکم؟ قال: یا بن بکیر، إنّک لن تلحقه، وإن هذا الاَمر یلیه ستة أوصیاء بعد هذا، ثم یجعل اللّه خروج قائمنا فیملاَها قسطاً وعدلاً کما ملئت جوراً وظلماً، قلت یا بن رسول اللّه ألست صاحب هذا الاَمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إلیّ، فقلت: یا بن رسول اللّه هذا الذی قلته عنک أو عن رسول اللّه؟ فقال: لو کنت أعلم الغیب لاستکثرت من الخیر، لا ـ ولکن عهد، عهِدَه إلینا رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ثم أنشأ یقول_____:

(۱) أبوالفرج: مقاتل الطالبیین: ۸۹.

(۹۷)

نحن سادات قریش * وقوام الحقّ فینا

نحن الاَنوار التی من * قبل کون الخلق کنّا

نحن منّا المصطفی ال * ـمختار والمهدی منّا

فبنا قد عرف اللّه * وبالحق أقمنا

سوف یصلاه سعیراً * من تولی الیوم عنّا

(۱)

۳ ـ روی ابن شهر آشوب فی المناقب أنّه رثی الاِمام الباقر ـ علیه السلام ـ بأبیات وقال:

ثوی باقر العلم فی ملحد * إمام الوری طیب المولد

فمن لی سوی جعفر بعده * إمام الوری الاَوحد الاَمجد

أبا جعفر الخیر أنت الاِمام * وأنت المرجی لبلوی غد

(۲)

۴ ـ اجتمع مع هشام فأهانه، فخرج عن مجلسه وهو یقول: «من أحب الحیاة ذل» ثم أنشأ یقول:

مهلاً بنی عمنا عن نحت أثلتنا * سیروا رویداً کما کنتم تسیرونا

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وان نكفّ الاَذى عنكم وتوَذونا

واللّه يعلم أنّا لا نحبّكم * ولانلومكم أن لا تحبّونا

كلّ امرىءٍ مولعٌ فی بغض صاحبه فنحمد اللّه نقلوكم وتقلونا

(۳)

---

(۱) الخزاز القمی: كفاية الاَثر: ۲۹۶ ـ ۲۹۷.

(۲) ابن شهر آشوب: المناقب: ۴|۱۹۷، طبعة دار الاَضواء، بيروت.

(۳) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: ۹|۱۵۶.

(۹۸)

۵ ـ روى ابن الاَثير لما أهانه هشام، وقال: أُخرج، قال: أخرج ثم لا أكون إلّا حيث تكره، فقال له سالم: يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك، فخرج من عنده وسار إلى الكوفة ولمّا خرج من مجلس هشام أنشد:

شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرّ الجلاد

منخرق النعلين يشكو الوجى * تنكئه أطراف مرو حداد

قد كان فی الموت له راحة * والموت حتم فی رقاب العباد

إن يحدث اللّه له دولة * تترك آثار العدا كالرماد

(۱)

۶ ـ روى السيد محسن الاَمين فی أعيان الشيعة نقلاً عن الخوارزمی فی مقتله: إنّ أبا الحسين لما رأى الاَرض قد طوقت جوراً ورأى قلة الاَعوان، وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميتات إليه فخرج وهو يتمثل بهذين البيتين:

إن المحكم ما لم يرتقب حسداً * لو لم يرهب السيف أو وخز القنا صفا

من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجباً * موتاً على عجل أو عاش فانتصفا

(۲)

۷ ـ روى ابن الاَثير، قال محمد بن عمر بن علی بن أبی طالب لزيد: أذكرك اللّه يا زيد، لما لحقت بأهلك ولا تأتی أهل الكوفة، فإنّهم لا يفون لك، فلم يقبل، فقال له: خُرِجَ بنا أُسراء علی غير ذنب من الحجاز، إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق، إلى قيس ثقيف يلعب بنا ثم قال_____:

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۰۶.

(۲) الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۱۶.

(۹۹)

بكرت تخوّفنی الحتوف كأنّنی * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل

فأجبتها إنّ المنية منهل * لا بد أن أُسقى بكأس المنهل

إنّ المنية لو تُمثَّل مُثّلتْ * مثلی (كذا) إذا نزلوا بضيق المنزل

فاقنی حياءك لا أبا لُكِ وأعلمی * إنّی امروَ سأموت إن لم أُقتل

(۱)

۸ ـ روى المرتضی فی الفصول المختارة عن الحسين بن زيد، قال: حدثنی مولای قال: كنت مع زيد بن علی ـ عليه السلام ـ بواسط

فذکر قوم الشیخین وعلیاً فقدّموهما علیه، فلمّا قاموا قال لی زید: قد سمعت کلام هوَلاء وقد قلت أبیاتاً فادفعها إلیهم وهی:

من شرّف الاَقوام یوماً برأیه * فإنّ علیاً شرّفته المناقبُ

وقول رسول اللّه والحقّ قوله * وإن رغمت منهم أُنوف کواذب

بأنّک منّی یاعلی معالنا * کهارون من موسی أخ لی وصاحب

دعاه ببدر فاستجاب لاَمره * وما زال فی ذات الإله یضارب

فما زال یعلوهم به وکأنّه * شهاب تلقاه القوابس ثاقب

(۲)

۹ ـ قال السید الاَمین: وممّا نسب إلیه قوله:

لو یعلم الناس ما فی العرف من شرف * لشرفوا العرف فی الدنیا علی الشرف

وبادروا بالذی تحوی أکفهم * من الخطیر ولو أشفوا علی التلف

(۳)_____

(۱) ابن الاَثیر: الکامل: ۵|۲۳۳، طبعة دار صادر.

(۲) المرتضی، الفصول المختارة من العیون والمحاسن:۲۵.

(۳) تاریخ ابن عساکر: ۶|۲۰.

(۱۰۰)

۱۰ ـ روی عن نسمة السحر أنّ هذین البیتین له:

یقولون زیداً لا یزکی بما له * وکیف یزکی المال من هو باذله

إذا حال حول لم یکن فی أکفنا * من المال إلاّ رسمه وفواضله

(۱)

۱۱ ـ روی الدیلمی: أنّه لما جری بینه وبین هشام کلام خرج ـ علیه السلام ـ وهو یقول:

حکم الکتاب وطاعة الرحمن * فرضا جهاد الجائر الخوان

کیف النجاة لاُمّة قد بدلت * ما جاء فی الفرقان والقرآن

فالمسرعون إلی فرائض ربّهم * برئوا من الآثام والعدوان

والکافرون بحکمه وبفرضه * کالساجدین لصورة الاَوثان

(۲) لکل أُناس مقبر بفنائهم * فهم ینقصون والقبور تزید

فما إن تزال دار حیٍّ قد أُخربت * وقبرٌ بأفناء البیوت جدید

هم جیرة الاَحیاء أمّا مزارهم * فدانٍ وأمّا الملتقی فبعید

(۳)

۱۲ ـ تمثل زید بالاَبیات التالیة وقد تمثل بها علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ یوم صفین والحسین بن علی ـ علیهما السلام ـ یوم قتل وهی لضرار بن الخطاب الفهری_____:

(۱) الاَمین العاملی: زید الشهید: ۹۴، نقلاً عن نسمة السحر فیمن تشیع وشعر.

(۲) السیاغی، الروض النضیر: ۱|۱۰۷.

(۳) ابن عبد ربّه: العقد الفرید: ۳|۲۳۶.

(۱۰۱)

مهلاً بنی عمنا ظلامتن * إنّ بنا سورة من الفلق

لمثلکم نحمل السیوف ولا * تغمز أحسابنا من الدقق

إنّی لَانمی إذا انتمیت إلی * عز عزیز ومفتر صدق

بیض بساط کان أعینهم * تکحل یوم الهیاج بالعلق

(۱)

لما خرج زید بن علی کتب للکمیت: اخرج عنّا یا أعیمش ألست القائل :

ما أُبالی إذا حفظت أبا القا * سم فیکم ملامة اللوام فکتب إلیه الکمیت:

تجود لکم نفسی بما دون وثبة * تظل بها الغربان حولی تحجل

(۲)

* * *

هـذا زید، وهذه کلمه وخطبه، وحججه ومناظراته، وشـعره وقریضه وعند ذاک تقف علی صدق ما رواه الخوارزمی فی مقتله عن خالد بن صفوان قال: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة فی بنی هاشم إلی زید بن علی ـ رضی اللّه عنه ـ (۳).

أمّا الفصاحة والخطابة فقد عرفت نماذج من کلامه، وأمّا العبادة، فیکفی فی_____

(۱) الَاغانی:۱۹|۱۹۱.

(۲) الَاغانی: ۱۷|۳۴.

(۳) الخوارزمی: المقتل: ۲|۱۱۹.

(۱۰۲) تهالکه فیها: ما رواه فرات بن إبراهیم عن رجل: قال صحبت زیداً ما بین مکّة والمدینة وکان یصلّی الفریضة ثم یصلّی ما بین الصلاة إلی الصلاة ویصلّی اللیل کلّه ویکثر التسبیح ویکرر هذه الآیة "وجَاءَتْ سَکْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِکَ مَا کُنتَ مِنْهُ تَحِید ،" فصلّی لیلة معی وقرأ هذه الآیة إلی قریب نصف اللیل فانتبهت من نومی فإذا أنا به مادّ یدیه نحو السماء وهو یقول:

إلهی عذاب الدنیا أیسر من عذاب الآخرة، ثم انتحب، فقمت إلیه وقلت: یا بن رسول اللّه لقد جزعت فی لیلتک هذه جزعاً ما کنت أعرفه، فقال: ویحک یا نازلی أنّی نمت هذه اللیلة وأنا ساجد فرأیت جماعة علیهم لباس لم أر أحسن منه فجلسوا حولی وأنا ساجد فقال رئیسهم: هل هو هذا ؟ فقالوا: نعم. فقال: أبشر یا زید فإنّک مقتول فی اللّه ومصلوب ومحروق بالنار ولا تمسّک النار بعدها أبداً، فانتبهت وأنا فزع

(۱).

روی الخزاز عن یحیی بن زید أنّه قال له فی حدیث: یا أبا عبد اللّه إنّی أُخبرک عن أبی ـ علیه السلام ـ وزهده وعبادته إنّه کان یصلّی فی نهاره ما شاء اللّه، فإذا جنّ اللیل علیه نام نومة خفیفة ثم یقوم فیصلی فی جوف اللیل ما شاء اللّه، ثم یقوم قائماً علی قدمیه یدعو اللّه تبارک وتعالی ویتضرع له ویبکی بدموع جاریة حتی یطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة ثم یصلّی الفجر ثم یجلس للتعقیب حتی یرتفع النهار، ثم یذهب لقضاء حوائجه، فإذا کان قریب الزوال أتی وجلس فی مصلّاه واشتغل بالتسبیح والتمجید للرب المجید، فإذا صار الزوال صلی الظهر وجلس، ثم یصلی العصر ثم یشتغل بالتعقیب ساعة ثم یسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلّی المغرب والعشاء، فقلت: هل کان یصوم دائماً؟ قال: لا_____

(۱) فرات بن إبراهیم: التفسیر: ۴۳۵. والآیة ۱۹ من سورة ق.

(۱۰۳) ولکنّه یصوم فی کل سنة ثلاثة أشهر، وفی کل شهر ثلاثة أیام ثم أخرج إلیّ صحیفة کاملة فیها أدعیة علی بن الحسین ـ علیه

السلام(۱)

روی أبو الفرج بسند عن محمد بن الفرات: رأیت زید بن علی وقد أثر السجود بوجهه أثّراً خفیفاً وکان فی خاتمه «اصبر تُوَجر وتوقّ تنج»

(۲_____).

(۱) الخزاز القمی: کفایة الأثر: ۳۰۴ ـ ۳۰۵.

(۲) أبو الفرج: مقاتل الطالبیین: ۸۷ و ۸۹.

الفصل الرابع مشایخه وتلامیذه

الفصل الرابع مشایخه وتلامیذه فی الحدیث والتفسیر إنّ أئمة أهل البیت _ علیهم السلام _ کانوا فی غنی عن الحضور لدی الغیر، والرجوع إلیهم فی مجال العقائد والأُصول، والأحکام والفروع، والأخلاق والسلوک وکل ما یمتّ إلی الدین بصلة، وتحتاج إلیه الأُمّة. وذلک لا للمبالغة فی مقامهم، أو الغلو فی علومهم. بل لأجل تنصیص النبی الأکرم _ صلی الله علیه وآله وسلم _ علیهم، حیث إنّه _ صلی الله علیه وآله وسلم _ تارة یصوّرهم بأنّهم أعدال القرآن وقرناوَه، من تمسک بهما لن یضل أبداً (۱)، وأُخری بأنّ مثلهم کسفینة نوح من رکبها نجا ومن تخلّف عنها غرق (۲)، وثالثة بأنّهم کالنجوم، فکما أنّ الکواکب أمان لأهل الأرض من الغرق، فکذلک أئمة أهل البیت _ علیهم السلام _ أمان للأُمّة من الاختلاف (۳) ، إلی غیر ذلک من الأحادیث المتواترة أو المتضافرة الدالة علی أنّ أئمة أهل البیت مراجع الأُمّة، ومصادر الأحکام، وهم عن_____

(۱) حدیث الثقلین: اتفق الفریقان علی نقله وتصحیحه لایشک فیه إلّا العدو الغاشم.

(۲) تلویح إلی قول النبی الأکرم _ صلی الله علیه وآله وسلم:« _ مثل أهل بیتی فیکم مثل سفینة نوح من رکبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

(۳) قوله _ صلی الله علیه وآله وسلم: «_ النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بیتی أمان لأُمّتی من الاختلاف فی الدین»لاحظ فی الوقوف علی مصادرها المراجعات للسید شرف الدین العاملی المراجعة الثانیة: ۴۰ ـ ۴۶ طبعة الأعلمی، لبنان.

علومهم ومعارفهم یصدرون، وإلی أقوالهم وأفعالهم یسکنون. ومن کان هذا وصفه ومقامه فیحتلّ من مخروط الأُمّة مکان الرأس والقمة، ونعم ما قال القائل:

فَوال أُناساً قولهم وکلامهم * روی جدنا عن جبرئیل عن الباری وما ربّما یری من أنّ أحد الأئمة، یروی حدیثاً عن صحابی أو تابعی کالإمام الباقر _ علیه السلام _ إذا روی مثلاً عن جابر، فإنّما هو لأجل إقناع السائل الذی اعتاد بقبول الروایة إذا أُسند إلی النبی الأکرم وإلّا فالإمام الباقر _ علیه السلام _ فی غنی عن الإسناد إلیه وهو معدن علم النبی وموئله وهکذا أبناوَه المعصومون.

هذا هو حال أئمة أهل البیت وأمّا العلماء المنتمون إلیهم بالنسب کالحسنیّین والحسینیّین فیصدرون عن معارفهم ویحتجون بأقوالهم وأفعالهم أیضاً وربّما ینقلون عن الغیر ویسکنون إلیهم وذلک لا للإعراض عن أئمتهم، بل اقتداء بقول نبیهم _ صلی الله علیه وآله وسلم: «_ الحکمة ضالة المؤمن أین وجدها أخذها» ولأجل ذلک نری أنّ زید الثائر أخذ الحدیث عن غیرهم، کما أخذ عنه الکثیرون من المحدّثین والفقهاء. وإلیک بیان هذا الفصل من فصول حیاته.

مشایخه :

کان لزید الثائر تنقلات وسفرات کثیرة بین المدن الإسلامیة بین المدینة ومکّة، والحجاز والشام والعراق، ففی هذه الرحلات أخذ العلم والحدیث عن لفیف، وإلیک أسماء مشایخه أوّلاً، ثم تلامذته.

روی عن: أبان بن عثمان بن عفان، وعبید اللّه بن أبی رافع، وعروة بن الزبیر، وأبیه علی بن الحسین زین العابدین ـ علیه السلام، ـ وأخیه أبی جعفر محمد بن علی الباقر ـ علیه السلام (ـ ۱ ـــــــــــــــــــــــــــ).

(۱) المزی: تهذیب الکمال: ۱۰|۹۶، الذهبی: سیر أعلام النبلاء: ۵|۳۸۹ ، تاریخ الاسلام القسم المختص بحوادث (سنة ۱۲۱ـ ۱۴۱)ص۱۰۵، ابن حجر العسقلانی: تهذیب التهذیب:۳|۴۱۹.

(۱۰۷)

تلامذته:

روی عنه: الأَجلح بن عبد اللّه الکندی، وآدم بن عبد اللّه الخثعمی، وإسحاق بن سالم، وإسماعیل بن عبد الرحمان السدی، وبسام الصیرفی، وأبو حمزة ثابت بن أبی صفیة الثمالی، وابن أخیه جعفر بن محمد بن علی الصادق، وابنه حسین بن زید بن علی، وخالد بن صفوان، وأبو سلمة راشد بن سعد الصائغ الکوفی، وزبید الیامی، وزکریا بن أبی زائدة، وزیاد بن علاقة، أبو الجارود زیاد بن المنذر الهمدانی، وسعید بن خثیم الهلالی، وسعید بن متصور المِشرفی الکوفی، وسلیمان الأَعمش، وشعبة بن الحجاج، وعباد بن کثیر، وعبد اللّه بن عمر بن معاویة، وعبد اللّه بن عیسی بن عبد الرحمان بن أبی لیلی، وعبد الرحمان بن الحارث ابن عیاش بن أبی ربیعة المخزومی، وعبد الرحمان بن أبی الزناد، وعبید اللّه بن محمد ابن عمر بن علی بن أبی طالب، وعبید بن اصطفی، وأبو هریرة عُریف بن درهم، وعمر بن موسی، وأبو خالد عمرو بن خالد الواسطی، وابنه عیسی بن زید بن علی، وفضیل بن مرزوق، وکثیر النواء، وکیسان أبو عمر القصار الکوفی، ومحمد ابن سالم، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهری، والمطّلب بن زیاد، وأبو الزناد موح ابن علی الکوفی، وهارون بن سعد العجلی، وهاشم بن البرید (۱) .

ثم إنّ علاّمة صنعاء السیاغی فصل من یروی عنه من أولاده عمّن لیس منهم، فقال:

تلامذته: أولاده السادة الأَبرار:

عیسی بن زید، ومحمد بن زید، وحسین بن زید، ویحیی بن زید ـــــــــــــــــــــــــــ.

(۱) جمال الدین المزی: تهذیب الکمال: ۱۰|۹۶. هذا ما ذکره جمال الدین، ونذکر المشهورین منهم فی قائمة خاصة.

(۱۰۸)

فعیسی بن زید الأَوحد الذی أخذ عنه سفیان الثوری، وکان زاهد أهل زمانه وهو جد العراقیین.

ومحمد بن زید، جد الذین ببلاد العجم.

وحسین بن زید، جد المشهورین من ذریة زید بن علی.

ویحیی بن زید هو القائم بالإِمامة بعده.

مشاهیر أصحابه الذین أخذوا عنه العلم :

ما نقلناه عن جمال الدین المزّی یهدف إلی مطلق من أخذ عنه العلم، سواء اشتهر بالأَخذ عنه أم لا وفی هذه القائمة نخص المشهورین وبین المذکورین فی القائمتین من النسب الأَربع عموم وخصوص من وجه.

۱ ـ منصور بن المعتمر بن عبد اللّه السلمی الکوفی مات سنة ۱۳۲ هـ احتج به البخاری ومسلم وأبو داود والترمذی والنسائی.

۲ ـ هارون بن سعد العجلی أو الجعفی الکوفی وهو من شیوخ مسلم.

۳ ـ معاویة بن إسحاق بن زید بن حارثة الأَنصاری استشهد مع الإِمام زید وصلب معه.

۴ ـ أبو الجارود زیاد بن المنذر الهمدانی وهو الذی تنسب إلیه الجارودیة الزیدیة.

۵ ـ الحسن بن صالح وأخوه.

۶ ـ علی بن صالح وکلاهما بتریان، لاحظ رجال الکشی برقم ۱۰۸.

۷ ـ هاشم صاحب البرید وقد جاء فی سند الکافی فی باب معرفة الأئمة یروی عن الصادق ـ علیه السلام ـ لاحظ تنقیح المقال: ۳|۲۸۸.

(۱۰۹)

۸ ـ محمد بن عبد الرحمان بن أبی لیلی من أصحاب الإمام الصادق ـ علیه السلام ـ لاحظ تنقیح المقال: ۳|۱۳۶.

۹ ـ سلمة بن کهیل أحد المبایعین لزید له ترجمة فی رجال الکشی برقم: ۲۰۵.

۱۰ ـ عمرو بن خالد الواسطی راوی مسنده وستوافیک ترجمته عند البحث عن آثار زید العلمیة.

۱۱ ـ إسماعیل بن عبد الرحمان السدّی من کبار علماء الکوفة مات سنة ۱۲۷هـ

۱۲ ـ أبو الزناد: موح بن علی الکوفی. له ترجمة فی تهذیب الکمال: ۱|۴۵۶.

۱۳ ـ سلیمان بن مهران الأعمش من کبار علماء الکوفة ولد سنة ستین وتوفی عام ۱۴۸هـ

۱۴ ـ الأجلح بن عبد اللّه الکندی. لاحظ تنقیح المقال: ۱|۲۶۶.

۱۵ ـ معمر بن خثیم الهلالی له ترجمة فی تنقیح المقال: ۳|۲۳۴.

۱۶ ـ سعید بن خثیم الهلالی له ترجمة فی تنقیح المقال: ۲|۲۶.

۱۷ ـ شعبة بن الحجاج بن ورد (۸۳ ـ ۱۶۰هـ) من العلماء کان ینتقل بین الکوفة والبصرة وواسط.

۱۸ ـ قیس بن الربیع من أصحاب الصادقین ـ علیهما السلام . ـ تنقیح المقال: ۳|۳۱.

۱۹ـ سفیان بن أبی السمط، اقرأ ترجمته فی تنقیح المقال: ۲|۳۸، بسقوط «أبی» من العبارة.

۲۰ ـ محمد بن الفرات الجرمی. له ترجمة فی رجال الکشی، برقم: ۴۲۸.

(۱۱۰)

۲۱ ـ فضیل بن الزبیر الرسان له ترجمة فی تنقیح المقال: ۲|۱۳.

۲۲ ـ عبد اللّه بن الزبیر: أخو فضیل بن الزبیر لاحظ رجال الکشی برقم: ۲۸۷.

۲۳ ـ سالم بن أبی حفصة ترجمه الکشی برقم ۱۰۹.

۲۴ ـ عبد اللّه بن عتیبة.

۲۵ ـ زبید الیامی (۱)وهو من صغار التابعین توفی عام ۲۲۱أو ۴۲۱هـ

هوَلاء مشاهیر تلامذته، وأمّا غیره فقد أتی بأسمائهم العلاّمة السیاغی فی کتابه، فمن أراد فلیرجع إلیه، وقد تعرفت علی ما ذکره جمال الدین المزّی فی ذلک المجال (۲)

ثم إنّ أولاد عبد اللّه بن الحسن بن الحسن المثنی الذین أخذوا من زید عبارة عن:

۱ ـ محمد بن عبد اللّه: النفس الزکیة.

۲ ـ إبراهیم بن عبد اللّه: النفس الرضیة.

۳ ـ إدریس بن عبد اللّه.

۴ ـ یحیی بن عبد اللّه.

۵ ـ السید موسی بن عبد اللّه.

فهوَلاء أخذوا العلم عن أبیهم وعن زید وبعض أصحابه أیضاً(۳).

* * *

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۱۴ ـ ۱۱۵.

(۲) جمال الدین المزّی: تهذیب الکمال: ۱۰|۹۶.

(۳) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۱۵.

(۱۱۱)

إنّ العلاّمة السیاغی وغیره عدّوا کثیراً من فقهاء أهل السنّة ونسّاکهم من أتباع الإمام زید، وحاولوا بذلک شیوع إمامته والاقتداء به یوم ظهوره وخروجه، ولکن الموَید لثورة زید، غیر کونه تابعاً لزید فی الأُصول والفروع.

وهناک کلمة قیّمة لنشوان الحمیری قد رفع بها الستر عن وجه الحقیقة وقال: «اجتمع طوائف الناس علی اختلاف آرائهم علی مبایعته، فلم یکن المعتزلی أسرع إلیها من المرجیَ، ولا المرجیَ من الخارجی، فکانت بیعته ـ علیه السلام ـ مشتملة علی فرق الأُمّة علی اختلافها (۱).

إنّ أبا حنیفة إمام السنّة دعم خروج زید بالمال، وأفتی بوجوب نصرة زید وقد أرسل المال إلیه، کما هو مذکور فی غیر واحد من المعاجم، مع أنه لم یکن تابعاً لزید لا فی الأُصول ولا فی الفروع.

حدیث المنتمین إلی زید :

إنّ لفیفاً من فقهاء أهل السنّة، کانوا یعانون من جور بنی أُمیة وطغیانهم، لمّا وقفوا علی خروج زید قاموا بدعمه وإمداده بالقول والعمل، فصاروا معروفین بالزیدیة وما هم من الزیدیة بشیء إلّا تصویب خروج زید، وإمداده، والزیدی عندنا، من یقتفیه فی العقیدة والعمل.

وبذلک یظهر التأمل فی بعض ما ذکره الحاکم الجشمی البیهقی (۴۱۳ ـ ۴۹۴هـ) فی جلاء الأبصار.

قال: وعن محمد بن زید قال: بعث أبو حنیفة ـ رحمه اللّه ـ إلی زید بن علی ـ علیهما السلام ـ بمال، وقال: استعن به علی ما أنت فیه.

وعن فضیل ابن الزبیر قال: کنت رسول زید بن علی إلی أبی حنیفة، فسألنی من یأتیه من الفقهاء؟ فقلت_____:

(۱) نشوان الحمیری: الحور العین: ۱۸۵.ولکلامه صلة سیوافیک.

(۱۱۲)

سلمة بن کهیل ویزید بن أبی زیاد وهارون بن سعد وأبو هاشم الرمانی وحجاج ابن دینار وغیرهم کثیر. وعن شعبة قال: سمعت الأعمش یقول: واللّه لولا ضرارة بی لخرجت معه، واللّه لیُخذُلنَّه واللّه لیُسلمُنَّه کما فعلوا بجده وعمه. وعن عقبة بن إسحاق السلمی قال: کان منصور بن المعتمر یدور علی الناس یأخذ البیعة لزید ابن علی. وعن لیث قال: جاءنا منصور یدعونا إلی الخروج مع زید بن علی. وعن حماد بن زید وذکر سفیان الثوری فقال: کان ذاک زیدیاً، وعن أبی معاویة وذکر عنده سفیان فقال: نحن أعرف بهذا منکم، کان سفیان من هذه الشیعة وکان منصور یأخذ البیعة لزید بن علی. وذکر السید أبو طالب بإسناده عن أبی عوانة قال: کان سفیان زیدیاً، وکان إذا ذکر زید بن علی یقول: بذل مهجته لربّه، وقام بالحقّ لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقین من آبائه. وقال أبو عوانة: کان زید بن علی یری الحیاة غراماً، وکان ضجراً بالحیاة. وعن الواقدی قال: کان سفیان زیدیاً. وعن النضر بن حمید الکندی قال: شهدت سعد بن إبراهیم بالمدینة حین نعی إلیه زید بن علی ـ علیهما السلام، ـ فبکی واشتد حزنه واشتد جزعه، وتخلف فی منزله یعزّی بعد سبعة أیام، فسمعته یقول: ما خلف مثله. وعن الصادق ـ یعنی جعفر بن محمد ـ علیهما السلام ـ: «ـ عمی زید خرج علی ما خرج علیه آباوَه، ووددت أنّی استطعت أن أصنع کما صنع عمی، فأکون مثل عمی، من قتل مع زید کمن قتل مع الحسین ابن علی ـ علیهما السلام » (ـ ۱).

وعلی هذا الغرار قول ابن العماد الحنبلی، قال: وکان ممن بایعه منصور بن المعتمر، ومحمد بن عبد الرحمان بن أبی لیلی، وهلال بن خباب بن الأرت وابن شبرمة ومسعر بن کدام وغیرهم(۲_____)

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۱۰۴.

(۲) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب: ۱|۱۵۸.

(۱۱۳)

إنّ القول بالتشيع يجمعه الاعتقاد، بخلافة الإمام على أمير المؤمنين عن النبى الأكرم نصاً جليّاً أو خفياً كما يدّعيه بعض الزيدية، ولم يكن هؤلاء متشيعين بهذا المعنى نعم كانوا مؤيدين ثورة زيد ومدعمين لها بألوان مختلفة.

حتى إنّ بعض المؤيدين لثورته، والمبايعين له، قد استقال بعد البيعة كما روى فى حق كثير النواء حيث بايع فاستقال وأقاله زيد وقال:

للحرب أقوام لها خلقوا * وللتجارة والسلطان أقوام

خير البرية من أمسى تجارته * تقوى الإله، وضرب يجتلى الهام (۱) الثناء عليه ممزوجاً مع المغالاة :

۱ ـ روى المقريزى عن أحمد بن محمد بن الحسين بن زيد بن على، قال: حدثنا أهلى أنّ زيداً ـ عليه السلام ـ ماتوسد القرآن منذ احتلم حتى قتل، وأمّا الصيام فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

ولعله أراد بقوله: «ماتوسد القرآن» الكناية عن قيام الليل واستكمال قراءة القرآن فى صلاة التهجد (۲).

۲ ـ قال نشوان الحميرى فى شرح «رسالة الحور العين»: فلمّا شهر فضله وتقدمه وبراعته وعرف كماله الذى تقدم به أهل عصره اجتمع طوائف الناس على اختلاف رأيهم على مبايعته، فلم يكن الزيدى أحرص عليها من المعتزلى، ولا المعتزلى أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجى، فكانت بيعته ـ عليه السلام ـ مشتملة على فرق الأُمّة مع اختلافهم. ولم يشذ عن بيعته إلاّ هذه الفرقة

---

(۱) المفيد: الاختصاص: ۱۲۸، ط ۱۳۷۹؛ المجلسى: البحار: ۴۶|۱۸۱.

(۲) المقريزى: الخطط: ۲|۴۱۹، كما فى الروض النضير: ۱|۹۹.

(۱۱۴)

القليلة التوفيق ـ أخزاهم اللّه تعالى ـ قال: ومن الواضح الذى لا أشكال فيه أنّ زيد بن على ـ عليه السلام ـ يُذكر مع المتكلمين إن ذكروا، ويُذكر مع الزهاد، ويُذكر مع الشجعان، وأهل المعرفة بالضبط والسياسة، فكان أفضل العترة لأنّه كان مشاركاً لجماعتهم فى جميع خصال الفضل، ومتميزاً عنهم بوجوه لم يشاركوه فيها، فمنها اختصاصه بعلم الكلام (۱)، الذى هو أجلّ العلوم، وطريق النجاة، والعلم الذى لا ينتفع بسائر العلوم إلاّ معه، والتقدم فيه والاشتهار عند الخاص والعام. هذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يصفه فى صنعه الكلام ويفتخر به ويشهد له بنهاية التقدم، وجعفر بن حرب فى كتاب «الديانة» وكثير من معتزلة بغداد كمحمد بن عبد اللّه الإسكافى وغيره ينتسبون إليه فى كتبهم، ويقولون نحن زيدية، وحسبك فى هذا الباب انتساب المعتزلة إليه، مع أنّهاتنظر إلى سائر الناس بالعين التى تنظر بها ملائكة السماء إلى أهل الأرض مثلاً. فلولا ظهور علمه وبراعته وتقدمه على كل أحد فى فضيلته لما انقادت إليه المعتزلة (۲).

المغالاة فى علمه وفقهه :

إنّ الغلو هو الخروج عن الحد، قال سبحانه": يا أَهْلَ الكِتابِ لاَ تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلا تَقُوُلوا على اللّهِ إلاّ الحَق ("النساء ـ ۱۷۱) . وقال سبحانه": قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَق ("المائدة ـ ۷۷) . وقال الإمام على ـ عليه السلام ـ وهو يصف الغلوّ وخلافه يقول: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد» (۳_____).

(۱) سيوافيك أنّه لم يوَثر من زيد، أى رأى كلامى وإنّ تتلمذه على واصل غير ثابت.

(۲) السياغى: الروض النضير: ۱|۱۰۱، لاحظ شرح رسالة الحور العين: ۱۸۵.

(۳) الرضى: نهج البلاغة: قسم الحكم، برقم ۳۴۷.

(۱۱۵)

المغالا ة فى أى موضوع من الموضوعات تلازم الكذب أوّلاً، والإغراء بالجهل ثانياً، وبخس الحق ثالثاً إلى غير ذلك من المضاعفات، من غير فرق بين أن يتعلق بأمر دينى أو غيره، وهنا نذكر شيئاً مما قيل فى حقّه من المغالاة:

١ ـ اتفقت كلمة أصحاب المعاجم على أنّ زيداً، أخذ عن والده وأخيه محمد الباقر ـ عليهما السلام ـ ولم ينكر أحد ذلك وقد تخرج من مدرسة أخيه عشرات المحدثين والفقهاء والمتكلمين، لا يشق غبارهم ولا يدرك شأوهم غير أنّ هناك من يروقه الحط عن مكانة أئمة أهل البيت، أو الخضوع للعاطفة، أو الحسد لمنزلة أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ فلا يرضى إلّا بترفيع زيد عليه، يقول: لقد علم زيد، القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر، قلت: وكيف ذلك؟ قال: لَانّ زيداً علم القرآن، وأُوتى فهمه. وأبو جعفر أخذ من أفواه الرجال. قال الديلمى: وقد قيل لَابى جعفر: باقر علم الَانبياء والعالم ورأس الشيعة فى زمانه. وعنه: واللّه لقد علمت أهل بيتى فما علّمت أفضل من زيد بن على ولقد استوسقت له الفضائل، واجتمع له الخير، وكمل فيه الحقّ فما يساميه أحد إلّا والحقّ ينكسه ويزهقه (١).

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ زيداً من علماء أهل البيت وأفاضلهم، وهو علم القرآن وأُوتى فهمه، ولكنه من أين أخذ علمه هل أخذ عن أبيه زين العابدين، وأخيه باقر العلوم ـ عليهما السلام ـ فإذاً تنتفى المغالاة، أو من غيرهما، ومن هو ذاك الغير الذى علّم زيداً، وصار زيد فى علم القرآن عيالاً عليه، وبرع وترعرع وتقدم على أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ؟!ـ

وثانياً: ما مصدر هذه الأُكذوبة من أنّ أبا جعفر ـ عليه السلام ـ أخذ من أفواه الرجال، إذ لم يأت فى أى مصدر من المصادر، إنّ الَائمة الاثنى عشر ـ عليهم_____

(١) الروض النضير: ١|١٠١ وهذا القضاء الجائر نسبه الديلمى فى مشكاة الَانوار إلى عبد اللّه بن محمد ابن على بن الحنفية.

السلام ـ حضروا مجلس درس أحد من الصحابة والتابعين والعلماء، نعم ربّما روى بعضهم حديثاً عن الرسول مسنداً إلى بعض الصحابة أو التابعين وهو غير الدراسة والتعلّم لديهم.وقد مضى وجه النقل عنهم.

هذا هو ابن سعد يعرّفه بقوله: «محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين كان عالماً عابداً ثقة، روى عنه الَائمة أبو حنيفة وغيره. وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعنى بالحكم، الحكم بن عتيبة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً فى زمانه» (١).

أفمن يسلم عليه النبى عن طريق جابر يقول جابر: كنت جالساً عند رسول اللّه والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم : «ـ ياجابر يولد مولود اسمه على إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقوم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام» (٢).

يقول المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ فى علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ وروى عنه معالم الدين، بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الَاخبار وانشدت فى مدائحه الَاشعار (٣).

وبذلك يظهر حال ما رواه الذهبى وغيره عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه عرف عمه بقوله: «كان واللّه أقرأنا لكتاب اللّه وأفقهنا فى دين اللّه، وأوصلنا_____

(١) سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ١|٣٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣. ٣، أخرجه أيضاً ابن حجر فى لسان الميزان: ۵|١٩٨، وابن حجر الهيثمى فى الصواعق المحرقة: ١٩٩، والمناوى فى الكواكب الدّريّة: ١|١۶۴ وغير ذلك.

(٣) المفيد: الارشاد: ٢۶١ ـ ٢۶٢.

(۱۱۷)

للرحم ما ترکنا وفینا مثله» (۱)ولو صح الحدیث لحمل علی التفضیل النسبی بالنسبة إلی سائر الهاشمیین.

تطرف بعد تطرف:

ومن ذلک ما یرویه حمید بن أحمد المحلی قال: روینا بالاسناد الموثوقة أیضاً أنّ زید بن علی ـ علیهما السلام ـ سأل محمد بن علی الباقر ـ علیهما السلام ـ کتاباً کان لأبیه، قال: فقال له محمد بن علی: نعم، ثم نسی ولم یبعث إلیه، فمکث سنة ثم ذکر، فلقی زیداً فقال: أی أخی ألم تسأل کتاب أبیک؟ قال: بلی. قال: واللّه ما منعنی أن أبعث به إلاّ النسیان. قال: فقال له زید: وقد استغنیتُ عنه. قال: تستغنی عن کتاب أبیک؟ قال: نعم استغنیت عنه بکتاب اللّه، قال: فاسألک عما فیه؟ قال له زید: نعم، قال: فبعث محمداً إلی الکتاب، ثم أقبل فسأله عن حرف حرف وأقبل زید یجیبه حتی فرغ من آخر الکتاب، فقال له محمد: واللّه ما حرمت منه حرفاً واحداً (۲) .

یلاحظ علیه أوّلاً: أنّ ظاهر الحدیث أنّ اللقاء بین الأخوین کان بعیداًبشهور غیر متقارب کما هو ظاهر قوله: فمکث سنة ثم ذکر فلقی زیداً، وهذا ما لا تعطیه ظروف الحیاة فی المدینة المنورة.

وثانیاً: أنّ ما نقله عن زید من حدیث الاستغناء إنّما یصح لو کان الکتاب، کتاباً عادّیاً غیر مرتبط بتفسیر القرآن وحل معضلاته ومشکلاته، أو مبیّناً لمخصصاته ومقیداته، ولکن الظاهر أنّ الکتاب کان علی خلاف ذلک ومع ذلک کیف یمکن الاستغناء عنه بالقرآن_____.

(۱) جمال الدین المزی، تهذیب الکمال فی أسماء الرجال: ۱۰|۹۸، الذهبی: سیر أعلام النبلاء: ۵|۳۹۰وتاریخ الإسلام (حوادث ـ ۱۲۱ ـ ۱۴۰هـ) ص ۱۰۶.

(۲) الحدائق الوردیة: ۱۴۰.

(۱۱۸) (۱۱۹)

الفصل الخامس الآثار العلمیة الباقیة عن زید

الفصل الخامس الآثار العلمیة الباقیة عن زید کان ولید البیت العلوی، مفسّراً للقرآن، عارفاً بالسنّة، ترک آثاراً علمیة إمّا أملاها علی تلامیذه، أو حرّرها بقلمه ویراعه ونأتی فی المقام بما وقفنا علیه من الآثار:

۱ ـ المجموع الفقهی.

۲ ـ المجموع الحدیثی.

نسب إلی زید المجموع الفقهی تارة والحدیثی أُخری، والمسند ثالثة. روی الجمیع أبو خالد عمرو بن خالد الواسطی غیر أنّ الکتب الثلاثة هی المطبوعة باسم المسند، وأمّا تسمیته بالحدیثی والفقهی فلأجل أنّ الکتاب یتضمّن روایات عن زید عن آبائه کما یتضمن آراء له فلو کان الکتابان فی بدء الأمر مختلفین فهو فی المطبوع کتاب واحد، وأمّا توصیفه بالمسند لأنّ ما فی الکتاب یحتوی روایاته عن آبائه، وقد جمع ـ ما رواه أبو خالد عن زید ـ عبد العزیز بن إسحاق بلا تبویب شأنَ المسانید، وبوبّه بعد قرون الحسین بن یحیی بن إبراهیم الدیلمی فی سنة ۱۲۰۱هـ وکان قبل التبویب مجزّأ علی ستة أبواب علی أصل الجامع له، والمطبوع

(۱۲۰)

هو ما بوبّه الدیلمی.

والناظر فی المجموع الحدیثی یمیز الحدیث عن المجموع الفقهی فنری فی کتاب الطهارة باب ذکر الوضوء لونین من الکلام.

أ: حدثنی زید بن علی بن الحسین (عن أبیه سقط عن المطبوع) عن جده الحسین بن علی إلی أن قال: رأیت رسول اللّه توضّأ فغسل وجهه.

ب: وسألت زيداً بن على عن الرجل ينسى مسح رأسه حتى يجفّ وضووَه.

ومثل الثانى إذا قال: وقال زيد بن على رضى اللّه عنه «المضمضة والاستنشاق سنّة ...»

والقسم الاَوّل حديث، ولكن الثانى وما يليه، من المجموع الفقهى.

وأخبار المجموع النبويةُ المرفوعة مائتا حديث وثمانية وعشرون حديثاً.

والعلوية ثمانمائة وعشرون خبراً.

وقد تلقاها أئمة الزيدية بالقبول وقالوا: هو أوّل كتاب جمع فى الفقه وقال منهم:

زيد يزيد على الورى * فى أصله وفروعه

فالفضل مجموع به * والعلم فى مجموعه وقد شرحه لفيف من الزيدية أوسعها شرح القاضى العلامة شرف الدين الحسين بن أحمد السياغى الحيمى اليمنى الصنعانى، ولد بصنعاء سنة ۱۱۸۰ هـ وتوفى سنة ۱۲۲۱هـ أسماه «الروض النضير فى شرح مجموع الفقه الكبير»، وقد طبع طبعتين، الطبعة الثانية محقّقة طبع عام ۱۳۸۸هـ وشرحه هذا يشتمل على تخريج الاَحاديث وشرحها واستنباط الاَحكام المأخوذة منها مع ذكر أقوال العلماء

(۱۲۱)

فى مسائل الخلاف والتكلّم فى ما عارضها من الاَحاديث بالجمع أو الترجيح، والكتاب يدلّ على سعة باعه واتقانه الفقه والاُصول (۱).

والشارح وإن جعل المحور، مسند الاِمام زيد، لكنه يستدل على ما ورد فيه شيء بالطرق المألوفة فى الفقه السنّى من الاحتجاج بما ورد فى الصحاح والمسانيد من مراسيل وموقوفات للصحابة وبأُمور لا تعترف بها أئمّة أهل البيت من القياس وغيره، ولذلك أصبح الكتاب أشبه بفقه أهل السنّة، ولاَجل ذلك يقول الشيخ محمّد بخيت المطيعى الحنفى المصرى فى تقريظه على الكتاب: «وهو موافق فى معظم أحكامه لمذهب الاِمام الاَعظم أبى حنيفة النعمان وماذا عنى أن تقول فى كتاب يوافق ما فيه، ما بكتبنا ومذاهبنا» (۲)وسوف ندرس المجموع من حيث الاعتبار فى الفصل القادم.

* * *

۳ ـ تفسير غريب القرآن :

الغريب من الغرابة وهى الغموض والخفاء، فالغريب هو الغامض من الكلام وكان النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والاِمام على ـ عليه السلام ـ وتلميذه ابن عباس وغيرهم من الصحابة يفسّرون غريب القرآن الكريم وقد جاء فى أسئلة نافع بن الاَزرق(۲۷۷) سوَالاً وجّهها هو وزميله إلى ابن عباس، وأجاب عنها (۳) .

ولعل أوّل من ألّف فى غريب القرآن هو أبان بن تغلب بن رياح البكرى (ت_____

(۱) لاحظ ما كتب حول الكتاب بقلم عدّة من الاَعلام فى مقدمته، ط۲، مكتبة الموَيد، الطائف، ۱۳۸۸هـ ـ ۱۹۶۸م.

(۲) الروض النضير: ۱۷، المقدمة.

(۳) السيوطى: الاتقان: ۲|۶۹ـ ۱۰۴.

(۱۲۲)

۱۴۱هـ) من أصحاب الاِمام السجاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ وكانت له عندهم منزلة، وله قراءة مفردة مشهورة عند القراء (۱).

لكن لو صحت نسبة تفسير غريب القرآن المطبوع حديثاً لزيد، المحقّق على يد فضيلة الدكتور حسن محمد تقى الحكيم، لَسبقه زيد فى التأليف، فهو أوّل باكورة فى هذا النوع ظهر فى الصعيد الاِسلامى، ويظهر من مقارنة هذا الكتاب مع كتاب المجاز لاَبى عبيدة (ت ۲۱۲هـ) الذى ألّفه فى غريب القرآن أنّه كان لهذا الكتاب تأثير بالغ فى كتاب أبى عبيدة مباشرة أو بالوساطة (۲).

والکتـاب یبتـدیَ من سورة الفاتحـة وینتهی بسورة الناس ویرکز فی التفسیر علی الغریب ولـذلک لا یـذکر من آیات السورة إلّا ما هو موضع نظره.

وردت نسبة الکتاب إلیه فی بعض الکتب مثلاً:

۱ ـ جاء فی کتاب الاَمالی لابن الشجری: قال الاِمام أبو الحسین زید بن علی ـ علیهما السلام ـ فی تفسیر الغریب.

۲ ـ جاء فی طبقات الزیدیة لصارم الدین فی ترجمة حیاة أبی خالد قوله: وروی عن أبی خالد تفسیر الغریب للاِمام زید بن علی، عطاء بن السائب.

۳ ـ جاء فی کتاب الروض النضیر: روی عن أبی خالد تفسیر الغریب للاِمام زید بن علی، عطاء بن السائب (۳).

ونستطیع أن نوَید نسبة الکتاب إلی الاِمام الثائر بالرجوع إلی المواضع التی یمکن أن یظهر فیها مذهبه وعقیدته_____.

(۱) النجاشی: الرجال: ۱|۷۳ برقم ۶، السیوطی: بغیة الوعاة: ۷۶.

(۲) عن مقدمة المحقّق ص۵۵، ثم ذکر دلائل التأثیر بشکل واضح.

(۳) تفسیر غریب القرآن، مقدّمة المحقّق ص۴۸ وذکر مصادر ما نقل.

(۱۲۳)

ومن تلـک الآیـات آیـة البلاـغ، فهو یقول فی تفسیر قوله": یا أَیُّـها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَیْکَ مِن رَبِّکَ وإن لَم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللّهُ یَعصِمُکَ مِنَ النّاس "قال زید بن علی ـ علیهما السلام : ـ هذه لعلی بن أبی طالب صلوات اللّه علیه خاصة": واللّه یعصمک من الناس "أی یمنعک منهم (۱).

ومنها آیة الذکر، قال فی تفسیر قوله سبحانه": فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْر ("النحل ـ ۴۳) قال الاِمام زید بن علی ـ علیهما السلام: ـ نحن أهل الذکر (۲).

فالتفسیران یوَیدان أنّ الکتاب لشیعی یری النص لعلیّ یوم الغدیر، ویری أنّ المرجع بعد الکتاب والرسول، هو عترته.

کمـا یعلم کونه نافیـاً للروَیـة التی کانت یوم ذاک عقیـدة أصـحاب الحـدیث. یقول فی تفسیر قوله": وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلی رَبِّها ناظِرَة ("القیامة: ۲۲ ـ ۲۳) معناه مشرقة وناضرة: منتظرة للثواب (۳).

هـذه نظرة عابرة إلی التفسیر، ولو قرئَ بإمعان ودقـة، یتبین أن التفسیر لمن تربّی فی أحضان أئمـة أهل البیت والعترة الطاهرة ـ علیهم السلام.ـ

۴ ـ الصفوة :

والکتاب، دراسـة قرآنیـة هادئـة یتبنی بیان فضائل أهل البیت ـ علیهم السـلام ـ وتقدیمهم علی سائر الناس فی مختلف المجالات، وإنّ السـبب لـدبیب الفسـاد بین المسـلمین صـرف القیـادة عنهم، ودفعها إلی غیرهم. حقّقه الکاتب ناجی حسن، طبع فی مطبعـة الآداب فی النجف الاَشرف بلا تاریخ، اعتمد فی التصحیح_____

(۱) تفسیر غریب القرآن، ص۱۲۹، ط بیروت، ۱۴۱۲هـ

(۲) تفسیر غریب القرآن: ص ۱۸ و ۳۵۹.

(۳) تفسیر غریب القرآن: ص ۱۸ و ۳۵۹.

(۱۲۴)

علی تصویر نسخة واحدة محفوظة بمکتبة المتحف البریطانی تحت رقم ۲۰۳ زیدیة.

رواها أبو الطیب علی بن محمد بن مخلد الکوفی:

قال: حدثنی إسماعیل بن یزید العطارد.

قال: حدثنا حسین بن نصر بن مزاحم المنقری

قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهیم بن الحکم بن ظهیر الفزاری

قال: حدثنی أبی وحماد بن یعلی الثمالی

عن أبی الزناد، وأصحاب زید بن علی عن زید بن علی ـ علیه السلام ـ أوّله:

أمّا بعد فإنّی أُوصیک بتقوی اللّه الذی خلقک ورزقک.

۵ ـ رسالته إلی علماء الاُمّة :

نشرت ـ مؤخراً ـ رسالة بهذا الاسم عن دار التراث الیمنی فی صنعاء، حقّقها محمد یحیی سالم غفران وهی الرسالة التی بعثها الإمام الثائر إلی علماء الاُمّة مبیّناً فیها تفاصیل دعوته وبیان أهدافه التی خرج مجاهداً من أجلها وهی تعطی صورة واضحة من روح ثوریة للإمام، وتمرد علی الحکم الاَموی، وصیاح علی علماء السوء الذین کان لهم الدور البارز فی تخدیر حماس الجماهیر، وتشویه مفاهیم الدین، وتثبیت ملک الظالمین.

وبما أنّ للرسالة أثرها الرسالی الجهادی الحماسی وتمثل الهدف الاَمثل لنضال الإمام وکفاحه وتمرّده علی الحکم الاَموی نشرناها فی الفصل الثالث مشفوعاً بالشکر للناشر والمحقّق، وقد حقّقها عن نسخ أربع، قدّم تفاصیلها فی المقدمة، وشفّعها بذکر موارد اقتبس العلماء من هذه الرسالة مع نسبة ما اقتبسوه إلی الإمام.

(۱۲۵)

۶ ـ منسک الحج أو مناسک الحج

رسالة فی بیان أعمال الحجّ ومناسکه نشره العلاّمة السید محمد علی الشهرستانی ببغداد سنة ۱۳۴۲هـ و یوجد من الکتاب نسخ مخطوطة فی مکتبة برلین برقم ۱۰۳۶۰ وغیرها (۱).

هذه هی الآثار المنشورة التی وقفنا علی نشرها وطبعها وقرأناها وهناک آثار له لم تنشر إلی الآن أو نشرت ولم نقف علی نشرها ومنها نسخ فی المکتبات والمتاحف، وقد بذل الدکتور حسن محمد تقی الحکیم محقّق تفسیر غریب القرآن لزید جُهداً فی الوقوف علی تلک الآثار نقتبس من مقدمته ما یلی:

۷ ـ رسالة فی أثبات وصیة أمیر المؤمنین وإثبات إمامته وإمامة الحسن والحسین وذریتهما، توجد نسخة منها فی مکتبة برلین برقم ۹۶۸۱(الاَوراق ۱۶ب ـ ۱۹ب، من سنة ۸۵۰ هـ تقریباً) (۲)وقال: توجد عندی صورة منها.

۸ ـ رسالة فی أجوبة زید بن علی، علی مسائل لاَخ له من أهل المدینة، توجد فی مکتبة وهبی۴۵۷|۴ (الاَوراق ۸۱ب ـ ۸۴ب، من القرن العاشر الهجری)(۳).

۹ ـ رسالة فی الإمامة إلی واصل بن عطاء. توجد فی مکتبة وهبی۴۵۷|۲ (الاَوراق ۷۷ ب ـ ۷۸ ب من القرن العاشر الهجری)(۴)

۱۰ ـ تثبیت الإمامة. مخطوطة المتحف البریطانی ملحق ۳۳۶ ،مخطوطات شرقیة رقم ۳۹۷۱ (الاَوراق ۲۵ ـ ۲۸ من سنة ۱۲۱۵هـ) وتوجد أیضاً فی مکتبة_____

(۱) لاحظ مقدّمة تفسیر غریب القرآن لمحقّقها الدکتور حسن محمد تقی الحکیم: ۴۳.

(۲) انظر تاریخ الاَدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴ ؛ وتاریخ التراث العربی: الجزء ۳ من المجلد ۱|۳۲۴؛ والروض النضیر: ۱|۱۱۷.

(۳) انظر تاریخ التراث العربی: ج ۳ من المجلّد ۱|۳۲۶، منشورات مکتبة آیة اللّه المرعشی النجفی.

(۴) انظر تاریخ التراث العربی: ج ۳ من المجلّد ۱|۳۲۶، منشورات مکتبة آیة اللّه المرعشی النجفی.

(۱۲۶) أمبروزیانا فی میلانو بإیطالیا رقم ۷۴أ (الاَوراق ۷۸أ ـ ۱۸۸ ب من سنة ۱۰۳۵هـ)(۱).

۱۱ ـ تفسیر سورة الفاتحة وبعض آیات القرآن. یوجد فی مکتبة برلین رقم ۱۰۲۲۴(الاَوراق ۹ ـ ۱۶ من حوالی سنة ۸۵۰ هـ)

(۲)

۱۲ ـ رسالة فی حقوق اللّه. توجد فی مکتبة الفاتیکان رقم ۱۰۲۷ (الورقتان ۱۳۰ ـ ۱۳۱، من سنة ۱۳۳۲ هـ) وتوجد أیضاً فی مکتبة وهبی رقم ۴۵۷|۳ (الأوراق ۷۸ ب ـ ۸۱أ ، القرن العاشر الهجری)

(۳).

۱۳ ـ الرد علی المرجئة. یوجد هذا الکتاب مخطوطاً فی مکتبة برلین رقم ۱۰۲۶۵ (الأوراق من ۱ ـ ۱۱۶، من حوالی سنة ۸۵۰هـ)

(۴)

۱۴ ـ قراءة زید بن علی. یوجد الکتاب فی مکتبة امبروزیانا فی (میلانو) فی إیطالیا، رقم ۲۸۹ف.

هذه هی الکتب الباقیة من ثائرنا ولعل اللّه سبحانه یقیض رجال العلم لنشر ما بقی من آثاره وربما یذکر له رسائل، عفی علیها الزمان فالاَولی عطف عنان البحث، علی دراسة مجموعه الفقهی والحدیثی، حتی نقوّمهما سنداً ومتناً فی الفصل الآتی.

---

(۱) أُنظر تاریخ الأدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: الجزء ۳ من المجلد ۱|۳۲۴.

(۲) أُنظر تاریخ الأدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۳؛ وتاریخ التراث العربی: الجزء ۳ من المجلد: ۱|۳۲۳.

(۳) أُنظر تاریخ الأدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: المجلد ۱ الجزء ۳|۳۲۶ و ۳۲۳؛ وتفسیر غریب القرآن: ۴۱، المقدمة.

(۴) أُنظر تاریخ الأدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: المجلد ۱ الجزء ۳|۳۲۶ و ۳۲۳؛ وتفسیر غریب القرآن: ۴۱، المقدمة.

الفصل السادس دراسة مسند الإمام زید

الفصل السادس دراسة مسند الإمام زید سنداً ومضموناً لقد وقفت علی الآثار الباقیة من الإمام زید، والمهُم منها هو مجموعه الفقهی والحدیثی الذی اشتهر باسم المسند للإمام زید، فتلزم علینا دراسته من حیث الاعتبار، وما فیه بعض المخالفة لفقه أهل البیت، أعنی: الصادقین ومن بعدهم فنقول:

روی المجموعُ عن الإمام زید بالسند التالی:

۱ ـ حدثنی (۱) عبد العزیز بن إسحاق بن جعفر بن الهیثم القاضی البغدادی قال:

۲ ـ حدثنا أبو القاسم علی بن محمد النخعی الکوفی. قال:

۳ ـ حدثنا سلیمان بن إبراهیم بن عبید المحاربی. قال:

۴ ـ حدثنی نصر بن مزاحم المنقری العطار قال:

۵ ـ حدثنی إبراهیم بن الزبرقان التیمی قال:

۶ ـ حدثنی أبو خالد الواسطی رحمهم اللّه تعالی قال_____:

(۱) والقائل هو علی بن العباس الذی هو أحد الرواة عن عبد العزیز جامع المجموع.

(۱۲۸)

۷ ـ حدثنی زید بن علی بن الحسین عن أبیه: علی بن الحسین، عن جده الحسین بن علی، عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ـ علیهم السلام.ـ

وقد وصلنا المجموع بهذا السند وهو مذکور فی صدره (۱)وفی الصفحة التی تلی آخر الکتاب (۲).

وقد ذكر شارح المجموع شرف الدين الحسين بن أحمد السياغى (۱۱۸۰ ـ ۱۲۲۱هـ) سنده إلى الكتاب، فأخذ أوّلاً بذكر أستاذه وشيخه أبى يوسف الحسين ابن يوسف (۳) إلى أن انتهى إلى أبى القاسم على بن محمد النخعى الآنف ذكره، غير أنّ المهم دراسة وثاقة هوَلاء المشايخ الذين تنتهى إليهم رواية المسند فى جميع الاَعصار فنبتدىَ بدراسة حال من وقع فى أوّل السند.

أ ـ عبد العزيز بن إسحاق بن البقال:

قال الذهبى: كان فى حدود الستين وثلاثمائة قال ابن أبى الفوارس الحافظ: له مذهب خبيث، ولم تكن فى الرواية بذاك، سمعت منه أحاديث رديّة.

قلت: له تصانيف على رأى الزيدية عاش تسعين عاماً. ثم روى الذهبى عنه بإسناده الحديث التالى:

قال: إنّ نزول اللّه إلى الشىء إقباله عليه من غير نزول، ثم وصفه بأنّ إسناده مظلم ومتنه مختلق (۴).

لانستطيع أن نساير ابن أبى الفوارس فى قوله: «له مذهب خبيث» ولم يكن مذهبه سوى محبته لآل البيت أو دعمه مبدأ الخروج على بنى أُمية الذى لا يروق_____

(۱) مسند الاِمام زيد: ۲۴۷.

(۲) المصدر نفسه: ۲۸۲.

(۳) توفّى بصنعاء سنة ۱۲۳۱هـ عن ثمانين سنة.

(۴) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۲|۶۲۳ برقم ۵۰۸۳.

السلفيّين ومن لف لفّهم، فإنّ مذهبهم هو المماشاة مع الظالمين و السكوت أمام ظلمهم، وعدم الخروج عليهم.

كما لا نستطيع أن نساير الذهبى حيث وصف اسناد حديثه بالظلمة ومتنه بالاختلاق، وما هذا إلاّ لاَنّ الذهبى يتظاهر بالتنزيه، ولكن يعتنق لبّاً التجسيم بشهادة أنّ كتبه تمدح المجسمةومن يثبت للّه الحركة والجهة من أوصاف الجسم وإذا ذكر المشبهة أطال الكلام فيهم بالمدح والوصف، وربّما سود صحائف فى حقهم خصوصاً فى كتابه «سير أعلام النبلاء» وأمّا إذا بلغ إلى أهل التوحيد والتنزيه فلا يخرج إلاّ بالهمز واللمز وهو دأبه يلمسه كل دوَوب على مطالعة رجاله وتاريخه.

والحديث لما كان على طرف النقيض من عقيدته، وصف اسناده بالظلمة ومتنه بالاختلاق، صدق اللّه العلى العظيم حيث قال": كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون ."

وأمّا الشيعة فقد ورد فى كتبهم ذكر فى حقّ عبد العزيز بن إسحاق البقال فعنونه الشيخ فى رجاله فى باب من لم يرو عنهم ـ عليهم السلام ـ قال: عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر الزيدى البقال الكوفى وكان زيدياً يكنى أبا القاسم سمع منه التلعكبرى سنة ست وعشرين وثلاثمائة (۱).

وقال فى الفهرست: عبد العزيز بن إسحاق له كتاب فى طبقات الشيعة، وعنونه ابن داود فى القسم الثانى (۲)من رجاله، ومعنى كونه من القسم الثانى أنّه ممن ورد فيه ذم وإن كان ورد فيه مدح عن آخرين.كما عنونه العلاّمة فى هذا القسم (۳) من كتابه الخلاصة، ومعناه أنّه لا يعمل برواياته_____.

(۱) الطوسى: الرجال: ۴۸۳، باب من لم يرو عنهم، برقم ۳۷.

(۲) القسم الثانى من كتابه مختص بمن ورد فيه أدنى جرح، ولو كان أوثق الثقات وعمل بخبره.

(۳) القسم الثانى: من كتابه مختص بمن لايعمل بروايته ومن لايعمل بروايته أعم من كونه مطعوناً أو لا.

ومع ذلك نرى أنّ الشيخ أبا زهرة يقول: إنّ الرجل موضع طعن جمهور المحدثين من أهل السنّة كما أنّه موضع طعن الاِمامية، لكنه

موضع تقدير وتوثيق الزيدية أجمعين (۱).

وما ذكره أخيراً حقّ لا غبار عليه لكن ما نسبه إلى الإمامية لا مصدر له سوى أنّه ورد فى القسم الثانى من رجال العلاّمة وابن داود وقد عرفت فى التعليقة معنى ذلك.

وأمّا الزيدية فقد اتفقوا على وثاقته وقالوا: أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادى البقال شيخ الزيدية ببغداد. قال فى الطبقات: روى مجموع الإمام زيد بن على ـ عليه السلام ـ الفقهى الكبير المرتب المبوب عن على بن محمد النخعى، وقد سمع منه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن الحسنى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. وقال فى مطلع البدور: هو شيخ الزيدية ببغداد، والعراق، وكان عالماً محدثاً حافظاً، وقال فى غيره: كان علاّمة كبيراً وفاضلاً شهيراً، سمحاً، عالماً زاهداً، سعيداً ولياً لآل محمّد، رأساً فى العلوم، مهيمناً على المظنون والعلوم، له كتاب فى إسناد مذهب الزيدية وتعدادهم، وذكر تلامذة زيد بن على وأصحابه الذين أخذوا عنه العلم (۲).

* * *

ب: أبو القاسم على بن محمّد النخعى الكوفى:

وهو أُستاذ عبد العزيز بن إسحاق، ولم نجد له عنواناً فى كتب الرجال للشيعة، وأمّا أهل السنة فقال الذهبى: على بن محمد: أبو القاسم الشريف_____

(۱) الإمام زيد: ۲۶۲.

(۲) السياغى: الروض النضير: ۱|۶۱، ثم ذكر ترجمة الذهبى ونقده.

الزيدى الحرانى شيخ القرّاء وتلميذ النقاش وثّقه أبو عمرو الدانى، واتّهمه عبد العزيز الكتانى، ذكرته فى طبقات القراء (۱)وهل الترجمة للشيخ النخعى أو لغيره المشترك معه فى الكنية والاسم واسم الأب؟ احتمالان، نعم ذكر الذهبى فى ترجمة عثمان بن أبى شيبة وقال: «يحيى» (۲)بن محمد بن كاس النخعى قال: حدّثنا: إبراهيم بن عبد اللّه الحصاف، قال: قرأ علينا عثمان بن أبى شيبة تفسيره فقال: وجعل السفينة فى رجل أخيه فقيل إنّما هو السقاية، فقال: أنا وأخى أبو بكر لا نقرّ لعاصم (۳).

وقال فى تذكرة الحفاظ: وفيها «سنة أربع وعشرين وثلاثمائة» توفى شيخ الحنفية على بن كاس النخعى الكوفى (۴).

وذكره فى طبقات الحنفية فقال: على بن محمد بن الحسن بن كاس الكاسى النخعى القاضى الكوفى، روى عن محمد بن على بن عفان، وعنه أبو القاسم المطرزى والمستكى أُستاذ الضميرى وله «الأركان الخمسة» توفى أربع وعشرين وثلاثمائة (۵) .

وعند ذلك يظهر لنا سر تلاقى الفقه الزيدى والفقه الحنفى إلى حد كبير، فإنّ الفقه الموروث من زيد لم يكن على حد يتجاوب مع متطلبات المجتمع الإسلامى آنذاك، فلم يكن بدّ من بسطه فى ضوء القواعد الأُصولية، فإذا كان المفتى حنفياً يبسطه حسب الضوابط التى يعتبرها دليلاً على الحكم فيدخل فيه القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ولا تهمه مخالفة

_____

(۱) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۳|۱۵۵ برقم ۵۹۳۵.

(۲) وفى التعليقة: على وهو الصحيح.

(۳) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۳|۳۷ ـ ۳۸ برقم ۵۵۱۸.

(۴) الذهبى: تذكرة الحفاظ: ۳|۸۲۱ فى ضمن ترجمة ابن الشرقى.

(۵) السيّاغى: الروض النضير: ۱|۶۴.

أئمـة أهل البيت، الـذين جاءوا إلى الساحـة بعد مقتل زيد، وقد بيّـن الشـيخ الكوثرى هذا التلاقى بشـكل آخر فقال: «إنّ ذلك التوافق العظيم بين آل زيـد وبين فقهاء العراق فى ثلاثـة أرباع المسائل إنّما نشأ من اتحاد مصدر علوم الفريقين، لَانّ فقهاء الكوفة والعراق إنّما توارثوا الفقه طبقـة فطبقة عن على وابن مسـعود وسائر كبار فقهاء الصـحابة الذين نشـروا العلم بالكوفة ولاسـيما الذين تديّروها (۱)بعد انتقال على كرم اللّه وجهه إليها، واستمروا بها فى عهد الأُمويين ثم عن فقهاء أصحابهم وأصحاب عمر، وابن عباس ومعاذ الذين انتقلوا إليها واستقروا بها ابتعاداً عن معاقل الأُمويين، ثم عن أصحاب أصحابهم الفقهاء رضى اللّه عنهم الذين بهم صارت الكوفة مصدر العلم الناضـج فى ذلـك العهـد وكـانت علـوم الحجـاز والمدينـة المنورة يتشـارك فيهـا فقهـاء الأمصـار لكـثرة حجهم عامـاً فعامـاً فى تلك الأعصار(۲)

ج ـ سليمان بن إبراهيم بن عبيد المحاربى :

هو جـد على بن محمد النخعى أبو أُمّه، قال فى الطبقات: يروى عن نصـر بن مزاحم المنقرى سـمع منه مجموعى الإمام زيد بن على ـ عليه السلام «ـ الحديثى» و«الفقهى» وسمعهما عليه على بن محمد بن كاس (أى النخعى) وكان سماعه عليه سنة خمس وستين ومائتين (۳)ولم أجد له عنواناً فى كتب الرجال لأصحابنا الإمامية.

د ـ نصر بن مزاحم المنقرى العطار :

قال الذهبى: نصـر بن مزاحم الكوفى، عن قيس بن الربيع وطبقته، رافضى، جلد، تركوه. مات سنة اثنتى عشرة ومائتين، حدّث عنه: نوح بن حبيب وأبو_____

(۱) من الدير: أخذوه مكاناً.

(۲) الروض النضير: ص۲۸، المقدمة.

(۳) السياغى: الروض النضير: ۱|۶۴.

سعيـد الأشـجّ وجماعـة، قـال العقيلى: شـيعى فى حـديثه اضـطراب وخطأ كثير . وقـال أبو خيثمـة: كـان كـذاباً، وقـال أبو حاتم: واهى الحديث، متروك، وقال الدار قطنى: ضعيف وروى أيضاً عن شعبة (۱).

ما ذكره الذهبى وشـيوخه، شنشنة أعرفها من كل من يكنّ لأهل البيت غيظاً وعداء وإن كان يتجنب عن إظهاره، فمن روى فضيلة فيهم أو أنشـد قريضاً فهو عنـدهم رافضـى، كـذاب، خبيث، متروك الحـديث إلى غير ذلك، وأمّا المجسّـمة والمشـبهة ومن يتولّى آل أُمية وسلاطينهم، فهو جليل، ثقة، يكتب حديثه ويحتج به.

وأمّـا أصـحابنا فقـد اتفقوا على وثـاقته قال النجاشـى: نصـر بن مزاحم مسـتقيم الطريقـة، صالـح الأمر، غير أنّه يروى عن الضـعفاء كتبه. حِسان، منها: كتاب الجمل (۲)بل وذكره الشيخ الطوسى فى رجاله من أصحاب الإمام الباقر ـ عليه السلام (ـ ۳).

إنّ الرجل مع كونه شـيعياً، علوى الولاء، لكنه عندما يسرد وقائع صفين يسرده بشكل كاتب محايد فهو حين يذكر مثالب معاوية، يذكر شعر الشاميّين فى الطعن على الإمام وحزبه، وهـذا يـدل على أنّه كان رجلاً رحب الصـدر لايسـتفزه المـذهب إلى الاكتفاء بذكر كلام طرف واحد، ويذكر كلام المبطل بتمامه أيضاً.

هـ ـ إبراهيم بن الزبرقان :

قال الذهبى: وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: لا يحتج به روى عنه أبو نعيم(۴_____).

(۱) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۴|۲۵۳ ـ ۲۵۴، لاحظ تاريخ بغداد: ج ۱۳ برقم ۷۲۴۵.

(۲) النجاشى: الرجال: ۲|۳۸۴ برقم ۱۱۴۹.

(۳) الشـيخ الطوسى: الرجال: برقم: ۳ باب أصـحاب الإمام الباقر ـ عليه السـلام ـ ولكنه بعيد لأنّ الإمام توفّى سـنة ۱۱۴هـ وتوفّى نصر

عام ۲۱۲هـ

(۴) میزان الاعتدال: ۱|۳۱.

(۱۳۴)

وقال فی طبقات الزیدیة: روی عن أبی خالد الواسطی مجموعی الإمام زید ابن علی، وله روایة عن مجاهد، وعنه نصر بن مزاحم، وقال: حدثنی المجموع الکبیر المرتب جمیعه، عن أبی خالد، وروی عنه أبو نعیم الحافظ، واحتج به أئمتنا، ووثقه المؤید باللّه ووثقه من المحدثین ابن معین، وقال نصر بن مزاحم: کان من خیار المسلمین، وکان خاصاً بأبی خالد الواسطی، وقال ابن أبی الحدید: هو فی رجال الحدیث وقال غیره من رجال الشیعة المحدثین، وعیب علیه بالتشیع. وقال أبو حاتم: لا یحتج به (۱).

وأمّا أصحابنا الإمامیة فذکره الشیخ فی رجاله من أصحاب الإمام الصادق ـ علیه السلام ـ وقال: إبراهیم بن الزبرقان التیمی الکوفی، أسند عنه (۲)فقد أهملوه من حیث التوثیق وعدمه.

و ـ أبو خالد، عمرو بن خالد :

لقد اضطربت کلمة الرجالیین فی حقه فأهل السنّة علی تضعیفه. قال الذهبی: عمرو بن خالد القرشی، کوفی، أبو خالد، تحول إلی واسط.

قال وکیع: کان فی جوارنا، یضع الحدیث، فلما فطن له تحوّل إلی واسط.

وقال معلی بن منصور عن أبی عوانة: کان عمرو بن خالد یشتری الصحف من الصیادلة ویحدّث بها.

وروی عباس، عن یحیی، قال: کذاب غیر ثقة. حدث عنه أبو حفص الأبّار وغیره، فروی عن زید بن علی، عن آبائه.

وروی عثمان بن سعید، عن یحیی، قال: عمرو بن خالد الذی یروی عنه_____

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۶۶.

(۲) الطوسی: الرجال: ۱۴۴ برقم ۴۰.

(۱۳۵)

الأبّار کذاب. وروی أحمد بن ثابت، عن أحمد بن حنبل، قال: عمرو بن خالد الواسطی کذاب.

وقال النسائی: روی عن حبیب بن أبی ثابت، کوفی لیس بثقة. وقال الدارقطنی: کذاب.

وروی إبراهیم بن هراسة أحد المتروکین، عن أبی خالد، عن زید بن علی، عن أبیه، عن علی، قال: لعن رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ الذکرین أحدهما یلعب بصاحبه (۱).

وأظن أن هذا الصخب والهیاج حول الرجل لأجل أنّه من موالی أئمة أهل البیت والمجاهرین بولائهم، وهذا یکفی فی التضعیف وصب القارعات علیه.

وأعجب منه ما ذکره الذهبی فی آخر کلامه من الحکم بوضع لعن رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ الذکرین أحدهما یلعب بصاحبه، فإنّه مروی عن الفریقین.

کیف یشک الذهبی فی صحة الحدیث مع أنّ الکتاب یصدّقه حیث یخص جواز الالتذاذ بالجنس بموردین ویقول": والّذِین هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إلاّ علی أزْواجِهِمْ أو مَا مَلَکَتْ أیْمانُهُم ("المؤمنون: ۵ ـ ۶) وما ورد فی الحدیث لیس منهما فجاز لعنه.

روی السیوطی فی مسنده من کتاب جمع الجوامع من قسم الأفعال فقال: عن الحرث، عن علی: «قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: ـ سبعة لایکلمهم اللّه یوم القیامة ولاینظر إلیهم ویقال لهم أدخلوا النار مع الداخلین إلاّ أن یتوبوا: الفاعل والمفعول به، والناکح یده...».

أخرج البیهقی عن ابن عباس:« أنّ النبی قال: لعن اللّه من وقع علی بهیمة_____،

(۱) الذهبی: میزان الاعتدال:۳|۲۵۷. وفی المتن یغلب أحدهما صاحبه.

(۱۳۶)

ولعن اللّه من عمل عمل قوم لوط، إلی غیر ذلک من الروایات التی رواها أهل السنّة (۱) وأمّا الشیعة فحدث عنه ولا حرج، فقد عدّه الکشی فی ترجمة الحسین بن علوان، من رجال أهل السنّة الذین لهم میل ومحبة شدیدة (۲).

وظاهر النجاشی أنّه إمامی حیث ألّفه لذکر رجال الإمامیة ولو ذکر من غیرهم لَاشار إلی مذهبه وهو عنونه وذکر سنده إلی کتابه من دون إیعاز إلی مذهبه (۳)إلّا إذا قیل إنّه ترک ذکر مذهبه فی المقام لکونه معروفاً.

وعده الشیخ فی الفهرست من موَلفی الشیعة وقال: أبو خالد عمرو بن خالد الواسطی له کتاب ذکره ابن الندیم (۴)فعدّه من أصحاب الإمام الباقر وعمرو بن خالد الواسطی بتری.

وستعرف کلامه عند سرد الروایات المرویة عن زید فی الکتب الَاربعة عند الکلام علی روایة زید أنّ رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ غسل رجلیه، والقرائن تشهد أنّه شیعی زیدی، ویدلّ علیه مضافاً إلی إطباق الزیدیة علیه ما رواه الکشی فی ذیل ترجمة محمد بن سالم بیاع القصب: محمد بن مسعود، قال: حدثنی أبو عبد اللّه الشاذانی ـ وکتب به ـ إلی أن قال: حدثنی الفضل، قال: حدثنی أبی، قال: حدثنا أبو یعقوب المقری وکان من کبار الزیدیة، قال: أخبرنا عمرو بن خالد وکان من روَساء الزیدیة عن أبی الجارود وکان رأس الزیدیة قال: کنت عند أبی جعفر ـ علیه السلام ـ جالساً إذ أقبل زید بن علی فلمّا نظر إلیه أبو جعفر قال:

---

(۱) السیاغی: الروض النضیر: ۱|۸۵ ـ ۸۶؛ ولاحظ وسائل الشیعة: ۱۸، الَابواب الستة من أبواب اللواط: ۴۱۶ـ ۴۲۴، والباب الثالث من أبواب نکاح البهائم ووطء الَاموات والاستمناء: ۵۷۴. هذا إذا فهمنا من الحدیث الناکح بیده أو لعب أحد الذکرین بالآخر، وإلّا یکون الحدیث مجملاً.

(۲) الکشی: الرجال: ۳۳۳، برقم ۲۵۲، وما ذکره هنا ینافی ما ذکره برقم ۱۰۶ من کونه من روَساء الزیدیة.

(۳) النجاشی: الرجال: ۲، برقم ۷۶۲.

(۴) الطوسی: الفهرست: برقم ۸۴۹.

(۱۳۷)

«هذا سید أهل بیتی والطالب بأوتارهم» ومنزل عمرو بن خالد کان عند مسجد سماک وذکر ابن فضال أنّه ثقة (۱).

وإذا کان لبعض هذه النقاشات فی هوَلاء، مظنة صدق، غیر أنّ الشیخ النجاشی (۳۷۲ ـ ۴۵۰هـ) یرویه بسند آخر نأتی بنصّه حتی یتبیّن أنّ للکتاب سندین أو أکثر .

أخبرنا محمد بن عثمان (النصیبی) قال: حدثنا علی بن محمد بن الزبیر، عن علی بن الحسن بن فضال، عن نصر بن مزاحم عنه (أبی خالد) بکتابه (۲).

ولَاجل إیقاف القارىء علی عنایة الإمامیة بروایات زید، نأتی بما وقفنا علیه فی الکتب الَاربعة بعد حذف المکررات فنقول:

الروایة عن زید بن علی فی الکتب الَاربعة :

احتجت الإمامیة بالروایات المرویة عن زید بن علی عن آبائه ـ علیهم السلام ـ إذا لم تکن مخالفة لما اتفقت علیه روایات أئمة أهل البیت ـ علیهم السلام ـ وروی عنه فی الکتب الَاربعة تسعة وثلاثون حدیثاً ـ بعد حذف المکررات ـ وأکثر ما روی فیها موجود فی مسنده کما سنشیر إلیه فی مواضعه:

والراوی عنه:

إمّا عمرو بن خالد ـ غالباً ـ

أو أبو خالد الواسطی.فی موردین وکلاهما واحد.

أو هاشم بن یزید. فی مورد واحد.

أو الحسین بن علوان_____.

(۱) الکشی: الرجال: ۲۳۱ برقم۴۱۹.

(۲) النجاشی: الرجال: برقم ۷۶۹.

(۱۳۸)

والظاهر وقوع السقط فی الأخیر والصحیح الحسین بن علوان عن عمرو بن خالد عن زید فإنّ الحسین بن علوان یروی عن زید بواسطة عمرو بن خالد کثیراً.

ولأجل إیقاف القارئ علی اهتمام محدثی الإمامیة بما روی عنه نأتی فی هذا الفصل بخصوص ما روی عنه فی الکتب الأربعة ونترک الباقی لوقت آخر، وقد استعنّا فی تخریج رواياته بالحاسب الآلی، ورتبنا الروایات حسب ترتیب أبواب الفقه المألوف بین أصحابنا وربما یکون، بین ما روی فیها والموجود فی مسنده اختلاف یسیر فی اللفظ. کتاب الطهارة روی الشیخ الطوسی:

۱ ـ روی محمد بن الحسن الصفار عن عبد اللّه بن المنبه (۱)عن الحسین بن علوان عن عمرو بن خالد عن زید بن علی عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «جلست أتوضأ وأقبل رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حین ابتدأت فی الوضوء فقال لی: تمضمض واستنشق واستن، ثم غسلت وجهی ثلاثاً، فقال: قد یخرجک من ذلک المرتان، قال: فغسلت ذراعی ومسحت برأسی مرتین، فقال: قد یجزیک من ذلک المرة، وغسلت قدمی، فقال لی:« یا علی خلّل ما بین الأصابع لا تخلل بالنار» (۲).

وعلّق علیه الشیخ قال: هذا الخبر موافق للعامة قد ورد مورد التقیة، لأنّ المعلوم من مذهب الأئمة ـ علیهم السلام ـ مسح الرجلین فی الوضوء دون غسلهما_____.

(۱) والظاهر وقوع التصحیف فی السند، والصحیح المنبه بن عبید اللّه کما فی کثیر من الأسانید.

(۲) الطوسی: محمد بن الحسن: (ت ۴۶۰ هـ) ، التهذیب: ۱|۹۳، الباب: ۴ باب صفة الوضوء الحدیث ۹۷ و رواه الإمام المهدی لدین اللّه محمد بن المطهر فی المنهاج الجلی، (لاحظ تعلیقة مسند زیدص ۵۳) .

وراجع أیضاً: الطوسی: الاستبصار: ۱|۶۵، الباب ۳۷، الحدیث۸.

(۱۳۹)

روی الشیخ الطوسی:

۲ ـ أخبرنی الشیخ (محمد بن النعمان) عن أبی القاسم جعفر بن محمد عن أبیه، عن سعد بن عبد اللّه، عن المنبه بن عبید اللّه، عن الحسین بن علوان الکلبی، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن أبیه، عن جده، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «سألت رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عن الجنب والحائض یعرقان فی الثوب حتی یلصق علیهما ؟فقال: إنّ الحیض والجنابة حیث جعلهما اللّه عزّ وجلّ لیس فی العرق، فلا یغسلان ثوبهما» (۱).

روی الشیخ الطوسی:

۳ ـ سعد، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبید اللّه، عن الحسین بن علوان الکلبی، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «الغسل من سبعة من الجنابة وهو واجب، ومن غسل المیت وإن تطهرت أجزاک» وذکر غیر ذلک (۲).

فی غسل المیت والصلاة علیه :

روی الشیخ الطوسی:

۴ ـ سعد بن عبد اللّه، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبد اللّه (۳) عن الحسین_____

(۱) الطوسی: التهذیب: ۱|۲۶۹، الباب۱۲ (باب تطهیر الثوب) الحدیث: ۷۹، زید بن علی: المسند: ص۶۱ وراجع: الطوسی: الاستبصار: ۱|۱۸۵، الباب ۱۱۰، الحدیث: ۵.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۶۴، الباب ۲۳، الحدیث۱۶۲، وعلّق الشیخ والطوسی علی قوله: وإن تطهّرت أجزاک، أنّه محمول علی التقیة لوجوب الغسل وعدم کفایة التطهیر.

(۳) هکذا فی النسخة والظاهر عبید اللّه بقرینة سائر الروایات.

(۱۴۰)

بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «إذا مات الرجل فی السفر مع النساء لیس فیهن امرأته ولا ـ ذو محرم من نسائه، قال: یوزرنه إلی الرکبتین، ویصبن علیه الماء صباً، ولا ینظرن إلی عورته، ولا یلمسنه بأیدیهن ویطهرنه، فإذا کان معه نساء ذوات محرم یوزرنه ویصببن علیه الماء صباً ویمسسن جسده ولا یمسسن فرجه (۱).

روی الشیخ الطوسی:

۵ ـ سعد بن عبد اللّه، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: أتی رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ نفر فقالوا إنّ امرأة توفیت معنا ولیس معها ذو محرم، فقال: «کیف صنعتم؟» فقالوا: صببنا علیها الماء صباً، فقال: «أما وجدتم امرأة من أهل الکتاب تغسلها؟» قالوا: لا، قال: «أفلا یمّمتموها؟» (۲)

روی الشیخ الطوسی:

۶ ـ وبهذا الإسناد (۳)، عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی بصیر، عن أیوب ابن محمد الرقی، عن عمرو بن أیوب الموصلی، عن إسرائیل بن یونس، عن أبی إسحاق السبیعی، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «إنّ قوماً أتوا رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فقالوا: یارسول اللّه مات صاحب لنا وهو_____

(۱) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۴۱، الباب۲۳، الحدیث ۷۱: زید بن علی: المسند: ص۱۴۵ ورواه أیضاً فی التهذیب: ۱|۳۴۳، الباب ۱۳، الحدیث۱۶۸، باختلاف یسیر . و الاستبصار: ۲|۲۰۱، الباب۱۱۸، الحدیث۷.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۴۳، الباب۲۳، الحدیث۷۸؛ و الاستبصار: ۱|۲۰۳، الباب ۱۱۸، الحدیث۱۴.

(۳) أی أخبرنی الشیخ المفید عن أبی جعفر محمد بن علی عن محمد بن الحسن.

(۱۴۱)

مجدور فإن غسلناه انسلخ، فقال: یمّموه» (۱).

۷ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ أنّه سئل عن رجل یحترق بالنار، فأمرهم أن یصبوا علیه الماء صباً وأن یصلّی علیه (۲).

روی الشیخ الطوسی:

۸ ـ روی علی بن الحسین، عن محمد بن یحیی، عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبد اللّه (۳)، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ فی الصلاة علی الطفل أنّه کان یقول: «اللّهم اجعله لأبویه ولنا سلفاً وفرطاً وأجراً» (۴).

روی الشیخ الطوسی:

۹ ـ علی بن الحسین، عن سعد، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبید اللّه، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ قال: «یسل الرجل سلّا ویستقبل المرأة استقبالاً، ویکون أولی الناس بالمرأة فی مؤخرها» (۵_____).

(۱) الشیخ الطوسی: التهذیب: ۱|۳۳۳، الباب۱۳، الحدیث۱۴۵.

(۲) الکلینی: الکافی: ۳|۲۱۳؛ الحدیث۶؛ زید بن علی: المسند: ۱۴۷؛ الطوسی: التهذیب: ۱|۳۳۳، الباب۱۳، الحدیث۱۴۴.

(۳) الظاهر عبید اللّه.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۳|۱۹۵، الباب۱۳، الحدیث۲۱؛ زید بن علی: المسند: ۱۵۰.

(۵) الطوسی: التهذیب: ۱|۳۲۶، الباب۱۳ باب تلقین المحتضرین، الحدیث۱۱۹؛ زید بن علی: المسند، باب ۱۵۲، باختلاف یسیر.

(۱۴۲)

أحکام الشهید

روی الکلینی:

۱۰ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبیه، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: قال أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه: «ینزع عن الشهید الفرو والخف والقلنسوة والعمامة والمنطقة والسراویل إلّا أن یکون أصابه دم فإن أصابه دم ترک ولا یترک علیه شیء معقود إلّا حل» (۱).

روی الطوسی:

۱۱ ـ محمد بن الحسن الصفار عن عبد اللّه بن المنبه (۲)عن الحسین بن علوان عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی عن أبیه عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: «ـ للشهید سبع خصال من اللّه: أوّل قطرة من دمه مغفور له کل ذنب، والثانیة: یقع رأسه فی حجر زوجتیه من الحور العین وتمسحان الغبار عن وجهه تقولان مرحباً بک ویقول هو مثل ذلک لهما، والثالثة: یکسی من کسوة الجنّة، والرابعة: یبتدره خزنة الجنّة بکل ریح طیبة أیهم یأخذه معه، والخامسة: أن یری منزلته، والسادسة: یقال لروحه أسرح فی الجنّة حیث شئت والسابعة: أن ینظر فی وجه اللّه وإنّها لراحة لکل نبی وشهید» (۳_____).

(۱) الکلینی: الکافی: ۳|۲۱۱، الحدیث۴؛ زید بن علی: المسند: ۱۴۶ (باب الشهید) الطوسی، التهذیب: ۱|۳۳۲، الحدیث ۱۴۰.

(۲) الظاهر وقوع التصحیف فی السند، والصحیح عن المنبه بن عبید اللّه کما فی کثیر من الأسانید.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۶|۱۲۱، الباب۲۲، الحدیث۳؛ زید بن علی، المسند: ۳۵۱. وقد ورد أبسط مما فی المتن هنا.

(۱۴۳)

روی الشیخ الطوسی:

۱۲ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن أبیه ـ علیهم السلام ـ قال: قال رسول ـ صلی الله علیه وآله وسلم: «ـ إذا مات الشهید من یومه أو من الغد فواره فی ثیابه، وإن بقی أیاماً حتی تتغیر جراحته غسل» (۱). کتاب الصلاة قال الصدوق:

۱۳ ـ روی عن زید بن علی بن الحسین ـ علیه السلام ـ أنّه قال: «سألت أبی سید العابدین ـ علیه السلام ـ فقلت له: یا أبه أخبرنی عن جدنا رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لمّا عرج به إلی السماء وأمره ربه عزّ وجلّ بخمسین صلاة کیف لم یسأله التخفیف عن أُمّته حتی قال له موسی بن عمران ـ علیه السلام: ـ إرجع إلی ربک فاسأله التخفیف فأنّ أُمّتک لا تطیق ذلک؟ فقال: «یابُنیَّ أن رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لایقترح علی ربه عزّ وجلّ فلا یراجعه فی شیء یأمره به، فلمّا سأله موسی ـ علیه السلام ـ ذلک وصار شفیعاً لأُمّته إلیه لم یجز له أن یرد شفاعة أخیه موسی ـ علیه السلام ـ فرجع إلی ربّه عزّ وجلّ فسأله التخفیف إلی أن ردها إلی خمس صلوات» قال: فقلت له: یا أبه فلم لم یرجع إلی ربّه عزّ وجلّ ولم یسأله التخفیف من خمس صلوات وقد سأله موسی ـ علیه السلام ـ أن یرجع إلی ربّه عزّ وجلّ ویسأله التخفیف؟ فقال: « یا بُنیَّ أراد ـ علیه السلام ـ أن یحصل_____

(۱) الطوسی: التهذیب: ۶|۱۶۸، الباب۲۲، الحدیث۷؛ زید بن علی: المسند: ۱۴۶. وللشیخ الطوسی تعلیقة علی الروایة فإنّها غیر معمول

بها عند الاَصحاب؛ أیضاً الشیخ الطوسی: الاستبصار: ۱|۲۵، الباب ۱۲۵، الحدیث ۶.

(۱۴۴)

لاُمّته التخفیف مع أجر خمسین صلاة لقول اللّه عزّ وجلّ": مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثَالِها "ألا تری أنّه ـ علیه السلام ـ لما هبط إلی الاَرض نزل علیه جبرئیل ـ علیه السلام ـ فقال: یامحمّد إنّ ربّک یقرئک السلام ویقول (لک) : إنّها خمس بخمسین" ما یُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَیَّ وما أنا بِظَلاّمٍ لِلعَبِید » "قال: فقلت له: یا أبه أَلیس اللّه جلّ ذکره لا یوصف بمکان؟ فقال: «بلی تعالی اللّه عن ذلک علواً کبیراً» قلت: فما معنی قول موسی ـ علیه السلام ـ لرسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: ـ إرجع إلی ربّک؟ فقال: «معناه معنی قول إبراهیم ـ علیه السلام": ـ إنّی ذَاهِبٌ إلی رَبّی سَیَهْدِین "ومعنی قول موسی ـ علیه السلام" ـ وَعجِلْتُ إلَیکَ رَبِّ لِتَرْضَی "ومعنی قوله عزّ وجلّ": فَفِرُّوا إلی اللّه "یعنی حجّوا إلی بیت اللّه، یابنی إنّ الکعبة بیت اللّه فمن حجّ بیت اللّه فقد قصد إلی اللّه، والمساجد بیوت اللّه فمن سعی إلیها فقد سعی إلی اللّه وقصد إلیه، والمصلّی ما دام فی صلاته فهو واقف بین یدی اللّه عزّ وجلّ، فإنّ للّه تبارک وتعالی بقاعاً فی سماواته، فمن عرج به إلی بقعة منها فقد عرج به إلیه ألا تسمع اللّه عزّ وجلّ یقول": تَعْرُجُ المَلائِکَةُ والرُّوحُ إلَیْه" ویقول (اللّه) عزّ وجلّ فی قصة عیسی بن مریم ـ علیهما السلام": ـ بَل رَفَعَهُ اللّهُ إلَیْه "ویقول اللّه عزّ وجلّ": إلَیْهِ یَصْعَدُ الکَلِمُ الطّیِّبُ والعَمَلُ الصالِحُ یَرْفَعُه»("۱)

روی الشیخ الطوسی:

۱۴ ـ محمد بن الحسن الصفار، عن عبد اللّه بن المنبه (۲)، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن أبیه، عن آبائه، عن علی ـ علیه_____

(۱) الصدوق: من لایحضره الفقیه: ۱ |۱۹۸، الحدیث ۶۰۳، وفی الحدیث نکات بدیعة ولم نجده فی مسنده.

(۲) الصحیح: المنبه بن عبید اللّه کما فی سائر الاَسانید.

(۱۴۵)

السلام ـ أنّه أتاه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین واللّه إنّی لاَحبک للّه فقال له: «ولکنی أُبغضک للّه» قال: ولم؟ قال: «لاَنّک تبغی فی الاَذان، وتأخذ علی تعلیم القرآن أجراً (۱) ، سمعت رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: من أخذ علی تعلیم القرآن أجراً کان حظّه، یوم القیامة» (۲).

روی الشیخ الطوسی:

۱۵ ـ محمد بن علی بن محبوب، عن محمد بن الحسین، عن الحسن بن علی، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: دخل رجلان المسجد وقد صلّی الناس، فقال: لهما علی ـ علیه السلام «ـ إن شئتما فلیؤَم أحدکما صاحبه ولا یؤَذن ولایقیم» (۳).

روی الشیخ الطوسی:

۱۶ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: «الاَغلف لا یؤَم القوم وإن کان أقرأهم، لاَنّه ضیع من السنّة أعظمها، ولا تقبل له شهادة ولا یصلّی علیه إلاّ أن یکون ترک ذلک خوفاً علی نفسه» (۴_____) .

(۱) الطوسی: الاستبصار: ۳|۶۵ الباب ۳۸، الحدیث ۲.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۶|۳۷۶، الباب ۹۳، الحدیث ۲۲۰؛ زید بن علی: المسند: ۸۵، وفی المسند تتغنّی مکان تبغی وهو الاَصح.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۲|۲۸۱، الباب۱۳، الحدیث ۲۱، و ۳|۵۵، الباب ۱۳، الحدیث ۱۰۳؛ زید بن علی: المسند: ۱۱۳ باختلاف.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۳|۳۰، الباب ۳، الحدیث ۲۰؛ زید بن علی: المسند: ۱۵۱ باختلاف یسیر.

(۱۴۶)

روی الشیخ الطوسی:

۱۷ ـ سعد، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: «صلّی بنا رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ الظهر خمس رکعات ثم انفتل فقال له بعض القوم: یارسول اللّه هل زید فی الصلاة شیء؟ فقال: وماذاک؟ قال: صلیت بنا خمس رکعات قال: فاستقبل القبلة وکبر وهو جالس ثم سجد سجدتین لیس فیهما قراءة ولا رکوع ثم سلم وکان یقول: هما المرغمتان».

قال محمد بن الحسن: هذا خبر شاذ لا یعمل علیه لأنّا قد بینا أن من زاد فی الصلاة وعلم ذلک، یجب علیه استئناف الصلاة، وإذا شک فی الزیادة فإنّه یسجد السجدتین المرغمتین، ویجوز أن یکون ـ علیه السلام ـ إنّما فعل ذلک لأنّ قول واحد له لم یکن مما یقطع به، ویجوز أن یکون کان غلطاً منه وإنّما سجد السجدتین احتیاطاً (۱)

روی الشیخ الطوسی:

۱۸ ـ روی سعد بن عبد اللّه، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی ـ علیه السلام ـ قال: صلیت مع أبی ـ علیه السلام ـ المغرب فنسی فاتحة الکتاب فی الرکعة الأُولی فقرأها فی الثانیة

(۲)

(۱) الطوسی: التهذیب: ۲|۳۴۹، الباب۱۴، الحدیث ۳۷؛ الاستبصار: ۱|۳۷۷، الباب ۲۱۹، الحدیث۵؛ زید بن علی: المسند: ۱۰۹.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۲|۱۴۸، الباب ۲۳، الحدیث۳۶؛ زید بن علی: المسند: ۹۴. والروایة مطروحة لتضمنها نسبة السهو إلی الإمام المعصوم مع بعد مضمونها لعدم طروء النسیان فی الرکعة الأُولی بالنسبة إلی فاتحة الکتاب. وراجع أیضاً: الطوسی: الاستبصار: ۱|۳۵۴، الباب۲۰۶، الحدیث۷.

(۱۴۷) فی الضمان روی الشیخ الطوسی:

۱۹ ـ عنه

(۱) ، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان ، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ أنّه أتی بحمال کانت علیه قارورة عظیمة کانت فیها دهن فکسرها فضمّنها إیّاه، وکان یقول: کل عامل مشترک إذا أفسد فهو ضامن، فسألته ما المشترک؟ فقال: الذی یعمل لی ولک ولذا (۲).

روی الشیخ الطوسی:

۲۰ ـ روی محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ أنّه أتاه رجل تکاری دابة فهلکت، فأقرّ أنّه جاز بها الوقت فضمّنه الثمن ولم یجعل علیه کراء

(۳).

روی الشیخ الطوسی:

۲۱ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ أنّه کان یضمن صاحب الکلب إذا عقر نهاراً ولایضمنه إذا عقر باللیل، وإذا دخلت دار قوم بإذنهم فعقرک کلبهم فهم ضامنون، وإذا دخلت بغیر إذنهم فلا ضمان علیهم

(۴).

(۱) أی عن محمد بن أحمد بن یحیی.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۷|۲۲۲، الباب ۲۰، الحدیث۸۵؛ زید بن علی: المسند: ۲۵۴.

(۳) الطوسی: الاستبصار: ۳|۱۳۵، الباب۸۸، الحدیث۳. قال الشیخ: الوجه فی هذه الروایة ضرب من التقیة لاَنّها موافقة لمذهب کثیر من العامة.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۱۰|۲۲۸، باب الاثنین إذا قتلا، الحدیث ۳۱.

(۱۴۸) فی الربا روی الشیخ الطوسی:

۲۲ ـ عنه

(۱) ، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «لعن رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ الربا وآکله وبائعه ومشتریه وکاتبه وشاهدیه» (۲). فی الخمر روی الکلینی:

۲۳ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسین بن سعید، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: لعن رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ الخمر وعاصرها ومعتصرها وبایعها ومشتریها وساقیها وآکل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إلیه

(۳) فی النکاح روی الشیخ الطوسی:

۲۴ ـ روی محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی_____ ـ

(۱) أی عن الحسین بن سعید الاَهوازی.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۷|۱۵، الباب۱، الحدیث ۶۴؛ زید بن علی: المسند: ۲۲۹ باختلاف یسیر.

(۳) الکلینی: الکافی: ۶|۳۹۸، الحدیث۱۰.

(۱۴۹) علیه السلام ـ: إنّ امرأة أتته ورجل قد تزوجها ودخل بها وسمی لها مهراً وسمی لمهرها أجلاً فقال له علی ـ علیه السلام: ـ «لا أجل لک فی مهرها إذا دخلت بها فأدّ إلیها حقها»(۱).

روی الشیخ الطوسی:

۲۵ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ أنّه قال: «الرضعة الواحدة کالمائة رضعة لاتحل له أبداً »

(۲).

روی الشیخ الطوسی:

۲۶ ـ روی محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «حرم رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ یوم خیبر لحوم الحمر الاَهلیة ونکاح المتعة»

(۳). فی الطلاق روی الشیخ الطوسی:

۲۷ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی الجوزاء، عن الحسین [بن علوان_____]

(۱) الطوسی: التهذیب: ۷|۳۵۸، الباب ۳۱ من أبواب النکاح، الحدیث ۲۰؛ الاستبصار: ۳|۲۲۱، الباب ۱۳۸، الحدیث۴؛ زید بن علی: المسند: ۲۷.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۷|۳۱۷، الباب ۲۷ من أبواب النکاح، الحدیث۱۷، والروایة مطروحة لدی الاِمامیة لعدم کفایة الرضعة الواحدة بالاتفاق عندهم، وفی المسند: ۲۸۲: سألت زیداً عن المصة والمصتین، قال: تحرم.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۷|۲۵۱، الباب ۲۴، الحدیث۱۰؛ زید بن علی المسند: ۲۷۱، وفی المسند: نهی رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عن نکاح المتعة عام خیبر. والروایة وردت مورد التقیة.

(۱۵۰) عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ فی رجل أظهر طلاق امرأته وأشهد علیه وأسرّ رجعتها ثم خرج فلمّا رجع وجدها قد تزوجت قال: «لاحقّ له علیها من أجل أنّه أسرّ رجعتها وأظهر طلاقها» (۱). فی الحدود روی الشیخ الطوسی:

۲۸ـ عنه

(۲) ، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: سئل رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ عن الساحر؟ فقال: إذا جاء رجلان عدلان فیشهدان علیه فقد حل دمه(۳)

روی الشیخ الطوسی:

۲۹ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «إذا أسلم الأَب جر الولد إلی الإِسلام، فمن أدرک من ولده دعی إلی الإِسلام فإن أبی قتل، وإذا أسلم الولد لم یجر أبویه ولم یکن بینهما میراث»

(۴)_____) .

(۱) الطوسی: التهذیب: ۸|۴۴، الباب ۳ من أبواب الطلاق، الحدیث۵.

(۲) أی عن محمد بن أحمد بن یحیی.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۶|۲۸۳، الباب ۹۱، الحدیث۱۸۵؛ و ج ۱۰|۱۴۷، الباب ۱۰ من الزیادات، الحدیث۱۶؛ زید بن علی: المسند: ۳۰۳، وفی المسند: حد الساحر القتل.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۸|۲۳۶، العتق الباب۱، الحدیث ۸۵. أن لا یرث الأَب، ویرث الولد، لأَنّ الإِسلام یزید عزّاً لا حرماناً.

(۱۵۱) روی الصدوق:

۳۰ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ عن علی ـ علیه السلام ـ فی رجل قذف امرأته ثم خرج فجأة وقد توفیت قال: «یخیر واحدة من ثنتین یقال له: إن شئت ألزمت نفسک الذنب فیقام علیک الحد وتعطی المیراث، وإن شئت أقررت فلاعَنْت أدنی قرابتها إلیها ولا میراث لک»

(۱)

. فی الدیات روی الشیخ الطوسی:

۳۱ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن_____

(۱) الطوسی: التهذیب: ۸|۱۹۴، الباب ۸ باب اللعان، الحدیث ۳۸؛ الصدوق: من لا یحضره الفقیه: ۳|۵۳۹، الباب۲ الحدیث ۴۸۵۶.

(۱۵۲) الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: لاتعقل العاقلة إلّا ما قامت علیه البینة، قال: وأتاه رجل فاعترف عنده فجعله فی ماله خاصة ولم یجعل علی العاقلة شیئاً (۱).

روی الشیخ الطوسی:

۳۲ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: «المعتق علی دبر فهو من الثلث وما جنی هو والمکاتب وأُم الولد فالمولی ضامن لجنایتهم»

(۲). فی القصاص روی الشیخ الطوسی:

۳۳ ـ عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «لیس بین الرجل والنساء قصاص إلّا فی النفس»

(۳).

روی الشیخ الطوسی:

۳۴ ـ عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: «لیس بین الرجال والنساء قصاص إلّا فی النفس، ولیس بین الاَحرار والممالیک قصاص إلّا فی النفس عمداً، ولیس بین الصبیان قصاص فی شیء إلّا فی النفس»

(۴)_____).

(۱) الطوسی: التهذیب: ۱۰|۱۷۵، باب البینات علی القتل، الحدیث ۲۴؛ والاستبصار: ۴|۲۶۲، الباب ۱۵۲، الحدیث۵؛ لاحظ المسند: ۳۰۶.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۸|۲۶۲، التدبیر الباب۲، الحدیث۱۷؛ و الاستبصار: ۴|۳۱، الباب ۱۵، الحدیث ۱۹.

(۳) الطوسی: الاستبصار: ۴|۲۶۶، الباب ۱۵۴، الحدیث۷.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۱۰|۲۷۹، باب القصاص، الحدیث ۱۸؛ لاحظ المسند: ۳۰۷.

(۱۵۳) ما لا یختص بباب روی الشیخ الطوسی:

۳۵ ـ عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: أتی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ رجل فقال: یارسول اللّه أنّ أبی عمد إلی مملوک لی فاعتقه کهیئة المضرة لی فقال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم : «ـ أنت ومالک من هبة اللّه لاَبیک، أنت سهم من کنانته یهب لمن یشاء إناثاً ویهب لمن یشاء الذکور ویجعل من یشاء عقیماً، جازت عتاقة أبیک، یتناول والدک من مالک وبدنک، ولیس لک أن تتناول من ماله ولا من بدنه شیئاً إلّا بإذنه»

(۱).

روی الشیخ الطوسی:

۳۶ ـ محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن علی بن النعمان، عن الحسن ابن الحسین الاَنصاری، عن یحیی بن معلی الاَسلمی، عن هاشم بن یزید قال: سمعت زید بن علی ـ علیه السلام ـ یقول: کان علی ـ علیه السلام ـ فی حربه أعظم أجراً من قیامه مع رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فی حربه قال: قلت بأی شیء تقول أصلحک اللّه؟ قال: فقال لی: لاَنّه کان مع رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ تابعاً ولم یکن له إلّا أجر تبعیته وکان فی هذه متبوعاً وکان له أجر کل من تبعه

(۲) .

روی الکلینی:

۳۷ ـ عنه [أی عن علی بن إبراهیم]، عن أبیه، عن محمد بن سنان، عن أبی_____

(۱) الطوسی: التهذیب: ۸|۲۳۵، کتاب العتق الباب ۱، الحدیث ۸۲.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۶|۱۷۰، الباب ۱۷۹، الحدیث۴.

(۱۵۴) خالد الواسطی، عن زید بن علی، عن أبیه، عن جده قال: قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: «ـ یلزم الوالدین من العقوق لولدهما ما یلزم الولد لهما من عقوقهما» (۱) .

روی الشیخ الطوسی:

۳۸ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ قال: «أتیت أنا ورسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ رجلاً من الاَنصار فإذا فرس له یکید بنفسه، فقال له رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: ـ انحره یضعف لک به أجران: بنحرک إیّاه واحتسابک له، فقال: یارسول اللّه إلی منه

شيء؟ قال: نعم كل وأطعمنى قال: فأهدى للنبى ـ عليه السلام ـ فخذاً منه فأكل منه وأطعمنى»

(۲) .

روى الشيخ الطوسى:

۳۹ ـ عنه

(۳) عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ـ عليهم السلام: ـ قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ـ إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنّة، القاتل والمقتول فى النار» فقيل: يارسول اللّه القاتل فما بال المقتول؟! قال: «لأنّه أراد قتلاً » (۴)

هذه هى ۳۹ حديثاً نقلها مصنّفو الكتب الأربعة عن الإمام زيد التى نقلها عن أبيه عن آبائه_____.

(۱) الكلينى: الكافى: ۶ |۴۸، الحديث۵. الطوسى: التهذيب: ۸|۱۲، الباب ۵ من أبواب الطلاق، الحديث ۳۵.

(۲) التهذيب: ۹|۴۸، كتاب الصيد والذبائح، الباب ۱، الحديث ۱۰۱.

(۳) أى عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(۴) الطوسى: التهذيب: ۶|۱۷۴، الباب ۷۹، الحديث ۲۵.

الفصل السابع هل كان زيد معتزلىّ المبدأ والفكرة

الفصل السابع هل كان زيد معتزلىّ المبدأ والفكرة ولمّا كان أحد الأُمور الدافعة إلى القول بأنّ زيداً كان ذا منهاج كلامى خاص، هو صلته بواصل رئيس المعتزلة، نطرح الموضوع على طاولة البحث ليتبيّن مدى صحة ذلك الوهم.

هل كانت الصلة بين زيد وواصل بن عطاء على أساس أنّهما يذهبان إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو أحد الأُصول الخمسة لدى المعتزلة (۱) أو أنّ الصلة بينهما كانت على أساس أنّ زيداً تتلمذ على واصل وتخرج عليه فى الأُصول. المعروف هو الثانى، والحقّ هو الأوّل لوجوه:

أوّلاً: كانت العاصمة العلمية للمسلمين يوم ذاك (أوائل القرن الثانى الهجرى) هى المدينة المنورة، فكانت تزدحم بالعلماء والمفكرين، وعلى رأسهم محمد الباقر ـ عليه السلام ـ وبعده شيخ الهاشميين عبد اللّه بن الحسن بن الحسن وغيرهما من مشاهير المحدثين والمفسرين وعلى ضوء ذلك فلم يكن فى ذلك أى حافز لمغادرة المدينة إلى العراق ثم البصرة. ولم تكن البصرة يوم ذاك إلاّ

---

(۱) الانتصار: ۵؛ ومقالات الإسلاميين: ۱|۲۷۸.

مركزاً أدبياً لغوياً ثم مركز الأهواء والملل والآراء والنحل.

ثانياً: قد عرفت فيما سبق أنّ زيداً الثائر من مواليد عام ۶۷ هـ وواصل بن عطاء من مواليد ۸۰ هـ فهو أكبر منه بكثير. فلو صحّ أن يتتلمذ على أحد فى العراق فيجب أن يتتلمذ على شيخ واصل، الحسن البصرى، فى البصرة أو يتتلمذ على شيخه فى المدينة المنورة وهو أبو هاشم ابن محمد الحنفية أُستاذ واصل. وبعد ذلك كله، فلم يكن عند واصل شيء بديع قصرت عنه يد زيد. فإنّه أخذ ما أخذ عن أبى هاشم، كما حققناه فى الجزء الثالث (۱)من تلك الموسوعة، فالذى شهّر واصل فى الأوساط الإسلامية هو القول بالتوحيد والعدل والتركيز على كون الإنسان مختاراً، ورد القضاء والقدر بالمعنى السالب عن الإنسان الاختيارَ والحريةَ وهو قد أخذه من أبى هاشم وهو عن أبيه، وهو عن وصى الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام، ـ فربيب البيت الهاشمى، أعنى: زيداً، كان غنياً عن التوسل بواصل فى معرفة ما كان يجده فى بيته العامر بالعلم والمعرفة.

وثالثاً: لم يـذكر أحـد من المؤرخين ولا أصـحاب المقالات تتلمذ زيد على واصل قبل الشهرسـتانى وإنّما انفرد هو بذلك وتبعه غيره، فلاـ تجـد منه أثراً فى فرق الشـيعة للنوبختى، ولاـ فى مقالاـت الإِسـلاميين للأشـعرى، ولا الفرق بين الفرق للبغـدادى ولا لابن حزم فى الفصل. وعلى ذلك فلا يركن إلى كلام تفرد به الشهرسـتانى البعيـد عن بيئة زيد وعصـره، وقد استشـهد الإِمام فى أوائل القرن الثانى، وتوفى الشهرستانى عام ٥٤٨هـ.

هـذا هو الحقّ القراح الـذى لا مريـة فيه، ولا أظن بزيـد ولا بإنسان دونه تربّى فى أحضان البيت النبوى، أن يتتلمذ فى الأُصول والعقائد على أمثال واصل، صنيع أبى هاشم فى المدينة، ثم الحسن البصرى فى البصرة، والمتفردّ بآراء وعقائد لا_____

(١) السبحانى: بحوث فى الملل والنحل: ٣|١٨٩.

يسانـدها علمـاء أهـل البيت وأئمتهم. وأظن أنّ المصـدر لمـا ذكره، هو تعـاطف الزيـديين مع المعتزلـة فى العصور اللاحقـة على وجه صارت الأُصول الخمسـة مقبولـة لـدى الزيـديين، فصار ذلك سـبباً لحدس الشهرسـتانى أنّ زيداً تتلمذ على واصل، ومنه أخذ الأُصول وسـرى إلى أتباعه ومقتفيه، غافلاً عن عدم الملازمة بين الاعتقادين، ولو خضـعت الزيدية لهذه الأُصول فلجهة أُخرى سـيوافيك بيانها.

ولنذكر عبارة الشهرستانى ثم نذكر ماذكره بعض المحقّقين من السنّة والزيدية.

يقول: «وزيـد بن على لمّا كان مـذهبه هـذا المـذهب: (كل فاطمى عالم زاهد شـجاع، سـخىّ خرج بالإِمامة يكون إماماً واجب الطاعة) أراد أن يحصـل الأُـصول والفروع حتى يتحلى بـالعلم، فتتلمـذ فى الأُـصول لواصل بن عطاء الغزال الأَلثغ رأس المعتزلـة ورئيسـهم. مع اعتقـاد واصـل أنّ جـده على بن أبى طـالب (رض) فى حروبه التى جرت بينه وبين أصـحاب الجمل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب. وأنّ أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لابعينه وصارت أصحابه كلهم معتزلة» (١) .

وقد سرى هذا الخطاء إلى غير واحد ممن كتب عن زيد فاتخذه حقيقة راهنة.

قال ابن أبى الدم فى «الفرق الإِسـلامية»: الزيدية أصـحاب زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان زيد قد آثر تحصـيل علم الأُـصول. فتتلمـذ لواصـل بن عطـاء رئيس المعتزلـة ورأسـهم وأوّلهم فقرأ عليه واقتبس منه علم الاـعتزال وصـار زيد وجميع أصـحابه معتزلـة فى المـذهب والاعتقاد، وكان أخوه الباقر محمـد بن على يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتتلمـذ له واقتبس منه مع كونه يجوِّز الخطأ على جده على بن أبى طالب ـ عليه السـلام ـ بسب خروجه إلى حرب الجمل والنهروان، ولأَنّ واصلاً كان يتكلم_____

(١) الشهرستانى: الملل والنحل: ١|١٣٨.

فى القضاء والقدر على خلاف مذهب أهل البيت _ عليهم السلام (_ ١).

كلام الشيخ أبو زهرة:

لقد تلقى الشيخ أبو زهرة ما ذكره الشهرستانى أمراً صحيحاً واستنتج من كلامه أُموراً ثلاثة ولكنه تنظر فيه بما يلى:

«ولكن أيصـح أن نقول إنّ زيـداً تتلمـذ على واصل فى هـذه المرحلـة؟ إنّ الرجلين كانا فى سن واحـدة فقـد ولد كلاهما فى سـنة ٨٠ (٢)من الهجرة النبوية أو قريباً من ذلك ويظهر أنّهما عندما التقيا كان زيد فى سن قد نضـجت لأَنّ واصـلاً لا يمكن أن يكون فى مقام من يدرس مستقلاً إلاّ إذا كان فى سن ناضجة.

ولهـذا نرى أنّ التقاء زيـد ـ رضـى اللّه عنه ـ بواصل بن عطاء كان التقاء مذاكرة علمية وليس التقاء تلميذ عن أُسـتاذ، فإنّ السن متقاربة وزيـد كان ناضـجاً فهو قد أراد أن يعرف النواحى المختلفة حول أُصول العقائد، كما تلقى فروع الأَحكام عن أُسـرته وفى المدينة مهد علم الفروع ـ إلى أن قال ـ: وقبل رحلـة زيد إلى البصـرة أيسوغ لنا أن نقول إنّه ما كان من قبل، على علم بأُصول المعتزلة؟ لعل الإِجابة

عن هذا السوَال توجب علينا أن نرجع إلى علماء آل البيت قبل زيد والذين عاصروه وهنا نجد من الاَخبار، ما يذكر أنّ علماء آل البيت تكلموا فی العقائد وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء بل إنّا نجد من يقول إنّ واصلاً تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت فقد كانوا على علم به وخصوصاً محمد ابن الحنفية ابن على رضى اللّه عنهما، فقد كان عالماً غواصاً فی العلوم، وقد قال فيه الشهرستانی: «وكان كثير العلم، غزير المعرفة، وقّاد الفكر، مصيب الخواطر، قد أخبره أمير المؤمنين (أی على) عن أحوال الملاحم وأطلعه على مدارج المعالم، قد اختار العزلة، وآثر_____

(۱) الصفدی: الوافی بالوفيات: ۱۵|۳۵.

(۲) عرفت ما هو الحقّ فی ميلاده.

الخمول على الشهرة» (۱).

هذا كلامه ويأليت الاُستاذ رافق كلامه بذكر المصادر، ولا يقضی فی الموضوع بشكل قاطع.

وهذا ما نلمسه من كتب الاُستاذ أبی زهرة مع كثرة ما كتب. وعلى كل تقدير فلا دليل على تتلمذ زيد لواصل، لو لم يكن دليل على عدمه، وكون اتباعه معتزليين فی العقيدة لا يكون دليل على كون إمامهم كذلك.

كلام بعض المعاصرين من الزيدية :

إنّ لبعض المعاصرين من علماء الزيدية تحقيقاً رائعاً فی المقام نأتی بنصه ـ مع طوله ـ :

«من الاَغلاط الشائعة نسبة الزيدية إلى المعتزلة ـ فی أُصول الدين والتوحيد وعلم الكلام ـ والقول بأنّ الإمام زيد بن على قد تتلمذ على رئيس المعتزلة واصل ابن عطاء.

ولعل الشهرستانی المتوفی ۵۴۸هـ هو أوّل من سجّل هذه الغلطة فی كتابه (الملل والنحل) ثم تابعه أكثر من بحث عن الاعتزال والمعتزلة. إمّا لإهمالهم الفحص والتمحيص لما يروونه، وإمّا لاَنّه قد وافق ما يريدون قوله عن الزيدية والزيديين.

ولا أعتقد أنّ للشهرستانی أیَّ دليل قوی على قوله. وربّما أنّه جعل من التوافق بين الزيدية والمعتزلة فی أكثر مسائل الاُصول الدينية دليلاً على قوله، ولكن هذا غير كاف قطعاً لإلحاق فرقة بأُخرى. لاَنّه لو اعتبر التوافق فی رأی ما، دليلاً على توحيد فرقة مع أُخرى لما تميزت فيما بينها كل المذاهب الإسلامية المعروفة اليوم وقبل اليوم، لاَنّها تتوافق فی كثير من المسائل وبالاَخص الفقهية الفرعية منها.

_____

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۳۹ ـ ۴۰.

أمّا القول بأنّ الإمام زيداً قد تتلمذ لواصل بن عطاء. من أجل أن يحصل على علم الاُصول والفروع حتى يتحلّى بالعلم كما يقول الشهرستانی ـ فهو أغرب وأعجب. ذلك لاَنّ المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين والعالمين ـ أنّ المدينة المنورة ـ وليست البصرة ـ هی معدن العلم ومدينته، كما قال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه اللّه ـ لمن سأله عمن تلقى علمه فقال: كنت فی معدن العلم ولزمت فقيهاً من فقهائهم. وهو يعنی الإمام جعفر الصادق ـ رحمه اللّه ـ حيث لازمه عامين، وكان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان» (۱).

فهل من المعقول أن يخرج الإمام زيد من معدن العلم وينبوعه ومدينته ليذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والاُصول حتى يتحلّى بالعلم كما قال الشهرستانی؟ إنّه لاَمر غريب وعجيب حقاً!! وهو مع ذلك قول مخالف لما أجمع عليه المؤرخون فقد قالوا إنّ واصل بن عطاء هو الذی أخذ العلم من معدن العلم ومدينته، ولازم أهل البيت النبوی الشريف الذی يعد من مشاهيره فی عصره الإمام زيد بن على. وأجمعوا على أنّ واصل بن عطاء كان مولى لآل محمد بن على بن أبی طالب ـ عليهم السلام ـ أی آل محمد بن الحنفية ـ وأخذ العلم عن ابنه أبی هاشم عبد اللّه بن الحنفية. وأنّه بعد ۲۱ عاماً من عمره سافر إلى البصرة سنة ۱۰۱ هـ حيث التقى

فيها بالزاهد عمرو بن عبيد فزامله فى حلقة الحسن البصرى حتى حدث الخلاف بين واصل وأستاذه الحسن البصرى فى تسمية مرتكب الكبيرة من المسلمين حيث قالت الخوارج هو كافر. وقالت المرجئة: هو موَمن. فقال الحسن البصرى: هو منافق. فقال واصل: هو فاسق. والفسق منزلة بين المنزلتين: منزلة الكفر والنفاق. ومنزلة الإيمان، وبعد أن رجع عمرو بن عبيد إلى قوله وفارقا حلقة الحسن، أطلق عليهما لاعتزالهما الحلقة (اسم المعتزلة) ثم صار_____

(١) أبو زهرة: الإمام الصادق _ عليه السلام: _ ٢٨.

اسماً لمن تابعهم فى مسائل علم الكلام، بل لقد نصّ المحقّقون من المعتزلة والزيدية على أنّ مسألة المنزلة بين المنزلتين هذه قد أخذها واصل بن عطاء من أُستاذه أبى هاشم عبد اللّه ابن محمد بن الحنفية (١).

وإذا كان لابد من نسبته إلى فرقة من الفرق فينسب إلى الفرقة (العدلية) والعدلية كلمة تطلق على كل من يقول بالعدل والتوحيد وينفى الجبر والتشبيه والتجسيم للّه، تعالى اللّه عن ذلك، ولهذا صحّ للقاضى عبد الجبار بن أحمد المتوفى ۴۱۵ هـ وللإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى، ان يجعلا من رجال الطبقة الأُولى للعدلية كلَّ الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ممن صرح بالعدل ونفى الجبر. وقد جعلا الإمام زيد بن على وأبا هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية أُستاذ واصل من رجال الطبقة الثالثة وجعلا واصل بن عطا وعمرو بن عبيد من رجال الطبقة الرابعة.

وقد توهم البعض من المتأخرين أنّ الطبقات التى أشرت إليها هى طبقات المعتزلة والصحيح غيره. لأنّ البحث فى طبقات القاضى وفى الملل والنحل للمهدى كان عن العدلية، وليس عن المعتزلة، ولفظه فى الملل والنحل (٢)مسألة (له) أى قالت المعتزلة: وأجمعت العدلية على أنّ للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً ... حتى قال: وقد رتب القاضى ـ أى عبد الجبار ـ طبقاتهم ونحن نشير إلى جملتها. ثم أشار فى المسألة التى تلتها إلى طبقاتهم.

فالإمام المهدى حكى عن المعتزلة روايتهم لما اجمعت عليه العدلية. ثم رتب طبقاتهم كما فعل القاضى عبد الجبار مستدلاً بأقوالهم فى العدل ونفى الجبر(٣_____).

(١) شرح الأُصول الخمسة: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) البحر الزخار: ١|۴۴ ـ ۴۵.

(٣) على بن عبد الكريم شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ٢١.

وبعد هذا البيان الضافى من العلمين، لا يبقى أى شك فى أنّه لم يكن لوليد البيت النبوى أية دراسة لدى واصل بن عطاء، وأقصى ما يمكن أن يقال: كانت بينهما مزاملة أو محادثة فى تطبيق أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، على الساحة الإسلامية. ونضيف فى المقام أمرين:

١ ـ أنّه لو تتلمذ زيد على واصل أو كان معتزلياً فى العقائد، لانعكست آراء أُستاذه فى الكتب الموروثة منه، مع أنّه ليس من تلك الأُصول فيها عين ولا أثر، غير التركيز على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى استنتجه من الكتاب والسنّة واختمر به منذ شبابه إلى التحاقه بربه.

٢ ـ أنّ ابن المرتضى، جعل زيد بن على فى طبقاته مقدماً على طبقة واصل ابن عطاء (١) ولو صحّ الزعم المعروف كان عليه أن يجعله متأخراً عنه، لكونه فى الاعتزال عيال عليه.

---

(١) ابن المرتضى: المنية والأمل: ١٧و ٢٨، تحقيق سوسنة ديفلدفلزر، بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩۶١م؛ والقاضى عبد الجبار الهمذانى: فرق

وطبقات المعتزلة: ۳۲ و ۴۱، تحقيق الدكتور على سامى النشار وعصام الدين محمد على، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ۱۹۷۲م.

(۱۶۳)

الفصل الثامن هل كان زيد إماماً

الفصل الثامن هل كان زيد إماماً فى الأُصول والعقائد، والفروع والأَحكام؟ إنّ للمذهب الزيدى السائد حالياً فى اليمن وغيرها بعدين: بعداً فقهياً ـ يُلحقه بالمذاهب الفقهية المعروفة، وهذا ما يبحث عنه فى تاريخ الفقه وطبقات الفقهاء ـ وبُعداً عقائدياً، وهذا هو المسوّغ لطرحه فى كتب الملل والنحل، ولاشك أنّ المذهب الزيدى الذى تبنّاه أئمة الزيدية طيلة قُرُون، من عهد أحمد بن عيسى ابن زيد مؤلف الأَمالى (ت ۲۴۷ هـ) إلى عهود الأَقطاب الثلاثة كان يتمتع ببعدين متميزين العقيدة والفقه، وهؤلاء الأَقطاب عبارة عن:

۱ ـ الإمام القاسم الرسّى.

۲ ـ الإمام الهادى يحيى بن الحسين.

۳ ـ الإمام الناصر الأَطروش.

فكان عندهم الفقه والعقيدة ولكل ميزة وسمة، تضفى له صبغة خاصة فى مجاله إنّما الكلام فى المذهب الموروث عن نفس الإمام أى زيد الثائر، فهل كان لمذهبه بعدان، فقهى وعقائدى؟ أو كان لمذهبه بعد واحد؟ أو لم يكن هذا ولا ذاك

(۱۶۴)

بل كان رجلاً ثورياً وإماماً للجهاد والنضال ومفسراً للقرآن، ومحدّثاً للسنّة النبوية، ومفتياً فى ضوئهما أحياناً؟ وتظهر حقيقة الحال فيما يأتى ولنقدم البحث فى العقائد ثم نتبعه بالبحث فى الفقه.

إنّ ربيب البيت العلوى زيداً الثائر قد تعلم الأُصول والعقائد، من أئمة أهل البيت وعلى رأسهم والده الإمام زين العابدين وأخيه الإمام الباقر ـ عليهما السلام ـ فكان القول بالتوحيد ورفض التجسيم والجهة، والعدل وتنزيهه سبحانه عن كل سوء وشين، والقول بعصمة الأَنبياء ومصونيتهم عن الخطأ والزلل، ونفى القدر بمعنى السالب للاختيار والحرية والموجب للغوية بعث الأَنبياء والرسل، إلى غير ذلك من الأُصول الرائجة فى باب الإمامة والمعاد ـ كان القول بهذه الأُصول ـ أمراً واضحاً لدى الهاشميين والعلويين ورثها كابر عن كابر، فلو قال به زيد، فلا يجعله ذا منهج كلامى خاص.

إنّما الكلام فيما ينسب مناسب إليه من الآراء حول سائر الموضوعات، وسيوافيك إنّها آراء الزيدية، لاصلة لها بزيد، وأنّ ربطها ونسبتها إليه، خال عن الدليل.

قال الحاكم أبو سعد المحسَّن بن محمد بن كرامة الجشمى البيهقى (۴۱۳ ـ ۴۹۴هـ) فى كتابه جلاء الأَبصار :

وإذ قد بينا المذاهب المحدثة والبدع المولدة، بقى ما كان عليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه وعلماء أهل البيت، وهو القول بتوحيد اللّه، ونفى التشبيه، والقول بعدله، وبراءته من كل سوء، والقول بعصمة أنبيائه، وصدق ما جاءوا به على ما نطق به الكتاب، ومشايخ العدل، أخذوها من علماء أهل البيت. أخذها واصل بن عطاء عن محمد بن الحنفية وابنه أبى هاشم وكان مع ذلك من أصحاب النفس الزكية، وكان عمرو بن عبيد قد تأهب للخروج إلى زيد بن على ـ

(۱۶۵)

عليه السلام ـ فورد الخبر بقتله. وكان مطر الوراق، وبشير الرحال من أصحاب إبراهيم بن عبد اللّه، وكان حَكَمُ المعتزلى من أصحاب عيسى بن زيد، والروايات بذلك من علماء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ظاهرة، وكتب القاسم ويحيى والناصر والمهدى ـ يعنى أبا عبد اللّه الداعى ـ وأحمد بن عيسى وغيرهم من أئمتهم عليهم السلام مشحونة بذكر العدل والتوحيد.

وروى أنّ أبا الخطاب وجماعة دخلوا على زيد بن على ـ عليهما السلام ـ فسألوه عن مذهبه، فقال: إنّى أبرأ، إلى اللّه من المشبهة

الـذين شـبّهوا اللّه بخلقه، ومن المجبرة الـذين حملوا ذنوبهم على اللّه، ومن المرجئـة الـذين طمَّعوا الفسّـاق فى عفو اللّه، ومن المـارقة الـذين كفّروا أمير المؤمنين، ومن الرافضـة الـذين كفّروا أبا بكر وعمر، وهـذا عين مذهب أهل العدل، وكان إمام هذه الطائفة بعد أمير المؤمنين والحسن والحسـين ومحمد بن على (۱)وعلى بن الحسـين، زيد بن على بن الحسـين عليه السـلام ورحمة اللّه وبركاته وجميع أولاد أمير المؤمنين، إلاّ أنّ زيداً تقدمهم بالفضل والعلم والجهاد فى سبيل اللّه (۲).

هـذا مجمـل القضـاء فى الموضوع وقـد «شـهد شاهـد من أهلها» على ما ذكرنا غير أنّ البرهنـة على المختار، وأنّ ما نسب إلى زيـد من الآراء فإنّما هى أرآء الزيديـة، لا الإمام القائـد ولأجل ذلك، لانجـد أثراً من هـذه الآراء المعزوّة إليه فى الكتب الموروثـة منه. حتى لو وجدنا أنّ أئمة الزيدية لهجوا بها ـ كالقاسم الرسـى ـ رأس القاسـمية (۱۷۰ـ۲۴۲هـ) والناصـر الأطروش ـ رأس الناصرية (۲۳۰ ـ ۳۰۴هـ) مؤسـس المـذهب الزيدى فى بلاد الديلم والجبل، والإمام الهادى إلى الحقّ به رأس الهادوية فى اليمن (۲۴۵ ـ ۲۹۸هـ) لا يكون ذلك دليلاً على ثبوته من إمامهم، لأنّ_____

(۱) يريد محمدبن الحنفية بقرينة تقديمه على والد زيد: على بن الحسين ـ عليهما السلام.ـ

(۲) السياغى: الروض النضير: ۱|۹۹ ـ ۱۰۰.

الأئمة المتأخرين عن زيد، اجتهدوا فى الأُصول والفروع فضـموا ما ورثوه من إمامهم إلى ما حصلوه بمساعيهم فيهما، فلا يسوغ لباحث أن ينسب شـيئاً إلى زيد، بحجة تواجده فى كتب هؤلاء الأئمة المتأخرين. وإن أردت التفصـيل فى الآراء المعزوّة إليه عن كثب فلاحظ ما يلى:

۱ ـ مرتكب الكبيرة :

كـانت الخوارج تصـفه بالكفر والشـرك. والمرجئـة بالإيمان، وكان الحسن البصـرى يصـفه بالنفاق، وذهب واصل إلى أنّه لا كافر ولا مؤمن بل فى منزله بين المنزلتين (۱) .

واسـتظهر الشيخ أبو زهرة أنّ زيداً يوافق المعتزلة فى هذا الرأى غير أنّه لا يراه مخلداً فى النار على خلاف المعتزلة واستظهره من كتاب أوائـل المقالاـت، مع أنّه نسـبه إلى الزيديـة دون زيـد حيث قـال: وأجمعت المعتزلـة وكـثير من الخوارج والزيديـة على خلاـف ذلك وزعموا أنّ مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم (۲)ولا يصح القضاء البات بهذا المقدار.

۲ ـ رأيه فى القدر :

لقـد اسـتنبط أبو زهرة مما ذكره ابن المرتضـى فى المنيـة والأمل خصوصاً من الرسالـة التى كتبها ابن عباس إلى جبريـة أهل الشام، أنّ عقيدة زيد فى القدر، هو أنّه يجمع بين الإيمان بالقضاء والقدر، واعتبار الإنسان مختاراً فى طاعاته ومعاصيه، وأنّ معاصيه ليس قهراً عن اللّه تعالى، ولا غلبة عليه (۳_____).

(۱) لاحظ دليله حول هذا الأصل: الجزء الثالث: ۲۲۵.

(۲) الظاهر أن يقول ولا كافر لينطبق على عقيدة المعتزلة.

(۳) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۰۹.

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره إنّما هو عقيـدة كل آل البيت أخـذوه من مسـتقى الوحى وكلام الوصـى على ـ عليه السـلام ـ وقـد أوضـح الحال عنـدما سأله رجل عند منصـرفه من صـفين بما هو معروف (۱)وقـد اشـتهر عنهم: «لا ـ جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» وزيد وغيره وجميع الشيعة أمام هذا الأصل سواسية.

۳ ـ رأيه فى البداء :

لقد كثر اللغط والجَلَبَة حول البداء فمن طاعن عليه بأنّ معنى قولهم بدا للّه، هو ظهور ما خفى عليه، وهو يستلزم جهله سبحانه بالمستقبل وتغيير إرادته المستلزمة لحدوث ذاته إلى غير ذلك من المضاعفات، ومن قائل بأنّ المقصود من بدا للّه، هو أنّه بدا للناس من اللّه والإطلاق من باب المشاكلة، والنبى الاَكرم هو الاُسوة فى الإطلاق فقد وصفه سبحانه بهذا فى كلامه ونقلها البخارى (۲)وإلاّ فأى مسلم واع يلهج بتجويز الجهل أو تغيير إرادته، فمن المأسوف عليه جداً أنّ الناقمين من الشيعة فى قولهم بالبداء تساهلوا فى بيان عقيدتهم وراجعوا فى تبيين مواقفهم إلى كتاب خصمائهم.

نعم ذكر الشيخ المفيد على أنّ الإمامية اتفقوا على أنّ إطلاق لفظ البداء فى وصف اللّه تعالى وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس وأضاف: وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية(۳).

وما ذكره المفيد إنّما هو عقيدة الزيدية، لا الإمام زيد، ولا ملازمة بين الرأيين والمخالف لو وقف على مقصود الإمامية من البداء لما خالفه وتلقاه أمراً صحيحاً، ولاَجل أنّ الشيخ أبا زهرة وقف على مقاصدهم البداء بعد الاحتكاك بعلمائهم_____

(۱) الرضى: نهج البلاغة: قصار الحكم برقم ۷۸.

(۲) البخارى: الصحيح: ۴|۱۷۱، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع.

(۳) المفيد: أوائل المقالات: ۱۳|۵۳.

(۱۶۸)

وكتبهم صرح بما ذكرناه فلاحظ (۱).

۴ ـ الرجعة والمهدى:

ذهبت الإمامية إلى القول بالرجعة وإنّ اللّه سبحانه يرد قوماً من الاَموات إلى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها فيعزّ منهم فريقاً، ويذلّ فريقاً وقد ذكرنا دليلهم من الكتاب والسنّة فى الجزء السادس من هذه الموسوعة فلاحظ، غير أنّ الشيخ المفيد ذكر مخالفة الزيدية لهذا الاَصل فى كلامه السابق، وجعله الشيخ أبا زهرة دليلاً على كونه معتقد زيد والاَصل الذى نشأ عليه (۲).

والعجب أنّه عطف القول بالمهدى على فكرة الرجعة ونسب إلى الإمام الجليل نفى فكرة المهدى وقال: الإمام زيد قد نفى فكرة المهدى المنتظر، فنفى معها فكرة الرجعة، لاَنّ الرجعة كما تصورها الإمامية ومن قبلهم الكيسانية تقتضى وجود المهدى، وبما أنّ لا مهدى فى نظر الإمام زيد، لاَنّ الإمام يجب أن يكون غير مستور وأن يدعو لنفسه فلا يوجد إمام مكتوم ولا مغيب (۳).

إنّ ما ذكره الشيخ أبو زهرة زلة لاتستقال، فكيف يمكن أنّ يستدل على عقيدة إنسان مثل زيد، بكلمة لم يثبت كونه قائلها، وعلى فرض كونه قائلها فإنّما قال بها فى ظروف خاصة، لا فى الإمام الذى اتفقت الشرائع السماوية عليه، ولاسيما مسانيد السنّة وصحاحها.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والاَخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة المؤكدة على إمامة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والمشيرة صراحة إلى أنّ عددهم كعدد نقباء بنى إسرائيل، وأنّ آخر هؤلاء الاَئمة هو الذى يملاَ_____

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۱۲.

(۲) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۱۲.

(۳) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۱۲.

(۱۶۹)

الاَرض ـ فى عهده ـ عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا، وأنّ أحاديث الإمام الثانى عشر الموسوم بالمهدى المنتظر قد رواها جملة من محدثى السنّة فى صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذى (المتوفى عام ۲۹۷هـ) وأبى داود (المتوفى عام ۲۷۵هـ) وابن ماجة (المتوفى عام ۲۷۵هـ) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحابته، أمثال على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ وعبد اللّه بن عباس، وعبد اللّه بن عمر، وأُم سلمة زوجة الرسول الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله

وسلم، ـ وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة وغيرهم:

١ ـ روى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ لو لم يبق من الدهر إلّا يوم واحد لبعث اللّه رجلًا من أهل بيتى يملَاها عدلًا كما ملئت جورا» (١) .

٢ ـ أخرج أبو داود عن عبد اللّه بن مسعود: أنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى» (٢) .

٣ ـ أخرج أبو داود عن أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ قالت: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» (٣).

٤ ـ أخرج الترمذى عن ابن مسعود: أن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى»(٤).

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التى بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقى: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع_____

(١) مسند أحمد: ١|٩٩ و ٣|١٧، ٧٠.

(٢) جامع الأُصول: ١١|٤٨ برقم ٧٨١٠.

(٣) جامع الأُصول: ١١|٤٨ برقم ٧٨١٢.

(٤) المصدر نفسه: برقم ٧٨١٠.

على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح (١).

٥ ـ لا معجزة للأئمة :

إذا كانت الإمامة رئاسة عامّة فى أُمور الدين والدنيا، وإمرة إلهية (لاشعبية) واستمراراً لوظائف النبوة كلّها، سوى تحمل الوحى الإلهى، ومحتاجاً إلى تنصيب النبى الأكرم بأمر من اللّه سبحانه، فالتعرف على الإمام المنصوب، يتوقف على دليل يعرفه كالنبى الأعظم، وهو أحد الأُمور التالية:

١ ـ نص صريح متواتر لايدع شكاً للإنسان أنّه خليفة الرسول.

٢ ـ أو كرامة خارقة للعادة مقارنة لدعوى الإمامة والخلافة عن الرسول مورثة لليقين بصلته باللّه سبحانه.

٣ ـ أو وجود قرائن وشواهد تفيد القطع أنّه منصوب من اللّه سبحانه لهداية الأُمّة.

نعم لو كانت الإمامة مقاماً شعبياً، تختاره الأُمّة الإسلامية لقيادتها وتنظيم أمرها. فهو لا يحتاج إلى شىء من النص، والكرامة الخارقة للعادة، ولا إلى العلم المفاض من اللّه سبحانه.

وبما أنّ الإمامة عند الشيعة إنّما هى بالمعنى، الأوّل، وهى عندهم من الأُصول اشترطوا فيها: النص، والعلم بما تحتاج إليه الأُمّة فى مجال الدين والقيادة، أو الكرامة الخارقة للعادة المورثة لليقين بكونه رجلًا إلهياً صادقاً فيما يدعى من الخلافة والإمامة. وهذا على خلاف ما يذهب إليه أهل السنّة فإنّها عندهم حكومة عرفية، وإمارة زمنية، يُنصب ويعزل بأمر الشعب وإرادته وعزله ونصبه. أو يُنصب بإرادة الحاكم السابق_____.

(١) الدكتور عبد الباقى: بين يدى الساعة ١٢٣.

غير أنّ أبا زهرة زعم أنّ الإمام زيد لا يرتضى شيئاً من هذا وذلك لأنّه يرى أنّ الإمام من بنى فاطمة رجل ككل الناس ليس بمعصوم عن الخطأ وليس علمه فيضاً ولو إشراقاً، بل علمه بالدرس والبحث ويُخطئ ويصيب كغيره من الناس ومادام كذلك فإنّه لا يحتاج إلى

خارق العادات (١).

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره إنّما هو عقيدة أئمة الزيدية الذين جاءوا إلى الساحة، شاهرين سيوفهم. فقاموا بالأمر فى اليمن وغيره ولولاه لما استقرت إمامتهم، ـ بعد كونهم أفراداً عاديين ـ وأمّا كونه معتقد زيد فلم يقم عليه دليل، مع كونه معتقداً بإمامة الإمام على والسبطين وأبيه وأخيه ـ عليهم السلام ـ بالنص، وهو واضح لمن تتبع شوارد النصوص.

أضف إلى ذلك أنّ ظهور الكرامات على الأولياء والأبرار مما جوّزه أكثر الفرق وإنّما خالف فيه المعتزلة بشبهة أنّه تبطل دلالة المعجزة على النبوة. لكن جوزه من المعتزلة ابن الأخشيد، وأبو الحسين البصرى وكذا محقّقو الأشعرية كالجوينى والغزالى وفخر الدين الرازى وغيرهم، وأمّا الزيدية فالمذكور فى كلام الشيخ المفيد، أنّهم يوافقون المعتزلة فى نفى صدورها لكن فى كلام المتأخرين منهم ما يدلّ على العكس، فقد نقل العلاّمة الشيخ فضل الزنجانى فى تعليقته على أوائل المقالات عن الإمام أبى الحسين يحيى بن حمزة بن على الحسينى الذى كان من أفاضل الزيدية ومن القائمين بالأمر باليمن (٢)فى كتابه الكبير المسمّى بالشامل إلى ذهاب الزيدية إلى جواز ظهورها (٣).

وياحبذا راجع أبا زهرة الكتب الفلسفية كالإشارات والشفاء للشيخ_____

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: وكان عليه أن يلاحظ أوائل المقالات: ٤١، ٤٢ كما لاحظ سائر الموارد.

(٢) ولد بصنعاء سنة ٦٦٩ وتوفّى عام ٧٤٧ وكانت مدّة خلافته ٥١ سنة.

(٣) الزنجانى(١٣٠١ ـ ١٣٦٠): تعليقة أوائل المقالات: ٤١، طبعة تبريز.

الرئيس (١)، حتى يقف على أنّ صدور الكرامات من الأولياء ليس أمراً معضلاً، بل الأُصول العقلية توَيده والكتاب والسنّة يوافقانه.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

إنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، من الأُصول المسلّمة لدى المسلمين عامّة من غير فرق بين الفرق: المعتزلة والأشاعرة والإمامية. قال القاضى عبد الجبار: «لا ـ خلاف بين الأُمّة فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» (٢) .قال الشيخ المفيد: «إنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان فرض على الكفاية بشرط الحاجة إليه لقيام الحجّة على من لاعلم لديه إلاّ بذكره...» (٣).

وهو مشروط بشروط مذكورة فى كتب القوم، غير أنّ الشيخ أبا زهرة زعم أنّ الأصل المذكور، لايجتمع مع القول بالتقية، وزعم أنّ أبا الشهداء وحفيده زيد الثائر أخذا بالأصل الأوّل، وأمّا أباه أعنى: على زين العابدين رأى من الحكمة ألاّ يخرج إلاّ مع العدد والقوة، ولأنّ تلك الحوادث (حوادث كربلاء) جعلته يشك فى وجود النصراء الأقوياء فى اعتقادهم، فانصرف إلى العلم غير راض ولامطمئن للباطل.

ـ ثم قال: ـ ومن هنا تولد عند الشيعة مبدأ التقية وهى السكوت عن مقاومة الباطل من غير رضا به ـ إلى أن قال: ـ إنّ زيداً آمن بالأصل الأوّل وروى إنّه رخص فى التقية لكنه كان فى أوّل حياته وفى وقت انصرافه للدراسة كان يأخذ بمبدأ التقية، لكنّه بعد أن درس الفرق المختلفة والتقى بأهل العراق غلب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٤_____).

(١) أبو على: الإشارات: ٣|٤٩٧.

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأُصول الخمسة: ٧٤١.

(٣) المفيد: أوائل المقالات: ٩٨.

(٤) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢١٥ ـ ٢١٧.

يلاحظ عليه: أنّ هذا أشبه بكلام من لا يعرف موضع الأصلين ومركزهما (وأُجلّ الشيخ أبا زهرة من أن يكون من تلك الزمرة) ويزعم

أنّ بين الأَصلين مطاردة، وأنّ الزعيم الإسلامى إمّا أن يختار الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو يلتجىء إلى التقية، وأنت إذا راجعت إلى ما أسلفناه فى الجزء الثالث حول الأَصل الأوّل وفى الجزء السادس حول التقية لعرفت أنّ الأَصلين من الأُصول الإسلامية المتقنة ولكل موردٍ وموقف حسب شروطهما وضوابطهما، فلو أنّ أبا الشهداء وحفيده زيد بن على قاما بالأَمر وأمرا بالمعروف والنهى عن المنكر لأَجل ظروف فرضته عليهما، ولو كانت تلك الشروط مهيأة فى زمن ابنه زين العابدين وأخيه محمد بن الحنفية لقاما مثل ما قاما، فلو نرى أنّ الأَخيرين التزما البيت وصارا جليسيه فلظروف فُرضت عليهما، ولعمر الحقّ أنّ مثل هذا الكلام من شيخ المصريين غريب جداً إذ كيف يقول: «ومن هنا ـ أى قعود الإمام السجاد ومحمد الحنفية عن الأَمر بالمعروف ـ تولد عند الشيعة مبدأ التقية؟! أو ما يذكر قول اللّه سبحانه": إلاّ ـ أن تَتَّقُوا مِنهُم تُقاة ("آل عمران ـ ٢٨) أو قوله سبحانه": مَن كَفَرَ بِاللّه مِن بعدِ إيمانِهِ إلاّ مَنْ أُكرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ ("النحل ـ ٢٨) .

أو ما قرأ كلمات المفسرين حولهما حتى عمّموا مفادهما إلى اتقاء المسلم من المسلم الظالم؟ والحقّ أنّ الشيخ أبا زهرة مع كونه كاتباً ذا صدر رحب وإطلاع وسيع وقلم سيّال، لكنه يخرج الظنون بصورة الأُمور الواضحة القطعية ويضفى على حدسيّاته صبغة الجزم.

٧ ـ الصفات ليست غير الذات :

ذهبت العدلية ـ من غير فرق بين المعتزلة والإمامية والزيدية ـ إلى أنّ صفات اللّه الذاتية كالعلم والقدرة والحياة غير ذاته مفهوماً، وعينها مصداقاً، دفعاً لوصمة التركيب، الملازم للإمكان، المنزّه عنه سبحانه، قال الشيخ المفيد: «إنّ اللّه

عزّ وجلّ اسمه حى لنفسه لا بحياة وأنّه قادر لنفسه، وعالم لنفسه، لا بمعنى كما ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات ـ إلى أن قال: ـ وهذا مذهب الإمامية كافة والمعتزلة إلاّ من سميناه (أبا هاشم الجبائى) وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والحكمة (١).

وقد تبع هؤلاء خطب الإمام على ـ عليه السلام ـ وكلماته، فإنّه أوّل من شقّ هذا الطريق، وأوضح المنهج، وحكم بحكم بات على توحيد الصفات مع الذات. قال: «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه» (٢).

والعجب أنّ الشيخ أبا زهرة نسب عينية الصفات إلى زيد وصوّره أنّه من آرائه، والحقّ أنّه من أرائه، لكنه لابمعنى أنّه ذو منهج كلامى بل كل ما نسب إليه لا يخلو من أمرين: إمّا أنّه ليس من زيد وإنّما هو من أتباعه ومقتفى أثره، أو هو من زيد ولكنه أخذه من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام.ـ

فقد حصحص الحقّ وبان أنّ زيداً لم يكن مفكراً كلامياً غارقاً فى البحوث الكلامية نظير واصل بن عطاء، أو عمرو بن عبيد أو أبى جعفر مؤمن الطاق وهشام بن الحكم، بل كان زيد رجلاً ثورياً له صلة بتفسير القرآن وجمع الروايات وعظة الناس وهدايتهم إلى الطريق المهيع.

ثم إنّ الشيخ أبا زهرة استخرج عقائده الكلامية ـ حسب ما عرفت ـ من_____

(١) المفيد: أوائل المقالات: ١٨.

(٢) الرضى: نهج البلاغة: الخطبة ١.

أسباب عقيمة غير منتجة وبما أنّه أشار إليها فى آخر كلامه نأتى بنصه، ثم بملاحظتنا، يقول:

«حاولت استخراج عقائده الكلامية من الأُمور التالية:

۱ ـ أن يكون ذلك رأياً لواصل بن عطاء الـذى صاحبه، وقدّر علماء النحل أنّه اختار منهاجه وطريقه، أو كان كلاهما على منهاج واحد ورأى واحـد، فـاعتبر كل كلام لواصل فى هـذه المسائل آراء للإمام زيـد إلّا ما ثبت أنّه لم يقله، أو لم يكن من المعقول أن يكون قد قاله، كقول واصل: إنّ علياً فى قتال معاوية لم يكن على حقّ بيقين، فليس ذلك نظر أهل البيت بالاتفاق.

۲ ـ إنّ ما ينسب إلى الزيدية من أقوال ونراه فى ذاته معقولاً وقريباً من منطق الإمام زيد وتفكيره فإنّا نقرر أنّه رأى زيد ـ رضـى اللّه عنه ـ لأنّ الزيدية إذا استثنينا الجارودية منهم، يتلاقون فى أكثر آرائهم مع الإمام زيد، فهم له فى الجملة متبعون.

۳ ـ إنّ مـا يقوله بعض المتصـلين به أو الـذين ثبت اتصالهم به نعتبره إذا اتفق ما يقوله الزيديـة أو ينسب مزكياً لنسـبة تلك الأقوال إليه (۱).

يلاحـظ عليه: أنّ القياس الأوّل عقيم جـداً إذ لا نعلم مـدى تعاطف زيـد مع واصل وزمالته معه، حتى نتخـذ عقيـدة الجليس دليلاً على عقيدة الجليس الآخر.

وأضـعف منه الطريق الثـانى فإنّ الزيديـة كسائر الفرق، مارسوا علم الكلام وحضـروا محافل البحث والنقاش ثم أتّخـذوا موقفاً فى كل مسألة، وكيف يمكن أن ينسب وليد فكر هؤلاء لزيد المحدِّث المفسِّر غير المهتّم إلا بإنهاض المسلمين ضد الطغاة وإزالتهم عن منصّة الحكم واستغلال الصلحاء بالحكم؟!.

ومنه يظهر حال الطريق الثالث فلا نطيل الكلام_____.

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۲۲ ـ ۲۲۴.

كل ما ذكرنا يرجع إلى زيـد، وأمّا الزيديـة فلهم عنـدنا حساب خاص سوف نرجع إلى إرائهم وعقائـدهم فى مجال الأُصول والفقه فى فصل مستقل.

زلة بعدها زلة :

قـد عرفت مـدى صـحّة كلام الشـيخ أبو زهرة فى نسـبه هـذه الآراء إلى زيـد وقـد تبعه من جاء بعـده، من دون ترو وتحقيق، فنرى أنّ الـدكتور «أحمـد محمود صبحى» يتبعه عشوائيـاً وينسب تلـك الآـراء إلى زيـد حرفاً بحرف، فنسب إليه إنكار القول بالبـداء، والتقيـة، والعصـمة، والعلم اللـدنى، والمهدويـة، وذكر أنّ آراء زيـد فى ذلك المجال متعارضة وآراء الإماميّة وذكر أنّ مصدر كلامه هو كتاب «نشأة الفكر الفلسـفى فى الإسـلام» للدكتور على سامى النشار، وأظن أنّه ذكره بعنوان أحد المصادر، وإلّا فالمصدر الواقعى لكلامه هو كتاب أبى زهرة ووحدة الصـياغة تعرب عن عيلولتهما على الشـيخ وعلى كل تقدير فقد خبطوا خبطة عشواء وبذلك أفسدوا الأمر على المجتمع الإسـلامى وصوروا أنّ الإمـام زيـد كـان يخـالف الرأى العام لسائر الأئمـة الاثنى عشـر، ولعله كان هـذا هو المقصـد من إلقاء الحجر فى الماء الراكد. وإيجاد الفرقة أو توسيعها بين الطائفتين.

* * *

قـد أسـفر وجه الحقيقـة وبـان أنّ زيـداً كان علوىّ المبـدأ والفكرة، ولم يكن له فى الأُصول والعقائـد سوى ما عنـد العترة الطاهرة بقى الكلام من كونه صاحب مذهب فقهى خاص، على أساس منهج معين وهذا هو الذى نأخذه بالبحث.

هل كان لزيد مذهب فقهى خاص ؟

هل كان لزيد مذهب فقهى خاص كسائر المذاهب الفقهية الذائعة فى عصره وبعده؟

وهل كان لزيد منهاج خاص يسير عليه فى استنباطه وافتائه؟

وهل الأئمـة الزيديـة ـ وأخص بالـذكر أئمة الاجتهاد منهم ـ مشوا على ضوء آرائه ولم يخالفوه، والفقه الزيدى الموجود، تبسيط لفقهه

ورأيه؟

هذه موضوعات ثلاثة جديرة بالبحث والدراسة على ضوء ما ورثناه من زيد من الكتب، والفقه الزيدى الرائج اليوم.

فلنشرح الموضوع الاَوّل فنقول:

كان زيد رجلًا عابداً زاهداً، حليف القرآن والعبادة، وتعلّم ما تعلم فى أحضان والده وأخيه الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ وروى عن عدّة من التابعين، ولم يكن موطنه يوم ذاك، مهداً لمذهب فقهى خاص يتميز بسماته عن المذاهب الاُخر حتى يكون الإمام أحدهم، ويكون له مذهب متمايز عن الآخرين، وأقصى ما كان يتمتع به التابعون والراوون عنهم، هو الإفتاء فى ضوء الروايات الواصلة إليهم، وتجريدها عن الاسناد، أو استثمار الضوابط التى تلقوها عن الرسول الاَعظم واستخراج أحكام الجزئيات منها أو التخريج على أقوال الصحابة وغيره، وأين هذا من كونه إمام مذهب خاص له سمات وميزات، تميزه عن سائر المذاهب الفقهية، كما هو الحال فى المذاهب المعروفة ولاسيما المذاهب الاَربعة؟ هذا حال زيد فى موطنه، وأمّا حاله فى غيره، فقد غادر المدينة كراراً، ونزل الشام والكوفة، إمّا بالجبر والاضطرار، أو بالحرية والاختيار، ولم تكن الغاية له فى تلك الرحلات إلّا إجابة الجبر، أو دعم المبدأ وإنهاض المسلمين ضد الاَمويين وبالتالى، دعم الجهاد

(۱۷۸)

والنضال المسلح، وأين هذا من الاختلاف فى أندية الدروس، ومحافل البحث والدراسة، لاستثمار ما تلقاه وصبغه بصبغة خاصة تعطى له سمة وميزة؟!

وهذا ما يعطيه الإمعان فى حياته، والغور فى الآثار الباقية منه وأقصى ما يمكن أن يقال: إنّه كان يفتى عند السوَال، بمضمون الرواية، أو ببسط الضوابط الكلية.

وبذلك يعلم حال السوَال الثانى، فإنّ المراد من المنهاج الخاص، هو القواعد الكلية الاُصولية التى منها يستمد الفقه، وبها ينصبغ، فالفقه المستمد من القياس والاستحسان غير الفقه المستنبط من الكتاب والسنّة والوقوف فيما لا نص فيه، ومن المعلوم أنّه لم يكن لزيد ذلك المنهاج ولو كان لبان فى آثاره العلمية، أو نقله طلابه وملازموه كما هو الحال فى أبى حنيفة، فقد انعكست آراوَه على فقه تلاميذه كالشيبانى وأبى يوسف وغيرهما.

وأمّا الموضوع الثالث فالإجابة عنه سهلة، بعد الوقوف على اعتبار الاجتهاد المطلق عند الزيدية فقد فتحوا ـ كالإمامية ـ بابَ الاجتهاد المطلق فى الفروع والاُصول فخالفوا زيداً فى قسم من الفروع، وركنوا إلى اُصول لم يعلم الركون به من إمامهم.

وإن شئت قلت: هناك فرق بين اجتهاد الاَحناف، والشوافع واجتهاد أئمة الزيدية فالطائفة الاُولى كانوا مجتهدين لكن مقيدين بأُصول إمامهم ومناهجه. وكانوا يبذلون مساعيهم لاستكشاف آراء إمامهم فى ضوء الاُصول الواصلة إليهم منه. وأمّا أئمة الزيدية، فلاَجل فتح باب الاجتهاد المطلق صاروا مجتهدين مستقلين ربما وافقوا إمامهم، وأحياناً خالفوه ولذلك ترى بعداً شاسعاً بين المجموع الفقهى المنقول عن الإمام زيد وكتاب الاَحكام للإمام الهادى المطبوع المنتشر فى جزئين، ومثله الروض النضير فالموَلف وإن كان زيدياً، لكن كتابه هذا،

(۱۷۹)

أُلّف على ضوء الاجتهاد المطلق، فيستهدى من روايات الصحاح والمسانيد والقواعد الدارجة بين المذاهب الاَربعة التى رفضها أئمة أهل البيت أوّلاً ولم يثبت حجيتها عند الإمام زيد ثانياً.

يقول أبو زهرة: « ويجب أن يعلم أنّ الفقه الزيدى ليس كله فقه الإمام زيد، بل هو فقه طائفة كبيرة من آل البيت كالهادى والناصر وغيرهم ممن جاءوا بعده وخصوصاً أنّ باب الاجتهاد فيه كان مفتوحاً لم يغلق (۱).

ويقول فى موضع آخر فى سبب انتشار المذهب الزيدى وأنّ من أسبابه: «فتح باب الاختيار من المذاهب الاُخرى فقد صار هذا

المذهب بهذا الاختيار حديقة غنّاء تلتقى فيها أشكال الفقه الإسلامى المختلفة، وأغراسه المتبائنة وجناه المختلف الألوان والطعوم، وإن كان ذلك نتيجة لفتح باب الاجتهاد فيه، فقد اختاروا باجتهادهم من المذاهب الأُخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أُصوله، وأُصوله متحدة أو على الأقل متقاربة مع جملة الأُصول التى قررها فقهاء المسلمين» (۲) .

والحقيقة هى: أنّ المذهب الفقهى المعروف بالمذهب الزيدى فى اليمن، نسبةً إلى الإمام زيد أو المذهب الهادوى كما يروق للبعض اليوم أن يسميه وينسبه إلى الإمام الهادى يحيى بن الحسين ولا فارق بين الإمامين إلاّ فى مسائل يسيرة جداً، نتيجة الاجتهاد المفتوح بابه فى المذهب الزيدى حتى اليوم وإلى الأبد إن شاء اللّه ـ هذا المذهب لم يكن مذهب إمام معين، ولكنّه خلاصة أبحاث عميقة، ودراسات واسعة مختلفة فى كل مجالات الفقه الإسلامى العظيم، وجهود مضنية استمرت فى البحث والتنقيب والتصفية أكثر من سبعة قرون، وقام بتلك الأبحاث_____

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۳۳۱.

(۲) أبو زهرة: الإمام زيد: ۴۸۸.

(۱۸۰)

والدراسات أئمة أعلام من أهل البيت النبوى الشريف ومن تابعهم من الفقهاء المجتهدين، معتمدين فى كل ذلك على المحكم من كتاب اللّه، والصحيح من سنّة رسول اللّه، وعلى القياس، والإجماع، وأحياناً على الاستصحاب، والاستحسان، والمناسب المرسل ـ المصالح المرسلة ـ وهى التى تتفق مع المقاصد الشرعية فيما لا يوجد له نص فى الكتاب أو السنّة إثباتاً أو نفياً كما سيأتى فى موضعه إن شاء اللّه. وبسبب ذلك تصارع الأئمة وأتباعهم أزماناً عديدة مع دسائس الملحدين وأفكار المندسين، كما تعاركوا مع جبابرة الأهواء السياسية والأحقاد العنصرية، جاعلين الاخلاص رائدهم، والحقّ مقصدهم، ورضوان اللّه غايتهم (۱) .

ولعل حقيقة الحال تعلم من دراسة ما بقى منه من الآثار وأخص بالذكر ما طبعت وانتشرت منها فإنها مرآة ضمير الرجل، والمرء بآرائه وأفكاره_____.

(۱) على بن عبد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ۱۴.

الفصل التاسع هل دعا إلى نفسه

الفصل التاسع هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة

إنّ هناك فرقاً واضحاً بين إمام الثورة والجهاد ـ الذى يقابل الظالمين والغاصبين بالطرد والقتل، ويُعبِّدَ الطريق لصلحاء الأُمّة فى المستقبل حتى يتفكروا فى أمرهم بعد قمع الظالمين ـ والإمام الذى فرضتْ طاعته من قَبل إمّا بتنصيص من اللّه ورسوله أو بإتفاق من أهل الحل والعقد أو ما أشبه ذلك. وزيد الثائر لم يكن من قبيل الثانى، وإنّما كان إمام الثورة والجهاد. قام بأخذ الثأر والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة العدل، وإزاحة الظلم وتدمير عرش الأمويين، فهو بهذا المعنى كان إماماً لا شك فيه، وقد أطبقت الزيدية والإمامية على كونه إماماً بهذا المعنى ومن نسب غير ذلك إلى الإمامية فهو باهت كاذب إنّما الكلام فى كونه الإمام المنصوص عليه بلسان النبى الأكرم وأوصيائه فلم يكن زيد إماماً بهذا المعنى ولا إماماً مختاراً من قبل الأُمّة ولا ادّعاه هو ولا أحد من أتباعه ومقتفيه، والذى يوضح ذلك ما نص عليه الشيخ المفيد وهو من متكلمى الشيعة فى القرن الرابع. روى تلميذه المرتضى:

قال: حضر المفيد مسجد الكوفة، فاجتمع إليه أكثر من خمسمائة فقال له

(۱۸۲)

رجل من الزيدية ـ أراد الفتنة ـ بأى شىء استجزت إنكار إمامة زيد؟ فقال: ظننت علىّ باطلاً وقولى فى زيد لا يخالفنى فيه أحد من الزيدية. فقال: وما مذهبك فيه؟ قال: إنّى أُثبت من إمامة زيد ما تثبته، وأُنفى ما تنفيه وأقول كان إماماً فى العلم والزهد والأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر وأنفى عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنصّ والمعجزة، وهذا ما لا يخالفنى عليه أحد من الزيدية، فلم يتمالك من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له وبطلت حيلة الرجل (۱).

ولعل الجوّ السائد على مجلس المناظرة ـ كما يظهر من كلام تلميذه الجليل السيد المرتضى ـ لم يسمح للشيخ المفيد، أن ينفى حتى الشق الثانى وهو كونه إماماً مفترضة طاعته باختيار الأُمّة.

نعم تضافرت الروايات على بيعة جماعة كثيرة معه لكن متعلق البيعة، هو الجهاد والنضال، وكونه أميره ورائده لا على الإمامة بعد النجاح واكتساح الأَشواك.

نعم أنّ الطائفة الزيدية المتشكلة بعد رحيل الإمام الثائر زعموا أنّه ادّعى الإمامة لنفسه وكان الجهاد، لرفع الموانع عن طريق إمامته وحاكميته وقد اغترّوا بظواهر الأَمر، ولم يتدبروا فى القرائن الحافة به.

وبذلك الزعم ـ صارت الإمامة عند الإمامية غيرها عند الزيدية وذلك:

إنّ مفهوم الإمامة لدى الشيعة الإمامية غيرها لدى الزيدية، فالطائفة الأُولى تشترط فى الإمام النص والعصمة والمعجزة وكونه أعلم الأُمّة وأفضلها سواء أقام بالسيف أم لا، وإنّما يتبع فى القيام والجهاد مصالح الأُمّة الإسلامية فهى بين ما يفرض عليه القيام والجهاد أو يفرض عليه إرشاد الأُمّة عن طريق آخر_____.

(۱) المرتضى: الفصول المختارة: ۲۷۷.

وهذا بخلاف الإمامة لدى الزيدية فلايشترط فيها ما ذكرنا، قال الشيخ المفيد: الإمامة عَلَم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها فى كل زمان، وأوجب النصَّ الجلى والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة فى ولد الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ وساقها إلى الرضا على بن موسى الرضا.

وأمّا الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، والحسن والحسين وزيد بن على ـ عليهم السلام، ـ وبإمامة كل فاطمى دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد (۱) .

وقال ابن المرتضى: «فالزيدية منسوبة إلى زيد بن على ـ عليه السلام ـ يجمع مذهبهم تفضيل على ـ عليه السلام ـ وأولويته بالإمامة وقصرها فى البطنين، واستحقاقها بالفضل والطلب لا بالوراثة ووجوب الخروج على الجائرين (۲).

والذى يعرب عن موقفه فى الإمامة ما جاء فى خطبه وفيها هذه الجمل التالية:

كلمات لزيد تعرب عن موقفه:

۱ ـ الحمد للّه الذى أكمل لى دينى بعد أن كنتُ استحيى من رسول اللّه أن أرِدَ عليه ولم آمر أُمّته بمعروف ولم أنه عن منكر(۳)

۲ ـ واعلموا أنّه ماترك قوم الجهادَ قط إلاّ حُقِّروا وذلّوا(۴_____)

(۱) المفيد: أوائل المقالات: ۸.

(۲) ابن المرتضى: البحر الزخار: ۱|۴۰ وسيوافيك تفصيل عقيدتهم فى الإمامة فانتظر.

(۳) السياغى: الروض النضير: ۱|۱۰۲.

(۴) المصدر نفسه.

۳ ـ أيّها الناس أعينونى على أنباط الشام فواللّه لايعيننى عليهم منكم أحد إلاّ رجوت أن يأتينى يوم القيامة آمنا... (۱).

ولأجل ذلك تضافرت الروايات من طرقنا على أنّ زيداً ما دعا إلى نفسه وإنّما دعا إلى الرضا من آل محمّد، وأنّه لو ظفر لوفى، ومعنى هذه الروايات أنّه كان يمهّد الطريق لولاية الإمام المنصوص عليه فى لسان النبى والأَئمة الصادقين، وإليك بعض النصوص:

۱ ـ قال الصادق ـ عليه السلام: ـ إنّ زيداً كان موَمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك عرف كيف يضعها(۲).

۲ ـ وقال ـ عليه السلام: ـ إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه (۳).

۳ ـ وقال الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ فى جواب سوَال المأمون عن ادّعاء زيد ما لم يكن له بحق:

إنّ زيد بن على لم يدعُ ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أتقى للّه من ذلك أنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدعى أنّ اللّه نصَّ عليه ثم يدعو إلى غير دين اللّه ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد بن على واللّه ممن خوطب بهذه الآية! "وجَاهِدُوا فِى اللّهِ حقّ جِهادِه ("۴).

إنّ الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ نصَّ على موقف زيد من الإمامة وهو أنّه كان_____

(۱) المصدر نفسه: ۱|۱۲۷ ـ ۱۲۸، والأنباط: أخلاط الناس وعوامهم.

(۲) الكلينى: الكافى: الروضة الحديث ۳۸۱.

(۳) الكشى: الرجال: ترجمة السيد إسماعيل الحميرى: برقم ۱۴۴ ص ۲۴۲.

(۴) عيون أخبار الرضا، الباب ۲۵، ص ۲۴۹. وسيوافيك تفصيل المذاكرة بينهما ص ۱۹۹ فلاحظ.

(۱۸۵)

إمام الجهاد وقد جسّد قوله سبحانه: «وجاهدوا فى اللّه حقّ جهاده» (۱)وأين هو من الإمامة المنصوص عليها من جانب اللّه بلسان نبيه وأوصيائه السابقين أو الإمام المختار من جانب الأُمّة. ولو كان زيد يتظاهر بالإمامة فإنّما كان لغاية كسح الأشواك عن طريقها ثم تسليم الأمر إلى الإمام المنصوص.

إنّ هناك نكتة اجتماعية وهى أنّ زيداً قام موطّناً نفسه على الشهادة، ومستميتاً متيقناً بأنّه سوف يقتل ويستشهد، وقد سمع من أبيه وأخيه وابن أخيه أنّه سوف يقتل ويصلب فى الكناسة، وأنّه لم يكن شاكاً ولامتردداً فى هذا الأمر ومن كان هذا مآله ومستقبله فهل يمكن أن يدّعى الإمامة بالمعنى المعروف بين المتكلمين أى قيادة الأُمّة فى جوانب شتى إلى الصلاح والفلاح، فإنّ القيام بهذا الواجب فرع الحياة وهو كان على الطرف الخلاف من هذا، فلم يبق إلّا أن يكون أميراً فى الجهاد قائداً فى النضال، وإن قصرت حياته، وقلّ بقاوَه.

اعترافه بإمامة الإمام الصادق ـ عليه السلام :ـ

۱ ـ إنّ زيداً كان معترفاً بإمامة ابن أخيه جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ بلا كلام، وكان يقول: من أراد الجهاد فإلىّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخى جعفر (۲).

۲ ـ روى الصدوق فى الأمالى: عن عمرو بن خالد: قال زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب: فى كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج اللّه به على خلقه، حجّة زماننا ابن أخى جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدى من خالفه(۳_____).

(۱) سيأتى نصّ الإمام: فى ص ۱۹۹ ـ ۲۰۰ فى ضمن الرواية الثالثة عشرة.

(۲) الخزاز القمى: كفاية الأثر: ص ۳۰۲.

(۳) الصدوق: الأمالى: ۵۴۲ بحار الأنوار: ۴۶|۱۷۳.

(۱۸۶)

۳ ـ روى الكشى عن عمار الساباطى، قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن على، قال: فقال له رجل ونحن وقوف فى ناحية وزيد واقف فى ناحية: ماتقول فى زيد أهو خير من جعفر؟ قال سليمان: قلت واللّه ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، فحرّك رأسه وأتى

زيداً وقصّ عليه القصة فمضيت فانتهيت إلى زيد وهو يقول: جعفر إمامنا فى الحلال والحرام (۱).

۴ ـ إنّ يحيى بن زيد سأل أباه عن الاَئمة، فقال: الاَئمة اثنا عشر، أربعة من الماضين وثمانية من الباقين فقلت: فسمّهم يا أبة. فقال: أمّا الماضون فعلى بن أبى طالب والحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومن الباقين أخى الباقر وبعده جعفر الصادق ابنه، وبعده موسى ابنه، وبعده على ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده على ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده المهدى ابنه، فقلت له يا أبة: ألست منهم؟

قال: لا، ولكنّى من العترة، فقلت: فمن أين عرفت أساميهم؟ قال: عهد معهود عهده إلينا رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم(ـ ۲)

۵ ـ روى محمد بن مسلم: دخلت على زيد بن على وقلت: إنّ قوماً يزعمون أنّك صاحب هذا الاَمر، قال: لا ولكنّى من العترة، قلت: فلمن يكون هذا الاَمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء المهدى منهم.

قال محمد بن مسلم: دخلت على الباقر محمد بن على ـ عليهما السلام، ـ فأخبرته بذلك فقال: صدق أخى زيد، سبيل هذا الاَمر بعدى سبعة من الاَوصياء والمهدى منهم، ثم بكى ـ عليه السلام ـ وقال: وكأنّى به وقد صُلِب فى الكناسة. يابن مسلم حدّثنى أبى عن أبيه الحسين: قال: وضع رسول اللّه يده على كتفى، قال_____:

(۱) الكشى: الرجال: ترجمة سليمان بن خالد برقم: ۲۰۵ ص۳۰۸.

(۲) الخزاز: كفاية الاَثر: ۳۰۰ وسيوافيك تذييل الخزاز بعد هذا الحديث، ورواياتها مسانيد، لا مراسيل اقتصرنا على نقل المتون روماً للاختصار.

ياحسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يُقتل مظلوماً إذا كان يوم القيامة حشر أصحابه إلى الجنة (۱).

۶ ـ روى الخزاز عن عبد العلاء ... قلت: فأنت صاحب الاَمر؟ قال: لا ـ ولكنّى من العترة، قلت: فإلى من تأمرنا؟ قال: عليك بصاحب الشعر وأشار إلى الصادق ـ عليه السلام ـ (۲).

۷ ـ روى الخزاز قال: عن المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان، فما رأيت رجلاً فى عقله وفضله، فسألته عن أبيه ـ عليه السلام ـ فقال: إنّه قتل وصلب بالكناسة ثم بكى وبكيت حتى غشى عليه. فلما سكن قلت له: يا ابن رسول اللّه وما الذى أخرجه إلى قتال هذا الطاغى وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت أبى ـ عليه السلام ـ يحدّث عن أبيه الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ قال: وضع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يده على صلبى فقال: ياحسين يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد يقتل شهيداً إذا كان يوم القيامة يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنّة، فأحببت أن أكون كما وصفنى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

ثم قال: رحم اللّه أبى زيداً، كان واللّه أحد المتعبّدين، قائم ليله، صائم نهاره يجاهد فى سبيل اللّه عزّ وجلّ حقّ جهاده. فقلت: يا ابن رسول اللّه هكذا يكون الاِمام بهذه الصفة. فقال: يا أبا عبد اللّه إنّ أبى لم يكن بإمام ولكن كان من سادات الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين فى سبيل اللّه، وقد جاء عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيمن ادّعى الاِمامة كاذباً، فقال: مه يا أبا عبد اللّه إنّ أبى ـ عليه السلام ـ كان أعقل من أن يدّعى ما ليس له بحقّ وإنّما قال: «أدعوكم إلى الرضا_____

(۱) الخزاز: كفاية الاَثر: ۳۰۶.

(۲) الخزاز: كفاية الاَثر: ۳۰۷.

من آل محمد» عنى بذلك عمّى جعفر. قلت: فهو اليوم صاحب هذا الاَمر؟ قال: نعم هو أفقه بنى هاشم.

ثم قال: يا أبا عبد اللّه إنّى أُخبرك عن أبى ـ عليه السلام ـ وزهده وعبادته، إنّه كان يصلّى فى نهاره ما شاء اللّه، فإذا جنّ عليه الليل نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلّى فى جوف الليل ما شاء اللّه، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو اللّه تبارك وتعالى ويتضرّع له ويبكى

بدموع جاریة حتی یطلع الفجر. فإذا طلع الفجر سجد سجدة. ثم یقوم یصلی الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد فی التعقیب إلی أن یتعالی النهار، ثم یقوم فی حاجته ساعة، فإذا قرب الزوال قعد فی مصلاه فسبح اللّه تعالی ومجّده إلی وقت الصلاة، فإذا حان وقت الصلاة قام فصلی الاُولی وجلس هنیئة وصلی العصر وقعد تعقیبه ساعة، ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلی العشاء والعتمة. قلت: کان یصوم دهره؟ قال: لا ولکنه کان یصوم فی السنة ثلاثة أشهر ویصوم فی الشهر ثلاثة أیام. قلت: فکان یفتی الناس فی معالم دینهم؟ قال: ما أذکر ذلک عنه. ثم أخرج إلیّ صحیفة کاملة فیها أدعیة علی بن الحسین _ علیهما السلام (_ ۱)

۸ ـ روی الخزاز فی حدیث طویل عن محمد بن بکیر قال: دخلت علی زید بن علی وعنده صالح بن بشر فسلمت علیه وهو یرید الخروج إلی العراق فقلت له: یا بن رسول اللّه... هل عهد إلیکم رسول اللّه _ صلی الله علیه وآله وسلم _ متی یقوم قائمکم؟ قال: یا ابن بکیر إنّک لن تلحقه، وإنّ هذا الاَمر تلیه ستة من الاَوصیاء بعد هذا ثم یجعل اللّه خروج قائمنا، فیملاَها قسطاً وعدلاً، کما ملئت جوراً وظلما، فقلت: یا ابن رسول اللّه ألست صاحب هذا الاَمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إلیّ فقلت: هذا الذی تقول، عنک أو عن رسول اللّه _ صلی الله علیه وآله وسلم ؟ _ فقال: لو کنت أعلم الغیب لاستکثرت من الخیر، لا ولکن عهد عهده إلینا رسول اللّه _ صلی الله علیه وآله وسلم، _ ثم أنشأ یقول_____:

(۱) الخزاز: کفایة الاَثر: ۳۰۳.

(۱۸۹)

نحن سادات قریش * وقوام الحقّ فینا

نحن أنوار التی من * قبل کون الخلق کنّا

نحن منّا المصطفی المختار * والمهدی منّا

فبنا قد عرف اللّه * وبالحق أقمنا

سوف یصلاه سعیراً من * تولی الیوم عنّا (۱) ۹ ـ روی ابن شهر آشوب قال: ونسب إلی زید أنّه رثا الباقر _ علیه السلام _ بهذه الاَبیات:

ثوی باقر العلم فی ملحد * إمامُ الوری طیب المولد

فمن لی سوی جعفر بعده * إمام الوری الاَوحد الاَمجد

أیا جعفر الخیر أنت الإمام * وأنت المرجی لبلوی غد (۲)

نصوص الإمامیة فی تفسیر خروجه:

نعم تفرقت الشیعة بعد استشهاده إلی فرقتین فرقة تقتفی زید بن علی وتراه إماماً وفرقة اُخری تقتفی الإمام الصادق _ علیه السلام _ وکان بینهما نقاشات وخلافات نشبت من الجهل بموقف زید، ولو کان لهم علم به لما کان لهذا الانقسام وجه، وقد أوضحه أعلام الإمامیة فی کتبهم وإلیک بعض کلماتهم:

۱ ـ قال شیخنا المفید فی إرشاده وقال: واعتقد کثیر من الشیعة فیه بالإمامة وکان سبب اعتقادهم ذلک فیه خروجه بالسیف یدعو إلی الرضا من آل محمد_____

(۱) الخزاز: کفایة الاَثر: ۲۹۷.

(۲) ابن شهر آشوب: المناقب: ۴|۱۹۷ طبعة بیروت. وقد مرّت الاَشعار فی الفصل الثالث أیضاً بمناسبة بیان خطبه وأشعاره.

(۱۹۰)

فظنّوه یرید بذلک نفسه، ولم یکن یریدها به لمعرفته باستحقاق أخیه ـ علیه السلام ـ للإمامة من قبله ووصیته عند وفاته إلی أبی عبد اللّه (۱).

۲ ـ قال أبو القاسم القمی الخزاز ـ بعد نقل کلام یحیی بن زید ـ الذی تعرفت علیه: فإن قال قائل: فزید بن علی إذا سمع هذه الأخبار وهذه الأحادیث من الثقات المعصومین وآمن بها واعتقدها. فلماذا خرج بالسیف وادّعی الإمامة لنفسه وأظهر الخلاف علی جعفر بن محمد وهو بالمحل الشریف الجلیل، معروف بالستر والصلاح، مشهور عند الخاص والعام بالعلم والزهد، وهذا ما لا یفعله إلّا معاند أو جاحد، وحاشا زیداً أن یکون بهذا المحل؟

فأقول فی ذلک وباللّه التوفیق: إنّ زید بن علی بن الحسین ـ علیهم السلام ـ خرج علی سبیل الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر لا علی سبیل المخالفة لابن أخیه جعفر بن محمد ـ علیهما السلام، ـ وإنّما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلک أنّ زید بن علی ـ علیه السلام ـ لما خرج ولم یخرج جعفر بن محمد ـ علیهما السلام ـ توهم من الشیعة أنّ امتناع جعفر کان للمخالفة وإنّما کان لضرب من التدبیر، فلمّا رأی الذین صاروا للزیدیة سلفاً قالوا: لیس الإمام من جلس فی بیته وأغلق بابه وأرخی ستره وإنّما الإمام من خرج بسیفه یأمر بالمعروف وینهی عن المنکر، فهذا کان سبب وقوع الخلاف بین الشیعة، وأمّا جعفر وزید ـ علیهما السلام ـ فما کان بینهما خلاف.

والدلیل علی صحة قولنا قول زید بن علی ـ علیه السلام: «ـ من أراد الجهاد فإلیّ ومن أراد العلم فإلی ابن أخی جعفر» ولو ادّعی الإمامة لنفسه لم ینف کمال العلم عن نفسه إذ الإمام یکون أعلم من الرعیة، ومن المشهور قول جعفر ـ علیه السلام ـ «رحم اللّه عمی زیداً لو ظفر لوفاه إنّما دعا إلی الرضا من آل محمد وأنا الرضا»(۲_____).

(۱) الإرشاد: ۲۶۸، طبعة النجف الأشرف.

(۲) الخزاز القمی: کفایة الأثر: ۳۰۱ ـ ۳۰۲.

(۱۹۱)

۳ ـ قال شیخنا المجلسی: إعلم أنّ الأخبار اختلفت وتعارضت فی أحوال زید وأضرابه کما عرفت لکن الأخبار الدالة علی جلالة زید ومدحه، وعدم کونه مدعیاً لغیر الحقّ أکثر، وقد حکم أکثر الأصحاب بعلو شأنه (۱).

وقال أیضاً: «وکان یدعو إلی الرضا من آل محمد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وأنّه کان عازماً علی أنّه إن غلب علی الأمر فوضه إلی أفضلهم وإلیه ذهب أکثر أصحابنا ولم أر فی کلامهم غیره (۲).

۴ ـ وقال الزنوزی فی ریاض الجنّة: إنّ زید بن علی کان دائماً فی فکر الانتقام والأخذ بثأر جده الحسین ـ علیه السلام ـ ومن هذه الجهة توهم بعضهم أنّه ادّعی الإمامة وهذا الظن خطأ لأنّه کان عارفاً برتبة أخیه وکان حاضراً فی وقت وصیة أبیه ووضع أخیه فی مکانه وکان متیقناً أنّ الإمامة لأخیه وبعده للصادق ـ علیه السلام ـ (۳).

۵ ـ وعن السید الجلیل بهاء الدین علی بن عبد الحمید النبلی النجفی رضوان اللّه علیه فی کتابه الأنوار المضیئة أنّه قال: زعم طوائف ممن لا رشد لهم أنّ زید بن علی بن الحسین ـ علیهم السلام ـ خرج یدعو لنفسه وقد افتروا علیه الکذب، وبهتوه بما لم یدّعه لأنّه کان عین إخوته بعد أبی جعفر ـ علیه السلام ـ وأفضلهم ورعاً وفقهاً وسخاءً وشجاعة وعلماً وزهداً وکان یُدعی حلیف القرآن وحیث إنّه خرج بالسیف ودعا إلی الرضا من آل محمد زعم کثیر من الناس لا سیما جهال أهل الکوفة هذا الزعم، وتوهموا أنّه دعا إلی نفسه ولم یکن یریدها له لمعرفته باستحقاق أخیه الإمامة من قبله وابن أخیه لوصیة أخیه إلیه بها من بعده ـ إلی أن قال: ـ وقد انتشرت الزیدیة فکثروا وهم الآن طوائف کثیرة فی کل صقع أکثرهم بالیمن ومکة وکیلان (۴_____).

(۱) المجلسی: البحار: ۴۶|۲۰۵ ومرآة العقول: ۱|۲۶۱.

(۲) المجلسی: البحار: ۴۶|۲۰۵ ومرآة العقول: ۱|۲۶۱.

(۳) السید الأمین: زید الشهید: ۳۵، نقلاً عن ریاض الجنّة وهی بعد مخطوطة.

(۴) المصدر نفسه: ۳۵ ـ ۳۶.

(۱۹۲)

۶ ـ وقال السيد صدر الدين: « لو لم يظهر الصادق ـ عليه السلام ـ عدم الرضا بخروجه، ويصوب أصحابه فى معارضتهم وإسكاتهم إياه، ولم يجب بالإبهام والاعجام عند السوَال عن خروجه، لكان فى ذلك نقض الغرض والتعريض بهلاك الإمام (۱) .

۷ ـ قال السيد على خان المشعشعى الحويزى فى كلام له: «ولا ريب أنّ قصده ونيته إن استقام له الأمر إرجاع الحقّ إلى أهله ويدلّ على ذلك رضاهم عنه، وإنّما لم يمنعه أبو عبد اللّه الصادق ـ عليه السلام ـ من الخروج مع علمه بأنّ هذا الأمر لا يتم له وأنّه يقتل لأنّهم ـ عليهم السلام ـ يعلمون ما يقع بهم وبذريتهم، وماقدر لهم لأنّ عندهم علم ما كان وما يكون، وكان يعلم أن لا مفر مما قدر فلا وجه للمنع (۲)

أ .

۸ ـ وقال المحقق المامقانى: « إنّما ادعى الإمامة ليتبعوه فيستنقذ الحقّ من المتغلبين، ثم يسلمه إلى أهله والظاهر أنّ هذا هو الضرب من التدبير الذى أشار إليه العياشى فى كتابه مقتضب الأثر(۳)

لما كانت الروايات المرويـة عن زيد على قسمين، قسم ورد التصريح فيه بأسماء الأئمه الاثنى عشر كالروايـة الرابعة وقسم أجمل فيه الكلام، كسائر الروايات التالية، علّق عليها السيّد عبد الرزاق المقرم بما يلى:

۹ وقال السيّد المقرّم: وهذه الأحاديث وإن لم تصرح بأسماء الأئمة الذين يلون الخلافة من عترة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لكن تفيدنا القطع ببراءته_____

(۱) السيد صدر الدين بن الفقيه السيد محمد العاملى فى تعليقته على ترجمة زيد من منتهى المقال وهى مخطوطة. لاحظ زيد الشهيد للسيد المقرم: ۸۷.

(۲) الحويزى: نكت البيان: كما فى وقائع الأيام لشيخنا الخيابانى قسم الصيام: ۴۴.

(۳) المامقانى: تنقيح المقال: ۱|۴۶۹ ـ ۴۷۰. ما نقله من كتاب مقتضب الأثر للعياشى فإنّما هو الخزاز فى كتابه: كفاية الأثر، وليس فى الكتاب الأوّل عين ولا أثر ممّا نقله.

(۱۹۳)

من تلك الدعاوى الفارغة من كل حقيقة، وأنّه طاهر الضمير، قابل لإيداع أسرار الإمامة فيه ومع ملاحظة رواية ابنه يحيى (الرابعة) يتضح المراد مما أجمل فى هذه الأحاديث.

ولو أعرضنا عن جميع ذلك لأفادنا اعترافه باستحقاق الصادق ـ عليه السلام ـ للخلافة بعد الباقر ـ عليه السلام ـ وأنّه الحجّة التى لايضل من تبعه، ولا يهتدى من خالفه، سلوكه المحجّة البيضاء والطريق اللاحب فى الإمامة. وهل يقع الشك فى اعترافه بإمامة الصادق ـ عليه السلام ـ وهو يقول لعبد اللّه بن أبى العلاء (الرواية السادسة) وقد قال له: «أنت صاحب هذا الأمر، قال: لا ولكنّى من العترة ـ قال له: ـ فإلى من تأمرنى، قال: عليك بصاحب الشعر».

روى الكشى عن سورة بن كليب قال: قال لى زيد بن على: ياسورة كيف علمتم أن أصاحبكم على ما تذكرونه؟

قال: قلت على الخبير سقطت. قال فقال: هات! فقلت له: كنّا نأتى أخاك محمد بن على ـ عليه السلام ـ نسأله فيقول: قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال اللّه عزّ وجلّ فى كتابه حتى مضى أخوك فأتيناكم وأنت فيمن أتينا، فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذى نسألكم عنه، حتى أتينا ابن أخيك جعفراً فقال لنا كلما قال أبوه قال رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال تعالى، فتبسّم وقال: أما واللّه إنّ قلت بذا فانّ كتب على صلوات اللّه عليه عنده(۱)

ثم إنّ السيد المقرم ـ بعد المناقشة فى دلالة أو سند الروايات الذامّة ونقدها نقداً علمياً ـ يقول: «من جميع ما مر فقد تجلّى الحقّ، وانكشف بطلان دعواه الإمامة لنفسه عن جد وعقيدة، وما هى إلّا أساطير لفقهاء دعاة الباطل للحطّ من كرامة تلك الذات الطاهرة

بغضاً وعدواناً، وإن تكن تلك الدعاوى، فإنّما الغرض منها استنقاذه الحقّ من أيدى المتغلبين عليه، ولاة الجور وأرباب الباطل وإعادته

---

(۱) الكشى: الرجال: ترجمة سورة بن كليب برقم ۲۴۰.

(۱۹۴)

إلى أهله كما يفصح عنه قول الصادق ـ عليه السلام: «ـ كان زيد عالماً وصدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه» وهذا من أهم الوسائل إلى استحصال الحقّ المغصوب، وإعادة سلطان العدل إلى أهله، ولو أعلن الدعوة للإمام الصادق ـ كما يريده ضعيف النظر، قاصر البصيرة، لرأيت هناك الأضرار البالغة التى تلحق الإمام من أئمة الجور" تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخرُّ الجِبال("۱).

---

(۱) السيد المقرم: زيد الشهيد: ۶۳ و ۸۶.

(۱۹۵)

الفصل العاشرموقف أئمة أهل البيت

الفصل العاشرموقف أئمة أهل البيت من خروج زيد وجهاده إنَّ موقف أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من خروج ثائرهم، كان إيجابياً، لا ـ سلبياً وكانوا يرون أنّ خروجه ونضاله، مطابق للكتاب والسنّة، بمعنى أنّ الخروج حين ذاك لم يكن تكليفاً إلزامياً على الإمام ولا على غيره، ولكنه لو خرج مسلم لإزالة الطغاة عن منصّة الحكم، وتبديد هياكل الفساد والظلم، من دون أن يدعو إلى نفسه، كان على المسلمين عونه ومناصرته، وإجابة دعوته.

وكان خروج زيد على هذا الخط الذى رسمناه وهذا ما يستفاد من الروايات المستفيضة، وإليك بعض ما وقفنا عليه:

۱ـ لمّا بلغ قتل زيد إلى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، عند اللّه أحتسب عمى إنّه كان نعم العم. إنّ عمى كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى واللّه عمى شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول اللّه وعلى والحسين صلوات اللّه عليهم» (۱).

---

(۱) الصدوق: عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام : ـ ۱|۲۵۲ ح۶، الباب ۲۵.

(۱۹۶)

۲ ـ وقال أيضاً فى حديث: «إنّ الباكى على زيد فمعه فى الجنّة، فإمّا الشامت فشريك فى دمه» (۱)

۳ ـ وقال الشيخ المفيد: لما قتل زيد بلغ ذلك من أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ كل مبلغ، وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرّق من ماله فى عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار . روى ذلك أبو خالد الواسطى قال: سلّم إلىَّ أبو عبد اللّه ـ عليه السلام ـ ألف دينار أمرنى أن أُقسمها فى عيال من أُصيب مع زيد، فأصاب عيال عبد اللّه بن الزبير أخى فضيل الرسان أربعة دنانير (۲).

۴ ـ روى ابن سيابة قال: دفع إلىّ أبو عبد اللّه الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ألف دينار وأمرنى ان أُقسمها فى عيال من أُصيب مع زيد بن على ـ عليه السلام ـ فقسمتها فأصاب عبد اللّه بن الزبير أخا فضيل الرسّان أربعة دنانير(۳).

۵ ـ روى الصدوق عن عبد اللّه بن سيابة أنّه أتى رسول بسام الصيرفى بكتاب فيه: أمّا بعد، فإنّ زيد بن على قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر، ومكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق ـ عليه السلام ـ فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثم قال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. عند اللّه أحتسب عمى، إنّه نعم العم، إنّ عمى كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا ...» إلى آخر ما مر فى الحديث الأوّل (۴).

۶ ـ روی ابن شهر آشوب بلغ الصادق ـ علیه السلام ـ قول الحکیم بن عباس الکلبی_____:

(۱) بحار الأنوار: ۴۶|۱۹۳ ح ۶۳.

(۲) المفید: الإرشاد: ۲۶۹، الباب ۱۷۵، حیاة الإمام علی بن الحسین، لاحظ الحدیث العاشر أیضاً.

(۳) الصدوق: عیون أخبار الرضا ـ علیه السلام : ـ ۱|۲۴۹، بحار الأنوار: ۴۶|۱۷۰.

(۴) الصدوق: عیون أخبار الرضا ـ علیه السلام : ـ ۱|۲۴۹؛ الباب ۲۵.

(۱۹۷)

صلبنا لکم زیداً علی جذع نخلة * ولم أر مهدیاً علی الجذع یصلب

وقستم بعثمان علیاً سفاهة * وعثمان خیر من علی وأطیب فرفع الصادق ـ علیه السلام ـ یدیه إلی السماء وهما یرعشان. فقال: «اللهم إن کان عبدُک کاذباً فسلط علیه کلبک»، فبعثه بنو أُمیة إلی الکوفة فبینما هو یدور فی سککها افترسه الأسد واتصل خبره بجعفر ـ علیه السلام، ـ فخر للّه ساجداً، ثم قال: «الحمد للّه الذی أنجزنا وعده» (۱).

۷ـ روی الصدوق فی معانی الأخبار، قال: کنّا عند أبی عبد اللّه فذکر زید، ومن خرج معه، فهمَّ بعض أصحاب المجلس أن یتناوله، فانتهره أبو عبد اللّه، وقال: «مهلاً لیس لکم أن تدخلوا فیما بیننا إلاّ بسبیل خیر، إنّه لم تمت نفس منّا إلاّ وتدرکه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق الناقة» قلت: وما فواق الناقة؟ قال: «حلابها» (۲) .

۸ ـ روی الحلبی: قال قال أبو عبد اللّه ـ علیه السلام: «ـ إنّ آل أبی سفیان: قتلوا الحسین بن علی ـ صلوات اللّه علیه ـ فنزع اللّه ملکهم، وقتل هشام زید بن علی فنزع اللّه ملکه، وقتل الولید یحیی بن زید فنزع اللّه ملکه» (۳).

۹ـ روی الصدوق بإسناده عن الفضیل بن یسار قال: انتهیت إلی زید بن علی صبیحة یوم خرج بالکوفة، فسمعته یقول: من یعیننی منکم علی قتال أنباط أهل الشام؟ فو الذی بعث محمداً ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بالحقّ بشیراً ونذیراً لا یعیننی علی قتالهم منکم إلاّ أخذت بیده یوم القیامة، فأدخلته الجنّة بإذن اللّه تعالی، فلمّا قتل ـ رضی اللّه عنه ـ اکتریت راحلة وتوجهت نحو المدینة فدخلت

---

(۱) المناقب: ۳|۳۶۰، بحار الأنوار: ۴۶|۱۹۲.

(۲) معانی الأخبار: ۳۹۲، بحار الأنوار: ۴۶|۱۷۹.

(۳) الصدوق: ثواب الأعمال وعقابها: ۱۹۸، بحار الأنوار: ۴۶|۱۸۲.

(۱۹۸)

علی أبی عبد اللّه فقلت فی نفسی واللّه لا أخبرته بقتل زید فیجزع علیه، فلما دخلت علیه قال: «ما فعل بعمی زید ؟!» فخنقتنی العبرة، فقال: «قتلوه؟» قلت: أی واللّه قتلوه، قال: «فصلبوه؟» قلت: أی واللّه فصلبوه، فأقبل یبکی ودموعه تنحدر من جانب خده کأنّها الجمان ثم قال: «یافضیل شهدت مع عمی زید قتال أهل الشام؟» قلت: نعم، قال: «فکم قتلتَ منهم ؟» قلت: ستة، قال: «فلعلک شاک فی دمائهم؟» فقلت: لو کنت شاکاً فی دمائهم ماقتلتهم، فسمعته یقول: «أشرکنی اللّه فی تلک الدماء، مضی واللّه عمی وأصحابه مثل مامضی علیه علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ وأصحابه» (۱).

۱۰ ـ وروی الصدوق عن حمزة بن حمران قال: دخلت علی الصادق ـ علیه السلام ـ فقال لی: «یا حمزة من أین أقبلت؟» فقلت: من الکوفة، فبکی حتی بلّت دموعه لحیته!فقلت له: یا بن رسول اللّه! مالک أکثرت من البکاء؟ فقال: «ذکرت عمی زید وماصنع به فبکیت» فقلت له: وما الذی ذکرت منه؟ قال: مقتله وقد أصاب جبینه سهم، فجاءه ابنه یحیی فانکب علیه وقال له: أبشر یا أبتاه! فإنّک ترد علی رسول اللّه وعلی وفاطمة والحسن والحسین ـ علیهم السلام ـ قال: أجل یابنیّ! ثم دعا بحدّاد فنزع السهم من جبینه، فکانت نفسه معه، فجیء به إلی ساقیة تجری عند بستان زائدة، فحفر له فیها ودفن وأُجری علیه الماء، وکان معهم غلام سندیّ لبعضهم،

فذهب إلی یوسف بن عمر ـ لعنه اللّه ـ من الغد، فأخبره بدفنهم إیّاه، فأخرجه یوسف وصلبه فی الکناسة أربع سنین، ثم أمر به فأحرق بالنار وذری فی الریاح، فلعن اللّه قاتله وخاذله، وإلی اللّه جل اسمه أشکو ما نزل بنا أهل بیت نبیه بعد موته، وبه نستعین علی عدونا وهو خیر مستعان (۲_____).

(۱) عیون أخبار الرضا _ علیه السلام: _ ۱|۲۵۳.

(۲) أمالی الصدوق: ۳۲۱، المجلس: ۶۲ ح۳؛ وأمالی الطوسی: ۲|۴۸؛ والمجلسی: البحار: ۴۶|۱۷۲.

(۱۹۹)

۱۱ ـ قال الصادق _ علیه السلام _ لاَبی ولاّد الکاهلی: «رأیت عمی زیداً؟» قال: نعم رأیته مصلوباً، ورأیت الناس بین شامت وبین محزون محترق، فقال: «أمّا الباکی فمعه فی الجنّة وأمّا الشامت فشریک فی دمه» (۱).

۱۲ ـ روی الراوندی عن الحسن بن راشد قال: ذکرت زید بن علی فتنقّصته عند أبی عبد اللّه _ علیه السلام _ فقال: «لاتفعل، رحم اللّه عمی أتی أبی، فقال: إنّی أُرید الخروج علی هذا الطاغیة. فقال: لاتفعل، فإنّی أخاف أن تکون المقتول المصلوب علی ظهر الکوفة ـ إلی أن قال الإمام _ علیه السلام _ للحسن: ـ یاحسن إنّا أهل بیت لا یخرج أحدنا من الدنیا حتی یقرّ لکل ذی فضل فضله» (۲).

۱۳ـ روی الصدوق عن أبی عبدون عن أبیه قال: لمّا حمل زید بن موسی بن جعفر إلی المأمون، وکان قد خرج بالبصرة، وأحرق دور ولد العباس، ووهب المأمون جرمه لاَخیه علی بن موسی الرضا _ علیه السلام _ وقال له: لئن خرج أخوک وفعل ما فعل، لقد خرج من قبله زید بن علی فقتل ولولا مکانتک لقتلته فلیس ما أتاه بصغیر! فقال _: علیه السلام _ له:

«لا ـ تقس أخی زیداً إلی زید بن علی فإنّه کان من علماء آل محمد ـ علیهم السلام ـ غضب له، فجاهد أعداءه حتی قتل فی سبیله، ولقد حدثنی أبی موسی بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمد یقول: رحم اللّه عمی زیداً إنّه دعا إلی الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفی بما دعا إلیه، ولقد استشارنی فی خروجه فقلت له: یاعم إن رضیت أن تکون المقتول المصلوب بالکناسة فشأنک، فلما ولی قال جعفر بن محمد _ علیه السلام: _ ویل لمن سمع واعیته فلم یجبه».

فقال المأمون: ألیس قد جاء فی من ادّعی الإمامة بغیر حقها_____

(۱) الاَربلی: کشف الغمة: ۲|۴۴۲.

(۲) الخرائج والجرائح: ۲۳۲، البحار: ۴۶|۱۸۵.

(۲۰۰)

جاء؟ فقال _: علیه السلام: «_ إنّ زید بن علی لم یدع ما لیس له بحق، وإنّه کان أتقی من ذلک، إنّه قال: أدعوکم إلی الرضا من آل محمد _ علیهم السلام _ إنّما جاء ما جاء فی من یدّعی أنّ اللّه نصّ علیه، ثم یدعو إلی غیر دین اللّه ویضل عن سبیله بغیر علم، وکان زید بن علی واللّه ممن خوطب بهذه الآیة:

"وَجاهِدُوا فِی اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجتَباکُم » ("۱).

۱۴ ـ روی الشیخ الطوسی عن مهزم بن أبی بردة الاَسدی قال: دخلت المدینة حِدثان صلب زید ـ رضی اللّه عنه ـ فدخلت علی أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ فساعة رآنی قال: «یامهزم ما فعل بزید؟» قال: قلت: صلب، قال: « أین؟» قال: قلت: فی کناسة بنی أسد، قال: « أنت رأیته مصلوباً فی کناسة بنی أسد؟» قال: قلت: نعم، قال: فبکی حتی بکت النساء خلف الستور ثم قال: «أما واللّه لقد بقی لهم عنده طلبة ما أخذوها منه بعد» قال فجعلت أُفکر وأقول أی شیءٍ طَلَبتهم بعد القتل والصلب؟ قال: فودعته وانصرفت حتی انتهیت الکناسة، فإذا أنا بجماعة فأشرفت علیهم، فإذا زید قد أنزلوه من خشبته یریدون أن یحرقوه قال قلت: هذه الطلبة التی قال لی (۲).

۱۵ ـ روی الکلینی عن سلیمان بن خالد قال: قال لی أبو عبد اللّه ـ علیه السلام ـ: «کیف صنعتم بعمی زید؟» قلت: إنّهم کانوا یحرسونه فلما شفّ الناس أخذنا خشبته فدفناه فی جرف علی شاطیء الفرات فلما أصبحوا جالت الخیل یطلبونه فوجدوه فأحرقوه فقال: «أفلا

أوقرتموه حديداً وألقيتموه فی الفرات ـ صلی اللّه علیه ـ» ولعن قاتله (۳_____).

(۱) الصدوق: عیون الاَخبار: ۱|۲۴۹، الباب ۲۵.

(۲) الطوسی: الاَمالی: ۶۸۲.

(۳) الکلینی: الکافی: ۸|۱۶۱.

(۲۰۱)

۱۶ ـ روی الکلینی عن الحسن بن الوشاء عمن ذکره عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ قال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ أذن فی هلاک بنی أُمیة بعد إحراقهم زیداً بسبعة أیام» (۱) .

۱۷ ـ روی أیضاً عن أبی هاشم الجعفری قال: سألت الرضا عن المصلوب؟ فقال: «أما علمت أنّ جدی صلّی علی عمه»(۲).

۱۸ ـ روی الکشی فی ترجمة السید الحمیری عن فضیل الرسان، قال: دخلت علی أبی عبد اللّه _ علیه السلام _ بعد ماقتل زید بن علی _ علیه السلام _ فادخلت بیتاً فی جوف بیت، وقال لی: «یا فضیل، قتل عمی زید بن علی؟» قلت: نعم جعلت فداک، فقال: «رحمه اللّه، أما إنّه کان موَمناً وکان عارفاً وکان عالماً، وکان صدوقاً، أما إنّه لو ظفر لوفی، أما إنّه لو ملک لعرف کیف یضعها، قلت: یاسیدی ألا أُنشدک شعراً؟ قال: «أمهل» ثم أمر بستور فسدلت، وبأبواب فتحت، ثم قال: «أنشد» فأ نشدته:

لاُمّ عمرو باللوی مربع * طامسة أعلامها بلقع (۳) هذه نماذج مما ورد عن أئمة أهل البیت حول جهاد زید واستشهاده، ولو ضمت إلیها ما ورد عنهم من المدائح حال حیاته وقبل میلاده، مما تقدم لما بقی شک فی أنّ ثائر أهل البیت کان رجلاً مثالیاً متقیاً، عادلاً، مخالفاً لهواه، لایهمه سوی تجسید الاِسلام بین الوری، وتبدید هیاکل الظلم والطغیان.

یقول السید المقرم ـ بعد نقل الاَحادیث المادحة ـ: «علی ضوء هذه_____

(۱) الکلینی: الکافی: ۸|۱۶۱.

(۲) الکلینی: الکافی: ۳|۲۱۵.

(۳) الکشی: الرجال: ۲۴۲ برقم ۱۳۳، وذکر قسماً من عینیة السید الحمیری المعروفة.

(۲۰۲)

الاَحادیث الکریمة نعرف من الحقیقة أنصعَها ویتجلّی من أعماق الاَصداف لوَلوَها، وانّ تلک الشخصیة الشامخة علی سبب وثیق من معادن الحقّ، وذات کرامة قدسیة تهبط من الملاَ الاَعلی، وأنّ الاَئمة الهداة یتفألون من غرة تلک النهضة الهاشمیة أن یعود الحقّ إلی نصابه، وهی القوة التی تتحطم بها هیاکل الباطل وتعقد علیها الآمال، وهی التی أظهرت مظلومیة الاَئمة، ومثّلت للملاَ أحقیتهم بالخلافة، من غیرهم ذوی الاَطماع وأرباب الشهوات، وانکشف لنا بکل وضوح امتثاله أمر الاِمام فی نقض دعائم الاِلحاد وتبدید جیش الظلم والباطل، وتفریق جماهیر الشرک وأحزاب الضلال، وعبدة المطامع والاَهواء، خصوصاً إذا قرأنا قول الباقر ـ علیه السلام ـ: «ویل لمن سمع واعیته فلم یجبه» وقول الصادق _ علیه السلام: «_ إذا دعاکم فأجیبوه وإذا استنصرکم فانصروه» وقوله: «أشرکنی اللّه فی تلک الدماء» وقوله عندما سئل عن مبایعته: «بایعوه» وقوله: «خرج علی ما خرج علیه آباوَه» وقوله: «برئَ اللّه ممن تبرّأ من عمی زید». فإنّ هذه الاَحادیث تدلنا علی أنّه لم یقصد إلاّ إصلاح اُمّة جده _ صلی الله علیه وآله وسلم _ ولم یدع إلاّ إلی سبیل ربّه بالحکمة والموعظة الحسنة.

وهناک جملة اُخری من الاَحادیث حکت لنا مقایسة الاِمام _ علیه السلام _ شهادة زید بالشهداء الذین استشهدوا مع النبی _ صلی الله علیه وآله وسلم _ وعلی والحسین _ علیهما السلام _ وقد استشهد هنالک رجال کانت لهم منازل عالیة ومقامات رفیعة یغبطهم علیها جمیع الشهداء، وقد نال زید بذلک التشبیه والمقایسة تلک المراتب العالیه وحاز ذلک الشرف الباهر، فحقیق إذاً إذا قال الباقر_ علیه السلام _ فی دعائه: «اللهم اُشدد أزری بزید»، وقال النبی _ صلی الله علیه وآله وسلم: «_ یأتی زید وأصحابه یوم القیامة یتخطّون

رقـاب النـاس غُرّاً محجليـن يـدخلون الجنّـة بغير حسـاب، وكـانوا فرحيـن مسـرورين بمـا أُوتى لهـم مـن النعيـم الـدائم» (۱).

---

(۱) المقرم: زيد الشهيد: ۵۹.

الفصل الحادى عشر الخط الثورى

الفصل الحادى عشر الخط الثورى المدعَم من قبل أئمة أهل البيت كان الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ يعيش فى جو مفعم بالمراقبة والملاحقة من جانب الحكومة الأَموية وكانت عيون النظام ترصده عن كثب وترفع تقارير عن حياته اليومية إلى العاصمة، ولأَجل ذلك كان الإمام يتجنب عن التظاهر بأية ثورة ضد النظام إذ نتيجة ذلك هو إلقاء القبض على الإمام، وإنهاء حياته، وإطفاء نور الإمامة والقضاء على الجامعة العلمية التى أسسها الإمام فى عاصمة الإسلام وربّى فى حجره وحضنه مئات المفسرين والمحدثين وقد أعاد بذلك، السنّة النبوية والأَحكام الشرعية إلى الساحة الإسلامية بعد اندراسها، كما فعل أبوه الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ كذلك، وفى القضاء على حياته أو الحيلولة بينه وبين الأُمّة خسارة كبرى لا تجبر بشهادته.

ومن جانب آخر، كان خروج زيد الثائر مورد الرغبة من الإمام فكيف لا يرضى بذلك وهو يثير المسلمين ضد النظام ويحرضهم على تقويضه وقلبه، وهى خطوة كبرى للمنية العظيمة.

(۲۰۴)

وبملاحظة هذين الأَمرين يعلم أنّه لم يكن للإمام بد من الإبهام فى الكلام بشكل تفهم البطانة موقفه من استشهاده ويتحيّر الأَجانب فيه، وهذا هو السبب لوجود الإبهام والإعجام فى كلامه.

ففى موقف يبكى على عمّه ويسيل دموعه على خديه، وتبكى من كانت وراء الستار من الهاشميات، يُعرِّف عمّه شهيداً ويعرّف الشهداء فى موكبه كالشهداء الذين أراقوا دماءهم مع رسول اللّه وعلى والحسين ـ عليهم السلام ـ وربما يزيد على ذلك ويقول: «إنّ الباكى على زيد معه فى الجنّة والشامت له شريك فى دمه» إلى غير ذلك من الإطراء والثناء على عمّه والذين استشهدوا فى طريقه(۱)

.

وفى موقف آخر يتظاهر بالابتعاد عن خروج زيد واستشهاده، فكل من يرد عليه من الكوفة يسأله عن عمه ويكرر السؤال، وكأنّه لم يكن مطلعاً عما جرى عليه من المصائب، كل ذلك كان ضرباً من التدبير للإمام ـ عليه السلام ـ فأى رضى أولى من دعائه على الحكيم بن عباس الذى أنشأ شعراً فى حقّ زيد، وقال:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة * ولم أر مهدياً على الجذع يصلب فرفع الصادق ـ عليه السلام ـ يديه إلى السماء وهما ترتعشان، وقال: «اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك» (۲).

إنّ بقاء الإسلام رهن دعامتين:

الأُولى: التعليم والتربية وتثقيف الأُمّة ووعيها وتعليم الكتاب والسنة وغير ذلك مما يرجع إلى الثقافة الإسلامية العامة.

الثانية: إصلاح المجتمع والحفاظ على البيئة وتفويض الأَمر إلى صلحاء_____

(۱) أُنظر إلى الروايات الواردة تحت «عنوان موقف الأَئمة من استشهاده» فى هذا الجزء.

(۲) مضى مصدره فى ص ۱۹۷، الرواية السادسة، فراجع.

(۲۰۵)

الأُمّة الذين عليهم تجسيد الإسلام فى الساحة الاجتماعية ولايتم ذلك إلّا بالكفاح ضدَّ الظالمين وإبادتهم وتسليم الأَمر إلى صلحاء الأُمّة.

وكانت المصالح الزمنية تفرض الأمر الأوّل على عاتق الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ إذ كان هو عالم الأمّة وراعيها، والواقف بأسرار الكتاب والسنّة، ولولاهما لما قامت هذه الدعامة وسقطت يومذاك، وأمّا الدعامة الثانية فكان على عاتق زيد الثائر، والثائرون بعده على خط الإمام زيد كيحيى بن زيد، وعيسى بن زيد، والحسين بن زيد، ومحمد بن زيد (دون الحسنيّين الذين ثاروا فى عصر العباسيين) وكانوا هم القائمون بهذه الفريضة فكيف يمكن للإمام أن يُخطّئهم من صميم ذاته لذلك يرى أنّه يصف الزيدية، وقاء، ويقول لأصحابه: كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنّه لا يصبكم أمر تخصون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبدا(۱).

إنّ بعض المتحمسين من الشبان فى عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كانوا يفرضون عليه أن يودع زيداً عند الوفود إلى العراق، ويدعو له ويتظاهر بدعم نضاله وجهاده وعندما بلغه استشهاده، يعلن الحداد العام ويجلس فى بيته للعزاء وما أشبه ذلك، لكن كانت هذه أفكاراً فوضوية تختمر فى صدور أُناس لم يكن لهم إلمام بالظروف المحدقة بالإمام، فما قام به الإمام من السير بين الخطين كان هو المؤمّن لحياته، ونضاله العلمى وخدماته المشكورة ولم يكن القضاء على حياة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وجامعته العلمية عند الخلفاء أشد من القضاء على حياة زيد الثائر.

وفى نهاية المطاف نقول: لم يكن قيام زيد وخروجه أقل قيمة من خروج المختار الثائر، نرى أنّ الإمام على بن الحسين وعمه محمد بن الحنفية والهاشميات يخرجون من حدادهم على الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ عندما_____

(۱) الكلينى: الكافى: ۲|باب التقية، الحديث۱۳.

بعث المختار بروَوس الخونة وقتلة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ حتى أنّ الإمام السجاد ـ عليه السلام ـ يخر ساجداً ويعد عمل المختار مشكوراً، فأين المختار من زيد الثائر وإن كان عمل الجميع مشكوراً.

ومع أنّ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قام بمواقف مشكورة فى عيال زيد، ومن أُصيب معه، ولكن لما كان المتطرفون غير راضين بهذا الحد، وكانوا يطلبون من الإمام نضالاً باهراً مثل زيد، فقاموا بوجه الإمام ـ عليه السلام ـ فى مواقف عديدة لم تكن محمودة، ولو نرى فى بعض الأحاديث أنّ الإمام يتبرّأ من الزيدية فإنّما تبرّأ من المتطرفين غير العارفين بالمواقف الصحيحة فى تلك الأيام الخطيرة لا من زيد الثائر، ولا المستشهدين بين يديه ولا المقتفين أثره بعد استشهاده، عارفين بواجباتهم وواجبات أئمة أهل البيت، وبذلك تقدر على فهم الروايات الواردة فى ذم بعض الزيدية فليس الذم راجعاً إلى زيد الطاهر، ولا إلى المقتفين أثره فى ميدان النضال، ولا إلى مجيبيه بل راجع إلى المتطرفين المنتمين إليه، وكان هو ـ قدّس اللّه سرّه ـ بريئاً عنهم. فلنذكر بعضها إيقافاً للقارىء بمفادها:

۱ ـ عن عمر بن يزيد قال: سألته عن الصدقة على النصَّاب وعلى الزيدية؟ فقال: «لا تصدق عليهم بشىء ولا تسقهم من استطعت» وقال: « الزيدية هم النصاب» (۱).

۲ ـ قد كان من المعروف أنّ الإمام من كان عنده سلاح رسول اللّه ومتاعه وكان ذلك كلّه عند الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كما سنذكر، وقد كان ذلك الأمر ثقيلاً على بعض الزيدية، فكانوا يحاجون الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وينكرون وجود السلاح ومتاع رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عنده ويقولون: إنّه عند عبد اللّه بن الحسن المثنى_____.

(۱) الحر العاملى: وسائل الشيعة: ۶ |كتاب الزكاة، الباب ۵ من أبواب المستحقين، الحديث۵، لاحظ التهذيب: ۴|۵۴، الحديث۱۲.

روى الكلينى عن سعيد السمان، قال: كنت عند أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا له: أفيكم إمام مفترض الطاعة؟ قال: فقال: «لا » (۱)، قال: فقالا ـ له: قد أخبرنا عنك الثقات إنك تفتى، وتقر وتقول به (بأنّ فيكم إماماً مفترض الطاعة) ونسمّيهم لك فلان وفلان وهم أصحاب ورع وتشمير وهم ممّن لا يكذب، فغضب أبو عبد اللّه ـ عليه السلام ـ فقال: «ما

أمرتهم بهذا» (بوجود إمام مفترض الطاعة) فلما رأيا الغضب فی وجهه خرجا، فقال لی: «أتعرف هذين؟» قلت: نعم هما من أهل سوقنا، وهما من الزيديـة، وهما يزعمان أنّ سـيف رسول اللّه عند عبد اللّه بن الحسن، فقال: «كذبا لعنهما اللّه واللّه ما رآه عبد اللّه بن الحسـن بعينيه ولا بواحدة من عينيه ولا رآه أبوه. اللّهم إلاّ أن يكون رآه عند علی بن الحسين ـ عليه السلام ...» (ـ ۲).

ترى أنّ موقف الرجلين أمام الإمام الصادق ـ عليه السـلام ـ هو موقف أخـذ الإقرار منه بإمامة زيد ومن بعده وتكذيب إمامته وقيادته وأنّه ليس عنده سلاح رسول اللّه ولا متاعه فلم يكن بد من الإمام ـ عليه السلام ـ من التعرض عليهم.

والذی يدلّ علی ذلك ما رواه الكلينی عن إسماعيل بن محمد بن عبد اللّه بن علی بن الحسين ـ عليه السلام ـ عن أبی جعفر ـ عليه السلام ـ قال: لما حضر علی بن الحسين الوفاة قبل ذلك أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده قال: يا محمد احمل هذا الصندوق. قال: فحمل بين أربعة فلما توفی جاء إخوته يدعون [ما] فی الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيباً من الصندوق، فقال: واللّه مالكم فيه شیء، ولو كان لكم فيه شیء ما دفعه إلیّ، فكان فی الصندوق سلاح رسول اللّه وكتبه (۳_____).

(۱) قاله ـ عليه السلام ـ تقية أو توریة اتّقاء شرهما.

(۲) الكلينی: الكافی: ۱|۲۳۲ ـ ۲۳۳، كتاب الحجّة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول اللّه ومتاعه.

(۳) الكافی: ۱|۳۰۵، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنص علی أبی جعفر ـ عليه السلام ، ـ الحديث ۱.

وفی روایة أُخری: التفت علی بن الحسين إلی ولده وهو فی الموت وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلی محمد بن علی، فقال: «يامحمد هذا الصندوق، اذهب به إلی بيتك، قال: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكن كان مملوءاً علماً»(۱).

۳ ـ روی الكلينی عن عبد اللّه بن المغيرة قال: قلت لأبی الحسن ـ عليه السلام ـ: إنّ لی جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدی ولابد من معاشرتهما فمن أُعاشر ؟ فقال: «هما سيّان، من كذَّب بآية من آيات اللّه فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين» قال: ثم قال: « إنَّ هذا نصب لكم، وهذا الزيدی نصب لنا» (۲).

فكما أنّ المتشابه من الآيات تردّ علی المحكمات وتستوضح بها، فهكذا الخبر المتشابه يفسر بالمحكم منه، فأين استرحامه لعمه وبكاءه عليه، ودعاءه علی شاعر السوء، من هذه التعرضات والنقاشات، فتحمل الطائفة الثانية، علی المتطرفين غير العارفين بمقام الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ مضافاً إلی أنّ فی مضمونهما من القرائن المثبتة. فلاحظ.

الخط الثوری الثابت لأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام :ـ

كان لزيد عند الإمام الصادق ـ عليه السلام، ـ حساب خاص لا يعدل به إلی غيره، ويفضّله علی الهاشميين ويتلقاه عالماً صدوقاً، غير متجاوزٍ عن طريق الحقّ وكان يعلن علی أصحابه، أنّه لو ظفر لوفی بما نوی ودعا إليه، ولأجل ذلك ليس من البعيد أن يقال إنّه كان مأذوناً من قبل الإمام سراً كما نقله شيخنا المجلسی (۳)

---

(۱) الكلينی: الكافی: ۱|۳۰۵، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنص علی أبی جعفر ـ عليه السلام ـ الحديث ۲.

(۲) الكلينی: الكافی: ۸|۲۳۵، برقم ۳۱۴.

(۳) المجلسی: مرآة العقول: ۱|۲۶۱.

ويكفی فی المقام ما يرويه الكلينی: عن عيص بن القاسم، عن أبی عبد اللّه ـ عليه السلام ـ: «فانظروا علی أی شیء تخرجون ولاتقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلی نفسه إنّما دعاكم إلی الرضا من آل محمد ـ عليهم السلام ـ ولو ظهر لوفی بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلی سلطان مجتمع لينقضه فالخارج منا اليوم إلی أی شیء يدعوكم، إلی الرضا من آل محمد ـ

عليهم السلام ـ فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم» (۱).

ولم يكن له ذلك الموقف مع الحسنيّين الذين خرجوا، بعد زيد وابنه يحيى، وصاروا أئمة للزيدية للفرق الواضح بين زيد وابنه، وبين بنى عبد اللّه بن الحسن، أعنى:

۱ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الزكية خرج بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من سنة خمسة وأربعين ومائة وقتل فى شهر رمضان تلك السنة قتله أبو جعفر المنصور.

۲ ـ إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، خرج بالبصرة وقتل هناك فى نفس السنة التى قتل فيها أخوه محمد بن عبد اللّه، وأُخذ رأسه وحمل إلى أبى جعفر المنصور ودفن بباخمرى.

وسيوافيك ترجمتهم فى القسم الثانى من الكتاب.

والذى يعرب عن ذلك ما رواه أبو الفرج فى كتابه عن عبد اللّه بن محمد بن على، قال: إنّ جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأَبواء وفيهم:

۱ ـ إبراهيم بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس.

۲ ـ وأبو جعفر المنصور_____.

(۱) الكلينى: الكافى: ۸|۲۶۴، برقم ۳۸۱.

۳ ـ وصالح بن على.

۴ ـ وعبد اللّه (۱)بن الحسن بن الحسن بن على.

۵ ـ ومحمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على.

۶ ـ وإبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على.

۷ ـ ومحمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن على: قد علمتم أنّكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم اللّه فى هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم، تعطونه إياها من أنفسكم وتوافقوا على ذلك، حتى يفتح اللّه وهو خير الفاتحين.

فحمد اللّه عبد اللّه بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أنّ ابنى هذا هو المهدى فهلم لنبايعه.

وقال أبو جعفر: لأىّ شىء تخدعون أنفسكم، واللّه لقد علمتم ما الناس إلى أحدٍ أصور (۲) أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، يريد به محمد بن عبد اللّه (۳)، قالوا: قد واللّه صدقت، إنّ هذا الذى نعلم، فبايعوا محمداً جميعاً ومسحوا على يده.

قال عيسى (۴) : وجاء رسول عبد اللّه بن الحسن إلى أبى: أن أئتنا، فإنّا مجتمعون لأمر، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد ـ عليه السلام.ـ

وقال غير عيسى: إنّ عبد اللّه بن الحسن قال لمن حضر: لاتريدوا جعفراً_____

(۱) وعبد اللّه بن الحسن كان أكبر سناً من الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وكان من مواليد عام سبعين من الهجرة.

(۲) أصور: بمعنى (أميل) كما فى مكان آخر من مقاتل الطالبيين ص ۲۵۷ وفى الإرشاد (أطول) .

(۳) أُنظر إلى هذا الخداع السياسى والنفاق المبطن فيصوره المنصور فى هذا المجلس بما سمعت، ثم بعد تصدّره منصّة الحكم يقتله.

(۴) عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن على.

فإنّا نخاف أن يفسد عليكم أمركم.

قال عیسی بن عبد اللّه بن محمد: فأرسلنی أبی أنظر ما اجتمعوا له؟ فجئتهم فإذا بمحمد بن عبد اللّه یصلی علی طنفسة رجل مثنیة فقلت لهم: أرسلنی أبی إلیکم أسألکم لاَیّ شیء اجتمعتم؟ فقال عبد اللّه: اجتمعنا لنبایع المهدی محمد ابن عبد اللّه.

قال: وجاء جعفر بن محمد ـ علیه السلام، ـ فأوسع له عبد اللّه بن الحسن إلی جنبه فتکلم بمثل کلامه.

فقال جعفر ـ علیه السلام: «ـ لاتفعلوا فإنّ هذا الاَمر لم یأت بعد، إن کنت تری ـ یعنی عبد اللّه ـ أنّ ابنک هذا هو المهدی فلیس به، ولا ـ هذا أوانه، وإن کنت إنّما تریدأن تخرجه غضباً للّه ولیأمر بالمعروف وینهی عن المنکر، فإنّا واللّه لانـدعک وأنت شیخنا ونبایع ابنک فی هذا الاَمر» (۱).

فغضب عبد اللّه بن الحسن، وقال: لقد علمتُ خلاف ما تقول، [واللّه ما أطلعک علی غیبه] ولکن یحملک علی هذا الحسد لابنی.

فقال: «واللّه ما ذاک یحملنی، ولکن هذا وإخوته وأبناوَهم دونکم» وضرب بیده علی ظهر أبی العباس (۲)، ثم ضرب بیده علی کتف عبد اللّه بن الحسن، وقال: «إنّها واللّه ما هی إلیک ولا إلی ابنیک، ولکنها لهم، وإن ابنیک لمقتولان». ثم نهض فتوکأ علی ید عبد العزیز بن عمران الزهری فقال: أرأیت صاحب الرداء الاَصفر ـ یعنی أبا جعفر ـ؟ فقال له: نعم، قال: قال: «إنّا واللّه نجده یقتله» قال له عبد العزیز: أیقتل محمداً؟ قال: «نعم»، فقلت فی نفسی: حسده ورب الکعبة، ثم قال: واللّه ما خرجت من الدنیا حتی رأیته قتلهما.

---

(۱) بما أنّه أمیر الجهاد، لا إمام الفقه والاجتهاد ولا الإمام المفترض الطاعة.

(۲) إبراهیم بن محمد بن علی بن عبد اللّه بن عباس.

قال: فلمّا قال جعفر ـ علیه السلام ـ ذلک ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: یا أبا عبد اللّه أتقول هذا؟ قال: «نعم أقوله واللّه وأعلمه»(۱).

قال أبو الفرج: وحدثنی علی بن العباس المقانعی قال: أخبرنا بکار بن أحمد قال: حدثنا الحسن بن الحسین، عن عنبسة بن نجاد العابد قال: کان جعفر بن محمد ـ علیهما السلام ـ إذا رأی محمد بن عبد اللّه بن الحسن تغرغرت عیناه ثم یقول: «بنفسی هو، إنّ الناس لیقولون فیه، وإنّه لمقتول، لیس هو فی کتاب علی ـ علیه السلام ـ من خلفاء هذه الاُمّة» (۲).

والإمعان فی هذه الروایة یعرب عن أمرین:

الاَوّل: أنّ محمد بن عبد اللّه اتّخذ موقفاً غیر موقف زید بن علی، حیث إنّ عبد اللّه بن الحسن یرید أن یصف، ابنه بأنّه هو المهدی الموعود کما قال: اجتمعنا لنبایع المهدی محمد بن عبد اللّه ولم یردّه ابنه وکأنّه قبله.

فیردعه الإمام بقوله: «إنّ ابنک هذا لیس هو المهدی ولا أخاه».

ولکنّه رافقهم إذا خرجوا مثلما خرج زید وقال مخاطباً أباه: «وإن کنت إنّما تریدأن تخرجه غضباً للّه ولیأمر بالمعروف وینهی عن المنکر فإنّا واللّه لا ندعک وأنت شیخنا، ونبایع ابنک فی هذا الاَمر».

ولما کان کلام الإمام مخالفاً لما یهواه عبد اللّه غضب علیه وقال: واللّه ما أطلعک علی غیبه ولکن یحملک علی هذا الحسد لابنی.

ورغم هذا الموقف الجافی کیف یمکن للإمام ـ علیه السلام ـ أن یرافقهم ـــــــــــــــــــــــــــــ،

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبیین: ۲۰۶.

(۲) أبو الفرج: مقاتل الطالبیین: ۲۰۸، الإرشاد: ۲۹۴.

ویوَیدهم، ویساندهم، ولکنّه فی نهایة المجلس تنبأ بما وجده فی الکتب الموروثة، أنّ محمد بن عبد اللّه وأخاه یقتلان ویکون الرابح هو أبو جعفر المنصور صاحب الرداء الاَصفر، وقد وقع ما وقع، ورآه الناس حسب ما أخبر به الإمام.

وبذلك يعرف مفاد الأحاديث التى ترفض عمل الزيدية فى العصور اللاحقة لحركة زيد فلا يرفض زيداً، ولا ابنه يحيى ولاثورته ونضاله، وإنّما يرفض أتباعه فى العصور بعد استشهاده حيث كانوا يعاندون أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ونذكر منها ما يلى:

١ ـ روى الشيخ الطوسى عن عبد الملك أنّه قال لأبى عبد اللّه: قلت: فإنّ الزيدية تقول ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلّا أنّه لا يرى الجهاد، فقال: «إنّى لا أرى!! بلى واللّه إنّى لا أراه ولكنّى أكره أن أدع علمى إلى جهلهم» (١).

٢ ـ روى الكلينى عن عبد الملك بن أعين قال لأبى عبد اللّه ـ عليه السلام: ـ إنّ الزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد اللّه (٢)فهل له سلطان؟ فقال: «واللّه إنّ عندى لكتابين فيهما تسمية كل نبى وملك يملك الأرض لا واللّه ما محمد بن عبد اللّه فى واحد منهما» (٣)وبذلك يعلم مفاد سائر الأحاديث (۴)فلاحظ.

وحصيلة البحث أنّ الخط الرائج لأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بالنسبة للثورات والانتفاضات التى تحققت على يد الحسينيين والحسنيين إنّما كان هو خط العدل والاقتصاد_____.

(١) الكلينى: الكافى: ۵|۱۹، باب من يجب عليه الجهاد: الحديث ١، ٢.

(٢) محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على الملقب بالنفس الزكية من أئمة الزيدية.

(٣) الكلينى: الكافى: ١|٢۴٢ باب ذكر الصحيفة، رقم ٧.

(۴) لاحظ الكافى: ٧|٣٧۶، كتاب الديات باب فيما فيه نصاب من البهائم، الحديث١٧.

(٢١۴)

فلو كان الحافز عند الثائر هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإنكار على الظلم والعدوان، وتخليص المجتمع الإسلامى من الفساد والدمار فالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ومن بعده كانوا يؤيدون ذلك العمل، ويكون الثائر حينئذ مأذوناً من قبل الإمام وتأخذ الثورة لنفسها صفة المشروعية.

وأمّا إذا كان الحافز عند الثائر إلى الثورة هو دعوة الناس إلى إمامة نفسه، وادّعاء الخلافة عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنّه ـ والعياذ باللّه ـ المهدى الموعود فلا يكون هناك أىّ مبرر لموافقتهم ومساندتهم. (٢١۵)

الفصل الثانى عشر موقف علماء الشيعة

الفصل الثانى عشر موقف علماء الشيعة من جلالة ووثاقة زيد الشهيد إنّ موقف علماء الشيعة الإمامية نفس موقف النبى وعترته الطاهرة ـ عليهم السلام ـ وإن كنت فى شك من ذلك فاقرأ كلماتهم فى حقه:

١ ـ قال المفيد: كان عين إخوته بعد أبى جعفر ـ عليه السلام ـ وأفضلهم، وكان ورعاً، عابداً فقيهاً، سخياً، شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين ـ عليه السلام (ـ ١).

٢ ـ وقال النسابة أبو الحسن على بن محمد العمرى: كان زيد أحد سادات بنى هاشم فضلاً وفهماً خرج أيام هشام الأحول ابن عبد اللّه (٢)فقتل وصلب ست سنين، وقيل أُحرق وذرى فى الفرات ـ لعن اللّه ظالميه ـ (٣).

٣ ـ وقال الطبرسى: إنّ زيداً كان من علماء آل محمد، غضب للّه فجاهد أعداءه حتى قتل فى سبيله (۴_____).

(١) الإرشاد: ٢۶٨، ط النجف.

(٢) والظاهر عبد الملك.

(٣) المجدى فى الأنساب: ١|١۵۶.

(۴) أُنظر: رياض العلماء: ٢|٣٣٨.

(٢١۶)

۴ ـ وقال ابن داود: زید بن علی بن الحسین قتل سنة إحدی وعشرین ومائة، وله اثنتان وأربعون سنة شهد له الصادق ـ علیه السلام ـ بالوفاء وترحم له(۱).

۵ ـ قال الشهید الاَوّل فی القواعد: وجاز أن یکون خروجهم بإذن إمامٍ واجب الطاعة کخروج زید بن علی ـ علیه السلام ـ وغیره من بنی علی ـ علیه السلام ـ (۲) .

۶ ـ قال الشیخ عبد اللّه الاَفندی التبریزی: السید الجلیل الشهید أبو الحسین زید بن علی بن الحسین، إمام الزیدیة وکان سیداً کبیراً عظیماً فی أهله وعند شیعة أبیه، ولکن اختلفت الاَخبار وتعارضت الآثار بل کلام العلماء الاَخیار أیضاً فی مدحه وقدحه، والروایات فی فضله کثیرة، وقد ألّف جماعة من متأخری علماء الشیعة ومتقدمیهم کتباً عدیدة مقصورة علی ذکر فضائله کما یظهر من مطاوی کتب الرجال ومن غیرها أیضاً.

ومن المتأخرین میرزا محمد الاسترآبادی فله رسالة فی أحوال زید بن علی. هذا وأورد فیه کلام المفید فی الاِرشاد بتمامه، ونقل فیها أیضاً ما رواه الطبرسی فی أعلام الوری، وما رواه ابن طاووس فی ربیع الشیعة ونحوهما، وبالجملة فقد أورد فیها روایات کثیرة فی مدحه.

قال بعض أفاضل السادات المعاصرین ضوعف قدره فی أوائل شرح الصحیفة: هو أبو الحسین زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب ـ علیهم السلام ـ أُمّه أُمّ ولد کان جمّ الفضائل عظیم المناقب، وکان یقال له: حلیف القرآن. روی أبو نصر البخاری عن أبی الجارود، قال: قدمت المدینة، فجعلت کلّما سألت عن زید بن علی. قیل لی: ذلک حلیف القرآن. ذاک أُسطوانة المسجد من کثرة صلاته_____.

(۱) ابن داود: الرجال: ۱|۱۰ (ذکره فی القسم الاَوّل الذی خصّه بالموثوقین بخلاف القسم الثانی فقد خصّه بالمجروحین والمهملین).

(۲) القواعد: ۲|۲۰۷ (ضمن القاعدة: ۲۲۱) .

(۲۱۷)

وقال الشیخ بهاء الدین العاملی فی آخر رسالته المعمولة فی إثبات وجود القائم ـ علیه السلام: ـ الآن أیضاً إنّا معشر الاِمامیة لا نقول فی زیداً ـ رضی اللّه عنه ـ إلّا خیراً وکان جعفر الصادق ـ علیه السلام ـ قد قال لاَصحابه: «إنّ زیداً یتخطّی یوم القیامة أهل المحشر حتی یدخل الجنّة» والروایات عن أئمتنا فی هذا المعنی کثیرة(۱).

۷ ـ قال الکاظمی: اتّفق علماء الاِسلام علی جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله، وقد روی فی ذلک أخبار کثیرة حتی عقد ابن بابویه فی العیون باباً لذلک(۲).

۸ ـ قال المحدّث النوری: وأمّا زید بن علی فهو عندنا جلیل القدر عظیم الشأن، کبیر المنزلة، وما ورد مما یوهم خلاف ذلک مطروح أو محمول علی التقیة(۳).

۹ ـ قال المحقّق المامقانی: إنّی أعتبر زیداً ثقة وأخباره صحاحاً اصطلاحاً بعد کون خروجه بإذن الصادق ـ علیه السلام ـ لمقصد عقلائی عظیم وهو مطالبة حقّ الاِمامة إتماماً للحجّة وقطعاً لعذرهم بعدم مطالب له وقول جمع فیه بالاِمامة بتسویل الشیطان مع نفیه إیاها من نفسه، وإثباته إیاها لابن أخیه الصادق لا یزری فیه کعدم إزراء نسبة القائلین بإمامته إلیه أحکاماً فقهیة مخالفة للحق(۴)

۱۰ ـ وقال المحقّق الخوئی: وقد استفاضت الروایات غیر ما ذکرناه فی مدح زید وجلالته وأنّه طلب بخروجه الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر ـ إلی أن قال: ـ وإنّ استفاضة الروایات أغنتنا عن النظر فی أسنادها (۵_____).

(۱) ریاض العلماء وحیاض الفضلاء: ۲|۳۱۸، وقد ترجم زید بن علی ترجمة وافیة، طالع هذا الجزء ص ۳۱۸ ـ ۳۵۲.

(۲) راجع تکملة الرجال: ۳۵۲، تنقیح المقال: ۱|۴۶۷.

(۳) المستدرک: ۳|۵۹۹.

(۴) تنقیح المقال: ۱|۴۶۹، ۴۷۰.

(۵) معجم رجال الحدیث: ۷|۳۴۷ ـ ۳۴۹.

(۲۱۸)

ثم إنّه أفرد غیر واحد من أعلام الإمامیة تألیفاً فی زید وفضله ومآثره، فمنهم:

۱ ـ إبراهیم بن سعید بن هلال الثقفی (م ۲۸۳ هـ) له کتاب أخبار زید.

۲ ـ محمد بن زکریا مولی بنی غلاب (م ۲۹۸ هـ) له أخبار زید.

۳ ـ عبد العزیز بن یحیی الجلودی (م ۳۶۸هـ) له أخبار زید.

۴ ـ محمد بن عبد اللّه الشیبانی (م ۳۷۲هـ) له کتاب فضائل زید.

۵ ـ الشیخ الصدوق أبو جعفر القمی (م ۳۸۱هـ) له کتاب فی أخباره.

۶ ـ میرزا محمد الاسترابادی صاحب الرجال الکبیر (م ۱۰۲۸هـ) له رسالة فی أحوال زید.

۷ ـ السید محسن الأمین العاملی أحد کبار علماء الإمامیة فی القرن الرابع عشر (م ۱۳۷۳هـ) له کتاب أبو الحسین زید الشهید وقد طبع فی الشام.

۸ ـ السید عبد الرزاق الموسوی المقرم، له کتاب زید الشهید وفی ذیله کتاب تنزیه المختار، وقد طبع عام ۱۳۵۵هـ

هذه کلمات علماء الشیعة الإمامیة فی حقّ زید ولیس هناک من الشیعة الإمامیة من یبغضه أو یذمّه ولو ورد فیه روایات ذم فإنّما هی مطروحة أو موَوّلة لاتعادل ماتواترت علیه من الروایات الدالة علی وثاقته، وجلالة قدره فمن أراد رمی الشیعة الإمامیة بغیر هذا فهو کذاب یُعدُّ من رماة القول علی عواهنه.

نعم بعدما خرج زید، وجاهد وناضل وقتل وصلب وأُحرق اتّخذه أعداء الشیعة ذریعة للطعن علی إمام الوقت جعفر الصادق ـ علیه السلام ـ وتوهم بعض الشیعة أنّ الإمام من قام ونهض وجاهد، دون غیره وهذا لا صلة له بزید الثائر.

وبذلک تقف علی قیمة کلام رجلین یُعدّان من رماة القول علی عواهنه:

أحدهما: أحمد بن تیمیة فی کتاب «منهاج السنّة».

ثانیهما: الآلوسی البغدادی.

(۲۱۹)

قال ابن تیمیة: إنّ الرافضة رفضوا زید بن علی بن الحسین ومن والاه، وشهدوا علیه بالکفر والفسوق (۱).

وقال الآلوسی: الرافضة مثلهم کمثل الیهود، الرافضة یبغضون کثیراً من أولاد فاطمة ـ رضی اللّه عنها ـ بل یسبونهم کزید بن علی(۲).

أقول: إنّ الرافضة ـ حسب تسمیة الآلوسی ـ یقتفون أثر أئمتهم فی کل صغیرة وکبیرة، فإذا کان هذا موقف أئمتهم فکیف یمکن للشیعة التخطّی عنه، والعجب أنّ الکاتبین کتبا ماکتبا ولم یرجعا إلی معاجم الرجال للشیعة وقد أطبقت معاجمهم علی تزکیته وترفیع مقامه وتبجیله بکل کلمة.

* * *

بین أُباة الضیم وحماة الذل :

لم أجد أحداً ممن کتب عن زید، وکفاحه وجهاده الرسالی الذی عرف به، من القدامی والجدد من یغمطه حقه ویزدری به، ویتکلم فیه بهمز أو لمز، غیر الکاتب السلفی: الشیخ شمس الدین الذهبی، ومع أنّه یصف زیداً بأنّه کان أحد العلماء والصلحاء، لکنّه یصف جهاده سقطة وزلّة یقول فی موضع من کتبه: «بدت منه هفوة فاستشهد، فکانت سبباً لرفع درجته فی آخرته» (۳)وفی کتاب آخر: «خرج متأوّلاً، قتل شهیداً ولیته لم یخرج» (۴_____).

(۱) ابن تيمية: منهاج السنة: ۲|۱۲۶.

(۲) السنة والشيعة: ۵۲.

(۳) تاريخ الإسلام: حوادث (۱۲۱ ـ ۱۴۱هـ) ص ۱۰۵. انظر إلى التناقض فى كلامه إذ لو كان خروجه زلّة فكيف صار سبباً لرفع درجته فى الآخرة.

(۴) سير أعلام النبلاء: ۵|۳۹۱.

(۲۲۰)

أقول: ما ذكره شنشنة أعرفها من كل سلفى يرى الجهاد والكفاح على الظلم والعدوان، أمراً محرّماً، والحياة مع الظالمين ومهادنتهم أمراً مشروعاً وسعادة، فهم حماة الذلّ، ودعاة الهوان، وأين هم من أُباة الظلم والضيم.

ومن أُصول الطائفة الأُولى: الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منهم، من عدل أو جور، ولا يخرج عليهم بالسيف وإن جاروا (۱)وماذكره على طرف الخلاف مع ما حدّثه السبط الشهيد عن جده رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذلك عندما اقترب من الكوفة استقبله الحر بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيد اللّه ابن زياد لإكراه الحسين على إعطاء البيعة ليزيد، وإرساله قهراً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحُرّ بقوله: أيّها الناس إنّ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «من رآى سلطاناً جائراً مستحلاً حُرَمَ اللّه ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل فى عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على اللّه أن يُدخله مدخله، ألا وإنّ هوَلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام اللّه، وحرّموا حلاله...» (۲).

كيف يكون جهاده هفوة، مع أنّ الرسول الأعظم تبّأ به وأثنى عليه عندما نظر يوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: المظلوم من أهل بيتى، سمىّ هذا، المقتول فى اللّه، المصلوب من أُمتى سمىّ هذا، ثم قال: ادنُ منّى يازيد ـ زادك اللّه حباً عندى ـ بإنّك سمىّ الحبيب من ولدى (۳).وقد بكى الوصى وأبكى، أفيصح العزاء والبكاء على السقطة والزلة_____.

(۱) أبو الحسين الملطى: التنبيه والرد: ۱۵.

(۲) الطبرى: التاريخ: ۴|۳۰۴.

(۳) أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير كما فى الروض النضير: ۱|۱۰۸.

(۲۲۱)

وما أحسن قول أخى الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول اللّه فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول؟ فقال:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى * إذا مانوى حقاً وجاهد مسلما

و واسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم أُلم * كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما(۱) ما عشت أراك الدهر عجبا :

لا أظنّ من قرأ صحائف حياة الملك الأموى «هشام بن عبد الملك» يشك فى أنّه كان دموياً سفّاكاً، لا يرى لدم الإنسان أيّة قيمة إذا ظنّ ولو واحداً بالمائة، إنّه يريد خلافه، وقتل زيد وصلبه وإبقاء جثمانه الطاهر على الخشبة أربع أو ست سنوات، ثم حرقه ونسفه وذروه فى الرياح والمياه، دليل واضح على أنّ الرجل بلغ فى القسوة غايتها.

ومع ذلك كله ترى أنّ ابن سعد جاء فى الطبقات ما يضيق به الإنسان ذرعاً يقول: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سحبل بن محمد قال: ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشدّ عليه من هشام بن عبد الملك وقد دخله من مقتل زيد بن على ويحيى بن زيد أمر شديد وقال: وددت أنّى كنت افتديتهما.

ثم ينقل عن أبى الزناد: ما كان فيهم أحد أكره إليه الدماء من هشام بن عبد الملك ولقد ثقل عليه خروج زيد بن على، فما كان شىء

حتى أتى برأسه، وصلب بدنه بالكوفة. ولى ذلك يوسف بن عمر فى خلافة هشام بن عبد الملك (۲).

أقول: نعم ولى ذلك يوسف بن عمر لكن بأمر منه حتى أنّ عامله فى الكوفة_____

(۱) المفيد: الإرشاد: ۲۲۵.

(۲) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ۵|۳۲۶.

(۲۲۲)

والحيرة كان غافلاً عمّا يجرى فيها من وثوب الناس على زيد ومبايعتهم له، إلى أن كشف عنه هشام، وأمره بما أمره.

روى أبو الفرج قال: لما قتل زيد رثاه الكميت بقصيدة هجا فيها بنى أُمية يقول فيها:

فيا ربّ هل إلّا بك النصر يُبتغى * ويا ربّ هل إلّا عليك المعول وهى طويلة يرثى فيها زيد بن على، والحسين بن زيد ويمدح بنى هاشم فلما قرأها هشام بن عبد الملك أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده، فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقة بداره فأُخذ وحبس فى المخيّس... (۱).

يقول ابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة ۱۲۵:

وفيها مات فى ربيع الآخر، الخليفة أبو الوليد هشام بن عبد الملك الأموى، وكانت خلافته عشرين سنة إلّا شهراً، وكانت داره عند الخواصين بدمشق فعمل منها السلطان نور الدين مدرسة، وكان ذا رأى وحزم وحلم وجمع للمال. عاش أربعاً وخمسين سنة، وكان أبيض سميناً أحول، سديداً حسن الكلام، شكس الأخلاق، شديد الجمع للمال قليل البذل، وكان حازماً متيقّظاً لايغيب عنه شيء من أمر ملكه، قال المسعودى: كان هشام أحول، فظّاً، غليظاً، يجمع الأموال ويعمّر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة. اجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكساء والفرش وعدد الحرب، ولامتها، واصطنع الرجال، وقوّى الثغور واتّخذ القنى، والبرك بمكة وغير ذلك من الآبار التى أتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية، وفى أيامه عمل الحرز فسلك الناس جميعاً فى أيامه مذهبه، ومنعوا ما فى أيديهم فقلّ الإفضال وانقطع_____

(۱) الأغانى: ۱۷|۴.

(۲۲۳)

الرفد ولم ير زمان أصعب من زمانه.

ودخل هشام بستاناً له ومعه ندماوَه فطافوا به وفيه من كل الثمار، فجعلوا يأكلون ويقولون: بارك اللّه لأمير المؤمنين فقال: وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ثم قال: أُدع قيّمه فدُعى به فقال له: أقلع شجره واغرس فيه زيتوناً حتى لا يأكل أحد منه شيئاً، وكان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلى الأمر فقال له: ياهشام أتوَمل الخلافة وأنت جبان بخيل قال: أى واللّه العليم الحليم.

ومن نوادره ما روى أنّه تمادى فى الصيد فوقع على غلام فأمر ببعض الأمر!!فأبى الغلام وأغلظ له فى القول وقال له: لا قرب اللّه داركَ ولا حيّا مزاركَ ـ فى قصة طويلة فيها ـ أنّه أمر بقتله وقرب له نطع الدم فأنشأ الغلام يقول:

نبئت أنّ الباز علّق مرّة * عصفور برّ ساقه المقدور

فتكلّم العصفور فى أظفاره * والباز منهمك عليه يطير

ما فىّ ما يغنى لبطنك شبعة * ولئن أكلت فإنّنى لحقير

فتعجّب الباز المدل بنفسه * عجباً وأفلت ذلك العصفور فضحك هشام وقال: يا غلام أحش فاه دراً وجواهر (۱).

أقول: إذا كان هذا أكره الخلفاء للدماء وأشدهم عليه فمن هو أحرصهم عليها وعلى إراقتها، وكأنّى بشاعر المعرة يخاطب ابن سعد صاحب الطبقات ومن لفّ لفّه ويقول:

إذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعيّر قساً بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الاَرض، السماء ترفعاً * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فياموتُ زُر إنّ الحياة ذميمةويانفس جدى، إنّ دهرك هازلا_____

(۱) عماد الدين الحنبلى: شذرات الذهب: ۱۶۲ ـ ۱۶۴.

الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة

الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ ۱ ـ ثورة أهل المدينة ومأساة الحرة.

۲ ـ ثورة عبد اللّه بن الزبير فى مكة المكرّمة أيام خلافة يزيد وبعدها.

۳ ـ ثورة التوابين المستميتين فى الكوفة.

۴ ـ ثورة المختار بن أبى عبيدة الثقفى.

۵ ـ ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث أيام عبد الملك.

(۲۲۶)

أُباة الضيم وأخبارهم

قال ابن أبى الحديد:

سيد أهل الإباء الذى علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبد اللّه الحسين بن علىّ بن أبى طالب ـ عليهما السلام ـ عُرِض عليه الاَمان، فأنِفَ من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن ينالَه بنوعٍ من الهوان؛ إن لم يقتُله، فاختار الموت على ذلك (۱)

الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين ـ عليه السلام :ـ

أرى أنّ اللازم قبل كل شىء تبيين جذور ثورة الإمام زيد، وما دفعه إلى الخروج وهل كان هناك حافز نفسانى دفعه إلى القيام واكتساح الاَشواك عن طريق الخلافة التى كان يتبنّاها، أو كان هناك دافع خارجى يحضّه ويشوّقه إلى قبض الخلافة والزعامة، أو لا هذا ولا ذاك بل كان مستلهماً من ثورة جده الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وكانت ثورته استمراراً لثورته، تلك الثورة التى أنارة الدرب لكل من يطلب الحقّ ويضحى فى سبيله.

إنّ ثورة الحسين ـ عليه السلام ـ منذ تفجرها صارت أُسوة وقدوة للمضطهدين على وجه البسيطة، والمعذبين تحت نير الطغاة، وعلى المعانين من حكومات الجور والتعسف فى الاَوساط الإسلامية وانحراف الدول والحكومات عن خط العدل والاقتصاد.

_____

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ۳|۲۴۹.

(۲۲۷)

وقد لمس الثائرون أنّ ثورة الحسين ـ عليه السلام ـ كانت ثورة مبدئية إلهية، لاَجل صيانة الدين عن التحريف والمجتمع عن الانحراف والاعتساف، فلاَجل إيقاف القارئ على مبادئ ثورته وغاياتها نذكر الحافز أو الحوافز التى دفعت الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ إلى الثورة والتضحية بشيخه، وكهله، وطفله الرضيع، حتى يتبين عمق الثورة وملامحها وآثارها. سلام اللّه عليه وعلى الثائرين المتأثرين التابعين لخطه.

الخصومة بين الحسين ـ عليه السلام ـ والحاكم الاَموى كانت مبدئية :

كانت الخصومة بين الهاشميين والاَمويين قائمة على قدم وساق منذ عصور قبل الاِسلام، وكانت الخصومة عند ذاك تتسم بالقبلية وإن كان العداء السائد يتغذى من أُمور تمت إلى المعنوية والمثالية بصلة، حيث إنّ الهاشمى كان عنوان الفضل والفضيلة ومثالاً للتقى على عكس ما كان أُمية وبنوه عليه، فكانوا منغمرين فى الانهيار الخلقى، والانكباب على المادة والماديات وقد ألّف المؤرخ الشهير المقريزى كتاباً خاصاً أسماه بـ«النزاع والتخاصم بين بنى أُمية وبنى هاشم» نقتطف شيئاً قليلاً منه، حتى يتبيّن أنّ التخاصم فى ذلك العصر وإن كان متسماً بالنزاع القبلى ولكنه كان مبنياً على تمتع بنى هاشم بنفسيات كريمة وروحيات طيبة حيث كانوا رافلين فى حلل الفضائل والفواضل على جانب الخلاف مما كانت عليه بنو أُمية.

مناشدة هاشم وأُمية :

نافر أُمية هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق، تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق وكان منزله بعسفان وخرج مع أُمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث

(۲۲۸)

بن فهر ابن مالك الفهرى، فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر وما اهتدى بعَلَم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أُمية إلى المآثر أوّل منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الاِبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أُمية إلى الشام فأقام به عشر سنين فكان هذا أوّل عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أُمية، ولم يكن أُمية فى نفسه هناك وإنّما يرفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفاً وكان صاحب عهار، ويدلّ على ذلك قول نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أُمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

أبوك معاهر وأبوه عفّ * وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك أنّ أُمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة، فضربه رجل منهم، ضربة بالسيف وأراد بنو أُمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن العدى السهمى وكانوا أخواله... (۱)

جاء نبى الاِسلام بدين سمح قد شطب على جميع ما كان فى الجاهلية من أحقاد وضغائن، وقال فى خطبة حجّة الوداع: ألا كلّ شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع» (۲).

وبعد حروب ومعارك دامية قتلت فيها أبطال قريش وصناديدهم، كما استشهد لفيف من المهاجرين والاَنصار، دخل بنو أُمية فى حظيرة الاِسلام متظاهرين به ولكن مبطنين الكفر والنفاق شأن كل حزب منهزم أمام تيّار جارف، فكانوا ينتهزون الفرص ليقضوا على الاِسلام باسم الاِسلام، وعلى العدل والتقى_____

(۱) النزاع والتخاصم بين بنى أُمية وبنى هاشم: ۲۰ ـ ۲۱.

(۲) الصدوق: الخصال: ۴۸۷.

(۲۲۹)

باسم الخلافة عن رسول اللّه وقد ظهرت بوادر ذلك فى مجلس الخليفة عثمان بن عفان عندما بويع من جانب شورى سداسية أشبه بمسرحية سياسية حيث دخل عثمان بيته ومعه بنو أُمية، جالسين حوله، يتبجحون بإناخة جمل الخلافة على بابهم، وقد تلقاها رئيس القبيلة أبو سفيان إنّها إمرة سياسية أو سلطة بشرية وصلت إليهم، وإنّه كان كذلك فى عصر الخليفتين السابقين وحتى الرسول الاَكرم وأنّه لم تكن هناك أية إمرة إلهية وخلافة دينية وليس هناك جنّة ولانار.

يقول أبو بكر الجوهرى: إنّ أبا سفيان، قال لما بويع عثمان: كان هذا الاَمر فى تيم، وأنّى لتيم هذا الاَمر. ثم صار إلى عدى فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها، واستقر الاَمر قراره، فتلقفوها تلقف الكرة.

وقال أيضاً: إنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبى أنت. أنفق ولا تكن كأبى حجر، وتُداولوها يابنى أُمية تداول الولدان الكرة، فواللّه ما من

جنةولا نار، وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبى سفيان: أغرب، فقال: يابنى أهاهنا أحدٌ؟ قال الزبير: نعم واللّه لا كتمتها عليك (۱)

أسّس عثمان حكومة أموية بحتة عزل سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة فولاها الوليد بن عقبة وكان أخاً لعثمان من أُمّه، كما أنّه عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر عام ۲۷هـ واستعمل عليه عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح وكان أخاه من الرضاعة، وهو ابن خال عثمان، وأبقى معاوية على ولايته على الشام ولما كثرت الشكوى على عامله بالكوفة: الوليد بن عقبة، عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، حتى قيل إنّ سبعاً وخمسين من ولاته وعماله الكبار كانوا من بنى أُمية (۲)

إنّ هذه الحوادث المريرة وأضعافها التى حفظها التاريخ وجئنا بقليل منها_____

(۱) ابن أبى الحديد: شرح النهج: ۲|۴۵ نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهرى.

(۲) لاحظ: الدينورى: الأخبار الطوال: ۱۳۹، ابن الأثير: الكامل: ۳|۸۸ ـ ۸۹، الطبرى: التاريخ: ۳|۳۳۹ و ۴۴۵ وغيرها.

(۲۳۰)

فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة أغضبت جمهور المسلمين وأثارتهم ضد الخليفة حتى انتهت إلى قتله فى داره، والمهاجرون والأنصار، بين مجهز عليه، أو موَلّب ضده، أو مستبشر بمقتله أو صامت رهين بيته محايد عن الطرفين (۱)

قُتل عثمان بسيف مروان بن الحكم الذى سلّه عليه بأعماله المأساوية فى بلاطه، وجاء بعده الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ بإلحاح من الجماهير وبايعوه على أن يرد الإسلام إلى عصر الرسول، وقد امتنع فى بدء الأمر عن قبول الخلافة وتزهد فيها كما تزهد فى عصر الخلفاء، غير أنّه لمّا تمت الحجّة عليه ورأى أنّ فى التقاعس عن قبولها ضرراً على الإسلام والمسلمين أخذ بزمام الخلافة بيد من حديد وقد خضعت له الأوساط الإسلامية بعمالها وأُمرائها قاطبة إلّا معاوية بن أبى سفيان، فقد استمر على العناد، واقفاً على أنّه لو بايع الإمام للحقه العزل عن العمل، ومصادرة الأموال الطائلة. فبقى على المخالفة وألّب بعض المهاجرين والأنصار على الإمام حتى بايعهم خفاء إلى أن يبايعهم جلياً بعد سحب الإمام عن ساحة الخلافة، إلى أن آل الأمر إلى تأجيج نار حروب ثلاثة (الجمل وصفين والنهروان) قد عرفت تفاصيلها فى الجزء الخامس، فلو قتل فى الجمل قرابة أربعة عشر ألف مقاتل من الطرفين، أو قتل فى صفين سبعين ألف مقاتل من العراقيين والشاميين، أو نشبت حروب دامية بين أنصار على والخارجين على بيعته، طوال سنين، فكلّها من جرائم وآثام ذلك الخلاف والعناد والخروج على الإمام.

التحق الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ إلى الرفيق الأعلى وقتل بيد أشقى الأوّلين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم عام أربعين، ومعاوية بعدُ قابع على كرسيه، وقد صفا له الجوّ برحيل على ـ عليه السلام ـ فلم ير فى الساحة إنساناً منافساً ولا مخالفاً سوى، الحسن بن على ـ عليه السلام ـ لأنّ الجماهير من المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع على فى العراق بايعوه بالخلافة والإمامة ولكن معاوية خالفه ولم يبايعه كما_____

(۱) الطبرى: التاريخ: ۳|۳۹۹.

(۲۳۱)

خالف أباه ولم يبايعه بل حاربه.

نشب الخلاف بين معاوية والحسن بن على وانجر الأمر إلى تجنيد الجنود ونفرهم إلى ميادين الحرب وبعد حوادث مريرة رأى الإمام الحسن ـ عليه السلام ـ أنّ الأصلح هو التنازل والتصالح تحت شروط ومبادئ خاصة حفظها التاريخ، ومن أهم الشروط التى وقّع عليها كل من معاوية والحسن بن على، هو أنّه ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً (۱)ولكن معاوية لم يكن ممن يعتمد على قوله وعهده ولا على حلفه ويمينه.

إنّ معاوية من الفئة الذين يقولون ولا يفعلون وقد أظهر نواياه بعدما تم التصالح فقال: إنّى واللّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا انّكم لتفعلون ذلك ولكنى قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطانى اللّه ذلك وأنتم له كارهون ألا وإنّى كنت منّيت

الحسن أشياء وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمى هاتين لا أفى بشىء منها له. (۲)

رجع الحسن بن على إلى مدينة جده، ومعه أخوه الحسين وبنو هاشم وكان يتجرع الغصص من آل أُمية طيلة حياته إلى أن سمّه معاوية بتغرير زوجته فوافاه الاَجل عام خمسين من الهجرة النبوية، وكان يضرب به المثل فى الصبر والحلم. قال أبو الفرج: لما مات الحسن بن على ـ عليهما السلام ـ وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره، فقال له الحسين ـ عليه السلام: ـ أتحمل سريره أما واللّه كنت تجرعه الغيظ، فقال: مروان إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال (۳)

لم يكن معاوية يجترىَ على نقض ما وقع من عدم العهد إلى أحد ما دام الحسن فى قيد الحياة، وكان يتحين الفرص لنقض العهد واليمين وقد نقض أكثر_____

(۱) ابن صباغ المالكى: الفصول المهمة: ۱۶۳.

(۲) المفيد: الاِرشاد: ۱۹۱.

(۳) أبو الفرج الاَصفهانى: مقاتل ا،لطالبيين: ۴۹، طبعة النجف الاَشرف.

(۲۳۲)

ما عهد ولم يبق إلّا شىء واحد وهو أن لا يعهد إلى أحد وكان ولده يزيد أُمنيته وقرة عينه، ولما مات الحسن رأى الجو صافياً، فمهد الطريق لتنصيبه والياً من بعده، وقد بذل فى طريق أُمنيته أموالاً طائلة لاَصحاب الدنيا من الصحابة والتابعين حتى أرضى طائفة بترغيبه ونقوده، وطائفة أُخرى بتخويفه وترهيبه. نعم بقى هناك لفيف قليل اشتروا سخط المخلوق برضا الخالق فلم يبايعوه بل ثاروا عليه ووبخوا معاوية على نقض عهده، منهم: أبو الشهداء الحسين بن على فقد جاهر وطرد بيعته وذلك عندما أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد فقام وحمد اللّه وصلى على الرسول، فقال بعد كلام: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لاُمّة محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به ومن استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لاَترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصراً، ودع عنك لما تحاول فما أغناك أن تلقى اللّه بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه»(۱)

تسنم معاوية منصة الحكومة فكان يحكم كالقياصرة والاَكاسرة إلى ان أدركته المنية عام ستين وجلس مكانه وليده وربيبه، ونظيره فى الخَلق والخُلق، واهتز العالم الاِسلامى حينذاك حيث أحسّوا أنّ إنساناً خمِّيراً وسكّيراً لاعباً بالكلاب والقردة، تصدى للاِمارة وفى الحقيقة للقضاء على الاِسلام والمسلمين باسم الخلافة عن النبى الاَكرم، فعند ذاك تمت الحجّة على الحسين بن على ـ عليه السلام ـ فجاهر بالخلاف والصمود أمامه حيث تجسد فى الزمان قول جده رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلّا فعليه لعنة اللّه» (۲_____)

(۱) ابن قتيبة: الاِمام والسياسة: ۱|۱۶۹.

(۲) الكلينى: الكافى: ۱|۵۴، ط الغفارى.

(۲۳۳)

وكان يزيد يحس بذلك عن كثب فكتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة أن يأخذ الحسين بالبيعة له، فلما اجتمع مع عامله فعرض عليه البيعة فرفض بعد جدال عنيف بحضور مروان بن الحكم، وأصبح الحسين من غده يستمع الاَخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه فى طريقه ونصحه بالبيعة ليزيد فعندئذ ارتجّ الحسين وثارت ثورته وقال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وعلى الاِسلام السلام إذا بليت الاُمة براع مثل يزيد»، ثم قال: «يا مروان أترشدنى لبيعة يزيد، يزيد رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزللاً ولا ألومك، فإنّك اللعين الذى لعنك رسول اللّه وأنت فى صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول اللّه، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنى ياعدو اللّه فإنّا أهل بيت رسول اللّه، الحقّ فينا ينطق على ألسنتنا وقد سمعت جدى رسول اللّه يقول: الخلافة محرمة على

آل أبی سفیان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأیتم معاویة علی منبری فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدینة علی منبر رسول اللّه فلم یفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه یزید» (۱)

دوافعه نحو الثورة :

هذه الکلمة المبارکة من الحسین بن علی ـ علیهما السلام ـ فی أعتاب تفجیر الثورة تعرب عن أنّ خلافه مع یزید لم یکن خلافاً قبلیاً ولا ـ استمراراً له، وإنّما کان یثور علیه لأجل أنّ الحاکم یتّسم بمبادیَ هدامة للدین، ولو أُتیحت له الفرصة لقضی علی الإسلام والمسلمین، فلأجل ذلک قام عن مجلس الولید ولم یبایعه وترک مدینة جده والتجأ إلی مکة المکرمة، ولیست هذه الکلمة کلمة وحیدة معربة عن نوایاه وحوافزه التی دفعته إلی الثورة فکم لها من نظیر فی حیاته.

وإلیک کلمته الثانیة عندما نزل منطقة البیضة من العراق واعترضه الجیش الأموی بقیادة الحر بن یزید التمیمی الیربوعی، فقال واقفاً بعد أن حمد اللّه وأثنی_____

(۱) الخوارزمی: مقتل الحسین: ۱|۱۸۴ ـ ۱۸۵.

(۲۳۴)

علیه: «أیها الناس أنّ رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ قال: من رأی سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام اللّه، ناکثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، یعمل فی عباد اللّه بالإثم والعدوان، فلم یغیر علیه بفعل ولا قول، کان حقاً علی اللّه أن یدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشیطان، وترکوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفیء وأحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله» (۱)

تری أنّ الإمام یعلل ثورته علی یزید فی البیان الأوّل بأنّه رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة معلن للفسق، وإن هذه الصفات لا تتفق مع شروط الخلافة کما أنّه یعلل ثورته فی البیان الثانی بأنّه سلطان جائر، مستحل لحرام اللّه ناکث لعهده، مخالف لسنّة رسوله عامل فی عباده بالإثم والعدوان. کل ذلک یعرب عن أنّ ثورته لم تکن ثورة قبلیة ولا عنصریة، بل مبدئیة بحتة.

وهناک للإمام بیان ثالث ورابع وخامس و ... یعرّف موقفه من الحاکم الأموی، یعرف دافعه إلی النضال والکفاح نأتی بثالثة:

کتب الإمام إلی روَساء الأخماس والأشراف بالبصرة کتاباً جاء فیه: «وقد بعثت رسولی إلیکم بهذا الکتاب وأنا أدعوکم إلی کتاب اللّه وسنّة نبیه، فإنّ السنّة قد أُمیتت، وإنّ البدعة قد أُحییت وأسیر بسیرة جدی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحقّ، فاللّه أولی بالحقّ، ومن ردّ علیّ هذا أصبر حتی یقضی اللّه بینی وبین القوم بالحقّ وهو خیر الحاکمین» (۲)

وفی هذه المقتطفات من خطب ورسائل الإمام أدلّة واضحة علی أنّ الثورة لم تکن ثورة قبلیة ولا عنصریة بل کانت ثورة دینیة عقائدیة بحتة، وکان الدافع المهم للتضحیة ترسیم خط الشهادة والفداء لکل من یطلب رضی الحقّ، وبالتالی_____

(۱) ابن الأثیر: الکامل: ۳|۲۸۰، الطبری: التاریخ: ۴|۳۰۰.

(۲) الخوارزمی: المقتل: ۱|۸۸، الفصل ۹.

(۲۳۵)

قطع جذور الشر وتحطیم قوی الکفر والمنکر، وإن طال سنین، وقد نجح الإمام فی ثورته هذه إلی أن انتهی الأمر إلی اجتثاث جذور بنی أُمیة عن أدیم الأرض وغلق ملفهم بقتل حمارهم مروان عام ۱۳۲هـ ق.

نجاح الإمام الحسین ـ علیه السلام ـ فی ثورته :

لقد درسنا الحافز أو الحوافز التی دفعت الإمام إلی الثورة غیر أنّه بقی هنا أن نتحدث عن نتائجها وعن عطائها، إذ بالوقوف علیها یعلم أنّه کان فی ثورته ناجحاً أو فاشلاً، إنّ هناک من ینظر إلی ثورة الحسین من منظار سیاسی ضیق أو مادی بحت أضیق، فیظن أنّ ثورته کانت فاشلة حیث إنّ الإمام استشهد ولم ینل الخلافة، والمسلمون بقوا بعد الثورة علی ما کانوا علیه قبلها، فکان الإرهاب والتشرید حلیفهم، وکانت الحکومة الأمویة هی الحاکمة فی البلاد الإسلامیة قرابة سبعین سنة.

هـذا مـا يتصوره بعض الكتـاب فى ثورة الحسـين، وكـأنّ نجـاح الثورة فى منطقهم، هو نجاحها فى يومها أو بعـد أيام، وهـذا الزعم من هوَلاء نـاش من الجهل بالحقّ أو التجاهل به، فلَاجل قلع هـذا التعتيم نركّز من عطاء الثورة فى المقام على أمرين مهمين ونترك الباقى لَاقلام الكاتبين فى ثورة الحسين:

١ ـ إنّ الإمـام بتضـحية نفسه ونفيسه، أعلم الاُمّـة فظاظـة الاُمويين وقسوة سياسـتهم، وابتعادهم عن الناموس البشـرى فضـلاً عن الناموس الدينى وتوغلهم فى الغلظة الجاهلية، وعادات الكفر الدفين.

ثـار فى وجه الحكم السائـد ليُعلم الملَا الـدينى أنّهم لم يوقروا كبيراً ولم يرحموا صـغيراً، ولم يرقبوا على رضـيع ولم يعطفوا على امرأة فقدّم إلى ساحات المفاداة، أغصان الرسالة وأوراد النبوة، وأنوار الخلافة، ولم تبق جوهرة من هاتيك

(۲۳۶)

الجواهر الفريدة، فلم يعتم هو ولا هوَلاء إلّا وهم ضحايا فى سبيل تلك الطلبة الكريمة.

سل كربلا كم من حشاً لمحمّدٍ * نهبت بها وكم استجذت من يد

أقمار تمٍّ غالها خسف الردى * وانثالها بصـروفها الزمن الردى(١) ٢ ـ لم يكن الحسـين ـ عليه السلام ـ يطلب ملكاً عضوضاً ولا سلطة بشـرية وإنّما يطلب إيقاظ الاُمّة بواجبه الحتمى، وما هو إلّا إقامة الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكأنّ الاُمّة نسيت ذينك العمادين وذلك لعوامل خلفت رفض ذينك الَامرين المهمين.

كانت الاُمّـة تعيش بين الترغيب والترهيب فصارت محايـدة عن كل عمل إيجابى يغير الوضع الحاضـر وهم بين راضٍ بما يجرى، وبين مبغض صامت، يترك الَامر إلى اللّه تبارك وتعالى، فكانت القلوب مشفقة والَايدى مغلولة وعلى الَالسن أُوكية.

وكيف يصح لمسلم واع، التساهل أمام عربدة يزيد بالكفر الصريح فى شعره ونثره، وإنكار الوحى والرسالة وهذا هو التاريخ يحكى لنا: أنّه لما ورد على يزيد نساء الحسين وأطفاله، والروَوس على الرماح وقد أشرفوا ثنيّة جيرون نعب الغراب فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت * تلك الشموس على رُبى جيرون

نعب الغراب فقلت صـح أو لاتصح * فلقد قضـيت من الغريم ديونى(٢) يعنى أنّه قتل بمن قتل رسول اللّه يوم بـدر كجـده عتبة وخاله وليد بن عتبة، وغيرهما وهذا كفر صريح لا يلهج به إلّا المنكر للرسالات والنبوات ورسالة سيد الرسل_____.

(١) الَاميني: الغدير: ٣|٢۶۴.

(٢) ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ٢٣۵.

(۲۳۷)

ولم يقتصر بذلك بل أخذ ينشد شعر ابن الزبعرى حين حضر رأس الحسين بين يديه وقال:

ليت أشياخى ببدرٍ شهدوا * جزع الخزرج من وقع الَاسل

قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلنا قتل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا يايزيد لاتشل

لست من خندف إن لم أنتقم * من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هـاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحىٌ نزل (١) وليس ذلك ببعيد عن ابن معاوية فإنّ أباه كان يشـمئز من سماع الشهادة الثانية على رسالـة محمـد فكان يقول: للّه أبوك يا ابن عبـد اللّه لقـد كنت عالى الهمة ما رضـيت لنفسك إلّا أن تقرن اسـمك مع اسم ربّ العالمين (٢)

ولما قال له المغيرة بن شـعبة: لقد كبرت فلو أظهرت عدلاً لِاخوانك من بنى هاشم فإنّه لم يكن عندهم شىء تخافه قال: هيهات مَلِكَ أخو تيم، وفعـل ما فعل، فواللّه ما غـدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك أخو عـدى، فاجتهـد وشـمر فواللّه ما

غـدا أن هلـك فهلـك ذكره إلاّ أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان، فعمل ما عمل فواللّه ما غـدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل عثمان.

وانّ أخا هاشم يصـرخ باسـمه فى كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأى عمل يبقى مع هذا لا أُم لك واللّه إلاّ دفنا دفنا_____.

(۱) البيتان الاَوّلان لابن الزبعرى، والثلاثة الاَخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص: ۲۳۵.

(۲) شرح النهج الحديدى: ۲|۵۳۷.

(۲۳۸)

ولمّا سـمع المأمون بهـذا الحديث كتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضـطربت العامة فأُشـير عليه بالترك فأعرض عما كان عليه(۱).

فلما قام الحسين فى وجه الحكومة بأولاده وأصحابه القليلين، فقد نفث فى جسم الاُمّة روح الكفاح والنضال وحطمت كل حاجز نفسى واجتماعى كان يوقفهم عن القيام، وأثبت أنّ الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هـذه الظروف الحرجـة ليس رهن العِدّة والعُدّة بل إذا حاق الخطر بالاُمّة من ملوكها وأمرائها وزعمائها وأصبحوا يسوقون الناس بأفعالهم وأعمالهم، والمجتمع إلى العيش الجاهلى، وجب على المؤمن الاسـتنكار بقلبه ولسانه ويده فكان فى قيامه تحطيم السدود المزعومة الممانعة عن القيام بالفريضة، ولاَجل ذلك استتبعت ثورته، ثورات عديـدة تترى من غير فرق بين من ثـار وهو على خـط الاِمـام وبين من ثـار فى وجه الطغمـة الاَمويـة ولم يكن على خطه وفكره ولكن الكل كانوا مستلهمين من تلك الثورة العارمة، ولولا حركة الحسين ـ عليه السلام ـ لما كان لهذه الحركات أىّ أثر فى المجتمع الاِسلامى، وإن كنت فى ريب من ذلك فعليك بدراسة الثورات المتتابعة بعد قيامه ونهضته.

قضـى الاِمام نحبه فى اليوم العاشر من محرم الحرام عام ۶۱هـ والرضاء بقضاء اللّه وقدره بين شـفتيه (۲)وهو ظمآن لم يشرب الماء منذ ثلاثـة أيام، والفرات يموج بمياهه وحيتانه «سبيل على الرواد منهله العـذب» دون الحسـين وأولاده وأصـحابه حتى يموتوا عطشـى. ولم يقتصر عدوّه الغاشم بقتله حتى همّ_____

(۱) مروج الذهب: ۲|۳۴۳. آخر أخبار المأمون.

(۲) قال ـ عليه السلام ـ وهو طريح مصرعه: «رضاءً بقضائك، وتسليماً لاَمرك، لا معبود سواك، ياغياث المستغيثين».

(۲۳۹)

برضِّ صدره وظهره بالخيل، ليقضى بذلك على جسم الاِمام كلّه. لكنّه فاته أنّ شهداء طريق الحقّ، أحياء عند ربّهم يرزقون، أحياء بين الشـعوب الحيـة، وأنّه سوف ينقلب الاَمر لصالـح الاِمام وضـد العـدو حتى فى اليوم الـذى قضـى عليه وأنّه ـ عليه السـلام ـ سـيجعل من أعدائه الذين وجهوا إليه سيوفهم ورماحهم، أنصاراً صامدين، وثواراً مناضلين.

روى المؤرخون: لمـا قتـل الحسـين وتسـابق العسـكر إلى نهب خيـام آل الرسول ونهبوا ما فيها أولاً، وأضـرموا النار ثانياً وبنات الزهراء حواسـر مسلبات، باكيات فنظرت امرأة من آل بكر بن وائل، كانت مع زوجها، إلى بنات رسول اللّه بهذا الحال فصاحت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول اللّه لا حكم إلاّ للّه، يالثارات رسول اللّه فردها زوجها إلى رحله (۱)

كان ذلك الهتاف من ذلك الوقت، نواة للثورة على العدو، وإن لم يشعر به العدو، واكتفى بجرها إلى رحله.

كان الحسـين فاتحاً فى نهضته، إذ لم يكن يتبنّى شيئاً سوى إيقاظ شعور الاُمّة بلزوم القضاء على دعاة الضلال، وكسح أشواك الباطل، عن طريق الشريعة، وتعريف الملاء بالذين هم الاَحق بالخلافة والقيادة.

إنّ أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ غذّوا الاُمّة بتحريضهم على عقد المحافل والمجالس لذكر حادثة الطف، وما جرى على الحسين من مصائب تـدك الجبال الرواسـى، وتذيب القلوب القاسية وقد اتخذوا أساليب مختلفة فى إحياء حديث الطف بتشـكيل أندية العزاء

فی بیوتهم تـارة، ودعوة النـاس إلیهـا ثانیـاً، فقـال الإمام الباقر ـ علیه السـلام «ـ رحم اللّه عبـداً اجتمع مع آخر فتـذاکر أمرنا» (۲)فکان

(۱) ابن نما: مثیر الأحزان: ۴، ابن طاووس: اللهوف: ۷۴.

(۲) المجلسی: البحار: ۷۴|۳۵۴ ح ۳۱.

(۲۴۰)

لتلک الذکریات أثراً باهراً فی تخلید الثورة فی نفوس الأُمّة حتی اتخذه الأحرار مقیاساً للسیر فی ضوئه مصباحاً وإلیک نزراً یسیراً من الثورات التالیة لثورة الإمام ـ علیه السلام ـ (۲۴۱) ۱ ثورة أهل المدینة وإخراج عامل یزید لما ولی الولید الحجاز أقام یرید غِرّة عبد اللّه بن الزبیر فلا یجده إلّا محترزاً ممتنعاً، وثار نجدة بن عامر النخعی بالیمامة حین قتل الحسین، وثار ابن الزبیر بالحجاز ... فعزل یزید الولید، وولی عثمان بن محمد بن أبی سفیان فبعث إلی یزید وفداً من أهل المدینة، فیهم: عبد اللّه بن حنظلة، غسیل الملائکة وعبد اللّه ابن أبی عمرو بن حفص بن المغیرة المخزومی، والمنذر بن الزبیر ورجالاً کثیراً من أشراف أهل المدینة، فقدموا علی یزید فأکرمهم وأحسن إلیهم، وأعظم جوائزهم فأعطی عبد اللّه بن حنظلة، وکان شریفاً فاضلاً عابداً سیداً، مائة ألف درهم، وکان معه ثمانیة بنین، فأعطی کل ولد عشرة آلاف.

فلمّا رجعوا قدموا المدینة کلهم إلّا المنذر بن الزبیر فإنّه قدم العراق علی ابن زیاد وکان یزید قد أجازه بمائة ألف دینار، فلمّا قدم أُولئک النفر الوفد، المدینة قاموا فیهم فأظهروا شتم یزید وعیبه وقالوا: قدمنا من عند رجل لیس له دین یشرب الخمر، ویضرب بالطنابیر، ویعزف عنده القیان، ویلعب بالکلاب، ویسمر عنده الحراب وهم اللصوص وإنّا نشهدکم إنّا قد خلعناه.

وقام عبد اللّه بن حنظلة الغسیل فقال: جئتکم من عند رجل لو لم أجد إلّا

(۲۴۲)

بنیّ هوَلاء لجاهدته بهم، وقد أعطانی وأکرمنی وما قبلت منه عطاءه إلّا لأتقوّی به فخلعه الناس، وبایعوا عبد اللّه بن حنظلة الغسیل علی خلع یزید وولّوه علیهم (۱)

ولما دخل عام ۶۳هـ أخرج أهل المدینة عثمان بن محمد بن أبی سفیان عامل یزید، وحصروا بنی أُمیة بعد بیعتهم عبد اللّه بن حنظلة، فاجتمع بنو أُمیة ومواولیهم ومن یری رأیهم فی ألف رجل حتی نزلوا دار مروان بن الحکم فکتبوا إلی یزید یستغیثون به فبعث إلی عمرو بن سعید فأقرأه الکتاب وأمره أن یسیر إلیهم فردّ وقال: لا أُحب أن أتولّی ذلک.

وبعث إلی عبید اللّه بن زیاد یأمره بالمسیر إلی المدینة ومحاصرة ابن الزبیر بمکة فقال: واللّه لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول اللّه وغزو الکعبة. ثم أرسل إلیه یعتذر.

فبعث إلی مسلم بن عقبة المری، وهو الذی سمّی مسرفاً، وهو شیخ کبیر فاستجاب، فنادی فی الناس بالتجهز إلی الحجاز، وأن یأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دینار، فانتدب لذلک اثنا عشر ألفاً، وخرج یزید یعرضهم، فأقبل مسلم إلی المدینة ودخل من ناحیة الحرّة وضرب فسطاطه بین الصفین واقتتل الصفان قتالاً شدیداً وانتهی الأمر، إلی غلبة قوات الشام علی أهل المدینة بعدما قتل من الطرفین أُناس کثیر، ولم یقتصر المسرف بذلک بل أباح المدینة ثلاثاً یقتلون الناس ویأخذون المتاع والأموال... (۲_____)

(۱) ابن الأثیر الجزری: الکامل: ۴|۱۰۳.

(۲) المصدر نفسه: ۴|۱۱۱ـ ۱۱۷، الطبری: التاریخ: ۴|۳۷۲ ـ ۳۸۰، موَسسة الأعلمی ـ بیروت.

(۲۴۳) ۲ ثورة عبد اللّه بن الزبیر عبد اللّه بن الزبیر بن العوام ولد بعد الهجرة بعشرین شهراً، وکان أبوه ابن عمة علی ـ علیه السلام ـ وهو ابن خاله، وهو ممن سلّ سیفه یوم السقیفة لصالح علی وقال: لا أغمد سیفی حتی یبایع علی، ولکن ـ و للأسف ـ کان ولده علی الطرف النقیض من ذلک فهو کما قال علی ـ علیه السلام: ـ ما زال الزبیر منّا أهل البیت حتی نشأ عبد اللّه فأفسده (۱)وهو الذی دفع

أباه إلی محاربة الإمام فی وقعة الجمل بعد ما ندم وأراد التصالح والتراجع.

ومع هذا هو ممن اتخذ ثورة الإمام حجّة علی خروجه فی وجه الحاکم الأموی وروی الطبری بسنده إلی عبد الملک بن نوفل قال: حدثنی أبی: قال لما قتل الحسین ـ علیه السلام ـ قام ابن الزبیر فی أهل مکة وعظّم مقتله، وعاب أهل الکوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد اللّه وأثنی علیه وصلّی علی محمد ـ صلی الله علیه وآله وسلم : ـ إنّ أهل العراق غدر فجر إلّا قلیلاً، وإنّ أهل الکوفة شرار أهل العراق وأنّهم دعوا حسیناً لینصروه ویولوه علیهم، فلمّا قدم علیهم صاروا إلیه، فقالوا له: إمّا أن تضع یدک فی أیدینا فنبعث بک إلی ابن زیاد بن سمیة، فیمضی فیک حکمه وإمّا أن تحارب فرأی واللّه أنّه هو مقتول ولکنّه اختار

---

(۱) تنقیح المقال: ۲|۱۸۴، مادة «عبد اللّه بن الزبیر».

المیتة الکریمة علی الحیاة الذمیمة فرحم اللّه حسیناً، وأخزی قاتل حسین ـ إلی أن قال: ـ أفبعد الحسین نطمئن إلی هوَلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً لا ولا نراهم لذلک أهلاً. أما واللّه لقد قتلوه، طویلاً باللیل قیامه، کثیراً فی النهار صیامه، أحقّ بما هم فیه منهم وأولی به فی الدین والفضل.

أما واللّه ما کان یبدل بالقرآن، الغناء، ولا بالبکاء من خشیة اللّه الحداء، ولا بالصیام شرب الحرام، ولا بالمجالس فی حلَق الذِّکر الرکض فی تطلاب الصید (یعرض بذلک یزید) فسوف یلقون غیاً.

فثار إلیه أصحابه فقالوا له: أیها الرجل أظهر بیعتک فإنّه لم یبق أحد (إذ هلک حسین) ینازعک هذا الأمر وقد کان یبایع الناس سراً ویظهر أنّه عائذ بالبیت (۱)

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدینة ونهبها شخص بمن معه نحو مکة یرید ابن الزبیر ومن معه، واستخلف علی المدینة رَوْح بن زِنباع الجُذامیّ، وقیل: استخلف عمرو بن مخرمة الأشجعی، فلمّا انتهی إلی المشلَّل نزل به الموت، وقیل: مات بثنیّة هَرْشَی، فلمّا مات سار الحصین بالناس فقدم مکة لأربع بقین من المحرم سنة أربع وستین وقد بایع أهلها وأهل الحجاز عبد اللّه بن الزبیر واجتمعوا علیه، ولحق به المنهزمون من أهل المدینة فحمل أهل الشام علیهم حملةً انکشف منها أصحاب عبد اللّه، ثم نزل فصاح بأصحابه، وصابرهم ابن الزبیر إلی اللیل ثم انصرفوا عنه.

هذا فی الحصر الأوّل ثم أقاموا یقاتلونه بقیة المحرم وصفر کلّه حتی مضت ثلاثة أیام من شهر ربیع الأوّل سنة أربع وستین، ولأجل القضاء علی ابن الزبیر_____

(۱) الطبری: التاریخ: ۴|۳۶۴، ابن الأثیر: الکامل: ۴|۹۸ ـ ۹۹.

المتحصن فی المسجد الحرام رموا البیت بالمجانیق وحرقوه بالنار، وکانت الحرب طاحنة إذ بلغهم نعی یزید بن معاویة لهلال ربیع الآخر ولم یکن أمامهم إلّا طریق واحد وهو الرجوع إلی الشام واختار الرجوع إلیها (۱)

کان ابن الزبیر یسوس الحجاز والعراق وفیهما عماله إلی أن استولی عبد الملک علی العراق عام إحدی وسبعین من الهجرة وانحصرت إمارة ابن الزبیر بالحجاز وعند ذاک وجّه عبد الملک، الحجاج بن یوسف الثقفی فی ألفین وقیل فی ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد اللّه بن الزبیر، وقدم مکة وحصر ابن الزبیر والتجأ هو وأصحابه إلی المسجد الحرام، ونصب الحجاج المنجنیق علی أبی قبیس ورمی به الکعبة إلی أن خرج أصحابه إلی الحجاج بالأمان، و قتل ابن الزبیر یوم الثلاثاء من جمادی الآخرة عام ثلاث وسبعین من الهجرة (۲)

---

(۱) ابن الأثير: الكامل: ۴|۱۲۳ ـ ۱۲۴، الطبرى: التاريخ: ۴|۳۸۱ ـ ۳۸۴.

(۲) الطبرى: التاريخ: ۵|۲۴، ابن الأثير: الكامل: ۴|۳۴۹ ـ ۳۵۶.

(۲۴۶) ۳ ثورة التوابين فى الكوفة إنّ ثورة أهل المدينة على عامل يزيد وإخراجه من المدينة، وحركة ابن الزبير واستيلاءه على الحجاز والعراق، لم يكن ردّ فعل مباشر لقتل الحسين ـ عليه السلام ـ وإن كانا متأثرين من ثورته وحركته، وهذا بخلاف حركة التوابين فقد كانت ردّ فعل مباشر لقتله، حيث أحسّوا أنّهم قصّروا فى حقّ إمامهم، إذ دعاهم فلم يجيبوا، وذلك عار عليهم. يتبعهم عذاب أليم، وأنّه لا يغسل العار والأثم عنهم إلاّ بالثورة على قاتليه وعلى رأسهم، النظام الحاكم.

يقول الطبرى: «لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم، ورأت أنّها قد أخطأت خطأ كبيراً، بدعائهم الحسين إلى النصرة، وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم، لم ينصروه، ورأوا أنّه لا يُغسل عارهم والإثم عنهم فى مقتله إلاّ بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة:

۱ـ سليمان بن صرد الخزاعى، وكانت له صحبة مع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

۲ ـ المسيب بن نَجَبة الفزارى، وكان من أصحاب على ـ عليه السلام ـ وخيارهم.

۳ ـ عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدى.

۴ ـ عبد اللّه بن وال التيمىّ.

۵ ـ رفاعة بن شدّاد البجلى.

إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار

(۲۴۷)

أصحاب على ومعهم أُناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال: فلمّا اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام وقال:

۱ ـ قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربّنا ألاّ يجعلنا ممن يقول له غداً": أوَلَم نُعَمِّركُم ما يَتَذَكَّرُ فِيه مَن تَذَكَّر وجاءَكُمُ النَّذِير("۱).

فإنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قال:

العمر الذى أعذر اللّه فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلاّ وقد بلغه وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتفريط شيعتنا حتى بلا اللّه أخيارنا فوجدنا كاذبين، فى موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا، يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسرّاً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتِل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد قُتِلَ فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا ـ واللّه لا ـ عذر دون أن تقتلوا قاتله، والموالين عليه، أو تقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربّنا أن يرضى عنّا ذلك، وما أنا بعد لقائه، لعقوبته بآمن.

أيّها القوم ولّوا عليكم رجلاً منكم فإنّه لابد لكم من أمير تفزعون إليه، ورايةٍ تحفون بها أقول قولى وأستغفر اللّه لى ولكم.

۲ ـ وتكلّم رفاعة بن شداد وقال: إنّ اللّه قد هداك لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأُمور، ودعوت إلى جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك، مستجاب لك، مقبول قولك قلت: ولّوا أمركم رجلاً منكم، تفزعون إليه، وتحفون برايته وذلك رأى قد رأينا مثل الذى رأيت، فإن تكن أنت_____

(۱) فاطر: ۳۷.

(۲۴۸)

ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفينا متنصّحاً وفى جماعتنا محباً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الاَمر شيخ الشيعة صاحب رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذا السابقة والقدم، سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه، الموثوق بحزمه.

ثم تكلّم كل من عبد اللّه بن وال، وعبد اللّه بن سعد وتكلّما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله، وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته.

۳ ـ تكلّم سليمان بن صرد وقال: فإنّى واللّه لخائف ألاّ يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أُولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنّيهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونَينا وعجزنا، وأدهنّا وتربصنا وانتظرنا ما يكون، حتى قتل فينا، ولدينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يُعطاه، إتخذه الفاسقون غرضاً للنبل، ودريئة للرماح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه. ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربّكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والاَبناء حتى يرضى اللّه، واللّه ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَنْ قتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فواللّه ما هابه امرؤ قطّ إلاّ ذلّ، كونوا كالاولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم " إِنَّكُمْ ظَلَمتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتّخاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فَاقتُلوا أَنْفُسَكُمْ ذلكُمْ خَيرٌ لَكُمْ عِندَ بارِئِكُمْ "فما فعل القوم جثوا على الركب واللّه ومدّوا الاَعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنّه لا ـ ينجيهم من عظيم الذنب إلاّ ـ الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه، أشحذوا السيوف وركّبوا الاَسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا:

۴ ـ فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال: أمّا أنا فواللّه لو أعلم أنّ قتلى نفسى

(۲۴۹)

يخرجنى من ذنبى ويرضى عنّى ربّى لقتلتها، ولكن هذا أُمر به قوم كانوا قبلنا، ونُهينا عنه فأُشهد اللّه ومن حضر من المسلمين أنّ كلّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أُقاتل به عدوّى، صدقة على المسلمين أُقوّيهم به على قتال القاسطين.

۵ ـ وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكنانى فقال: وأنا أُشهدكم على مثل ذلك، فقال سليمان بن صرد: حسبكم من أراد من هذا شيئاً، فليأت بماله عبد اللّه ابن وال التيمى تيم بكر بن وائل، فإذا اجتمع عنده كلّ ما تريدون إخراجه من أموالكم، جهزنا به ذوى الخُلَّة والمسكنة من أشياعكم (۱)

۶ ـ ثم أخذ سليمان بن صرد يكاتب وجوه الشيعة فى الاَطراف وكتب سليمان بن صرد: إلى سعد بن حذيفة اليمان (۲)يعلمه بما عزموا عليه، ويدعوه إلى مساعدتهم، ومن معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك فكتبوا إلى سليمان بن صرد يعلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له.

وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنّى بن مخربة العبدى بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حذيفة فأجابه المثنى: إنّا معشر الشيعة حمدنا اللّه على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك إن شاء اللّه للاَجل الذى ضربت وكتب فى أسفله أبياتاً (۳)

لم يزل القوم فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس ـ فى السر ـ إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين.

فلمّا مات يزيد جاء إلى سليمان أصحابه فقالوا: قد هلك هذا الطاغية_____،

(۱) الطبرى: التاريخ: ۴|۴۲۶ ـ ۴۲۸.

(۲) لاحظ نصّ الكتاب: تاريخ الطبرى: ۴|۴۲۹ ـ ۴۳۰.

(۳) ابن الاَثير: الكامل: ۴|۱۵۸ ـ ۱۶۲، الطبرى: التاريخ: ۴۳۱.

(۲۵۰)

والاَمر ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبّعنا قتلته

ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم.

فقال سليمان بن صرد: لاتعجلوا، إنّى قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أنّ قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشدّ الناس عليكم، ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت أنّهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا نفوسهم، وكانوا جَزَراً لعدوهم ولكن بثّوا دعاتكم وادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم فإنّى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه، ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد، وهم يريدون قتال أهل الشام الذين أقاموا دعائم عرش يزيد، وعدم التعرض بمن فى الكوفة من قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ على جانب الخلاف من ثورة المختار.

مسير التوابين:

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعى الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى روَوس أصحابه فأتوه، فلمّا أهلّ ربيع الآخر خرج فى وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج فى تلك الليلة، فلمّا أتى النخيلة دار فى الناس فلم يعجبه عددهم فأرسل حكيم بن منقذ الكندى، والوليد بن عصير الكنانى فى الكوفة فناديا: يالثارات الحسين فكانا أوّل (۱)خلق اللّه دعوا يالثارات الحسين.

فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما فى عسكره، ثم نظر فى ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال: سبحان اللّه ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلّا أربعة_____

(۱) لقد سبق أنّه أوّل من دعا به، هو امرأة من بنى بكر بن وائل يوم عاشورا عند إضرام النار فى الخيام.

(۲۵۱)

آلاف. فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل. ثم قام سليمان فى أصحابه فقال: أيّها الناس من كان خرج، يريد بخروجه وجه اللّه والآخرة فذلك منّا، ونحن منه، ومن كان يريد الدنيا فواللّه ما نأتى فيئاً نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان اللّه. فتنادى أصحابه من كل جانب: إنّا لا نطلب الدّنيا وإنّما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول اللّه نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

فسار سليمان عشية يوم الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الاَهواز، ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلمّا دخلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئى أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه، وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه، وكان قولهم عند ضريحه: «اللّهمّ إرحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى، الصديق ابن الصديق، اللّهمّ إنّا نشهدك إنّا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم. اللّهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاغفر لنا ما مضى، منّا وتب علينا وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنّا نشهدك أنّا على دينهم، وعلى ماقتلوا عليه. وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. وزادهم النظر إليه حنقاً.

ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاَسود، ثم أخذوا على الاَنبار وكتب إليهم عبد اللّه بن يزيد كتاباً يثبّطهم عن السير إلى الشام وقتال العدو ولما وصل الكتاب إلى سليمان قرأه على أصحابه، فكتب إليه جواباً ـ بعد أن شكره وأثنى عليه ـ: أنّ القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربّهم، وأنّهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا إلى اللّه وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى اللّه عليهم.

(۲۵۲)

ثم ساروا حتى انتهوا إلى «قرقيسيا» على تعبئة وبها زفر بن الحارث الكلابى وقد فتح باب حصنه بعد ما عرف أن فيهم المسيّب بن نجبة فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس وقال: لعلّى أحتاج إليه إن عرج فرسى، وبعث «زفر» إليهم، بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق.

ثم ارتحلوا من الغد، وخرج «زفر» يشيّعهم وقال لسليمان أنّه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم: الحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذى الكلاع، وأدهم بن محرز، وجبلة بن عبد اللّه الخثعمى، وعبيد اللّه بن زياد، فى عدد كثير مثل الشوك والشجر، ثم اقترح عليهم أن ينزلوا بديرهم حتى يكونوا يد واحدة على العدو الشاميين، فإذا جاءنا هذا العدو، قاتلناهم جميعاً. فلم يقبل سليمان وقال: قد طلب أهل مصر ذلك منّا فأبينا عليهم. ثم ساروا مجدّين فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيّها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا.

وأقبل أهل الشام فى عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، فقام سليمان فى أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوكم الذى دأبتم إليه فى السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إنّ اللّه مع الصابرين ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة، فإن قتل، فالاَمير عبد اللّه بن سعد بن نفيل، فإن قتل، فالاَمير عبد اللّه بن وال، فإن قتل، فالاَمير رفاعة بن شداد، رحم اللّه امرئاً صدق ما عاهد اللّه عليه.

كان أدنى عسكر من عساكر الشام هو عسكر شرحبيل بن ذى الكلاع، وكان على رأس ميل فسار المسيّب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا فى جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصحاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب وخلّى الشاميون عسكرهم وانهزموا، فغنم

(۲۵۳)

منه أصحاب المسيّب ما أرادوا ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبر ابن زياد فسرّح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل فى اثنى عشر ألفاً، فخرج أصحاب سليمان إليه لاَربع بقين من جمادى الاُولى، وعلى ميمنتهم عبد اللّه بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نجبة وسليمان فى القلب، وجعل الحصين على ميمنته جملة بن عبد اللّه (۱) وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد اللّه بن زياد إليهم وأنّهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الاَمر إلى أهل بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأبى كل منهم، فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين، والميسرة أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم، فانهزم أهل الشام إلى عسكرهم، وما زال الظفر لاَصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل.

فلمّا كان الغد صبّح الحصين جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية الآف، أمدهم بهم عبيد اللّه بن زياد، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار، لم يحجز بينهم إلاّ الصلاة، فلمّا أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح فى الفريقين، وطاف القصّاص على أصحاب سليمان يحرضونهم.

فلمّا أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى، ثم إنّ أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقى أصحابه، فنزل ونادى: عباد اللّه من أراد البكور إلى ربّه والتوبة من ذنبه فإلى. ثم كسر جفنة سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه، فقاتلوهم، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح. فلمّا رأى الحُصين صبرهم_____

(۱) كذا فى النسخة.

(۲۵۴) وبأسهم، بعث الرجّالة ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان، رحمه اللّه، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع.

فلمّا قُتل سلمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحّم على سليمان ثم تقدّم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل. فعل ذلك مراراً، ثم قتل، رحمه اللّه، بعد أن قتل رجالاً.

فلمّا قتل أخذ الراية عبد اللّه بن سعد بن نفيل وترحّم عليهما، ثم قرأ": فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومنهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَما بَدَّلُوا تَبدِيلا "وحفّ

به من كـان معه من الاَزد. فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثـة من سـعد بن حذيفـة، يخبرون بمسـيرهم فى سـبعين ومائـة من أهل المـدائن، ويخبرون أيضاً بمسير أهل البصـرة مع المثنى بن مخربـة العبـدى فى ثلاثمائـة، فسرّ الناس فقال عبـد اللّه بن سـعد: ذلك لو جاءُونا ونحن أحياء.

فلمّـا نظر الرسـل إلى مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقتل عبـد اللّه بن سـعد بن نفيل، قتله ابن أخى ربيعـة بن مخـارق، وحمـل خالـد بن سـعد بن نفيـل على قاتـل أخيه فطعنه بالسـيف، واعتنقه الآخر فحمل أصـحابه عليه فخلّصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً، وبقيت الراية ليس عندها أحد، فنادوا عبد اللّه بن وال فإذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه، فأتى فأخـذ الرايـة وقاتل ملياً ثم قال لاَصـحابه: من أراد الحياة التى ليس بعـدها موت، والراحـة التى ليس بعدها نصب، والسـرور الـذى ليس بعـده حزن، فليتقرب إلى اللّه بقتال هوَلاء المحلّين، والرواح إلى الجنّة، وذلك عنـد العصـر فحمل هو وأصـحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم.

ثم إنّ أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم إلى المكان الذى كانوا فيه، وكان مكانهم لا يوَتى إلاّ من وجه واحد، فلما كان المساء تولى قتالهم

(۲۵۵) أدهم بن محرز البـاهلى فحمـل عليهم فى خيله ورجله، فوصـل ابن محرز إلى ابن وال وهو يتلو": ولا تَحْسَـبَنَّ الّـذِينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللّهِ أَمْواتاً "الآيـة، فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه، فضـرب يـده فأبانها ثم تنحى عنه وقال: إنّى أظنك وددت أنّك عند أهلـك. قال ابن وال: بئس ما ظننت، واللّه ما أحبّ أنّ يـدك مكانها إلاّ أن يكون لى من الاَجر مثل ما فى يـدى ليعظم وزرك ويعظم أجرى. فغاظه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول. وكان ابن وال من الفقهاء العبّاد.

فلمّا قتل أتوا رفاعـة بن شـداد البجلىّ وقالوا: لتأخـذ الرايـة. فقال: إرجعوا بنا لعلّ اللّه يجمعنا ليوم شـرهم. فقال له عبد اللّه بن عوف بن الاَـحمر: هلكنـا واللّه، لئن انصـرفت ليركبنّ أكتافنـا فلاـ نبلغ فرسـخاً حتى نهلك عن آخرنا، وإن نجا منّا ناج أخـذته العرب يتقرّبون به إليهم فقتل صبراً، هذه الشـمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أوّل الليل وسـرنا حتى نصبح ونسير على مهل، ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الـذى نأخـذه. فقال رفاعـة: نعم ما رأيت، وأخـذ الرايـة وقاتلهم قتالاً شديـداً، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم يصـلوا إلى ذلك لشـدّة قتالهم، وتقـدّم عبـد اللّه بن عزير الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولـده محمـد وهو صـغير، فنادى بنى كنانـة من أهل الشام وسـلّم ولـده إليهم ليوصـلوه إلى الكوفة، فعرضوا عليه الاَمان، فأبى ثم قاتلهم حتى قتل.

وتقدّم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال، فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الاَمان، قال: قـد كنّا آمنين فى الدنيا وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدّم صـخر ابن هلال المزنى فى ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا.

فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم، ونظر رفاعة إلى كل رجل قد

(۲۵۶) عُقِربه فرسُه وجُرِح فـدفعه إلى قومه ثم سـار بالناس ليلته، وأصـبح الحصـين ليلتقيهم فلم يرهم، فلم يبعث فى آثارهم، وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاِقامة، فأقاموا ثلاثاً، فأضافهم ثم زودهم وساروا إلى الكوفة.

ثم أقبـل سـعد بن حذيفـة بن اليمـان فى أهـل المـدائن فبلغ «هيت» فأتـاه الخبر، فرجع فلقى المثنى بن مخرَّبـة العبـدى فى أهل البصـرة بصـندوداء، فـأخبره، فأقاموا حتى أتاهم رفاعـة فاسـتقبلوه، وبكى بعضـهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلـة ثم تفرقوا، فسار كل طائفـة إلى بلدهم.

ولمـا بلغ رفاعـة الكوفـة كان المختار محبوساً، فأرسل إليه: أمّا بعـدّ فمرحباً بالعصـبة الـذين عظّم اللّه لهم الاَجر، حين انصـرفوا ورضـى فعلهم حين قُتِلوا، أما وربّ البيت ما خطا خاط منكم خطوة، ولا ربا ربوة، إلاّ كان ثواب اللّه له أعظم من الدنيا. إنّ سـليمان قد قضى ما

عليه، وتوفّاه اللّه، وجعل وجهه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون، إنّى أنا الاَمير المأمور، والاَمين المأمون، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، المقيّد من الاَوتار، فأعدوا واستعدوا وأبشروا، أدعوكم إلى كتاب اللّه، وسنّة نبيه، والطلب بدم أهل البيت، والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين، والسلام»

(۱)

هذه هى ثورة التوابين، المشرقة، وهممهم العالية، وتفاديهم فى سبيل الهدى، وقد بُذل لهم الاَمان فلم يقبلوا فقد": صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه"

(۲)فقد قاموا بواجبهم فما رجع منهم إلاّ قليل بعد اليأس من الغلبة على العدو فرجعوا إلى أوطانهم ولحقوا بعشائرهم وبذلك ابتغوا أنّ الوظيفة بعد باقية، على عاتقهم.

وهناك كلمة قيمة للمحقّق شمس الدين نأت بها: «لقد اعتبر التوابون أنّ_____

(۱) الجزرى: الكامل: ۴|۱۷۵ ـ ۱۸۶.

(۲) الاَحزاب: ۲۳.

(۲۵۷) المسوَول الاَوّل والاَهم عن قتل الحسين ـ عليه السلام ـ هو النظام، وليس الاَشخاص وكانوا مصيبين فى هذا الاعتقاد ولذا نراهم توجّهوا إلى الشام ولم يلقوا بالاً إلى من فى الكوفة من قتلة الحسين ـ عليه السلام (ـ ۱)

إنّ هذه الثورة قد انبعثت عن شعور بالاِثم والندم، وعن رغبة فى التكفير فمن يقرأ أقوالهم وكتبهم وخطبهم، يلمس فيها الشعور العميق بالاِثم والندم، والرغبة الحارة عن التكفير، وكونها صادرة عن هذه البواعث، جعلها ثورة انتحارية فالثائرون يريدون الانتقام والتكفير ـ ومع ذلك ـ إنّها أثّرت فى مجتمع الكوفة تأثيراً عميقاً فقد عبّأت خطبُ قادات هذه الثورة وشعاراتهم، الجماهير فى الكوفة للثورة على الحكم الاَموى.

---

(۱) محمد مهدى شمس الدين: ثورة الحسين: ۲۶۴. (۲۵۸) ۴ ثورة المختار المختار هو ابن أبى عبيدة بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبدة بن عوف ابن ثقيف الثقفى، ولد عام الهجرة وقد جاء أبوه به إلى على ـ عليه السلام ـ وهو صغير وأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسح على رأسه: «ياكيّس! ياكيّس!» ولذا لُقّبَ بالكيسان (۱)

إنّ ثورة المختار الثقفى من الثورات الانتقامية التى أثلجت قلوب بنى هاشم إذ ما امتشطت هاشمية ولا اختضبت، حتى أخذ المختار ثأر الحسين من قتلته، ولما وقف الاِمام على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ على ما جرى على أعداء أبيه بيد المختار خرّ ساجداً وقال: الحمد للّه الذى أدرك لى ثأرى من أعدائى وجزى المختار خيرا (۲)

وهناك سوَال يطرح نفسه وهو أنّ المختار كان من أهل الولاء لاَهل البيت ـ عليهم السلام ـ فلماذا لم يُشارك فى جيش الاِمام ـ عليه السلام ـ ولم يقاتل أمامه ولكن التاريخ يجيبك عن هذا السوَال، وهو أنّ الرجل جاء لنصرة الاِمام لكن قبض عليه وحيل بينه وبين أُمنيته_____.

(۱) الكشى: الرجال: ۱۱۶.

(۲) المصدر نفسه.

(۲۵۹)

يذكر المورّخون أنّ مسلم بن عقيل ـ عليه السلام ـ خرج قبل الاَجل الذى كان بينه وبين أصحابه منهم المختار بن أبى عبيدة، وكان فى قرية تدعى «لقفا» فبلغه ما جرى على مسلم فجاء بموالية إلى الكوفة يحمل راية خضراء ومعه عبد اللّه بن الحارث رافعاً لواء أحمر، فانتهى إلى باب الفيل ووضح لديهما قتل مسلم وهانئ وأُشير عليهما بالدخول تحت راية عمرو بن حريث ليسلما على دمهما، ففعلا

وحفظ دمهما ابن حريث بشهادته عند ابن زياد باجتنابهما مسلم بن عقيل، فقبل منه بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر (۱)عينه، ثم أمر بهما فسجنا وبقيا فی السجن إلی أن قتل الحسين ـ عليه السلام ـ فكتب المختار إلی عبد اللّه بن عمر ابن الخطاب وكان زوج أُخته (صفية) أن يشفع له عند يزيد بن معاوية ففعل وشفعه يزيد وأمر ابن زياد بإطلاقه من السجن بعد أن أجّله بالكوفة ثلاثاً ليخرج إلی الحجاز وإلاّ أعاده إلی السجن (۲)

خرج المختار إلی الحجاز وأقام هناك خمسة أشهر واجتمع مع ابن الزبير لخروجه علی يزيد وكفاحه ضد الاَمويين وهذه هی النقطة التی كان المختار وعبد اللّه بن الزبير وكثير من المعارضين يشتركون فيها حتی الخوارج. مكث عنده شهوراً وأياماً ولكن لم يجد بغيته فيه، ومع ذلك كلّه قاتل الشاميين جنود الطاغية تحت راية عبد اللّه بن الزبير، وهذا يدلّ علی خلوصه فی مكافحته الاَمويين وقد ذكر الطبری شيئاً كثيراً من بطولته وقتاله ضد الشاميين نقتطف منه ما يلی:

مكث المختار مع عبد اللّه بن الزبير حتی شاهد الحصار الاَوّل حين قدم الحُصين بن النمير السكونی مكة فقاتل فی ذلك اليوم، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم عناء، ولما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة_____

(۱) شتر: قلب جفنه.

(۲) اليعقوبی: التاريخ: ۲|۲۵۸، ط دار صادر ـ بيروت، الطبری: التاريخ: ۴|۴۴۱ ـ ۴۴۲.

(۲۶۰)

ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهری، نادی المختار: يا أهل الاِسلام! إلیّ إلیّ أنا ابن أبی عبيد بن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، أنا ابن المقدمين غير المحجمين. إلیّ يا أهل الحفاظ وحماة الاَوتار، فحمی الناس يومئذ وأبلی وقاتل قتالاً حسناً ثم أقام مع ابن الزبير فی ذلك الحصار حتی كان يوم أُحرق البيت، فإنّه أُحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاَوّل سنة ۶۴هـ فقاتل المختار يومئذ فی عصابة معه نحواً من ثلاثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس إن كان ليقاتل حتی يتبلّد ثم يجلس ويحيط به أصحابه، فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشام إلاّ ضاربهم حتی يكشفهم (۱)

وقد ذكر الطبری شيئاً كثيراً من هذه البطولات أيّام إقامته فی مكة مع ابن الزبير قبل مهلك يزيد وبعده.

مغادرته مكة إلی الكوفة :

ولما بلغ نعی يزيد إليه غادر مكة إلی الكوفة للطلب بدم شهيد الطف وإنّما اختار الكوفة لاَنّ هناك مجتمع أنصاره وأعدائه، ولما نزل الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، يقول المسعودی: نزل ناحية من الكوفة وجعل يظهر البكاء علی الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم ويحثُّ علی أخذ الثار فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلی جملته (۲)ولما بلغ إلی ابن الزبير التفاف الشيعة حول المختار وأنّه بصدد الخروج أحسّ خطراً وأنّه سوف يخرج العراق من يده، وقد كان العراق تحت قدرته، فرأی أنّ التفاف الناس حول المختار يرجع إلی عدم كفاءة عامله، فحاول إبداله بعامل آخر لم يكن فی اللباقة أحسن منه فاستعمل عبد اللّه بن مطيع بالكوفة، وكان قدومه فی رمضان لخمس بقين منه، ولما قدم صعد_____

(۱) الطبری: التاريخ: ۴|۴۴۵ ـ ۴۴۶.

(۲) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۷۳ ـ ۷۴.

(۲۶۱)

المنبر وخطبهم وقال: أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين (ابن الزبير) بعثنی علی مصركم وثغوركم وأمرنی بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلاّ برضا منكم، وأن أتّبع وصية عمر ابن الخطاب التی أوصی بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا اللّه واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا علی أيدی سفهائكم فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلومونی، فواللّه لاَُوقعنَّ بالسقيم العاصی، ولاَُقيمنّ درع الاَصعر المرتاب (۱)

ولو كان كلامه مقياساً لشعوره ودهائه وسياسته، فهذه الخطابة التى ألقاها، دليل على عدم تعرفه على بيئته، والنفسيات الحاكمة على سكانها فإنّ ما ذكره إنّما كان يتجاوب مع أفكار قليل من أهل الكوفة الذين كانوا يتجاوبون مع بنى أُمية ويحبّون خطهم، وأمّا الاَكثرية الساحقة، فكانوا على خلاف تلك الفكرة.

ولاَجل ذلك قام السائب بن مالك الاَشعرى ولم يمهله لاِتمام كلامه وقال: «أمّا حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يحمل عنّا فضله، وأن لا ـ يقسم إلاّ ـ فينا، وأن لا يُسار فينا إلاّ بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا، ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وإن كانت أهون السيرتين علينا وكان يفعل بالناس خيرا».

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب وبرّ، وعندئذ تنبه عبد اللّه بن مطيع أنّ كلامه لم يكن بليغاً مطابقاً لمقتضى الحال فعاد بتلطيف ما سبق وقال: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل (۲)

لمس المختار ما تتبناه الاَكثرية الساحقة من أهل الكوفة والعراق ولم يكن آنذاك فى وسعه تحقيق العدل الاجتماعى الذى سار به على ـ عليه السلام ـ فى أيامه، ولكن كانت فيه مقدرة عظيمة على أخذ الثأر حتى يتمكن من الاَخذ بمجامع القلوب.

---

(۱) الجزرى: الكامل فى التاريخ: ۴|۲۱۱ ـ ۲۱۳.

(۲) الجزرى: ۴|۲۱۳.

(۲۶۲)

ميزة ثورة المختار :

وتتميز ثورة المختار عن ثورة التوابين بأنّ ثورة هوَلاء كانت متوجّهة على النظام الاَموى بالذات دون الذين ارتكبوا الجرائم بالمباشرة، وذلك لاعتقادهم بأنّ النظام هو الاَساس لقتل الحسين ـ عليه السلام ـ دون الاَشخاص العملاء، فلابد من السعى لقطع جذور السبب قبل مكافحة المسبب، فلاَجل ذلك تركوا الكوفة وفيها قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ فتوجهوا إلى الشام وقد استشهد كثير منهم فى معركة الحرب مع الشاميين وتراجع القليل منهم إلى الكوفة وعلى رأسهم رفاعة بن شداد الاَمير الاَخير لهم، وتفرقوا فى عشائرهم.

أمّا المختار فقد كانت ثورته متوجهه بالذات إلى القتلة، وتطهير أرض العراق من جراثيم العيث والفساد من الاَمويين، وأمّا الذى حداه إلى اتّخاذ هذا الاُسلوب فى ثورته هو أنّ العراقيين قد استجابوا لابن الزبير وبايعوه وطردوا عامل الاَمويين من الكوفة باسم عمرو بن حريث، وذلك قبل خروج المختار، وكانت أُمنيتهم من تلك البيعة أمرين:

۱ ـ تحقيق العدل الاِجتماعى والسير وراء الاِصلاح الذى قام به الاِمام على ـ عليه السلام ـ

۲ ـ أخذ الثأر من قاتل الاِمام الحسين ـ عليه السلام ـ.

أمّا الاَمر الاَوّل فلم يتحقّق منه شىء واضح حتى يقنع العراقيين، وأمّا الثانى فكان على طرف النقيض من أُمنيتهم حيث كانت هياكل الاِثم كعمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعى وغيرهم مقربين إلى السلطة، فصار ذلك سبباً لتسرّب الضعف إلى سلطان ابن الزبير فى القلوب فكانوا يتحيّنون الفرص للخروج عن بيعته وإقامة نظام جديد يحقّق العدل الاجتماعى الذى مارسوه فى

(۲۶۳)

عهد الاِمام على وأخذ الثأر من قتلة الاِمام.

نهض المختار والشيعة هم الاَغلبية الساحقة على الكوفة ـ غير راضين من سلطة ابن الزبير وعامله فى الكوفة عبد اللّه بن مطيع واجتمعت الشيعة حول المختار واتفقوا على الرضا به ولم يزل أصحابه يكثرون، وأمره يقوى.

إنّ ثورة المختار كانت ثورة وهاجة أنارت الطريق للثائرين الآتين بعده، غير أنّ حولها إبهامات وتأملات أهمها كونها مبعوثة أو مدعمة من جانب ابن الحنفية مع أنّ الاِمام القائم مقام الحسين ووليه وسلطان دمه هو على بن الحسين زين العابدين ـ عليهما السلام ـ ولعلّ

اتصاله بابن الحنفية لَاجل أنّه قام بالاَمر وقد مضت خمس سنين من شهادة الاِمام وكان محمد الحنفية شخصية معروفة من عصر الاِمام على ويعد من علماء أهل البيت فاستجاز منه حتى يتخذه رصيداً لثورته ولا يعد ذلك دليلًا على أنّه كان معتقداً بإمامته على أنّه لم يظهر لابن الحنفية أية دعوة لنفسه، ولو رمى بالدعوة فإنّما هو من أساطير المخالفين لَاجل تشويه سمعته والتشكيك فى قلوب الشيعة، مع أنّ المختار أرسل الرسل وروَوس القتلة إلى على بن الحسين ـ عليه السلام ـ أثناء ثورته كما سيوافيك.

خرج المختار بعد مناوشات واشتباكات بينه وبين عبد اللّه بن مطيع، عامل ابن الزبير فى الكوفة حتى غلب عليه المختار، فدخل المختار القصر وبات فيه وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وقال:

«الحمد للّه الذى وعد وليه النصر، وعدوّه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً وقد خاب من افترى، أيّها الناس إنّا رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية فقيل لنا فى الراية إنّ إرفعوها، وفى الغاية أن أجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعى ومقالة الواعى.

(۲۶۴)

ـ وقال فى نهاية كلامه: ـ فلا والذى جعل السماء سقفاً محفوظاً والاَرض فجاجاً سبلًا، ما بايعتم بعدَ بيعة على بن أبى طالب وآل على، أهدى منها».

ثم نزل ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا (۱)

وأقبل المختار يمنّى الناس ويستجرّ مودة الاَشراف ويحسن السيرة، وقيل له: إنّ عبد اللّه بن مطيع فى دار أبى موسى، فسكت فلمّا أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال: تجهّز بهذه فقد علمت مكانك وأنّك لم يمنعك من الخروج إلّا عدم النفقة وكان بينهما صداقة (۲)

نهض المختار بالكوفة لَاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاَوّل سنة ۶۶هـ وبقى إلى شهر رمضان من سنة ۶۷هـ وكانت ولايته ما يقارب ۱۸ شهراً فجدّ فى الاَمر وبالغ فى النصرة وتتبّع أُولئك الاَرجاس وقد أخذ الثأر من قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ ونذكر هنا شيئاً قليلًا من قتاله وكفاحه فى ساحة الاَخذ بالثأر :

كان عامل المختار على الموصل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى فزحف إليه عبيد اللّه بن زياد بعد قتله سليمان بن صرد (الاَمير الاَوّل للتوابين)، فحاربه عبد الرحمن وكتب إلى المختار بخبره. فوجّه إليه يزيد بن أنس، ثم وجّه إبراهيم بن مالك بن الحارث الاَشتر، فلقى عبيد اللّه بن زياد فقتله، وقتل الحصين ابن نمير السكونى، وشرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى، وحرق أبدانهما بالنار وأقام والياً على الموصل وأرمينية وآذربيجان من قبل المختار وهو على العراق_____

(۱) ابن الاَثير: الكامل: ۴| ۲۱۱ ـ ۲۲۶بتلخيص.

(۲) الجزرى: الكامل: ۴|۲۲۵ ـ ۲۲۶.

(۲۶۵)

وال، ووجّه برأس عبيد اللّه بن زياد إلى على بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب على بن الحسين فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فذاك الوقت الذى يوضع فيه طعامه، فادخل إليه، فجاء الرسول إلى باب على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ فلمّا فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة ومنزل الوحى أنا رسول المختار بن أبى عبيد معى رأس عبيد اللّه بن زياد، فلم تبق فى شىء من دور بنى هاشم امرأة إلّا صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس فلمّا رآه على على بن الحسين قال: أبعده اللّه إلى النار.

وروى بعضهم أنّ على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ لم يُرَ ضاحكاً يوماً قط، منذ قتل أبوه، إلّا فى ذلك اليوم، وأنّه كان له إبل

تحمل الفاکهة من الشام، فلمّا أتی برأس عبید اللّه بن زیاد أمر بتلک الفاکهة ففرقت فی أهل المدینة، وامتشطت نساء آل رسول اللّه، واختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسین بن علی ـ علیهما السلام.ـ

وتتبّع المختار قتلة الحسین فقتل منهم خلقاً عظیماً، حتی لم یبق منهم کثیر أحدٍ، وقتل عمر بن سعد وغیره، وحرق بالنار، وعذب بأصناف العذاب (۱)

وقد جاء الجزری بتفصیل قتل قادة الجیش الاَموی فی کربلاء. قال:

وکان عمرو بن الحجاج الزبیدی ممن شهد قتل الحسین فرکب راحلته، وقیل أدرکه أصحاب المختار وقد سقط من شدّة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

وبعث المختار غلاماً له یدعی زربی فی طلب شمر بن ذی الجوشن ومعه أصحابه أحاطوا بالبیت الذی فیه شمر، وقام شمر وقد اتّزر ببرد وکان أبرص فظهر بیاض برصه من فوق البرد وهو یطاعنهم بالرمح وقد عجّلوه عن لبس ثیابه_____

(۱) الیعقوبی: التاریخ: ۲|۲۵۹.

(۲۶۶)

وسلاحه، وکان أصحابه قد فارقوه فلمّا أبعدوا عنه، سمعوا التکبیر وقائلاً یقول: قتل الخبیث، قتله ابن أبی الکنود وأُلقیت جثته للکلاب (۱)

ثم أُرسل إلی خولی بن یزید الاَصبحی وهو صاحب رأس الحسین ـ علیه السلام ـ فاختفی فی مخرجه فدخل أصحاب المختار یفتّشون عنه، فخرجت امرأته، واسمها العیوف بنت مالک، وکانت تعادیه منذ جاء برأس الحسین فقالت لهم: ماتریدون؟ فقالوا لها: أین زوجک؟ قالت: لا أدری، وأشارت بیدها إلی المخرج فدخلوا فوجدوه وعلی رأسه قَوْصرّة فأخرجوه وقتلوه إلی جانب أهله وأحرقوه بالنار.

وبعث المختار أبا عمرة إلی عمر بن سعد فأتاه وقال: أجب الاَمیر فقام عمر، فعثر فی جبة له، فضربه أبو عمرة بسیفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار، فقال المختار لابنه «حفص بن عمر» وهو جالس عنده: أتعرف من هذا؟ قال: نعم ولا خیر فی العیش بعده فأمر به فقتل، وقال المختار : هذا بحسین، وهذا بعلی بن الحسین ولا سواء، واللّه لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قریش، ما وفوا أُنملة من أنامله، ثم بعث برأسه ورأس ابنه إلی ابن الحنفیة وکتب إلیه یعلمه أنّه قد قتل من قدر علیه وإنّه فی طلب الباقین ممن حضر القتل (۲)

ثم إنّ المختار أرسل إلی حکیم بن طفیل الطائی، وکان أصاب سلب العباس بن علی ورمی الحسین بسهم. کما بعث إلی قاتل علی بن الحسین وهو مرّة ابن منقذ فأحاطوا بداره، فخرج إلیهم علی فرسه وبیده رمحه فطاعنهم فضُرب علی یده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبیر وشلّت یده بعد ذلک.

وطلب المختار سنان بن أنس الذی کان یدّعی قتل الحسین فرآه قد هرب إلی البصرة فهدم داره، کما أرسل إلی محمد بن الاَشعث ولم یجده وقد کان هرب_____

(۱) الجزری: الکامل: ۴|۲۳۶ ـ ۲۳۷ باختصار .

(۲) الجزری: الکامل: ۴|۲۴۱ ـ ۲۴۲.

(۲۶۷)

إلی مصعب، فهدم المختار داره وبنی بلبنها وطینها دار حجر بن عدی الکندی، کان زیاد قد هدمها(۱)

وفی الختام نذکر عمله القیم الذی أنجی به لفیفاً من أهل بیت النبی الاَکرم من الاِحراق بالنار.

إنّ عبد اللّه بن الزبیر حبس محمد الحنفیة وأصحابه بزمزم وتوعدهم بالقتل والاِحراق وإعطاء اللّه عهداً إن لم یُبایعوا أن ینفذ فیهم ما توعّدهم به، وضرب لهم فی ذلک أجلاً.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه، أنّ يبعث إلى المختار يعلمه حالهم فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس، فبكى الناس وقالوا: سرّحنا إليه، وعجّل، فبعث إليهم ثمانمائة راكب من أهل القوة، حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يالثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقى من الاَجل يومان، فكسروا الباب، ودخلوا على ابن الحنفية يستأذنون القتال وهو يقول: إنّى لا أستحلّ القتال فى الحرم. فخافهم ابن الزبير وتركهم. وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب على وهم يسبّون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم فاجتمع فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسّم بينهم المال وعزوا وامتنعوا (۲).

ونقل الجزرى أنّ ابن عباس كان أيضاً محبوساً مع محمد الحنفية فأزال جيش المختار الضرر عن كليهما، ولما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير فخرجا إلى الطائف ولما وصل ابن عباس إلى الطائف توفى به وصلّى عليه ابن الحنفية(۳_____).

(۱) الجزرى: الكامل: ۴| ۲۴۲ ـ ۲۴۴.

(۲) الجزرى: الكامل: ۴| ۲۵۰ ـ ۲۵۴.

(۳) الجزرى: الكامل: ۴| ۲۵۰ ـ ۲۵۴.

(۲۶۸)

قتل المختار بجيش مصعب بن الزبير :

كان المختار يسيطر على قسم كبير من أراضى العراق من الكوفة إلى الموصل وغيرهما وكان أمامه عدوين غاشمين: أحدهما عبد اللّه بن الزبير حيث كان يحكم على العراق كله غير أنّه أخرج المختار عامله من الكوفة وبقيت البصرة بيد عامله مصعب بن الزبير، ثانيهما عبد الملك بن مروان الخليفة الاَموى الذى كانت بيده مفاتيح الاَقطار الاِسلامية غير العراق والحجاز.

وكان مصعب يتحيّن الفرصة للهجوم على الكوفة وعزل المختار وكان عبد اللّه يشجّعه على ذلك ناسياً عمله المشرق عند ما ضرب جيش الشام الحصار على ابن الزبير، فقد حارب المختار ذلك الجيش المكثّف أياماً عديدة، ولكن الملك عقيم. هذا من جانب.

ومن جانب آخر أنّ المختار تتبع قتلة الحسين _ عليه السلام _ بيتاً بيتاً وجدّ فى الاَمر، وقتل أُولئك الاَرجاس، ولاَجل فتكه وقتله، هرب قسم من أشراف الكوفة الذين كان لهم يد فى قتل الحسين _ عليه السلام _ منهم شبث بن ربعى، حيث ورد البصرة على هيئة خاصة يحرض والى البصرة على قتال المختار وهو فى عمله هذا اتّبع ضمضم بن عمرو الغفارى عند ما أرسله أبو سفيان ليخبر قريشاً بالخطر الذى يحدق بتجارتهم، فاستأجر ذلك الرجل وأمره بأن يجدع بعيره، ويقطع رحله ويشقّ قميصه من قبله ودبره، ويصيح: الغوث الغوث.

قام شبث بن ربعى بنفس ذلك العمل (والجنس إلى الجنس يميل) جاء راكباً بغلة قد قطع ذنبها وقطع أطراف أُذنها فى قباء مشقوق وهو ينادى: وا غوثاه، فقال الاَشراف الهاربون إلى البصرة لمصعب: سر بنا إلى محاربة هذا الرجل الذى هدم دورنا وأخذوا يحرضونه على ذلك.

(۲۶۹)

فجاء مصعب بجيش كثيف وقد وقعت بينهما حروب طاحنة فى أقطار متعددة إلى أن انحسر المختار إلى الكوفة، وتحتّأ بالقصر.

فحاصره ابن الزبير بقصر الاِمارة مع أربعمائة رجل من أصحابه أياماً، وقد كان المختار يخرج من القصر فيقاتل ويرجع إلى أن قتل لاَربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، خرج بمن معه مستميتين فقتلوا وقتل المختار وجاء القاتل برأسه إلى مصعب بن الزبير فأجازه بثلاثين ألف درهم، ثم ابتدأ الجيش بقتل الناهضين معه وقتلوا رجالاً كثيراً، ثم بعث مصعب على حرم المختار ودعاهنّ إلى البراءة فرجعت ابنة سمرة بن جندب ولعنته وتبرّأت منه فأطلق سراحها وأبت زوجته الاَخرى ابنة النعمان بن بشير وقالت: شهادة أُرزقها ثم أتركها، كلا إنّها موتة ثم الجنّة والقدوم على الرسول وأهل بيته، فأمر بها مصعب وقتلت صبراً.

(۲۷۰) ۵ ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث لا ـ یهمّنا فی المقام بیان تفاصیل الثورة التی جاءت فی تاریخ الطبری والکامل وغیرهما وإنّما یهمّنا الإلماع إلی النقطة الحساسة فی خطب الثائرین علی النظام الاَموی، فقد تری فیها محاکات عن خطب الإمام أبی الشهداء وبذلک صاروا مستلهمین ثورتهم من ثورته، و فکرتهم من فکرته، وقد نقموا من النظام بنفس ما نقم به الإمام منهم، وإلیک بیانها علی وجه موجز:

أرسل الحجاج، عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث إلی سجستان علی رأس جیش عراقی وقد فتحوا من البلاد شیئاً کثیراً وکتب القائد فی النهایة إلی الحجاج أنّ رأیه إیقاف الحرب فی هذه البلاد حتی یعرفوا طریقها، ویجبوا خراجها، ولما وصل الکتاب إلی الحجاج کتب إلیه کتاباً وبّخه فیه علی إیقاف الحرب، ثم أردفه بکتاب ثانٍ وثالث یأمره بالتوغّل فی الحرب وأنّه إن أظهر العجز فالاَمیر أخوه إسحاق بن محمد.

ولما وصلت کتب الحجاج إلی عبد الرحمن جمع أصحابه وقال: أیّها الناس! إنّی لکم ناصح ولصلاحکم محب، ثم ذکر ما دار بینه وبین الحجاج عن طریق الکتب، وأنّه أمره بالتوغل فی الحرب فی أرض العدو، وهی البلاد التی هلک فیها إخوانکم بالاَمس. وقال: إنّما أنا رجل منکم أمضی إذا مضیتم، وآبی إذا أبیتم. فثار إلیه الناس فقالوا: لا بل نأبی علی عدوّ اللّه، ولا نسمع له ولا نطیع.

(۲۷۱)

وقد تکلّم فیمن تکلّم عامر بن واثلة الکنانی، فقال بعد أن حمد اللّه وأثنی علیه: أما بعد فإنّ الحجاج واللّه ما یری بکم إلّا ما رأی القائل الاَوّل إذ قال لاَخیه: إحمل عبدک علی الفرس، فإن هلک هلک وإن نجا فلک، إنّ الحجاج واللّه ما یبالی أن یخاطر بکم فیقحمکم بلاداً کثیرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فغنمتم أکل البلاد، وحاز المال، وکان ذلک زیادة فی سلطانه، وإن ظفر عدوکم کنتم أنتم الاَعداء البغضاء الذین لا یبالی عنتهم ولا یبقی علیهم، اخلعوا عدوّ اللّه الحجاج وبایعوا عبد الرحمن فإنّی أُشهدکم أنّی أوّل خالع، فنادی الناس من کل جانب: فعلنا، فعلنا قد خلعنا عدوّ اللّه.

وقام عبد الموَمن بن شبث بن ربعی التمیمی ثانیاً وکان علی شرطته حین أقبل فقال: عباد اللّه إنّکم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادکم مابقیتم، وجمّرکم تجمیر فرعون الجنود فإنّه بلغنی أنّه أوّل من جمّر البعوث، ولن تعاینوا الاَحبة فیما أری أو یموت أکثرکم. بایعوا أمیرکم وانصرفوا إلی عدوکم فانفوه عن بلادکم، فوثب الناس إلی عبد الرحمن فبایعوه فقال: تبایعونی علی خلع الحجاج عدوّ اللّه وعلی النصرة لی وجهاده معی حتی ینفیه اللّه من أرض العراق فبایعه الناس ولم یذکر خلع عبد الملک إذ ذاک بشیء.

ثم إنّه خرج عبد الرحمن من سجستان مقبلاً إلی العراق فلمّا دخل فارس اجتمع الناس بعضهم إلی بعض وقالوا: إنّا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملک فقد خلعنا عبد الملک، فاجتمعوا إلی عبد الرحمن فبایعوه علی کتاب اللّه وسنّة نبیّه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلّین.

ثم بعد وقوع اشتباکات عنیفة بین عبد الرحمن وجنود الحجاج، دخل عبد الرحمن البصرة، وبایعه الناس من کهولها وقرائها علی حرب الحجاج وخلع عبد الملک وکان ذلک فی آخر ذی الحجّة من سنة ۸۱هـ فصارت الحرب فی

(۲۷۲)

الحقیقة بین الشامیین یرأسهم الحجاج، والعراقیین یقودهم عبد الرحمن.

مضی ابن الاَشعث إلی جانب الکوفة والحجاج خلف عبد الرحمن إلی أن حصل التقابل بین الجندین فی دیر الجماجم (۱)فلمّا حمل أهل الشام علی العراقیین ناداهم عبد الرحمن ابن أبی لیلی الفقیه، فقال: یا معشر القرّاء إنّ الفرار لیس بأحد من الناس بأقبح منه بکم، إنّی سمعت علیّاً رفع اللّه درجته فی الصالحین وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصدّیقین، یقول یوم التقینا أهل الشام: «أیّها الموَمنون إنّه من رأی عدواناً یعمل به، ومنکراً یدعی إلیه فأنکره بقلبه، فقد سلم، وبریَ، ومن أنکر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنکر بالسیف لتکون کلمة اللّه العلیا وکلمة الظالمین السفلی، فذلک الذی أصاب سبیل الهدی ونوّر قلبه بالیقین، فقاتلوا هوَلاء

المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البختري: أيّها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فواللّه لئن ظهروا عليكم ليفسدنّ عليكم دينكم وليغلبنّ على دنياكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فواللّه ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم فى الحكم فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولاتأثموا من قتالهم بنيّة ويقين وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبّرهم فى الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاح (۲_____)

(۱) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ للسالك إلى البصرة قال أبو عبيدة: الجمجمة: القدح من الخشب وبذلك سمّيَ دير الجماجم لأنّه يعمل فيه الأقداح من الخشب (معجم البلدان: ۲|۵۰۱).

(۲) الطبرى: التاريخ: ۵|۱۴۵ ـ ۱۶۳.

(۲۷۳)

إلى غير ذلك من الخطب التى أُلقيت فى ذلك المقام وإن تمت الحرب لصالح الحجاج وقضى على ثورة ابن الأشعث يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الأُخرى عام ۸۳هـ ولكنّها كانت ثورة وهّاجة فى وجه العدو استتبعت ثورات أُخرى حتى قضت على بنى أُمية من رأس.

وأُعلّق على ثورة عبد الرحمن بأُمور:

۱ ـ إنّ الإمعان فى هذه الكلم الموجزة يقتضى بأنّ القوم كانوا مستلهمين من خطب الإمام أمير المؤمنين وخطب سيد الشهداء يوم عاشوراء وغيره، ويظهر ذلك بمقارنة خطب أبى الشهداء منذ غادر المدينة إلى أن استشهد فى الطف، وبهذا يظهر أنّ هذه الثورات كانت نابعة عن ثورة الحسين ولولاها لما تتابعت هذه الثورات وبالتالى كان الحكم بيد الأمويين إلى قرون كما كان الأمر كذلك بيد العباسيين ولم يكونوا أحسن سلوكاً من الأمويين.

۲ ـ نرى أنّ سعيد بن جبير ذلك التابعى العظيم وكميل بن زياد النخعى، ممن شاركوا فى هذه الثورة وجاهدوا تحت راية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع أنّ بين المقود والقائد بعد المشرقين، فهؤلاء كانوا علويين وعبد الرحمن وأبوه محمد ابن الأشعث كانا عثمانيَّى الهوى، فإنّ محمد بن الأشعث هو الذى قضى على ثورة مسلم فى الكوفة وقتله وشارك فى قتل الحسين. وما هذا إلاّ لأنّ روَساء الشيعة آنذاك استثمروا الفرصة وشاركوا فى هذه الثورة ليقضوا على العدوّ الغاشم بيد غيرهم، ولأجل ذلك لما وضعت الحرب أوزارها دعا الحجاج بكميل بن زياد النخعى فقال له: أنت المقتصّ من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا. فقال: واللّه ما أدرى على أيّنا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم علىّ حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيّها الرجل من ثقيف لا تصرف علىَّ أنيابك ولاتهدّم علىّ تهدُّم الكثيب، ولاتكشر كشران الذئب، واللّه ما بقى من

(۲۷۴)

عمرى إلاّ ضِمْءُ الحمار فإنّه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، إقض ما أنت قاض فإنّ الموعد اللّه وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإنّ الحجّة عليك. قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى كنتَ فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين. أُقتلوه، فقدم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة (۱)

۳ ـ إنّ الحجاج كان ممن نكست فطرته فالمعروف كان عنده منكراً والمنكر معروفاً، وكان قتل الأبرياء وتعذيبهم بألوان العذاب شيئاً سهلاً عنده. يقول المؤرخون: لما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم واعطائه الأموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أمّا بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطاء الدية وفى العمد القود، وفى الأموال ردّها إلى مواضعها...

فلمّا بلغ كتاب عبد الملك إليه كتب إليه فى الجواب: واللّه ما علىَّ من عقل ولا قود، ما أصبتُ القوم فأدِيَهُم، ولاظلمتهم فأقاد بهم، ولا أعطيتهم إلّا لك، ولا قتلت إلّا فيك... (۲)

وكان سعيد بن الجبير وكميل بن زياد ومئات من التابعين الأبرياء كانوا ممن تستباح دماوَهم وأموالهم فخضّب وجه الأرض بسيول الدماء ... وإلى اللّه المشتكى.

۴ ـ وإنّ من العجب العجاب مشاركة الحسن المثنى فى انتفاضة ابن الأشعث ولأجل ذلك يعدّه ابن المرتضى سلفاً للزيدية، ولم يكن زيد يوم ذاك إلّا طفلاً أو مراهقاً، وبما أنّ أهل البيت كانوا يعانون من النظام الأموىّ المتمثل يوم_____

(۱) الطبرى: التاريخ: ۵|۱۶۹ ـ ۱۷۰.

(۲) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۱۳۴ ـ ۱۳۵.

ذلك فى بنى مروان، شاركوا فى مثل هذه الانتفاضة لاتفاقهم معه فى الهدف الموَقّت أعنى إزالة عبد الملك عن الحكم (۱)

إلى هنا تمت الثورات المتقدمة على ثورة الإمام زيد وقد اتضح كونها مستلهمة من ثورة الحسين بوجه وحان حين الكلام فى ثورة زيد الشهيد التى أنارت الطريق للثائرين المتأخرين الذين أنهضهم بثورته، للقضاء على النظام السائد فى مدّة لا تتجاوز عشر سنين وإليك البيان.

---

(۱) البحر الزخار: المقدمة| ۲۲۵، وسيوافيك الكلام عند ذكر أئمة الزيدية.

القسم الثانى: فهرس إجمالى لفصول القسم

اشاره

القسم الثانى : فهرس إجمالى لفصول القسم الثانى ، العشرة

الفصل الأوّل عرض إجمالى للثائرين بعد الإمام زيد

الفصل الأوّل عرض إجمالى للثائرين بعد الإمام زيد وهم بين داع وإمام إنّ ثورة زيد بن على كانت ثورة عارمة بوجه الظالمين هزّت وضعضعت أركان الدولة الأموية وساعدت على إزالتهم عن أديم الأرض، وقد استغلّها العباسيون فى تنظيم حركتهم لإقامة دولتهم وقد تركت ثورته فى القلوب محبّة للثائر ومن حبا حبوه بشكل قلّ نظيره، حتى أنّ يحيى بن زيد لما أُطلق سراحه اتّخذ الخراسانيون من قيد قدميه فصوصاً لخواتيمهم، يتبركون بها، وهذا يدلّ على عمق تأثير ثورة زيد فى قلوب المسلمين. ولإيقاف القارئ على الأحداث التى وقعت بعد ثورته، نذكر الذين نهجوا منهجه وساروا على دربه، أخذوا بزمام الثورة وقادوها، واحداً بعد الآخر، وإليك أسماءهم أوّلاً، ثم الإدلاء بحياتهم وثورتهم، ثانياً:

۱ ـ يحيى بن زيد، الذى اشترك مع أبيه فى الثورة وبقى بعد مقتل أبيه.

۲ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن المعروف بالنفس الزكية المستشهد عام ۱۴۵ هـ خرج بالمدينة مطالباً بإرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، وكان

محمد قد شارك فى ثورة زيد بن على ولما فشلت عاد إلى المدينة، وسيوافيك أنّ يحيى بن زيد قد فوّض الاَمر إلى النفس الزكية.

۳ ـ لما قتل محمد بن عبد اللّه قام أخوه إبراهيم بن عبد اللّه فى نفس العام فى البصرة، التحق به أنصار زيد بن على، لمواصلة القتال من جديد. إلى أن قضى عليه أبو جعفر المنصور فى نفس العام.

۴ ـ ولما قتل محمد بن عبد اللّه، مضى أخوه إدريس بن عبد اللّه إلى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدريس بن إدريس بن عبد اللّه بن الحسن مقامه، وأسّس دولة الاَدارسة فى المغرب. ذكر تفصيله المسعودى فى مروج الذهب (۱)وسيوافيك الكلام فيه فى محلّه.

۵ ـ عيسى بن زيد بن على، أخو يحيى بن زيد، وقد توارى بعد ثورة أخيه فمات متوارياً عام ۱۶۶هـ

۶ ـ محمد بن إبراهيم (طباطبا)، فقد خرج فى خلافة المأمون ودعا إلى الرضا من آل محمد وكانت له أتباع وغلب على بلاد العراق وهزمت جيوش المأمون التى أُرسلت للقضاء عليه، وصلت سيطرة ابن طباطبا إلى الحجاز حتى أنّ الحسين بن الحسن بن على بن الحسين بن على المعروف بـ «الاَفطس» دعا له بالمدينة، وتوفى عام ۱۹۹هـ

۷ ـ محمد بن محمد بن زيد بن على، وكان أبو السرايا قائداً عاماً لجيشه وكان قبل ذلك داعية لابن طباطبا.

لما توفى محمد بن إبراهيم (طباطبا) هرب أخوه القاسم بن إبراهيم_____

(۱) المسعودى مروج الذهب: ۳|۲۹۶، قال: وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا بخبر عبيد اللّه صاحب المغرب، وبنائه المدينة المعروف بالمدينة.

(۳۳۱)

(طباطبا) إلى الهند وتوفى هناك عام ۲۵۴ هـ فعاد ابنه الحسين بن القاسم إلى اليمن، وعند ذلك تواصلت قيادة الثورة بابنه الآخر أعنى:

۸ ـ محمد بن القاسم بن على بن عمر الاَشرف بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب، فقد ظهر فى الطالقان عام ۲۱۹ هـ ودعا إلى الرضا من آل محمد، ولكن أُلقى القبض عليه فجيء به إلى المعتصم فسجن.

۹ ـ يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، خرج بالكوفه عام ۲۵۰هـ غير أنّ ثورته فشلت.

۱۰ ـ يحيى بن الحسين بن القاسم، المعروف بالزاهد وقد دعا لنفسه بصعده وبويع للاِمامة عام ۲۸۸ هـ

ثم إنّ الاِمام يحيى بن الحسين أسس دولة زيدية باليمن وقامت بالاِمامة واحد بعد الآخر وكلّهم من أبناء القاسم إلى أن أُقصيت الزيدية عن الحكم فى اليمن بحلول الجمهورية، وذلك فى شهر ربيع الاَوّل من سنة ۱۳۸۲هـ وسيوافيك أسماء أئمتهم إلى المنصور باللّه محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين. فى محلّه.

۱۱ ـ قامت دولة زيدية أُخرى فى طبرستان بين ۲۵۰ ـ ۳۶۰هـ

وفى عام ۲۵۰هـ ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب فى طبرستان أيام المستعين، واستطاع السيطرة على طبرستان وجرجان بعد قتال مرير ضد محمد بن طاهر أمير خراسان وتوفى عام ۲۷۰هـ

۱۲ ـ قام مقامه أخوه محمد بن زيد ودخل بلاد الديلم عام ۲۷۷ هـ وامتلكها وتمت بيعة رافع له.

(۳۳۲)

وفى عام ۲۸۷ هـ سار محمد بن زيد نحو خراسان للاستيلاء عليها، فاصطدم بإسماعيل السامانى المتوفى عام ۲۹۵ هـ ومات متأثراً بجراحه.

۱۳ ـ ثم ملك طبرستان بعد ذلك الناصر للحق الحسن بن على المعروف بـ «الاَطروش» وقد كان يدعو الناس إلى الاِسلام على مذهب زيد بن على، وكانوا على دين المجوسية فاستجابوا له واستطاع عام ۳۰۱، أن يستولى على طبرستان والديلم إلى أن وافته المنية عام

۳۰۴ هـ

۱۴ ـ وجاء بعده الحسن بن القاسم (الملقب بالداعی) بن الحسن بن علی ابن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زید بن الحسن السبط.

۱۵ ـ وقام مقامه محمد بن الحسن بن القاسم بن علی بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زید بن الحسن السبط المتوفی سنة ۳۶۰هـ

هذه جدولة موجزة وضعتها أمام القارىء للثائرين المشهورين، وإلّا الثوار الداعون إلی منهج الإمام زید أکثر من ذلک، وقد ذکر الإمام الأشعری منهم اثنین وعشرین نفراً کلّهم من العلويين، حيث ضرجوا بدمائهم، أو أُقصوا من ديارهم، لإرجاع العدالة والدين إلی الساحة الإسلامية، ولعلّ بين قرّاء الکتاب من له رغبة فی الوقوف علی أسماء الجميع، ـ ولذلک ـ نذکر نصّ الشيخ الأشعری بتلخيص.

قائمة الثائرين بعد زيد الشهيد :

قال الأشعری: هذا ذکر من خرج من آل النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ فذکر أوّلاً خروج أبی الشهداء الحسين بن علی ـ عليهما السلام، ـ ثم خروج زيد بن علی علی وجه التفصيل، وأوجز الکلام فيما يأتی، أعنی بهم:

(۳۳۳)

۱ ـ يحيی بن زيد...

۲ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، ذو النفس الزکية.

۳ ـ إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، أخو محمد.

۴ ـ الحسين بن علی بن الحسن بن الحسن بن الحسن، قتيل فخ.

۵ ـ يحيی بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علی، صار إلی الديلم.

۶ ـ محمد بن جعفر بن يحيی بن عبد اللّه بن الحسن المثنی خرج بـ «تاهرت».

۷ ـ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علی.

۸ ـ محمد بن محمد بن زيد بن علی بن الحسين بن علی بن أبی طالب.

۹ ـ إبراهيم بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسين بن علی بن أبی طالب، ـ قدّس سرّه ـ خرج مرة باليمن وبالعراق أُخری.

۱۰ ـ محمد بن القاسم من ولد الحسين بن علی، بخراسان، خرج ببلدة يقال لها طالقان.

۱۱ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسين بن علی الملقب بـ «الديباج» لحسن وجهه، خرج داعية لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا لنفسه.

۱۲ ـ الأفطس خرج بالمدينة داعياً لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا إلی نفسه.

۱۳ ـ علی بن محمد بن عيسی بن زيد بن علی بن الحسين، خرج فی خلافة المعتصم.

۱۴ ـ الحسن بن زيد بن الحسن بن علی أبی طالب، خرج بطبرستان فی سنة ۲۵۰هـ

(۳۳۴)

۱۵ ـ وخرج بقزوين، الکوکبی وهو من ولد الأرقط، واسمه: الحسن بن أحمد بن إسماعيل، من ولد الحسين بن علی بن أبی طالب.

۱۶ ـ وخرج بالکوفة أيام المستعين، أبو الحسين يحيی بن عمر بن يحيی بن الحسين بن زيد بن علی بن الحسين بن علی بن أبی طالب.

۱۷ ـ وخرج فی أيامه أيضاً، الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد اللّه من ولد الحسين بن علی.

۱۸ ـ خرج بسواد الکوفة أيام فتنة المستعين، ابن الأفطس.

۱۹ ـ وخرج بسواد المدينة سنة ۲۵۰هـ، إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم من ولد الحسن بن علی فغلب عليها وتوفی عام ۲۵۲هـ

۲۰ ـ خلف أخوه محمد بن يوسف وجاء به أبو الساج، وقتل كثيراً من أصحابه وهرب محمد فمات فى هربه.

۲۱ ـ خرج بالكوفة فى آخر أيام بنى أُمية، عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، وحاربه عبد اللّه بن عمر فغادر الكوفة عازماً إلى فارس، فمات فيها.

۲۲ ـ وخرج صاحب البصرة وكان يدّعى أنّه على بن محمد بن على بن عيسى ابن زيد بن على وأنصاره الزنج وغلب على البصرة سنة ۲۵۷ هـ وقتل سنة ۲۷۰هـ

۲۳ ـ وخرج بأرض الشام المقتول على الدّكة، فظفر به المكتفى باللّه بعد حروب ووقايع كانت (۱)

والنسبة بين ما ذكرناه وما ذكره الأشعرى عموم وخصوص من وجه، وهو_____

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۷۵ ـ ۸۵.

بعد لم يذكر الثائر الطائر الصيت يحيى بن الحسين الذى أقام الدولة فى اليمن، كما ترك بعض الثائرين المؤسسين للدولة فى طبرستان.

والجدير بالدراسة، هو البحث عن الحافز أو الحوافز التى كانت تدفع هؤلاء الأماثل الأشراف نحو القتال فى الساحة، فكانوا يرون بأُم أعينهم، أنّه لا يقوم واحد منهم إلاّ ويقتل أو يسجن ويعذّب بألوان العذاب، ومع ذلك كانوا يبادلون هدوء الحياة وملاذّها بالشهادة فى المعارك، والصلب على المشانق، وقتل الأولاد والأصحاب، ونهب الأموال.

وهذه هى النقطة الحساسة فى حياة العلويين التى تحتاج إلى دراسة معمقة بحياد ورحابة صدر وبما أنّ موسوعتنا، موسوعة تاريخ العقائد، لا تاريخ الشخصيات والحوادث، نرجىء البحث عنها إلى آونة أُخرى، وفى نهاية المطاف نقول: يُقسّم الثائرون بعد زيد الشهيد إلى أصناف أربعة:

۱ ـ أصحاب الانتفاضة: الذين قاموا بوجه الظلم، بعد استشهاد زيد فى أقطار مختلفة وعلموا أنّ أعواد المشانق نصب أعينهم وكان نصيبهم من القيام هو الشهادة، وإيقاظ الأُمّة وأداء الواجب من دون أن يؤسّسوا دولة فى قطر من الأقطار، وإنّما كانت أعمالهم أشبه بما يعبر عنها اليوم بالانتفاضة.

الذين ساروا على درب الإمام زيد وصار التوفيق نصيبهم، فأسّسوا دولة فى قطر من الأقطار امتدت قرناً أو قروناً، وهؤلاء عبارة عن:

۲ ـ أئمة الزيدية فى اليمن: ابتداءً بالإمام يحيى بن الحسين الذى قام بالأمر عام ۲۸۴ هـ وتوفى عام ۲۹۸ هـ وانتهاءً بحياة المنصور باللّه محمد البدر الذى أُزيل عن الحكم بقيام الجمهورية عام ۱۳۸۲هـ

۳ ـ أئمة الزيدية فى طبرستان: ابتداءً من الحسن بن زيد بن محمد بن

إسماعيل الذى قام بالحكم وأسّس الدولة سنة ۲۵۰ هـ وانتهاءً بمحمد بن الحسن ابن القاسم الذى توفى سنة ۳۶۰هـ

۴ ـ دعاة الزيدية فى المغرب: ابتداءً بإدريس بن عبد اللّه المحض وانتهاء بأحد احفاده، وسيوافيك تفصيله.

فنذكرهم على وجه التفصيل فى فصول: (۳۳۷)

الفصل الثانى أصحاب الانتفاضة

الفصل الثانى أصحاب الانتفاضة

استشهد زيد بن على ـ رضى اللّه عنه ـ وهو فى طريق دعوته إلى كسح الظلم ونشر العدل، وأشعل فتيل الثورة وبقيت نارها بعد استشهاده متأجّجة بين أولاده وأصحابه، بيد كابر بعد كابر. وإليك مَن نهج منهاجه: ۱ يحيى بن زيد بن على (۱۰۷ ـ ۱۲۵ هـ)

هو یحیی بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ وأمّه «ریطة» بنت أبی هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفیة، وإیّاها عنی أبو ثمیلة الآبار بقوله:

فلعل راحم أُمّ موسی والذی * نجّاه من لجج خضمّ مزبد

سیسرُ «ریطة» بعد حزن فؤادها * یحیی، ویحیی فی الکتائب یرتدی

وأُمّ «ریطة» هی بنت الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، أُمّها ابنة المطلب بن أبی وادعة السهمی.

شرف تتابع کابر عن کابر * کالرمح انبوب علی انبوب

(۳۳۸)

وقد ذکر أبو الفرج الاَصفهانی ثورته واستشهاده علی وجه مبسط، وجاء الجزری باختصاره فی الکامل ونذکر نصّ الثانی:

لمّا قتل زید بن علی ودفنه یحیی ابنه، سار بعد قتل أبیه، إلی خراسان، فأتی «بلخ» فأقام بها عند الحریش بن عمرو بن داود حتی هلک هشام، وولی الولید بن یزید. فکتب یوسف بن عمر إلی «نصر» بمسیر یحیی بن زید وبمنزله عند الحریش، وقال له: خذه أشد الاَخذ، فأخذ «نصر» الحریش، فطالبه بیحیی، فقال: لا علم لی به. فأمر به فجلد ستمائة سوط. فقال الحریش: واللّه لو أنّه تحت قدمی ما رفعتهما عنه. فلما رأی ذلک قریش بن الحریش قال: لا تقتل أبی وأنا أدلّک علی یحیی، فدلّه علیه، فأخذه «نصر» وکتب إلی الولید یُخبره، فکتب الولید یأمره أن یوَمِّنه ویخلّی سبیله وسبیل أصحابه. فأطلقه «نصر» وأمره أن یلحق بالولید وأمر له بألفی درهم، فسار إلی «سرخس» فأقام بها، فکتب «نصر» إلی عبد اللّه بن قیس بن عباد یأمره أن یسیّره عنها، فسیّره عنها، فسار حتی انتهی إلی «بیهق»، وخاف أن یغتاله یوسف بن عمر فعاد إلی نیسابور، وبها عمرو بن زرارة، وکان مع یحیی سبعون رجلاً فرأی «یحیی» تجاراً، فأخذ هو وأصحابه دوابهم وقالوا: علینا أثمانها، فکتب عمرو بن زرارة إلی «نصر» یخبره، فکتب «نصر» یأمره بمحاربته، فقاتله عمرو، وهو فی عشرة آلاف ویحیی فی سبعین رجلاً، فهزمهم یحیی وقتل عمراً وأصاب دواب کثیرة وسار حتی مرّ بهرات فلم یعرض لمن بها وسار عنها.

وسرّح «نصر بن سیار» سالم بن أحْوز فی طلب یحیی، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالاً شدیداً، فرُمی یحیی بسهم فأصاب جبهته، رماه رجل من عَنَزة یقال له عیسی، فقُتل أصحاب یحیی من عند آخرهم وأخذوا رأس یحیی وسلبوه قمیصه.

فلمّا بلغ الولید قتل یحیی، کتب إلی یوسف بن عمر: خذ عُجَیْل أهل العراق فأنزله من جذعه، ـ یعنی زیداً ـ، وأحرقه بالنار ثم انسفه بالیمّ نسفاً. فأمر

(۳۳۹)

یوسف به فأُحرق، ثم رضّه وحمله فی سفینة ثم ذرّاه فی الفرات.

وأمّا یحیی فإنّه لما قتل صلب بالجوزجان، فلم یزل مصلوباً حتی ظهر أبو مسلم الخراسانی واستولی علی خراسان، فأنزله وصلّی علیه ودفنه وأمر بالنیاحة علیه فی خراسان، وأخذ أبو مسلم دیوان بنی أُمیة وعرف منه أسماء من حضر قتل یحیی، فمن کان حیاً قتله، ومن کان میتاً خلفه فی أهله بسوء (۱)

وقال السید المدنی فی شرح الصحیفة:

«لما قتل أبوه زید بن علی، خرج یحیی حتی نزل بالمدائن، فبعث یوسف بن عمر فی طلبه، فخرج إلی الریّ ثم إلی نیسابور من خراسان، فسألوه المقام بها فقال: بلدة لم تُرفع فیها لعلی وآله رایة لا حاجة لی فی المقام بها، ثم خرج إلی «سرخس» وأقام بها عند یزید بن عمر التمیمی ستة أشهر، حتی مضی هشام بن عبد الملک لسبیله، وولی بعده الولید بن یزید فکتب إلی «نصر بن سیار» فی طلبه فأخذه ببلخ وقیّده وحبسه، فقال عبد اللّه بن معاویة بن عبد اللّه بن جعفر بن أبی طالب رضی اللّه عنه، لما بلغه ذلک:

أَلیس بعین اللّه ما تفعلونه * عشیة یحیی موثق بالسلاسل

كلاب عوت لا قدّس اللّه سرها * فجئن بصيد لايحل لآكل

وكتب نصر بن سيار إلى يوسف بن عمر، يخبره بحبسه وكتب يوسف إلى الوليد، فكتب الوليد إليه بأن يحذره الفتنة ويخلّى سبيله فخلّى سبيله وأعطاه ألفى درهم وبغلين، فخرج حتى نزل الجوزجان (۲)فلحق به قوم من أهلها ومن الطالقان، زهاء خمسمائة رجل، فبعث إليه «نصر بن سيار»، سالم بن أحور فاقتتلوا_____

(۱) أبو الفرج الاَصفهانى: مقاتل الطالبيين: ۱۰۳ ـ ۱۰۸، والجزرى: الكامل: ۵|۲۷۱ ـ ۲۷۲.

(۲) الجوزجان: بزاى بين الجيمين المفتوحتين: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان.

(۳۴۰)

أشد قتال ثلاثة أيام حتى قتل جميع أصحاب يحيى وبقى وحده فقتل عصر يوم الجمعة سنة خمس وعشرين ومائة، وله ثمانى عشرة سنة، وبعث برأسه إلى الوليد، فبعث به الوليد إلى المدينة، فوضع فى حجر أُمه «ريطة» فنظرت إليه، وقالت: شردتموه عنّى طويلاً وأهديتموه إلىّ قتيلاً، صلوات اللّه عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً.

فلمّا قتل عبد اللّه بن على بن عبد اللّه بن العباس، مروان بن محمد بن مروان، بعث برأسه حتى وضع فى حجر أُمّه فارتاعت. فقال: هذا بيحيى بن زيد، وكان الذى احتز رأس يحيى بن زيد، سورة بن أبحر، وأخذ العنبرى سلبه، وهذان أخذهما أبو مسلم المروزى فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما. ولاعقب ليحيى بن زيد (۱).

هذا ما يذكره المؤرّخون وقد كان ليحيى عند الإمام الصادق _ عليه السلام _ مكانة عالية، وقد استشهد ولم يكمل العقد الثانى من عمره الشريف حيث تولد عام ۱۰۷هـ واستشهد فى عام ۱۲۵هـ ولما سمع الإمام الصادق شهادته وصلبه حزن حزناً عظيماً ومن كلامه فى حقّ يحيى فيما بعد قال: «إنّ آل أبى سفيان قتلوا الحسين ابن على صلوات اللّه عليه فنزع اللّه ملكهم، وقتل هشام، زيد بن على فنزع اللّه ملكه، وقتل الوليد، يحيى بن زيد رحمه اللّه فنزع اللّه ملكه» (۲)

أمّا أعلام الإمامية فقد عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله من أصحاب الإمام الصادق _ عليه السلام _ وقال: يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المدنى، ومن غرائب الكلام عدّه من أصحاب الكاظم _ عليه السلام _ مع أنّه ولد عام ۱۲۸هـ بعد ثلاثة سنين من استشهاد يحيى بن زيد_____.

(۱) السيد على خان المدنى: رياض السالكين: ۱|۶۹ ـ ۷۰.

(۲) المجلسى: البحار: ۴۶|۱۸۲ ح ۴۶.

(۳۴۱)

يحيى بن زيد والصحيفة السجادية :

إنّ الصحيفة السجادية نسخة من علوم أئمة أهل البيت، وهى أدعية للإمام السجاد تهز كل إنسان إذا قرأها بدقة وإمعان، وقد أودع فيها الإمام كنوزاً من المعارف، وعلّم الإنسان كيفية الدعاء والابتهال إلى اللّه سبحانه، انشأها سيد الساجدين فى عصر الظلم والقتل والتشريد وقد كانت نسخة منها عند زيد الثائر، وقد أوصى بها إلى ولده يحيى، وهو أيضاً أوصى إلى: محمد وإبراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن بن على بن أبى طالب وذكر تفصيله عمير بن المتوكل الثقفى البلخى عن أبيه متوكل بن هارون قال:

لقيت يحيى بن زيد بن على _ عليه السلام _ وهو متوجه إلى خراسان فسلّمت عليه، فقال لى: من أين أقبلت؟ قلتُ: من الحجّ، فسألنى عن أهله وبنى عمّه بالمدينة وأحفى السوَال عن جعفر بن محمد فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن على _ عليه السلام _فقال لى: قد كان عمى محمد بن على _ عليه السلام _ أشار إلى أبى بترك الخروج وعرّفه أنّه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمى جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمرى؟ قلتُ: نعم، قال: بم ذكرنى؟ قلتُ: جعلتُ فداك ما أُحبّ أن أستقبلك بما سمعته منه، فقال: أبالموت تخوفنى؟ هات ما سمعته، فقلت سمعته

يقول:

إنّك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب، فتغير وجهه وقال": يَمحُوا اللّهُ ما يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِندَه أُمُّ الكِتاب "يا متوكل إنّ اللّه عزّ وجلّ أيّد هذا الاَمر بنا، وجعل لنا العلم والسيف، فجمعا لنا وخصّ بنو عمنا بالعلم وحده، فقلت: جعلت فداك إنّى رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر _ عليه السلام _ أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إنّ عمى محمد بن على وابنه جعفر _ عليهما السلام _ دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت: يابن رسول اللّه أهم أعلم أم أنتم؟

(۳۴۲)

فأطرق إلى الاَرض مليّاً ثم رفع رأسه وقال: كلّنا له علم غير أنّهم يعلمون كلّ ما نعلم ولا نعلم كلّ ما يعلمون.

ثم قال لى: أكتبت من ابن عمى شيئاً ؟ قلت: نعم، قال: أرينه، فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه علىّ أبو عبد اللّه _عليه السلام _ وحدثنى أنّ أباه محمد بن على _ عليهما السلام _ أملاه عليه، وأخبره أنّه من دعاء أبيه على بن الحسين _ عليهما السلام _ من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره وقال لى: أتأذن فى نسخه فقلت: يابن رسول اللّه أتستأذن فيما هو عنكم، فقال: أما أنّى لَاخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل ممّا حفظه أبى عن أبيه، وانّ أبى أوصانى بصونها ومنعها غير أهلها، قال عمير: قال أبى: فقمت إليه فقبلت رأسه، وقلت له: واللّه يابن رسول اللّه إنّى لَادين اللّه بحبكم وطاعتكم وأنّى لَارجو أن يسعدنى فى حياتى ومماتى بولايتكم. فرمى صحيفتى التى دفعتها إليه إلى غلام كان معه وقال: أُكتب هذا الدعاء بخط بيّن وحسن وأعرضه علىّ لعلّى أحفظه، فإنّى كنت أطلبه من جعفر حفظه اللّه فيمنعنيه قال المتوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدر ما أصنع ولم يكن أبو عبد اللّه _ عليه السلام _ تقدم إلىّ ألاّ أدفعه إلى أحد.

ثم دعا بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبله وبكى ثم فضّه وفتح القفل، ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينيه وأمرّها على وجهه، وقال: واللّه يامتوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمى إنّنى أُقتل وأُصلب لما دفعتها إليك ولكنت بها ضنيناً ولكنى أعلم أنّ قوله حقّ أخذه عن آبائه وأنّه سيصح، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بنى أُمية فيكتموه ويدّخروه فى خزائنهم لَانفسهم، فاقبضها واكفينها وتربص بها، فإذا قضى اللّه من أمرى وأمر هوَلاء القوم ما هو قاض، فهى أمانة لى عندك حتى توصلها إلى ابنى عمى: محمد وإبراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على _ عليهما السلام _ فإنّهما القائمان فى

(۳۴۳)

هذا الاَمر بعدى.

قال المتوكل: فقبضت الصحيفة، فلما قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد اللّه _ عليه السلام: _ فحدّثته الحديث عن يحيى فبكى واشتد وجده به، وقال: «رحم اللّه ابن عمى وألحقه بآبائه وأجداده، واللّه يا متوكل مامنعنى من دفع الدعاء إليه إلاّ الذى خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟» فقلت: ها هى، ففتحها، أو قال: «هذا واللّه خط عمى زيد ودعاء جدى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ » ثم قال لابنه: «قم يا إسماعيل فأتنى بالدعاء الذى أمرتك بحفظه وصونه» فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنّها الصحيفة التى دفعها إلىّ يحيى بن زيد فقبّلها أبو عبد اللّه ووضعها على عينه وقال: « هذا خط أبى وإملاء جدى ـ عليهما السلام ـ بمشهد منى» فقلت: يابن رسول اللّه إن رأيت أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى، فأذن لى، وقال: «قد رأيتك لذلك أهلاً» فنظرتُ وإذا هما أمر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما فى الصحيفة الاُخرى، ثم استأذنت أبا عبد اللّه ـ عليه السلام ـ فى دفع الصحيفة إلى ابنى عبد اللّه بن الحسن، فقال: «إنّ اللّه يأمركم أن تؤَدوا الاَمانات إلى أهلها، نعم فأدفعها إليهما» فلما نهضت للقائهما قال لى: «مكانك» ثم وجّه إلى محمد وإبراهيم فجاءا، فقال: هذا ميراث ابن عمكما يحيى من أبيه قد خصّ كما به دون إخوته ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، فقالا: رحمك اللّه قل فقولك المقبول، فقال: «لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة» قالا: ولم ذاك؟ قال: «إنّ ابن عمكما خاف عليهما أمراً أخافه أنا عليكما» قالا: إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل، فقال: أبو عبد اللّه _ عليه السلام: «_ وأنتما

فلاتأمنا فواللّه إنّى لَاعلم أنّكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل» فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلّا باللّه العلى العظيم.

فلمّا خرجا قال لى أبو عبد اللّه _ عليه السلام: «_ يامتوكل كيف قال لك يحيى إنّ عمى محمد بن على وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى

(۳۴۴)

الموت» قلت: نعم أصلحك اللّه قد قال لى ابن عمك يحيى ذلك، فقال: «يرحم اللّه يحيى انّ أبى حدثنى عن أبيه عن جده عن على _عليه السلام _ إنّ رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى فى منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ جالساً والحزن يُعرف فى وجهه، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية": وما جَعَلْنا الرُّوَيا الّتى أرَيْنَاكَ إلّا فِتنَةً لِلنَّاسِ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلّا طُغياناً كَبيراً ("۱)يعنى بنى أُميهَ قال: ياجبريل أعلى عهدى يكونون وفى زمنى، قال: لا ولكن تدور رحى الاِسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الاِسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثم لابد من رحى ضلالة هى قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة قال وأنزل اللّه تعالى فى ذلك": إنّا أنزلناهُ فِى ليلة القَدْرِ * وما أدراكَ ما ليلةُ القَدْرِ * ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شَهْرٍ ("۲)يملكها بنو أُميهَ ليس فيها ليلة القدر، قال: فأطلع اللّه عزّ وجلّ نبيه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ أنّ بنى أُميهَ تملك سلطان هذه الاُمّة وملكها طول هذه المدّة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن اللّه تعالى بزوال ملكهم، وهم فى ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر اللّه نبيه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم فى أيامهم وملكهم قال وأنزل اللّه تعالى فيهم": أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوارَ* جَهنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئسَ القَرَار ("۳)ونعمة اللّه محمد وأهل بيته، حبهم إيمان يدخل الجنة وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ذلك إلى على وأهل بيته» (۴_____)

(۱) الاِسراء: ۶۰.

(۲) القدر: ۱ ـ ۳.

(۳) إبراهيم: ۲۸.

(۴) الصحيفة السجادية: قسم المقدمة، لاحظ رياض السالكين: ۱|۶۹ ـ ۱۸۷ قسم المتن.

(۳۴۵)

وسيوافيك خبر أخيه: عيسى بن زيد بعد أخبار محمد وإبراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن المثنى وذلك حفظاً للتسلسل الزمنى، فسلام اللّه عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

وقد رثى يحيى بن زيد لفيف من الشعراء منهم دعبل الخزاعى بتائيته المعروفة المشهورة التى تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائعاً وفيها من مناقب أهل البيت ومصائبهم الجم الغفير ومطلعها قوله:

تجاوبن بالاَرنان والزفرات * نوائح عجم اللفظ والنطقات

يخبرن بالاَنفاس عن سر أنفس * أُسارى هوىً ماضٍ وآخر آت

إلى أن انتقل عن كل ما يوشح به أوائل القصائد إلى قوله:

فكيف ومن أنى بطالب زلفة * إلى اللّه بعد الصوم والصلوات

سوى حبّ أبناء النبى ورهطه * وبغض بنى الزرقاء والعبلات

وهند وما أدّت سمية وابنها * أُولو الكفر فى الاِسلام والفجرات

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه * ومحكمه بالزور والشبهات

ثم إلى أن جدد المطلع بقوله:

بكيت لرسم الدار من عرفات * وأجريت دمع العين بالعبرات

وبانَ عرى صبرى وهاجت صبابتى * رسوم ديار قد عفت وعرات

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

لآل رسول اللّه بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

(۳۴۶)

ثم إلى أن قال عطر اللّه مرقده وفاه:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً * وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين فى الوجنات

أفاطم قومى يا ابنة الخير فاندبى * نجوم سماوات بأرض فلاة

قبور بكوفان وأُخرى بطيبة * وأُخرى بفخ نالها صلواتى

وأُخرى بأرض الجوزجان محلها * وقبر بباخمرى لدى الغربات

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن فى الغرفات

قبور ببطن النهر من جنب كربلا * معرسهم منها بشط فرات

توفوا عطاشا بالفرات فليتنى * توفيت فيهم قبل حين وفاتى (۱) * * *

---

(۱) ذكرها غير واحد من الأُدباء والمؤرخين، ومن أراد أن يقف على جميعها فليرجع إلى: روضات الجنات: ۳|۳۰۲ ـ ۳۰۴ والغدير: ۲|۳۴۹.

(۳۴۷)

أصحاب الانتفاضة ۲ عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب (۷۰ ـ ۱۴۵ هـ) إنّ عبد اللّه بن الحسن والد محمد النفس الزكية وإبراهيم اللّذين استشهدا فى عصر المنصور بطيبة والبصرة.

فلابد من الإشارة إلى حياة الوالد قبل الولدين.

يطلق عليه عبد اللّه المحض، لأنّ أباه هو الحسن بن الحسن السبط، وأُمّه فاطمة بنت الحسين السبط، فهو منسوب إلى رسول اللّه، من كلا الطرفين وكان قوى النفس شجاعاً، ولما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبى سلمة الخلّال الكوفة ستر أمرهم، وعزم أن يجعل الخلافة شورى بين ولد على والعباس حتى يختاروا من أرادوا، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم: جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ وعمر بن على بن الحسين، وعبد اللّه بن الحسن، ووجّه بالكتب مع رجل من مواليهم من ساكنى الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ولقيه ليلاً وأعلمه أنّه رسول أبى سلمة وأنّ معه كتاباً إليه منه، فقال: «ما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيرى» فقال الرسول: تقرأ الكتاب وتجيب عليه بما رأيت، فقال جعفر لخادمه: «قدّم منى السراج» فقدّمه فوضع عليه كتاب أبى سلمة فأحرقه فقال: ألا تجيبه؟ فقال: « قد رأيت الجواب» (۱_____)

(۱) ذكر الشهرستانى أنّ الإمام الصادق ـ عليه السلام: ـ قال له: «ماأنت من رجالى، ولا الزمان زمانى» الملل والنحل: ۱|۱۵۴، ط ۱۴۰۲.

(۳۴۸)

فخرج من عنده وأتى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن فقبّل كتابه وركب إلى جعفر بن محمد، فقال: هذا كتاب أبى سلمة يدعونى لأمر،

ويرانى أحقّ الناس به وقد جاءته شيعتنا، من خراسان فقال له جعفر الصادق ـ عليه السلام: «ـ ومتى صاروا شيعتك؟ أنت وجهت أبا سلمة إلى خراسان؟ وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لاتعرفهم إلاّ يعرفونك؟ فإن هذه الدولة ستتم إلى هوَلاء القوم ولاتتم لاَحد من آل أبى طالب وقد جاءنى مثل ماجاءك» فانصرف غير راض بما قاله.

وأمّا عمر بن على بن الحسين فردّ الكتاب وقال: ما أعرف كاتبه فأُجيبه.

ومات عبد اللّه المحض فى حبس أبى جعفر الدوانيقى مخنوقاً وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وقد ذكر المسعودى كيفية القبض عليه وقال: وكان المنصور قبض على عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على ـ عليه السلام ـ وكثير من أهل بيته وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه من الحجّ، فحملوا من المدينة إلى الربذة من جادة العراق وكان ممّن حمله مع عبد اللّه بن الحسن: إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن، وعلى الخير، وأخوه العباس، وعبد اللّه بن الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، ومعهم محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد اللّه بن الحسن بن الحسن لاُمّه فاطمة ابنة الحسين بن على، وجدتهما فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط، وسأله عن ابنى أخيه محمد وإبراهيم فأنكر أن يعرف مكانهما، فسألت جدته العثمانى فى ذلك الوقت، وارتحل المنصور عن الربذة وهو فى قبة، وأوهن القوم بالجهد، فحملوا على المحامل المكشوفة، فمر بهم المنصور فى قبته على الجمازة، فصاح به عبد اللّه بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر،

(۳۴۹)

فصيرهم إلى الكوفة، وحبسوا فى سرداب تحت الاَرض لا يفرّقون بين ضياء النهار وسواد الليل، وخلّى منهم: سليمان وعبد اللّه ابنى داود بن الحسن بن الحسن، وموسى بن عبد اللّه بن الحسن، والحسن بن جعفر، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطىء الفرات من قنطرة الكوفة، ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد هدم عليهم الموضع، وكانوا يتوضّوَن فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل عليهم شيئاً من الغالية، فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة، وكان الورم فى أقدامهم، فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفوَاد فيموت صاحبه.

وذكر أنّهم لمّا حبسوا فى هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من جزئه وكان عدد من بقى منهم خمسة، فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف، فصعق داود بن الحسن فمات، وأتى برأس إبراهيم بن عبد اللّه فوجه به المنصور مع الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد اللّه يصلى، فقال له إدريس أخوه: اسرع فى صلاتك يا أبا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره، وقال له: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، واللّه لقد كنت من الذين قال اللّه عزّ وجلّ فيهم:

"الّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ ولا ـ يَنقُضُونَ المِيثاقَ * والّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللّهُ بِهِ أن يُوصَلَ "إلى آخر الآية، فقال له الربيع: كيف أبو القاسم فى نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه * ويكفيه أن يأتى الذنوب اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع: فقال: قل لصاحبك قد مضى من بوَسنا أيّام ومن نعيمك أيّام؟ والملتقى، القيامة. قال الربيع: فما رأيت المنصور قطّ أشدّ انكساراً منه

(۳۵۰)

فى الوقت الذى بلغته الرسالة... (۱)

وكان يتولى صدقات أمير المؤمنين على ـ عليه السلام ـ بعد أبيه الحسن، ونازعه فى ذلك زيد بن على بن الحسين، وأعقب عبد اللّه

المحض من ستة رجال:

۱ ـ محمد ذى النفس الزكية، المقتول بقرب المدينة.

۲ ـ إبراهيم قتيل باخمرى، قريب الكوفة.

۳ ـ موسى الجون.

۴ ـ يحيى بن عبد اللّه صاحب الديلم.

۵ ـ سليمان بن عبد اللّه.

۶ ـ إدريس بن عبد اللّه (۲)

---

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۲۹۸. والآيتان ۲۰ و ۲۱ من سورة الرعد.

(۲) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۱۰۱ ـ ۱۰۳.

(۳۵۱)

أصحاب الانتفاضة ۳ محمد بن عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب النفس الزكية (۱۰۰ ـ ۱۴۵ هـ) محمد بن عبد اللّه المعروف بالنفس الزكية المقتول عام ۱۴۵هـ فى أيّام أبى جعفر المنصور ، هو الثائر الثانى، وقد ذكر الشهرستانى أنّ يحيى بن زيد أوصى إليه، ولذلك يعد إماماً ثانياً بعده.

وتقدّم أنّ أباه عبد اللّه من أكابر بنى هاشم وكان الجميع يكِّن له الاحترام، وكان أكبر سناً من الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كما تقدم ـ ومع ذلك كان يدعو الناس لبيعة ولده محمد، وهذا وما سبق من قبول دعوة أبى سلمة الخلال يكشفان عن روح ثوريّة أوّلاً، وسذاجة فى الأُمور السياسية ثانياً.

ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك إثر خلاعته ومجانته عام ۱۲۶ هـ تهيّأت الظروف المناسبة للدعوة إلى بنى هاشم، ففى هذا الظرف الهادىء جمع عبد اللّه بن الحسن، بنى هاشم وألقى فيهم خطبة نقلها أبو الفرج الأَصفهانى فى كتابه وقال: إنّكم أهل البيت قد فضّلكم اللّه بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة ياذرية محمد بن عبد اللّه بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفزع فى أمر اللّه، من

(۳۵۲)

وضعه اللّه موضعكم من نبيّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد ترون كتاب اللّه معطلاً، وسنّة نبيه متروكة، والباطل حياً، والحقّ ميتاً، قاتلوا للّه فى الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتهم أنّا لم نزل نسمع أنّ هوَلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأَمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم ـ يعنى الوليد بن يزيد ـ ، فهلم نبايع محمداً، فقد علمتم أنّه المهدى.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد اللّه جعفر بن محمد.

وبعد محاولات حضر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ مجلس القوم فاطلع على أمر القوم وأنّهم يريدون بيعة محمد بن إبراهيم، فقالوا: قد علمت ماصنعوا بنا بنو أُمية وقد رأينا أنّ نبايع لهذا الفتى.

فقال: لاتفعلوا فإنّ الأَمر لم يأت بعد، فغضب عبد اللّه وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابنى، فقال: لا ـ واللّه، ما ذاك يحملنى، ولكن هذا وإخوته وأبناوَهم دونكم و ضرب يده على ظهر أبى العباس (السفاح) ثم نهض واتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور فقالا : يا أبا عبد اللّه أتقول ذلك؟ قال: «نعم واللّه أقوله وأعلمه».

وفى رواية قال لعبد اللّه بن الحسن: «إنّها واللّه ما هى إليك ولا إلى ابنيك ولكنّها لهوَلاء وإنّ ابنيك لمقتولان» فتفرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها.

وقال عبد اللّه بن جعفر بن المسوّر، فخرج جعفر بن محمد يتوكأ على يدى فقال لى: « أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟» يعنى أبا جعفر المنصور، قلت: نعم، قال: «فإنّا واللّه نجده يقتل محمداً»، قلت: أو يقتل محمداً ؟! قال: «نعم» فقلت فى نفسى: حسده وربّ الكعبة. ثم ما خرجت واللّه من الدنيا حتى رأيته قتله (۱_____)

(۱) أبو الفرج الأصفهانى: مقاتل الطالبيين: ۱۷۱ ـ ۱۷۲.

(۳۵۳)

حكى ابن عنبة أنّ محمد بن عبد اللّه بن الحسن ولد سنة ۱۰۰هـ بلا خلاف، وقيل مات سنة ۱۴۵هـ فى رمضان، وقيل فى الخامس والعشرين من رجب، وقال البخارى: وهو ابن خمس وأربعين سنة وأشهراً، وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بنى هاشم، فلمّا بويع لبنى العباس اختفى محمد وإبراهيم مدّة خلافة السفاح فلما ملك المنصور (۱۳۶ هـ) وعلم أنّهما على عزم الخروج جدّ فى طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما فيحكى أنّهما أتيا أباهما وهو فى السجن وقالا له: يقتل رجلان من آل محمد خير من أن يقتل ثمانية، فقال لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

ولما عزم «محمد» على الخروج واعد أخاه إبراهيم على الظهور فى يوم واحد، وذهب محمد إلى المدينة وإبراهيم إلى البصرة، فاتفق أنّ إبراهيم مرض فخرج أخوه بالمدينة وهو مريض بالبصرة، ولما خلص من مرضه وظهر أتاه خبر أخيه أنّه قتل وهو على المنبر يخطب.

ومن عجيب ما يروى عن محمد بن عبد اللّه أنّه لما أحس بالخذلان دخل داره وأمر بالتنور فسجّر ثم عمد إلى الدفتر الذى أثبت فيه أسماء الذين بايعوه فألقاه فى التنور فاحترق، ثم خرج فقاتل حتى قتل بأحجار الزيت، قريباً من المدينة.

وكان مالك بن أنس الفقيه قد أفتى بالخروج مع محمد وبايعه ولذلك تغير المنصور عليه فقال: إنّه خلع أكتافه (۱)

وقد ذكر المؤرخون دعوته وشهادته بين موجز فى القول ومعتدل فى البيان ومفصل فى القصة وبما أنّ فى كلامهم ما يلقى الضوء على حياة القائد، نذكر بعض نصوصهم_____.

(۱) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۱۰۴ ـ ۱۰۵.

(۳۵۴)

وممّن أوجز فيه الكلام أبو حنيفة الدينورى (ت ۲۸۲هـ) فى «الأخبار الطوال» قال: وفى ذلك العام (۱۴۵هـ) خرج على المنصور، محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب _ عليه السلام _ الملقب بالنفس الزكية فوجّه إليه أبو جعفر ـ المنصور ـ عيسى بن موسى بن على فى خيل فقتل رحمه اللّه، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن فقتل رضوان اللّه عليه (۱).

وقال اليعقوبى: «وظهر محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بالمدينة مستهل رجب سنة ۱۴۵هـ فاجتمع معه خلق عظيم وأتته كتب أهل البلدان ووفودهم، فأخذ رياح بن عثمان بن حيّان المرى عامل أبى جعفر، فأوثقه بالحديد وحبسه، وتوجه (أخوه) إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن إلى البصرة وقد اجتمع جماعة فأقام مستتراً، وهو يكاتب الناس ويدعوهم إلى طاعته، فلما بلغ أبا جعفر أراد الخروج إلى المدينة ثم خاف أن يدع العراق مع ما بلغه من أمر إبراهيم، فوجّه عيسى بن موسى الهاشمى، ومعه حميد بن قحطبة الطائى فى جيش عظيم فصار إلى المدينة، وخرج محمد إليه فى أصحابه فقاتلهم فى شهر رمضان ومضى أصحابه إلى الحبس فقتل رياح بن عثمان وكانت أسماء ابنة عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بالمدينة وكانت معادية لمحمد بن عبد اللّه، فوجهت بخمار أسود قد جعلته مع مولى لها حتى نصبه على مأذنة المسجد، ووجّهت بمولى لها يقال له: مجيب العامرى إلى عسكر محمد، صاح: الهزيمة الهزيمة قد دخل المسوّدة المدينة، فلمّا رأى الناس العلم الأسود انهزموا وأقام محمد يقاتل حتى قتل، فلمّا قتل محمد بن عبد اللّه بن الحسن، وجه عيسى بن موسى، كثير بن الحصين العبدى إلى المدينة فدخلها، فتتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف إلى العراق

(۲_____)

(۱) الدینوری الاَخبار الطوال: ۳۸۵، طبع مصر، الحلبی، وممّن أوجز الکلام فیه النسابة العلوی العمری صاحب المجدی: ۳۷.

(۲) ابن واضح الاِخباری: تاریخ الیعقوبی: ۲|۳۷۶.

(۳۵۵) وقال المسعودی: وفی سنة خمس وأربعین ومائة کان ظهور محمد بن عبد اللّه ابن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنهم بالمدینة، وکان قد بُویع له من کثیر من الاَنصار وکان یدعی بالنفس الزکیة لزهده ونسکه، وکان مستخفیاً من المنصور ولم یظهر حتی قبض المنصور علی أبیه عبد اللّه بن الحسن وعمومته، وکثیر من أهله وعدتهم، ولما ظهر محمد بن عبد اللّه بالمدینة، استشار إسحاق بن مسلم العقیلی وکان شیخاً ذا رأی وتجربة فأشار إلی ما لم یستحسنه أبو جعفر وبینما کان یتفکر فی کیفیة المقابلة مع محمد بن إبراهیم بلغه أنّ إبراهیم أخا محمد خرج بالبصرة یدعو إلی أخیه، فبعث عیسی بن موسی فی أربعة آلاف فارس وألفی راجل وأتبعه محمد بن قحطبة فی جیش کثیف فقاتلوا محمداً بالمدینة حتی قتل وهو ابن خمس وأربعین سنة ولما اتصل بإبراهیم قتل أخیه، محمد بن عبد اللّه وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثّل:

أبالمنازل یاخیر الفوارس من * یفجع بمثلک فی الدنیا فقد فجعا

اللّه یعلم أنّی لو خشیتُهم * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم یقتلوه ولم أسلم أخیَّ لهم * حتی نموت جمیعاً أو نعیش معا

تفرّق إخوة محمد فی البلاد :

وقد کان تفرّق أخوة محمد وولده فی البلدان یدعون إلی إمامته فکان فیمن توجه ابنه، علی بن محمد إلی مصر فقتل بها، وسار ابنه عبد اللّه إلی خراسان فهرب لما طُلب، إلی السند فقتل هناک، وسار ابنه الحسن إلی الیمن فحبس فمات فی الحبس، وسار أخوه موسی إلی الجزیرة، ومضی أخوه یحیی إلی الری، ثم إلی طبرستان، ومضی أخوه إدریس بن عبد اللّه إلی المغرب فأجابه خلق من الناس

(۳۵۶) فبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدریس بن إدریس بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن مقامه (۱)

هوَلاء من الموَرخین قد أوجزوا الکلام فی دعوته وشهادته، وقد فصّل أبو الفرج الاَصفهانی

(۲)فی المقامین وابن الاثیر فی الکامل وقد ذکر کتاب المنصور إلی محمد بن إبراهیم، کما ذکر جوابه إلیه (۳)

* * *

---

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۹۴ ـ ۲۹۶، وسیوافیک ذیل هذا النص فی البحث عن تأسیس دولة زیدیة فی المغرب باسم الاَدارسة.

(۲) راجع: مقاتل الطالبیین: ۱۷۶ ـ ۲۰۰.

(۳) ابن الاَثیر: الکامل: ۵|۵۲۲ ـ ۵۵۴، وفیه لما قتل محمد صادر عیسی أموال بنی الحسن وحتی أموال الاِمام الصادق، لاحظ ص ۵۵۳. (۳۵۷)

أصحاب الانتفاضة ۴ إبراهیم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن (۱۰۳ ـ ۱۴۵ هـ)

إبراهیم بن عبد اللّه بن الحسن أخو محمد ذو النفس الزکیة الثائر الثالث بعد یحیی بن زید والنفس الزکیة، وقد تقدم اتفاق الاَخوین علی الثورة فی یوم واحد فی قطرین مختلفین، وقد عرفت تأخّر إبراهیم عن أخیه فی الخروج.

قال المسعودی: مضی إبراهیم أخوه إلی البصرة وظهر بها، فأجابه أهل فارس والاَهواز وغیرهما من الاَمصار وسار من البصرة فی عساکر کثیرة من الزیدیة وجماعة ممن یذهب إلی قول البغدادیین من المعتزلة وغیرهم، ومعه عیسی بن زید بن علی ابن الحسن بن

علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب فسیّر إلیه المنصور عیسی بن موسی وسعید بن سلم فی العساکر، فحارب حتی قتل فی الموضع المعروف بـ«باخمری» وذلک علی ستة عشر فرسخاً من الکوفة من أرض الطف، وهو الموضع الذی ذکرته الشعراء ممن رثی إبراهیم. فممّن ذکر ذلک:

دعبل بن علی الخزاعی، فی قصیدته الرائعة التائیة التی نقل قسم منها عند ذکر شهادة أخیه محمد النفس الزکیة وفیها قوله:

قبور بکوفان وأُخری بطیبة * وأُخری بفخّ نالها صلوات

وأُخری بأرض الجوزجان محلها * وقبر بباخمری لدی الغربات

(۳۵۸)

وقتل معه من الزیدیة من شیعته أربعمائة رجل، وقیل: خمسمائة رجل (۱)

وقال صاحب المجدی: وکان إبراهیم یکنی أبا الحسن، قتل بأرض «باخمری» وهی قریة تقارب الکوفة وظَهَر لیلة الاِثنین غرة شهر رمضان سنة ۱۴۵هـ وذلک بالبصرة وکان مقتله بعد مقتل أخیه محمد (رضی اللّه عنهما) فی ذی الحجّة من السنة المذکورة.

وبایع إبراهیم وجوه المسلمین منهم بشیر الرحال، وأبو حنیفة الفقیه، والاَعمش، وعباد بن المنصور القاضی صاحب مسجد عباد بالبصرة، والمفضل بن محمد وشعبة الحافظ إلی نظائرهم (۲)

وقال النسابة ابن عنبة: کان إبرهیم من کبار العلماء فی فنون کثیرة، یقال إنّه کان أیام اختفائه فی البصرة قد اختفی عند المفضل بن محمد الضبی، فطلب منه دواوین العرب لیطالعها فأتاه بما قدر علیه فأعلم إبراهیم علی ثمانین قصیدة. فلمّا قتل إبراهیم استخرجها المفضل وسماها بـ (المفضلیات) وقرئت بعده علی الاَصمعی فزاد بها، وظهر إبراهیم لیلة الاِثنین غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعین ومائة بالبصرة وبایعه وجوه الناس ـ إلی أن قال: ـ ویقال: إنّ أبا حنیفة الفقیه بایعه أیضاً وکان قد أفتی الناس بالخروج معه، فیحکی أنّ امرأة أتته فقالت: إنّک أفتیت ابنی بالخروج مع إبراهیم فخرج فقتل. فقال لها: لیتنی کنتُ مکانَ ابنک. وکتب إلیه أبو حنیفة: أما بعد: فإنّی قد جهزت إلیک أربعة آلاف درهم ولم یکن عندی غیرها، ولولا أمانات الناس عندی للحقت بک، فإذا لقیت القوم وظفرت بهم فافعل کما فعل أبوک فی أهل صفین، أُقتل مدبرهم وأجهز علی جریحهم، ولا تفعل کما فعل أبوک فی أهل الجمل فإنّ القوم لهم فئة. ویقال: إنّ_____

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۹۶ ـ ۲۹۷.

(۲) النسابة العلوی العمری: المجدی فی أنساب الطالبیین: ۴۲.

(۳۵۹)

هذا الکتاب وقع إلی الدوانیقی وکان سبب تغیّره علی أبی حنیفة ـ إلی أن قال: ـ وجیء برأس إبراهیم فوضعه فی طشت بین یدیه والحسن بن زید بن الحسن بن علی واقف علی رأسه علیه السواد فخنقته العبرة والتفت إلیه المنصور وقال: أتعرف رأس من هذا؟ فقال: نعم:

فتی کان تحمیه من الضیم نفسه * وینجیه من دار الهوان اجتنابها

فقال المنصور: صدقت ولکن أراد رأسی فکان رأسه أهون علیَّ ولوددت أنّه فاء إلی طاعتی، ویقول أیضاً: وحمل ابن أبی الکلام الجعفری رأسه إلی مصر(۱).

_____* * *

(۱) ابن المهنا: عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب: ۱۰۹ـ ۱۱۰، ولعله دفنه فی المحل المعروف برأس الحسین ـ علیه السلام.ـ

(۳۶۰)

أصحاب الانتفاضة ۵ عیسی بن زید الثائر (... ـ ۱۶۸ هـ) أحد أولاد زید الثائر المعروف بـ «موتم الاَشبال»، وکان وصی إبراهیم ـ قتیل

باخمرى ـ بن عبد اللّه المحض وحامل رايته، فلمّا قتل إبراهيم اختفى عيسى إلى أن مات، وكان أبو جعفر المنصور قد بذل له الاَمان وأكده وكان شديد الخوف منه لم يأمن وثوبه عليه، فقيل لعيسى فى ذلك فقال: واللّه لئن يبيتنَّ ليلة واحدة خائفاً منّى أحبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس. وإنّما يسمّى موتم الاَشبال لاَنّه قتل أسداً له أشبال فسمّى موتم الاَشبال. فخرج عيسى مع محمد بن عبد اللّه النفس الزكية ثم مع أخيه إبراهيم، وكان إبراهيم قد جعل له الاَمر بعده وكان حامل رايته فلمّا قتل إبراهيم استتر ولم يتم له الخروج فبقى مستتراً أيام المنصور وأيّام المهدى وأيام الهادى وصلّى عليه الحسن بن صالح سراً ودفنه.

وقد ذكر النسابة ابن عنبة من حياته شيئاً كثيراً يوَجّج الفوَاد ومما ذكره أنّه كان فى أيّام اختفائه يستقى الماء على جمل، وقال: حكى لى الشيخ النقيب تاج الدين بإسناده عن محمد بن زيد الشهيد: قال محمد بن محمد: قلت لاَبى محمد بن زيد: أُريد أن أرى عمى عيسى، فقال: اذهب إلى الكوفة فإذا وصلتها اذهب إلى الشارع الفلانى واجلس هناك فإنّه سيمر عليك رجل آدم طويل، له سجادة بين عينيه، يسوق جملاً عليه مزادتان، كلّما خطا خطوة كبّر اللّه سبحانه، وسبّحه وهلّله

(۳۶۱)

وقدّسه، فذلك عمك عيسى فقم إليه فسلّم عليه، قال محمد بن محمد بن زيد فذهبت إلى الكوفة فلمّا وصلتها جلستُ حيث أمرنى أبى فلم ألبث أن جاء الرجل الذى وصفه لى أبى وبين يديه جمل عليه راوية فقمت إليه وأكببت على يديه أُقبّلهما فذعر منى فقلت: أنا محمد بن زيد (۱)فسكن ثم أناخ جمله وجلس إلىَّ فى ظل حائط هناك وحدثنى ساعة، وسألنى عن أهلى وأصحابه ثم ودّعنى وقال لى: يابنى لاتعد إلىّ بعد هذا فإنّى أخشى الشهرة (۲)

وقال صاحب المجدى: وكان من أصحاب محمد بن عبد اللّه قتيل «أحجار الزيت» فاختفى عيسى من يد المهدى ومات فى الاستتار على أيام الرشيد وكان شيخنا أبو الحسن يقول: كان ابن دينار يزعم أنّه قتل زيد ولابنه الحسين أربع سنين ولابنه عيسى سنة ولابنه محمد أربعون يوماً (۳)وعلى ذلك فقد توفى عيسى حوالى عام ۱۶۷ للهجرة.

* * *_____

(۱) كذا فى النسخة المطبوعة والصحيح محمد بن محمد بن زيد ولعل الحذف للسهولة.

(۲) ابن عنبة: عمدة الطالب، فى أنساب آل أبى طالب: ۲۸۶ ـ ۲۸۷.

(۳) أبو الحسن العلوى العمرى: المجدى فى أنساب الطالبيين: ۱۸۶ ـ ۱۸۷.

(۳۶۲)

أصحاب الانتفاضة ۶ الحسين بن على الفخىّ (... ـ ۱۶۹ هـ) هو الحسين بن على بن الحسن المثلث أى الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ قال صاحب المجدى: ومن ولد على زين العابدين الحسن المثلث، الحسين بن على وهو الشهيد صاحب فخ، خرج ومعه جماعة من العلويين زمن الهادى موسى بن المهدى بن المنصور بمكة، وجاء موسى بن عيسى ابن على ومحمد بن سليمان بن المنصور فقتلاهم بفخ يوم التروية سنة تسع وستين ومائة. وقيل: سنة سبعين، وحملا رأسه إلى الهادى، فأنكر الهادى فعلهما وأمضاءهما حكم السيف فيهم دون رأيه، ونقل أبو نصر البخارى عن محمد الجواد ابن على الرضا ـ عليهما السلام ـ أنّه قال: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ (۱)

* * *_____

(۱) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۱۸۲ ـ ۱۸۳.

(۳۶۳)

أصحاب الانتفاضة ۷ محمد بن إبراهيم طباطبا (۱۷۳ ـ ۱۹۹ هـ) هو محمد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن على الغمر بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (۱)

قال صاحب المجدى: أمّا إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر فهو طباطبا ولقب بذلك لَانّه أراد أن يقول قبا فقال طبا، لردّة فى لسانه، وكان له خطر وتقدم وأبرزَ صفحتَه ودعا إلى الرضا من آل محمد. فولد إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر ثلاثة عشر ولداً، منهم: بنتان وهما: لبابة وفاطمة، والذكور: جعفر، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعلى، وعبداللّه، ومحمد.

هذا هو الوالد وأمّا الولد أى محمد، يقول فى حقّه: «إنّه صاحب أبى السرايا يكنّى أبا عبد اللّه، خرج بالكوفة فجأة وانقرض ولده غير انّ رجلاً منهم يقال له محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، صاحب أبى السرايا خرج إلى بلاد الحبشة فما نعرف له خبراً (۲)

---

(۱) سيوافيك فى الفصل القادم أنّ الإمام يحيى موَسس الدولة الزيدية فى اليمن عام ۲۸۴ من أحفاد إبراهيم إذ نسبه: يحيى بن الحسين، بن القاسم بن إبراهيم طبا طبا.

(۲) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ۷۲.

(۳۶۴)

وقال ابن عنبة: ومن ولد إبراهيم طباطبا أيضاً محمد بن إبراهيم ويكنى أبا عبد اللّه أحد أئمة الزيدية، خرج بالكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمد، وخرج معه أبو السرايا (السرى بن منصور) الشيبانى فى أيام المنصور، فغلب على الكوفة ودعا بالآفاق ولقّب بأمير الموَمنين وعظم أمره ثم مات فجأة، وانقرض عقبه، وكان من ولده محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، خرج إلى الحبشة فما يعرف له خبر. وفى بعض النسخ مات ۱۹۹هـ وقيل: سمّاه أبو السرايا سماً ومات منه واللّه أعلم (۱).

وقال الطبرى فى حوادث سنة ۱۹۹هـ: وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة وهو الذى يقال له ابن طباطبا وكان القيم بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبا السرايا واسمه السرى بن منصور (۲)

وبما أنّ أبا السرايا جاء اسمه فى ذكر لفيف من الثائرين، نذكر عنه شيئاً.

يقول خير الدين الزركلىّ: السرى بن منصور الشيبانى ثائر شجاع من الأُمراء العصاميين فجمع عصابة كان يقطع بها الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيبانى بأرمينيا ومعه ثلاثون فارساً فجعله فى القواد فاشتهرت شجاعته، ولما نشبت فتنة الَامين والمأمون انتقل إلى عسكر هرثمة بن أعين وسار معه نحو ألفى مقاتل وخوطب بالَامير، ولما قتل الَامين نقص هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فخرج فى نحو مائتى فارس فحصر عامل عين التمر وأخذ ما معه من المال ففرّقه فى أصحابه، ثم استولى على الَانبار وذهب إلى الرقة وقد كثر جمعه فلقيه بهما ابن_____

(۱) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۱۷۲.

(۲) الطبرى: التاريخ: ۷|۱۱۷.

(۳۶۵)

طباطبا العلوى (محمد بن إبراهيم) وكان قد خرج على بنى العباس، فبايعه أبو السرايا وتولّى قيادة جنده، واستوليا على الكوفة، فضرب بها أبو السرايا الدرهم، وسيّر الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وعمل على ضبط بغداد، وامتلك المدائن وواسطاً، واستفحل أمره، وأرسل العمال والأُمراء إلى اليمن والحجاز وواسط والَاهواز، وتوالت عليه جيوش العباسيين فلم تضعضعه إلى أن قتله الحسن بن سهل وبعث برأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد (۱)

وقد فصل أبو الفرج الكلام حول خروج أبو السرايا ولقائه مع محمد بن إبراهيم يرجع ملخصه إلى ما ذكره خير الدين، ولذلك اقتصرنا عليه (۲)

و ليعلم أنّ القاسم الرسّى الذى يعتبر الإمام الثانى للزيدية من فريق الَائمة المجتهدين هو أخو محمد بن إبراهيم، كما أنّ الإمام الهادى

الذى أسس دولة فيها هو حفيد القاسم الرسّى، فالكل من أغصان الشجرة الطيبة العلوية.

_____* * *

(۱) خير الدين الزركلـى: الاَعلام: ۳|۸۲ نقلاً عن البداية والنهاية: ۱۰|۲۴۴ ومقاتل الطالبيين: ۳۳۸، والطبرى: التاريخ: ۱۰|۲۲۷.

(۲) انظر: أبو الفرج الاَصفهانى، مقاتل الطالبيين: ۵۱۸ ـ ۵۳۶.تحقيق سيد أحمد صقر.

(۳۶۶)

أصحاب الانتفاضة ۸ محمد بن محمد بن زيد بن على (۱۸۲ ـ ۲۰۲ هـ)

يحدّث صاحب المجدى عن أبيه فيقول: محمد بن زيد الشـهيد بن على بن الحسـين ـ عليه السـلام ـ وكان بليغاً، وله أحد عشر ولداً، منهم: محمداً الاَكبر وكان على عهد المأمون وهو صاحب أبى السرايا بعد ابن طباطبا قبره بمرو، وكان سقى سماً (۱).

وقال ابن عنبـة: وكان لمحمـد بن زيد الشـهيد عدّة بنين، منهم محمد بن محمد ابن زيد. ولما خرج أبو السـرايا وأخذ البيعة لمحمد بن إبراهيم بن إسـماعيل (المذكور آنفاً) وتوفى «محمد» فجأة نصب أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد هذا، ولقبه «الموَيد» فندب الحسن بن سهل إليه هرثمة بن أعين، فحاربه وأسره وحمله إلى الحسن بن سهل فحمله الحسن إلى المأمون، فتعجب المأمون من صغر سنه وقال: كيف رأيت اللّه فى الصنع بابن عمك؟ فقال محمد بن محمد بن زيد:

رأيت أمين اللّه فى العفو والحلم * وكان يسيراً عنده أعظم الجرم

فأعرض عن جهلى وداوى سقامه * بعفو جرى عن جلده هبوه السقم

وتوفى محمـد بن محمد بن زيد بمرو وسـقاه المأمون السم ۲۰۲ هـ وهو ابن عشـرين سـنة، فيقال: إنّه كان ينظر كبـده يخرج من حلقه قطعاً فيلقيه فى طشت ويقلبه بخلال فى يده (۲_____)

(۱) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ۱۸۴.

(۲) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۳۰۰، لاحظ أيضاً مقاتل الطالبيين: ۳۴۳ و ۵۱۷ من الطبعة الاُخرى.

(۳۶۷)

أصحاب الانتفاضة ۹ محمد بن القاسم بن على بن عمر ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (... ـ بعد ۳۱۹ هـ)

قـال صاحب المجـدى: أمّا الوالـد أى القاسم بن على بن عمر فهو يكنى بـ«أبى على» وكان شاعراً وقـد اختفى ببغـداد، وأمّا الولـد فقد أشخصه الرشيد من الحجاز وحبسه وأفلت من الحبس (۱)

وقال ابو الفرج: محمـد بن القاسم يكنى أبا جعفر، وكانت العامـة تلقّبه الصوفى، لاِنّه كان يُدْمِن لبس ثياب من الصوف الاَبيض، وكان من أهل العلم والفقه والـدين والزهـد وحسن المـذهب، وكان يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد ويرى رأى الزيدية الجارودية، خرج فى أيام المعتصم بالطالقان، فأخذه عبد اللّه بن طاهر ووجّه به الى المعتصم (۲)

يقول المسعودى: وفى هذه السنة أى ۲۱۹ هـ أخاف المعتصم، محمـد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم اللّه، وكان بالكوفـة من العبادة والزهـد والورع فى نهايـة الوصف، فلمّا خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان، فتنقل فى مواضع كثيرة من كورهـا كمرو، وسـرخس والطالقـان ونسـا، فكـانت له هنـاك حروب وكوائن وانقـاد إليه وإلى إمـامته خلق كثير

_____

(۱) النسابة العلوى: المجدى: ۱۴۹.

(۲) أبو الفرج الاَصفهانى: مقاتل الطالبيين: ۳۸۲.

(۳۶۸)

من الناس، ثم حمله عبـد اللّه بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه فى أزج اتخذه فى بسـتان بسـر من رأى. وقد تنوزع فى محمد بن القاسم،

فمن قائل يقول: إنّه قتل بالسم، ومنهم من يقول: إنّ ناساً من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلالم من الجبال واللبود والطالقانية ونقبوا الآزج وأخرجوه، فذهبوا به فلم يعرف له خبر إلى اليوم، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت وهو سنة ۳۳۳هـ (۱_____)

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۴۶۴ ـ ۴۶۵.

(۳۶۹)

الفصل الثالث أئمة الزيدية ودولتهم فى اليمن

الفصل الثالث أئمة الزيدية ودولتهم فى اليمن

قد تعرفت على أسماء وحياة الثائرين بعد زيد الشهيد إجمالاً، وهؤلاء الأماثل قاموا فى وجه الظلم فى مناطق مختلفة، بصورة انتفاضات ناجحة وغير ناجحة.

ويأتى الآن دور الثائرين الأفاضل، المؤسسين دولاً فى قطر كبير من الأقطار الثلاثة وهؤلاء عبارة عن:

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة فى اليمن.

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة فى طبرستان.

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة فى المغرب.

وإليك البيان ابتداء من أئمتهم فى اليمن وأوّل ثائرهم وفى الحقيقة مؤسس دولتهم هو: ۱ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا قال صاحب المجدى فى حقّ والده: الحسين بن القاسم الرسّى كان سيداً كريماً ولد له يحيى، وهو أبو الحسين الهادى، الجليل، الفارس، الدين، إمام الزيدية وكان مصنفاً، شاعراً، ظهر باليمن مات سنة ۲۹۸هـ وكان يتولى الجهاد بنفسه

(۳۷۰)

ويلبس جبة صوف وكان قشفاً رحمه اللّه (۱)

وقال ابن عنبة: أمّا أبو عبد اللّه الحسين بن القاسم الرسى وكان سيداً كريماً، فأعقب من رجلين:

۱ ـ أبو الحسين يحيى الهادى.

۲ ـ أبو محمد عبد اللّه السيد العالم.

أمّا يحيى الهادى بن الحسين بن القاسم الرسّى يكنى أبا عبد اللّه، كان إماماً من أئمة الزيدية، جليلاً فارساً، ورعاً، مصنفاً، شاعراً، ظهر باليمن ويلقب بالهادى إلى الحقّ، وكان يتولى الجهاد بنفسه ويلبس جبة صوف، له تصانيف كبار فى الفقه قريبة من مذهب أبى حنيفة، وكان ظهوره باليمن أيام المعتضد سنة ۲۸۰ هـ وتوفى هناك عام ۲۹۸ هـ وخُطِبَ له بمكة سبع سنين، وأولاده أئمة الزيدية وملوك اليمن وقد ولى الحكومة بعد رحيل الهادى ولداه:

۱ ـ أبو القاسم محمد المرتضى، قام بالأمر بعد أبيه.

۲ ـ أحمد الناصر قام بالأمر بعد تنازل أخيه.

وسيوافيك ترجمة الوالد والولدين فى الفصل السادس المختص ببيان أعلامهم المجتهدين، وإليك أسماء الأئمة الذين كان لهم الحكم إلى قيام الجمهورية عام ۱۳۸۲هـ

وقد توالت الإمامة من عقب الإمام يحيى بعد الولدين إلى قيام الجمهورية العربية فى أرض اليمن إلاّ فى فترات قليلة، فلأجل إيقاف القارئ على أسمائهم نأتى بالقائمة التالية ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المعدّة لذلك_____.

(۱) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ۷۸.

(۳۷۱)

سلسلة أئمة الزيدية فى اليمن:

قد قام غير واحد من الزيدية بذكر أئمتهم حسب التسلسل الزمنى، وتصدّيهم لأمر الإمامة منهم:

أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ۸۴۰هـ) فى مقدمة البحر الزخار قال: «باب فى تعداد أئمة الزيدية» والمقصود الدعاة دون المقتصدين هو مرتب على مراتبهم فى القيام ـ عليهم السلام ـ أولهم على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه بويع له فى المدينة...

ثم ولده الحسن بن على قام يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان...

ثم أخوه الحسين بن على قام حين أتى نعى معاوية...

ثم الحسن بن الحسن قام ودعا وبايعه خلق كثير...

ثم زيد بن على قام يوم الأربعاء...

ثم يحيى بن زيد قام ودعا ...

ثم ساق أسماء الأئمة إلى والده الإمام المهدى على بن محمد بن على بن منصور بن يحيى بن مفضل بن الحجاج بن على بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعى بن يحيى بن أحمد الناصر بن الهادى إلى الحق ولد سنة ۷۰۵ هـ وتوفى سنة ۷۷۴هـ (۱)

ولا تعجب من ذكر الإمام على بن أبى طالب والحسنين، والحسن بن الحسن، وزيد بن على دون الإمام زين العابدين، من أئمة الزيدية مع أنّ زيداً تولد وقام بالدعوة بعد قرن وربع وذلك لأجل أنّ المراد من الزيدية هى يتَّبعُ المنهج_____

(۱) البحر الزخار: ۲۲۵ ـ ۲۳۱، آخر كتاب الجواهر والدرر فى سيرة سيد البشر.

(۳۷۲)

الخاص فى باب الإمامة وهو الذى قام ودعا إلى إمامته وبويع وخرج، وله من الموَهلات والمواصفات المذكورة فى بابها، والإمام والسبطان مشوا على هذا الدرب دون الإمام السجاد ـ عليه السلام .ـ

وممن قام بتدوين أسماء وحياة أئمة الزيدية موَلف كتاب «التحف شرح الزلف» فقد نظم أسماء الأئمة نظماً وشرحها شرحاً، والموَلف أُنموذج السلف السيد مجد الدين بن محمد بن منصور الحسن الموَيدى شيخ الزيدية فى العصر الحاضر باليمن فقد أتى بأسمائهم وقليلاً من حياتهم إلى الإمام المتوكل على اللّه يحيى بن الإمام المنصور باللّه محمد بن يحيى الذى قام بعده وفاة أبيه سنة ۱۳۲۲هـ قال: فجنّد الجنود وخفقت له الرايات، وصفت البنود، وفى أيامه النعمة الكبرى والمنة العظمى إخراجه الأتراك وإجلاوَهم من اليمن وفى هذا التاريخ (۱۳۶۵هـ) أوامره ونواهيه فى أرض اليمن جارية (۱)

وقد سبق زمن تأليف الكتاب على دعوة الإمامين بعد المتوكل ولم يذكر منهما شيئاً أعنى:

۱ ـ الناصر لدين اللّه أحمد بن يحيى حميد الدين (ت ۱۳۸۲هـ) .

۲ ـ المنصور باللّه محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين.

حيث لم يحكم الثانى إلاّ ـ أياماً قلائل وأُزيل عن الحكم بقيام الثورة وإعلان الجمهورية بقيام أحد العسكريين باسم السلال عام ۱۳۸۳هـ

وبما أنّا استوفينا ذكر الأئمة الدعاة حتى عصر الإمام يحيى الهادى نذكر سلسلة الزيدية بعد عصره إلى زماننا هذا، وقد استخرجت القائمة من عدّة مصادر ولم نذكر فيها الدعاة الذين ليسوا بأئمة بل هم حسب مصطلح الزيدية مقتصدون_____،

(۱) التحف شرح الزلف: ۱۹۴ ولاحظ أيضاً كتاب اليمن عبر التاريخ: ۲۵۰ ـ ۲۵۹ تأليف أحمد حسين شرف الدين وهو يذكر أئمّة الزيدية باليمن فقط.

(۳۷۳)

وقد عقد فی البحر الزخار باباً لَاسماء هوَلاء أیضاً (۱)

وقد استعنت فی تنظیم القائمة، أحد الفضلاء أعنی الشیخ علی الیمنی دامت إفاضاته.

۱ ـ الإمام المرتضی لدین اللّه محمد بن یحیی وهو ابن الهادی یحیی بن الحسین، بویع له بالإمامة فی غرة محرم سنة ۲۹۹ هـ بعد وفاة الهادی واستمر فی الحکم عشرة أشهر ثم تنازل عن الحکم لما رأی من تخاذل بعض الناس، وتوفی فی أیام أخیه الناصر أحمد سنة عشر وثلاثمائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وکان یلقب بجبریل الَارض لنسکه، ودفن بجوار الهادی فی مدینة صعدة فی الیمن.

۲ ـ الإمام الناصر أحمد بن الهادی یحیی بن الحسین، بویع له بعد تنازل المرتضی محمد وکان حین وفاة الهادی فی الحجاز ثم قدم بعد ذلک، وکانت له حروب مع القرامطة وهزمهم فی جمیعها وصفت له أکثر الیمن، واستمر فی الحکم حتی توفی سنة ثلاثمائة وخمسة وعشرین ودفن بجوار أبیه وأخیه.

۳ ـ المنصور باللّه القاسم بن علی بن عبد اللّه العیانی قام ببلاد خثعم من أرض الشام ثم خرج إلی الیمن وتوفی سنة ثلاث وتسعین وثلاثمائة بقریة عیان شمال الیمن وهو من ذریة محمدبن القاسم بن إبراهیم طباطبا.

۴ ـ الإمام الناصر أبو الفتح الدیلمی وهو أبو الفتح بن الحسین بن محمد من ذریة علی بن الحسن بن زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب، قام فی بلاد الدیلم شمال إیران فی عام ثلاثین وأربعمائة، ثم خرج إلی الیمن فاستولی علی أکثر الیمن واستشهد سنة نیف وأربعین أو خمسین وأربعمائة فی وقعة بینه وبین علی بن محمد الصلیحی_____.

(۱) البحر الزخار: المقدمة|۲۲۵، والمراد من المقتصدین هم الذین لم یتمکنوا من الخروج وإن کانت لهم دعوة.

(۳۷۴)

۵ ـ الإمام المتوکل علی اللّه أحمد بن سلیمان من ذریة الناصر أحمد بن الهادی، استولی علی جمیع الیمن وخطب له بینبع وخیبر وتوفی فی ربیع سنة ست وخمسین وخمسمائة عن ست وستین سنة.

۶ ـ الإمام المنصور باللّه عبد اللّه بن حمزة ینتهی نسبه إلی عبد اللّه بن الحسین ابن القاسم بن إبراهیم طباطبا، دعوته سنة أربع وتسعین وخمسمائة ویعتبر مجدد المذهب الزیدی فی القرن السابع الهجری، توفی فی محرم سنة أربع عشرة وستمائة عن عمر یناهز الثانیة والخمسین.

۷ ـ الإمام المهدی أحمد بن الحسین من ذریة محمد بن القاسم بن إبراهیم طباطبا، دعا إلی اللّه سنة ست وأربعین وستمائة وقتل سنة ست وخمسین وستمائة.

۸ ـ الإمام المنصور باللّه الحسن بن بدر الدین دعا فی الخامس والعشرین من شوال سنة سبع وخمسین وستمائة وتوفی سنة سبعین وستمائة عن أربع وسبعین عاماً.

۹ ـ الإمام المتوکل علی اللّه المطهر بن یحیی وکانت دعوته سنة ست وسبعین وستمائة وتوفی فی سنة سبع وتسعین وستمائة.

۱۰ ـ الإمام المهدی محمد بن المطهر وکانت دعوته سنة إحدی وسبعمائة وتوفی سنة ثمان وعشرین وسبعمائة عن سبعین عاماً، ویعتبر من المجددین للمذهب الزیدی فی القرن الثامن.

۱۱ ـ الإمام المؤید باللّه یحیی بن حمزة ینتهی نسبه إلی الإمام علی بن موسی الرضا من جهة الإمام الجواد ـ علیه السلام ـ ثم الإمام علی الهادی ـ علیه السلام ـ وکان قیامه سنت تسع وعشرین وسبعمائة وتوفی سنة تسع وأربعین وسبعمائة.

۱۲ ـ الإمام المهدی لدین اللّه علی بن محمد، کانت ولادته سنة سبعمائة وخمسة للهجرة ودعوته سنة سبعمائة وخمسین للهجرة وتوفی فی جمادی

(۳۷۵)

الآخرة سنة سبعمائة وأربعة وسبعین للهجرة وقیل فی ربیع الَاوّل من نفس العام.

۱۳ ـ الاِمام الهادى لدين اللّه على بن الموَيد، كانت دعوته سنة ست وسبعمائة وتوفى فى العاشر من محرم سنة ست وثلاثين وثمانمائة عن ثمانين سنة، ومدّة حكمه ما يقرب من أربعين سنة.

۱۴ ـ الاِمام المهدى لدين اللّه أحمد بن يحيى المرتضى، ولادته سنة سبعمائة وأربعة وستين وكانت دعوته سنة سبعمائة وثلاثة وتسعين فأُسر وحبس فلمّا آيس الهادى على بن الموَيد من خروجه من الحبس دعا لنفسه، وتوفى المهدى فى سنة ثمانمائة وأربعين للهجرة.

۱۵ ـ الاِمام المتوكل على اللّه المطهر بن محمد وهو من ذرية عبد اللّه بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم طباطبا.

كان قيامه فى سنة ثمانمائة وإحدى وأربعين وتوفى فى صفر سنة تسع وسبعين وثمانمائة.

۱۶ ـ الاِمام الهادى عز الدين بن الحسن، كانت دعوته فى تسعة شوال سنة ثمانين وثمانمائة ويعتبر مجدداً للدين فى القرن التاسع الهجرى، وحكم اليمن ومكّة وكانت وفاته فى رجب سنة تسعمائة عن خمس وخمسين عاماً.

۱۷ ـ الاِمام المتوكل على اللّه يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الاِمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى، كانت بيعته فى جمادى الاُولى سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وفى أيامه خرج الجراكسة والاَتراك من اليمن وتوفى سنة خمس وستين وتسعمائة وهو ابن سبع وثمانين سنة.

۱۸ ـ الاِمام الهادى الحسن بن عز الدين، كانت دعوته أواخر أيام الاِمام شرف الدين وذلك بإشارة من الاِمام شرف الدين بعد ذهاب بصره، فبويع له سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وتوفى سنة سبع وثمانين وتسعمائة عن سبع وسبعين سنة.

(۳۷۶)

۱۹ ـ الاِمام الناصر لدين اللّه الحسن بن على بن داود، بويع له سنة أربع وثمانين وتسعمائة، أسّره الاَتراك سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة فى سادس عشر من شهر رمضان وسجن فى اليمن سنة ثم أُرسل إلى القسطنطينية وبقى مسجوناً إلى أن توفى سنة أربع وعشرين وألف للهجرة.

۲۰ ـ الاِمام المنصور باللّه القاسم بن محمد بن على، بويع له فى محرم سنة ألف وستة هجرية، وهو مجدد القرن الحادى عشر، وهو وأولاده الذين أخرجوا الاَتراك من اليمن وتوفى سنة ألف وتسعة وعشرين هجرية.

۲۱ ـ الاِمام الموَيد باللّه محمد بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة أبيه القاسم بن محمد وتوفى بعد صلاة الجمعة فى اليوم الثامن من شهر رجب فى سنة ألف وأربع وخمسين للهجرة، وفى أيامه تم خروج الاَتراك نهائياً من اليمن.

۲۲ ـ الاِمام المتوكل على اللّه إسماعيل بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة الموَيد سنة أربع وخمسين وألف وتوفى فى جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وألف وامتدّ حكمه إلى ظفار عمان.

۲۳ ـ الاِمام المنصور باللّه القاسم بن الموَيد باللّه محمد بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة عمه المتوكل على اللّه إسماعيل وتوفى سنة ألف وسبعة وعشرين للهجرة النبوية على صاحبها وآله السلام.

۲۴ ـ الاِمام الموَيد باللّه محمد بن المتوكل على اللّه إسماعيل، دعا بعد وفاة الموَيد وتوفى سنة سبع وتسعين وألف للهجرة.

۲۵ ـ الاِمام المتوكل على اللّه إسماعيل بن أحمد بن عبد اللّه الكبسى المغلس دعوته سنة إحدى وعشرين ومائتين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين ويعتبر مجدداً للمذهب الزيدى فى القرن الثانى عشر.

۲۶ ـ الاِمام المنصور باللّه أبو محمد أحمد بن هاشم بن المحسن، كانت

(۳۷۷)

دعوته سنة ألف ومائتين وأربع وستين وتوفى سنة ألف ومائتين وتسع وستين.

۲۷ ـ الاِمام المنصور باللّه محمد بن عبد اللّه الوزير، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وسبعين ثم اعتزل بعد سنة من قيامه وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

۲۸ ـ الإمام المتوكل على اللّه المحسن بن أحمد الحوثى، كانت دعوته فى سنة ألف ومائتين وإحدى وسبعين وتوفى سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين.

۲۹ ـ الإمام المهدى لدين اللّه أبو القاسم محمد بن القاسم بن إسماعيل الحسينى يرجع نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة الحسينى، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين للهجرة ثم أُخذ بعد ذلك وسجنه الأَتراك وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وتسعة عشر للهجرة.

۳۰ ـ الإمام الهادى لدين اللّه شرف الدين بن محمد الحسينى، يرجع نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة الحسينى خرج أواخر القرن الثالث عشر أثناء سجن الإمام المهدى وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

۳۱ ـ الإمام المنصور باللّه محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين وهو من ذرية الإمام القاسم بن محمد، دعا سنة سبع وثلاثمائة وهو وابنه الإمام يحيى حميد الدين من أخرج الأَتراك من اليمن وتوفى سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين.

۳۲ ـ الإمام المتوكل على اللّه يحيى بن محمد حميد الدين، دعا بعد وفاة والده المنصور باللّه محمد فى سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين، وهو الذى أخرج الأَتراك نهائياً من اليمن وله المنة الكبرى فى إبقاء اليمن بعيداً عن الاستعمار والأَجانب، واستمرّ حكم الإمام يحيى حتى استشهد سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين.

هوَلاء هم الأَئمة الذين حكموا اليمن بعد الهادى يحيى بن الحسين وهم

(۳۷۸)

الذين أجمعوا على إمامتهم وكان هناك غيرهم ممن حكم اليمن إلاّ أنّهم لم يصلوا إلى درجة الإمامة عندهم وهم إمّا دعاة أو محتسبون، وجاء بعد الإمام يحيى من أخذ بثأره الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين كان عالماً جليلاً وفارساً شجاعاً وكان عادلاً فى حكمه إلاّ أنّه لم تكتمل شروط الإمامة فيه واستمر حكمه إلى سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين للهجرة.

* * * (۳۷۹)

الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان

الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان

وقد أسّس بعض الثائرين على منهج زيد الثائر دولة زيدية فى طبرستان، وهم بين داع وإمام، أو بين إمام جهاد، وإمام اجتهاد، نعم هنا مشكلة وهو اجتماع إمامين فى عصر واحد وإن كانا فى قطرين، وسيوافيك أنّ الناصر الأَطروش من أئمة الزيدية فى طبرستان كان معاصراً مع الإمام الهادى يحيى بن الحسين الذى توفى ۲۹۸هـ وإليك أسماءهم وقليلاً من حياتهم:

۱ ـ الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (ت ۲۷۰هـ) .

قال المسعودى: وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة ۲۵۰هـ ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل، بن الحسن، بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى اللّه عنهم ـ فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت فى يده إلى أن مات سنة سبعين و مائتين(۱).

وقال الجزرى: وفيها توفى الحسن بن زيد العلوى، صاحب طبرستان، فى رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وولى مكانه أخوه_____

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۴|۶۸.

(۳۸۰)

محمد بن زيد.

وكان الحسن جواداً مدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان متواضعاً للّه تعالى.

حكى عنه أنّه مدحه شاعر فقال: اللّه فرد، وابن زيد فرد، فقال: بفيك الحجر، ياكذاب، هلا قلت اللّه فرد، وابن زيد عبد. ثم نزل عن مكانه، وخرّ ساجداً للّه تعالى، وألصق خده بالتراب وحرم الشاعر (۱)

۲ ـ أخوه: محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل، فقام مكانه أخيه «الحسن» وحاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد إلى الديلم فى سنة ۲۷۷هـ فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة، وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته (إلى أن توفى سنة ۲۸۷هـ بعد ما أُثخن فى معركة الحرب مع السامانيين) وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان (۲)

۳ ـ الإمام الناصر للحقّ الاَطروش، أبو محمد: الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الاَشرف (۳)بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (۲۳۰ ـ ۳۰۴هـ) وستوافيك ترجمته فى الفصل القادم.

۴ ـ الحسن بن القاسم بن الحسن بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ۳۱۶هـ) .

قال الموَيدى: هو الإمام الداعى إلى اللّه أبو محمد الحسن بن القاسم بن_____

(۱) الجزرى: الكامل: ۷|۴۰۷.

(۲) المسعودى: مروج الذهب: ۴|۶۸.

(۳) إنّما يوصف بالاَشرف لكونه من جانب الاَب والاُمّ علوياً فى مقابل عمر الاَطرف إذ كان علوياً من جانب الاَب.

(۳۸۱)

الحسن بن على بن عبد الرحمن الشجرى: كان هذا الإمام من أركان الناصر للحق الحسن بن على الاطروش، وكان يضرب بعدله المثل، واستشهد سنة ست عشرة وثلاثمائة وله اثنتان وخمسون سنة، وأقام أود الدين الحنيف فى نيسابور والرى ونواحيهما وفى الجبل والديلم.

وقال الموَيدى فى الزلف:

كذا الحسن بن القاسم بن الفرد بعده * فلم يبق فى جيلان للحقّ مانع (۱) ۵ ـ محمد بن الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ۳۶۰هـ) .

قال الموَيدى: هو الإمام أبو عبد اللّه المهدى لدين اللّه محمد بن الإمام الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن الشجرى بن القاسم بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط.

وهذا الإمام الذى جمع بين القاسمية والناصرية بعد التباين العظيم بسبب الاختلاف فى الاجتهاد فأظهر القول بأنّ كل مجتهد يصيب فى الاجتهاديات وهو الذى قيل فيه لو مادت الاَرض لشىء لعظمه لمادت لعلم أبى عبد اللّه الداعى ووالده الإمام الحسن بن القاسم الذى تقدم بعد الإمام الناصر الاطروش.

قام ببغداد ثم وصل الديلم وبايعه من علماء الاُمّة أربعة آلاف، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قبضه اللّه بـ«هوسم» سنة ۳۶۰هـ روى عن الإمام أبى طالب أنّه مات مسموماً (۲)

وبذهاب هوَلاء، ذهبت الدولة الزيدية فى طبرستان ولهم إلى الآن آثار وقبور تزار_____.

(۱) مجد الدين الموَيدى: التحف شرح الزلف: ۷۲ ـ ۷۳.

(۲) التحف شرح الزلف: ۸۳ ـ ۸۴.

الفصل الخامس الدولة الزيدية فى المغرب

الفصل الخامس الدولة الزيدية فى المغرب الادارسة :

كان لعبد اللّه المحض أى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن السبط ـ عليه السلام ـ ستة أبناء قد ذكرنا أسماءهم عند ذكر ثورة محمد بن عبد اللّه النفس الزكية، منهم: ۱ ـ إدريس بن عبد اللّه المحض : قال المسعودى: لما خرج محمد بن عبد اللّه المحض المعروف بالنفس الزكية تفرق إخوته فى البلاد، يدعون إلى إمامته، فكان فيمن توجه، ابنه على بن محمد إلى مصر، فقتل هناك، وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس فمات فى الحبس، وسار إخوة موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى الرىّ، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد اللّه إلى المغرب فأجابه خلق من الناس فبعث المنصور من اغتاله بالسم فيما احتوى عليه من مدن المغرب (۱)

قال العلوى العمرى النسابة: كان إدريس بن عبد اللّه مع الحسين صاحب_____

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۳۹۶.

(۳۸۳) الفخ (۱)، فلما قتل الحسين انهزم حتى لحق بالمغرب فسمّ هناك (۲).

وقال ابن عنبة: لما قتل الحسين انهزم إدريس حتى دخل المغرب فسمّ هناك بعد أن ملك، وكان قد هرب إلى فاس وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم إلى الدين فأجابوه وملكوه، فاغتم الرشيد (هارون) لذلك حتى امتنع من النوم ودعا سليمان ابن جرير الرقى متكلم الزيدية وأعطاه سماً، فورد سليمان بن جرير متوسماً بالمذهب فسرّ به إدريس بن عبد اللّه ثم طلب منه عزة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم فهرب، فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربة منكرة وفاته، وعاد وقد مضى إدريس لسبيله.

كانت بيعة إدريس بن عبد اللّه فى شهر رمضان سنة ۱۷۲هـ واستمر بالاَمر إلى ست سنين إلّا ستة شهر (۳)

وقال الزركلى: إدريس بن عبد اللّه بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب: موَسس دولة الاَدارسة فى المغرب وإليه نسبتها، أوّل ما عرف عنه أنّه كان مع الحسين بن على بن الحسن المثلث، فى المدينة أيام ثورته على الهادى العباسى سنة ۱۶۹هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الاَقصى سنة ۱۷۲هـ ونزل بمدينة وليلى (على مقربة من مكناس وهى اليوم مدينة قصر فرعون) وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعرّفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بنى العباس، فتم له الاَمر (يوم الجمعة ۴ رمضان ۱۷۲هـ) فجمع جيشاً كثيفاً وخرج به غازياً فبلغ بلاد تادَلة_____

(۱) فخ ـ بفتح أوّله وتشديد ثانيه ـ واد بمكة قتل فيه الحسين بن على بن الحسن العلوى يوم التروية سنة ۱۶۹ هـ وقتل معه جماعة من أهل بيته وفيه دفن عبد اللّه بن عمرو جماعة من الصحابة، انظر مراصد الاِطلاع، ما دة فخ.

(۲) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ۶۲.

(۳) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۱۵۷ ـ ۱۵۸.

(۳۸۴) (قرب فاس) ففتح معاقلها، وعاد إلى وليلى، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها، وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفى مسموماً فى وليلى فى عام ۱۷۷ هـ وهو أول من دخل المغرب من الطالبيين، ومن نسله الباقى إلى الآن فى المغرب شرفاء العلم (العلميون) والشرفاء الوزانيون، والريسيون، والشبيهيون، والطاهريون الجوطيون، والعمرانيون، والتونسيون (أهل دار القيطون) والطالبيون، والغالبيون، والدباغيون، والكتانيون، والشفشاويون، والوَدْغيريون، والدرقاويون، والزكاريون(۱).

* * *

۲ ـ إدريس بن إدريس بن عبد اللّه المحض :

يقول ابن عنبة: وأعقب إدريس بن عبد اللّه المحض من ابنه إدريس وحده، وكان إدريس بن إدريس لما مات أبوه حملاً، وأُمه أم ولد بربرية، ولما مات إدريس ابن عبد اللّه وضعت المغاربة التاج على بطن جاريته أُم إدريس فولدته بعد أربعة أشهر، قال الشيخ أبو

نصر البخاری: قد خفی علی الناس حدیث إدریس لبعده عنهم ونسبوه إلی مولاه راشد، وقالوا: «إنّه احتال فی ذلک لبقاء الملک له، ولم یعقب إدریس بن عبد اللّه ولیس الاَمر کذلک فإنّ داود بن قاسم الجعفری وهو أحد کبار العلماء وممن له معرفة بالنسب، حکی أنّه کان حاضراً قصة إدریس بن عبد اللّه وسمّه وولادة إدریس بن إدریس، قال: وکنت معه بالمغرب فما رأیت أشجع منه ولا أحسن وجهاً، وقال الرضا بن موسی الکاظم ـ علیهما السلام: «ـ إدریس بن إدریس ابن عبد اللّه من شجعان أهل البیت واللّه ماترک فینا مثله» وقال أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحق بن عبد اللّه بن جعفر الطیار: أنشدنی إدریس بن إدریس لنفسه ـ أبیاتاً شعریة ـ .

---

(۱) الزرکلی: الاَعلام : ۱ |۲۷۹.

(۳۸۵)

وکان لِادریس بن إدریس بن عبد اللّه المحض أحد عشر رجلاً وبنتین: رقیة وأُم محمد، ولکنه أعقب من سبعة، وهم:

۱ ـ القاسم ۲ ـ عیسی ۳ ـ عمر ۴ ـ داود ۵ ـ یحیی ۶ ـ عبد اللّه ۷ ـ حمزة.

وقد قیل: إنّه أعقب من غیر هوَلاء أیضاً ولکل منهم ممالک فی بلاد المغرب هم بها ملوک إلی الآن

(۱)

وفی تعلیقة الکتاب: والذی أولدهم إدریس بن إدریس أحد عشر رجلاً، وبنتین: رقیة وأُم محمد، والذی أعقب فیهم سبعة، والذی ملک الاَمر منهم فی بلاد المغرب محمد واستمر بالاَمر ثمانی سنین ثم توفی فی شهر ربیع الاَوّل سنة ۲۲۱ هـ وقام بعده أولاده ثم أحفاده وکان آخرهم الحسن بن القاسم کنون بن محمد بن القاسم بن إدریس الذی تولی الملک سنة ۳۴۸ وقتل سنة ۳۷۵ وبموته انقرضت دولة الاَدارسة من بلاد المغرب وقد ملکوا الاَمر ۲۰۰ سنة تقریباً.

وقال ابن عذاری المراکشی: أخذت الهجرات العربیة تنثال علی مراکش من أفریقیة والاَندلس، فقرر إدریس الثانی تأسیس عاصمة له وشرع فی إنشاء مدینة فاس عام ۱۹۲ هـ حیث سکن البربر المنطقة الشرقیة والعرب المنطقة الغربیة، وقد أصبحت هذه المدینة مرکزاً من أکبر مراکز الاِسلام علمیاً ودینیاً وتجاریاً وصناعیاً.

قام إدریس الثانی بحملات عسکریة فی جبال أطلس وظل یتنقل بعدها بین فاس وتلمسان ووولیله إلی أن مات مسموماً عام ۲۱۳ هـ فی ظروف غامضة.

ترک اثنی عشر ولداً هم: محمد وأحمد و عبد اللّه وعیسی وإدریس وجعفر_____

(۱) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۱۵۹ ومعنی ذلک بقاء حکمهم وسلطتهم إلی أوائل القرن التاسع.

(۳۸۶) ویحیی وحمزة وعبد اللّه والقاسم وداود ویحیی، ولّی منهم: محمد بن إدریس، ففرّق البلاد علی إخوته بأمر جدته البربریة «کنزة» ولکن الخلاف نشأ بین بعض الاِخوة ولم تستقرّ بعدها دولة الاَدارسة بسبب منازعة الخوارج لهم برئاسة عبد الرزاق الخارجی الصفری إلی أنّ انتهت عام ۳۲۳هـ (۱)

وقال الزرکلی: إدریس بن إدریس بن عبد اللّه بن الحسن المثنی، أبو القاسم: ثانی ملوک الاَدارسة فی المغرب الاَقصی، وبانی مدینة فاس. ولد فی ولیلی (بجبل زرهون. علی نحو ۳۰ کم من مکناس) وتوفی أبوه وهو جنین، فقام بشوَون البربر راشد (مولی أبیه إدریس الاَوّل وأمینه) وقتل راشد سنة ۱۸۶هـ فقام بکفالة إدریس أبو خالد العبدی، حتی بلغ الحادیة عشر، فبایعه البربر فی جامع ولیلی سنة ۱۸۸هـ فتولّی ملک أبیه وأحسن تدبیره وکان جواداً فصیحاً حازماً، أحبته رعیته. واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والاَندلس إلیه (وکانت فی ید العباسیین بالمشرق، یحکمها ولاتهم) وغصت ولیلی بالوفود والسکان فاختلط مدینة «فاس» سنة ۱۹۲ هـ وانتقل إلیها. وغزا بلاد المصامدة فاستولی علیها، وقبائل نفزة (من أهل المغرب الاَوسط) فانقادت إلیه، وزار تلمسان ـ وکان أبوه قد افتتحها ـ فأصلح سورها وجامعها وأقام فیها ثلاث سنوات، ثم عاد إلی فاس. وانتظمت له کلمة البربر وزناتة، واقتطع المغربین (الاَقصی والاَوسط) عن

دولة العباسیین من لدن السوس الاَقصی إلی وادی شلف. وصفا له ملک المغرب وضرب السکة باسمه وتوفی بفاس

(۲)فی ۳۱۲هـ وکان قد ولد عام ۷۷۱هـ وبذلک یکون عمره ۳۶عاماً_____.

(۱) ابن عذاری المراکشی: البیان المغرب فی أخبار الاَندلسی والمغرب: ۲۱۰ کما فی الزیدیة للدکتور أحمد محمود صبحی: ۱۱۳.

(۲) الزرکلی: الاَعلام: ۱ |۲۷۸.

الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزیدیة

الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزیدیة إنّ أعلام الزیدیة بین إمام جهاد واستشهاد وإمام فقه واجتهاد، فمن الطبقة الاُولی:

۱ ـ یحیی بن زید.

۲ ـ محمد النفس الزکیة.

۳ ـ إبراهیم بن عبد اللّه.

۴ ـ عیسی بن زید.

۵ ـ الحسین الفخیّ.

۶ ـ یحیی بن عبد اللّه .

۷ ـ ابن طباطبا.

۸ ـ محمد بن محمد بن زید، وغیرهم.

وقد تعرفت علی موجز أحوالهم وجهادهم واستشهادهم.

نعم هناک أئمة فقه واجتهاد أشادوا هذا المذهب بتفکیرهم وبجهادهم العلمی المتواصل عبر القرون منضماً إلی حروبهم مع المتمردین والظالمین، وها

(۳۸۸)

نحن نأتی علی ذکر لفیف منهم مع الاِشارة إلی حیاتهم وتألیفاتهم، وأفضل مرجع لدراسة أحوالهم إلی القرن السابع، کتاب «الحدائق الوردیة فی مناقب أئمة الزیدیة»، تألیف أبی الحسن حسام الدین حمید بن أحمد المحلی (۵۸۲ـ ۶۵۲هـ).

وقد ألّف فی ذلک المجال کتب تتضمن حیاة أئمة الزیدیة نشیر إلی أسمائها:

۱ ـ «قرة العیون فی أخبار الیمن المیمون» لوجیه الدین عبد الرحمن بن علی (ت۹۴۴هـ) نشرها القاضی محمد بن علی الاَکوع.

۲ ـ «مصادر الفکر العربی الاِسلامی» فی الیمن لعبد اللّه الحبشی، طبع بیروت ـ ۱۹۷۸ م.

۳ ـ «اتحاف المهتدین بذکر الاَئمة المجدّدین» لمحمد بن محمد بن یحیی «زبارة» (ت ۱۳۸۰هـ) .

۴ ـ «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوکانی (ت ۱۲۵۰هـ) .

۵ ـ «حکام الیمن المجتهدون» لعبد اللّه محمد الحبشی، طبع بیروت.

۶ ـ «مطلع البدور، ومجمع البحور» لابن أبی الرجال صفی الدین (ت ۱۰۹۲هـ) مخطوط.

۷ـ «طبقات الزیدیّة» تألیف إبراهیم بن القاسم الشهاری (ت ۱۱۵۳هـ) مخطوط.

إلی غیر ذلک ممّایقف علیه المتتبع فی آثار الزیدیة.

* * * (۳۸۹) ۱ أحمد بن عیسی بن زید بن علی (۱۵۷ ـ ۲۴۷ هـ) الاِمام أحمد بن عیسی بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب ـ علیهم السلام ـ یکنّی أبا عبد اللّه، وأُمّه عاتکة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس ابن ربیعة بن الحارث بن عبد المطلب.

ولد یوم الثانی من شهر محرم الحرام سنة ۱۵۷هـ توفی والده وهو صغیر السن.

قال أبو الفرج الاَصفهانى: إنّه وُشىَ إلى هارون بأحمد بن عيسى والقاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين فأمر بإشخاصهما إليه من الحجاز فلمّا وصلا إليه، أمر بحبسهما فحبسا فى سعة عند الفضل بن الربيع مكاناً عنده قال: فاحتال بعض الزيدية فدسّ إليهما فالوذجاً فى حاجات أحدهما مُبْنج فأطعما المُبْنج الموكّلين فلمّا علما إلى ذلك قد بلغ فيهم خرجا، ـ إلى أن قال: ـ ولم يزل مدّة ببغداد مستتراً، وقد بلغ الرشيد خبره، فوضع الرصد فى كل موضع، وأمر بتفتيش كل دار، يتّهم صاحبهما بالتشيع وطلب أحمد فيها، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمكنه التخلص فمضى إلى البصرة فأقام بها (۱)

وقال الذهبى: أحمد بن عيسى بن زيد له كتاب «الصيام» روى عن حسين (يريد الحسين بن علوان) روى عنه محمد بن منصور الكوفى (۲)

وقال السيد المؤيّدى: الإمام أبو عبد اللّه أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن_____

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۴۰۸ ـ ۴۰۹.

(۲) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۱|۱۲۷ برقم ۵۱۲.

الحسين السبط ـ عليهم السلام ـ فقيه آل محمد، وله الاَمالى المعروفة بعلوم آل محمد سمّاها الإمام المنصور باللّه «بدائع الاَنوار» توفى وقد جاوز الثمانين سنة ۲۴۷هـ وقد كان حبسه الرشيد ثم أخرجه اللّه تعالى وبقى فى البصرة إلى أن توفّى.

أولاده: محمد وعلى (۱)

أقول: يروى عن حسين بن علوان كثيراً ومحمد بن بكر العلائى، وعن محمد ابن بكر عن أبى الجارود عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام.ـ

وروى عنه: ابناه: على ومحمد، ومحمد بن المنصور المرادى بواسطة ابنيه المذكورين وبلا واسطة ولم يرو عن أبيه.

وأمّا كتاب الاَمالى فهو الذى طبع باسم «رأب الصدع» فى ثلاثة أجزاء بتحقيق العلامة على بن إسماعيل بن عبد اللّه المؤيد الصنعانى وصدر عن دار النفائس ببيروت عام ۱۴۱۰هـ وقال محقق الكتاب إنّه كصحيح البخارى عند أهل البيت النبوى الشريف (۲)

وقد أخرج المؤلف فيه ۲۷۹۰ حديثاً عن الرسول وأئمة أهل البيت والباقر والصادق ـ عليهم السلام ، ـ وقد أكثر النقل عن النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن غير طريق على وأبنائه ـ عليهم السلام ، ـ كما حدّث عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ والكتاب جدير بالمطالعة والدراسة والاستفادة والاعتماد عليه، عند صحّة السند، فلا يتمّ جامع حديثى للشيعة إلاّ بنقل ما ورد فيه عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ

وقد استخرج المحقّق ـ المغفور له ـ مصادر ما رواه عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن طريق الصحابة والتابعين،وقصرت يده عن استخراج ما رواه عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ عن المصادر الحديثية الشيعيّة، ليكون آية للصحة والإتقان. وذيّل الجزء الثالث برسالة أسماها: «تعريف برواة الاَحاديث والآثار الواردة فى الكتاب» وهى ممتعة.

الجامع لاَحاديثه هو أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادى. وإليك_____

(۱) المؤيدى: التحف شرح الزلف: ۴۵.

(۲) رأب الصدع: ۱|۱۱.

سند الحديث الاَوّل:

أخبرنا أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد، قال: حدثنى أحمد بن عيسى بن زيد عن حسين بن علوان، عن أبى خالد، عن زيد عن آبائه عن على ـ عليه السلام ـ وإليك ترجمتهم:

۱ ـ محمد بن منصور بن يزيد (۱)ولقد رجعت فى ترجمة محمد بن منصور المرادى إلى العلامة بدر الدين أحد العلماء الكبار فى اليمن والذى يزور حالياً الجمهورية الاِسلامية فى إيران، وحرّر شيئاً ما هذا ملخصه:

ترجمة محمد بن منصور الكوفى المرادى موَلف الامالى:

قال العلامة أحمد بن صالح ابن أبى الرجال أحد كبار علماء الزيدية فى كتابه مطلع البدور:

شيخ العترة والشيعة، عذب الشريعة، لمن أراد بحار الشريعة محمد بن منصور المقرى المرادى كان الاَئمة يجلّونه إجلال الاَب الكريم وهو ينزلهم فى منزلهم الشريف العظيم، وكان شيخاً معمّراً قد ذكر فى عمره بخط بعض الطلبة كلام لم يتفق عندى فانقله.

وهو الذى جمع أمالى أحمد بن عيسى، وهو أحد الاَربعة الذين اعتمد عليهم فى الجامع الكافى، لاَنّ موَلف الجامع الكافى وهو صاحب «المقنع» وهو الذى قال الذهبى فيه: الامام المحدث الثقة العالم مسند الكوفة أبو عبد اللّه محمد بن على بن الحسن بن عبد الرحمن العلوى جمع كتاباً فيه علم الاَئمة بالعراق فاجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره.

وقال السيد العلاّمة صارم الدين إبراهيم بن محمد ـ عليه السلام ـ لمحمد بن منصور، تفسير، قلت: وذكر بعض شيوخنا رضى اللّه عنه أنّ لمحمد بن منصور_____

(۱) لم يترجمه الذهبى فى سير أعلام النبلاء، ولافى ميزان الاعتدال، ولا جمال الدين المزّى فى تهذيب الكمال.

(۳۹۲)

كتاب التفسير الكبير، وكتاب التفسير الصغير، وكتاب أحمد بن عيسى ـ عليه السلام ـ لعله يريد الاَمالى وسيرة الاَئمة العادلة، وكتاب رسالة بخراسان، وبعض ينسبها إلى الحسن بن زيد بطبرستان. انتهى.

وقال ابن النديم: المرادى من الزيدية وهو أبو جعفر محمد بن منصور المرادى الزيدى وله من الكتب: كتاب التفسير الكبير، كتاب التفسير الصغير، كتاب أحمد بن عيسى، كتاب سيرة الاَئمة العادلة، وله كتب فى الاحكام مثل طهارة وصلاة وغير ذلك على تلاوة كتب الفقه، وله كتاب الخميس. كتاب رسالته على لسان بعض الطالبيين إلى الحسن بن زيد بطبرستان (۱)

۲ ـ أحمد بن عيسى بن زيد، وقد مرت ترجمته.

۳ ـ حسين بن علوان، قال النجاشى: الكلبى ولاءً كوفى عامى (غير شيعى) وأخوه الحسن يكنّى أبا محمد، ثقة، رويا عن أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ وليس للحسن كتاب، والحسن أخص بنا وأولى، روى الحسين عن الاَعمش، وهشام بن عروة، وللحسين كتاب تختلف رواياته (۲)

۴ ـ أبو خالد: قال النجاشى: عمرو بن خالد الواسطى عن زيد بن على له كتاب كبير رواه عنه نصر بن مزاحم المنقرى وغيره (۳)روى الصدوق فى أماليه بإسناده عن عمرو بن خالد قال: قال لى زيد بن على بن الحسين: فى كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج اللّه به على خلقه، وحجّة زماننا ابن أخى جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ لايضل من تبعه ولا يهتدى من خالفه (۴)وضعفه الذهبى تبعاً لعادته من تضعيف شيعة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ومواليهم (۵_____)

(۱) ابن النديم: الفهرست: ۲۴۴.

(۲) النجاشى: الرجال: برقم ۱۱.

(۳) النجاشى: الرجال: برقم ۷۶۹.

(۴) المامقانى: تنقيح المقال: ۲|۳۳۰ برقم ۸۶۹۱.

(۵) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۳|۲۵۷ برقم ۶۳۵۹.

(۳۹۳) ۲ القاسم الرسى (۱۶۹ ـ ۲۴۶هـ)

القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى المعروف بالقاسم الرسى، فهو الحجر الاَساس لظهور الاَئمة فى

الیمن وهو جد الإمام الهادی یحیی بن الحسین الذی خرج فی الیمن وأسّس حکومة زیدیة فیها طالت قروناً.

وممن ترجمه: أبو الحسن حسام الدین حمید الدین المحلی فقد ذکر نسبه، وصفاته، وطرفاً من مناقبه وأحواله وزهده وقسماً من الوصایا والحکم والآداب المنقولة منه، ثم شرح دعوته وقال: لما استشهد أخوه محمد بن إبراهیم ـ علیه السلام ـ وهو بمصر دعا إلی نفسه وبثّ الدعاة وهو علی حال الاستتار فأجابه عالَم من الناس من بلدان مختلفة، وجاءته بیعة أهل مکة، والمدینة، والکوفة، وأهل الریّ، وقزوین، وطبرستان وتخوم الدیلم، وکاتبه أهل العدل من البصرة والاَهواز، وحثّوه علی الظهور وإظهار الدعوة.

وأقام ـ علیه السلام ـ بمصر نحو عشر سنین واشتد الطلب له هناک من عبد اللّه ابن طاهر فلم یمکنه المقام، فعاد إلی بلاد الحجاز وتهامة وخرج جماعة من دعاته من بنی عمه وغیرهم إلی بلخ والطالقان والجوزجان، فبایعه کثیر من أهلها وسألوه أن ینفذ إلیهم بولد له لیظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمکن من ذلک، فوجهت الجیوش فی طلبه فانحاز إلی حیّ من البدو، واستخفی فیهم وأراد الخروج بالمدینة فی وقت من الاَوقات فأشار علیه أصحابه بأن لا یفعل ذلک ـ إلی أن قال: ـ ولم یزل علی هذه الطریقة، مثابراً علی الدعوة، صابراً علی التغرّب والتردّد فی النواحی والبلدان متحملاً للشدة مجتهداً فی إظهار دین اللّه.

ولما تهیّأت مقدمات ظهوره وکانت له بیعات کثیرة فی أوقات مختلفة أوّلها

(۳۹۴)

(سنة ۱۹۹هـ) والبیعة الجامعة کانت سنة ۲۱۹ هـ فی منزل محمد بن منصور المرادی بالکوفة. فشلت دعوته ولم تساعده المقادیر إلی کل ما أراد، فانتقل إلی الرسّ فی آخر أیامه، وهی أرض اشتراها وراء جبل أسود بالقرب من ذی الحلیفة، وبنی هناک لنفسه ولولده وتوفی بها سنة ۲۴۶هـ وله سبع وسبعون سنة، ودفن فیها ومشهده معروف یزوره من یرید زیارته.

وله من المولَفات:

۱ ـ الدلیل الکبیر، وقد بالغ فیه فی الکلام علی الفلاسفة.

۲ ـ الدلیل الصغیر.

۳ ـ کتاب العدل والتوحید الکبیر، وفیه من أُصول العدل والتوحید وتصدیق الوعد والوعید والمبالغة فی الکلام علی الجبریة علی لطافة حجمه، ما یشهد بغزارة علمه، ووفور فهمه.

۴ ـ الرد علی ابن المقفّع.

۵ ـ الرد علی النصاری.

۶ ـ کتاب المسترشد.

۷ ـ کتاب الرد علی المجبرة.

۸ ـ کتاب تأویل العرش والکرسی.

۹ ـ کتاب المسألة وفیها مناظرته مع الملحد

۱۰ ـ کتاب تثبیت الإمامة وتقدیم أمیر المؤمنین علی المشایخ.

۱۱ ـ کتاب الفرائض والسنن.

۱۲ ـ کتاب الطهارة.

۱۳ ـ کتاب صلاة الیوم واللیلة.

۱۴ ـ کتاب مسائل علی بن جهشیار.

۱۵ ـ کتاب الناسخ والمنسوخ.

۱۶ ـ کتاب سیاسة النفس (۱_____).

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۲ ـ ۶؛ ولاحظ الاَعلام للزركلى: ۵|۱۷۱. التحف شرح الزلف ۶۳ ـ ۷۰.

(۳۹۵) ۳ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى (۲۴۵ ـ ۲۹۸هـ)

هو الإمام الهادى إلى الحقّ المبين، أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. ولد بالمدينة المطهرة سنة ۲۴۵هـ وحمل إلى جده القاسم فوضعه فى حجره المبارك وعوّذه، وقال لابنه: بم سمّيته؟ قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ يسمى يحيى توفى قبل ذلك، فبكى القاسم حين ذكره وقال: هو واللّه، يحيى صاحب اليمن. ـ إلى أن قال: ـ أقام اللّه به الدين فى أرض اليمن وأحيا به رسوم الفرائض والسنن، فجدد أحكام خاتم النبيين، وآثار سيد الوصيين. قيامه سنة ۲۸۰هـ وله مع القرامطة الخارجين عن الإسلام نيف وسبعون وقعة كانت له اليد فيها كلها، ومع بنى الحارث نيف وسبعون وقعة ـ إلى أن قال: ـ وخطب له بمكة المشرفة سبعة سنين كما ذكر ذلك فى عمدة الطالب وغيره، وقبضه اللّه إليه شهيداً بالسم وهو فى ثلاث وخمسين سنة ليلة الاَحد لعشر بقين من ذى الحجّة سنة ۲۹۸هـ ودفن يوم الإثنين فى قبره الشريف المقابل لمحراب جامعه الذى أسّسه بصعدة (۱)

ذكر حسام الدين المحلّى طرفاً من مناقبه وأحواله وسيرته، وأنّه المؤسس للدولة الزيدية فى اليمن، وإليك فهرساً من أسماء كتبه التى ذكرها المحلى وقال: وصنف التصانيف الفائقة والكتب البديعة_____:

(۱) مجد الدين المؤيدى: شرح الزلف: ۶۲ ـ ۷۰ بتلخيص.

(۳۹۶)

۱ ـ كتاب المنتخب فى الفقه، وهو من جلائل الكتب وفيه فقه واسع وعلم رائع. ۲ ـ كتاب الفنون فى الفقه، مهذب ملخص. ۳ ـ كتاب المسائل. ۴ ـ كتاب مسائل محمد بن سعيد. ۵ ـ كتاب الرضاع.۶ ـ كتاب المزارعة.۷ ـ كتاب أُمهات الاَولاد. ۸ ـ كتاب الولاء. ۹ ـ كتاب القياس.

ومنها فى التوحيد كتب جليلة القدر: ۱ ـ كتاب التوحيد ۲ ـ كتاب المسترشد ۳ ـ كتاب الإرادة والمشيئة ۴ ـ الرد على ابن الحنفية فى الكلام على الجبرية ۵ ـ نوادر القرامطة ۶ ـ كتاب أُصول الدين ۷ ـ كتاب الإمامة ۸ ـ كتاب إثبات النبوة والوصية ۹ ـ كتاب الرد على الإمامية ۱۰ـ كتاب البالغ المدرك ۱۱ ـ كتاب المنزلة بين المنزلتين ۱۲ ـ كتاب الحملة ۱۳ ـ كتاب الديانة ۱۴ ـ كتاب الخشية ۱۵ـ كتاب تفسير خطايا الاَنبياء ۱۶ ـ كتاب الرد على ابن جرير ۱۷ ـ كتاب التفسير فى ۶ أجزاء ۱۸ ـ كتاب معان القرآن فى ۹أجزاء ۱۹ ـ كتاب الفوائد جزءان إلى غير ذلك، وقد ذكر عبد اللّه بن محمد الحبشى له ۷۷ أثراً أتى بأسمائها وخصوصياتها ومحل نسخها المخطوطة.

وقد طبع منه كتابان:

الاَوّل: كتاب الاَحكام وقد طبع فى جزأين وهو يشمل الكتب التالية:

۱ ـ الطهارة. ۲ـ الصلاة. ۳ ـ الجنائز. ۴ ـ الزكاة. ۵ ـ الصيام. ۶ ـ الحجّ. ۷ ـ النكاح. ۸ ـ الطلاق. ۹ ـ الرضاع. ۱۰ ـ النفقات. ۱۱ـ البيوع. ۱۲ـ الشفعة. ۱۳ـ الشركة. ۱۴ ـ المضاربة. ۱۵ ـ الرهن. ۱۶ ـ الكفالة، والضمان، والحوالة، والوكالة.۱۷ ـ الغصب والإقرار. ۱۸ ـ التفليس. ۱۹ ـ الصلح. ۲۰ ـ الإيمان، والنذور، والكفارات. ۲۱ـ الدعوى. ۲۲ ـ المزارعة. ۲۳ ـ الهبة، والصدقة، والعمرى، والرقبى، والعارية، والوديعة. ۲۴ ـ الضالة، واللقطة، واللقيط. ۲۵ـ الحدود. ۲۶ ـ الديات، والجراحة، والجنايات. ۲۷ ـ الفرائض. ۲۸ ـ الصيد.

(۳۹۷)

۲۹ ـ الذبائح. ۳۰ـ الاَطعمة والاَشربة واللباس. ۳۱ ـ الوصايا. ۳۲ ـ القاضى، والقضاء، والشهادات. ۳۳ ـ السير. ۳۴ ـ الزهد، والآداب، وغيره من محاسن الاَخلاق.

الثانى: كتاب الردّ والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية أجاب فيه على ثلاث وأربعين سؤالاً ـ وجهه الحسن على القائلين

بالاختيار.

قال الإمام، فى صدر الكتاب: فإنّه وقع إلينا كلام الحسن (۱)بن الحنفية، يؤكد فيه الجبر، ويشدد فى ذلك منه الأمر، ويزعم فيه أنّ اللّه سبحانه جبر العباد أجمعين من الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع الثقلين على كل الأعمال من صالح أو طالح فرأينا أن نجيبه فى ذلك وننقض عليه ما جاء به من المهالك ونثبت عليه فى ذلك كله لربنا وسيدنا وخالقنا ما هو أهله مما هو عليه وما لا يجوز لخلق اللّه، أن يقول بغيره فيه، فاختصرنا له فى قوله الجواب، وتركنا خشية التطويل، كثيراً من الأسباب، فلينظر من نظر فى قولناوقوله، وجوابنا لسؤاله بلب حاضر ورأيٍ حيٍّ صادر، يبن له الحقّ إن شاء اللّه ويثبت فى قلبة الصدق (۲)

طبعت الرسالة ضمن رسائل العدل والتوحيد فى ۱۷۷ صفحة.

وطبعته معها، رسائل أُخر عام ۱۴۰۰هـ فى بيروت بإشراف سيف الدين الكاتب المجاز من جامعة الأزهر.

وقد خرج مرتين، مرة سنة ۲۸۰ هـ حتى بلغ موضعاً يقال له الشرفة بالقرب من صنعاء وأذعن له الناس بالطاعة، وأقام مدّة يسيرة، حتى خذله أهل البلاد، فعاد إلى الحجاز ثم وصلت كتبهم إليه سنة ۲۸۳ هـ فأجاب طلبهم_____.

(۱) وهو من أحفاد محمد الحنفية، أعنى: الحسن بن على بن الحسن بن على بن محمد الحنفية، ألّف رسالة يؤكّد فيها الجبر، طبعت الرسالة فى ضمن البدايات الكلامية من جانب المستشرقين.

(۲) الإمام الهادى يحيى بن الحسين: الرد والاحتجاج ضمن رسائل العدل والتوحيد: ۱۹.

وقد ذكر المؤيدى قسماً من أشعاره وقصائده، ومما قال:

نحن الفواطم لهونا طعن القنا * ومدامنا حرب يدور رحاها

ومما كتب إلى بنى حرث مع كتاب:

خذوا حذركم منى فإنّى مسيِّر * إليكم جيوش اللّه واللّه غالب (۱)

* * *

---

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۱۳ ـ ۲۱، عبد اللّه محمد الحبشى: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ۲۱ ـ ۴۵.

۴ الناصر للحقّ، الأطروش أبو محمد الحسن بن على (۲۳۰ ـ ۳۰۴هـ)

هو أبو محمد الحسن بن على بن الحسن، بن على بن عمر الأشرف بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ أحد الأئمة الزيديين، مؤسس دولتها فى طبرستان، صاحب التآليف والتصانيف، وقد كان مع محمد بن زيد إلى أن قتل محمد بجرجان فجرّه القضاء إلى بلاد الديلم وهم كفار فأسلموا على يديه، وظهروا وذلك سنة ۲۸۷هـ بعد ظهور الهادى فى اليمن بسبع سنين (۱) واستنقذهم من الضيم وبقى على هذه الحالة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى أن استولى على أهلها سنة ۳۰۱هـ

ذكره حسام الدين المحلى وحكى طرفاً من مناقبه فقال: وحكى أنّه ـ عليه السلام ـ حضر لغذاء بعض الأشراف فلما سمع البكاء من داره، قال: هذا الميت الذى يبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنّما الأسف على أُولئك النفوس الطاهرة التى قتلت تحت أديم السماء، وفرّق بين الأجساد والرؤوس، وعلى الذين قتلوا فى الحبوس وفى القيود والكبول.

وله تآليف نذكرها:

۱ ـ كتاب «البساط» ۲ ـ كتاب فى التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر_____

(۱) التقدير بالسبع باعتبار القيام الأوّل، لأنّه قام أوّلاً سنة ۲۸۰ هـ ولم يكن ناجحاً، وقام ثانياً عام ۲۸۳ هـ

۳ ـ كتاب «الحجاج الواضحة»، وفيه دلائل حسنة على إمامة أمير المؤمنين. ۴ـ كتاب «الأمالى»، إلى غير ذلك مما يبلغ إلى أربعة عشر كتاباً واسع وأُلِّفَ فى فقهه كتاب «الحاصر لفقه الناصر» للسيد المؤيد باللّه، وكتاب «الناظم» للسيد أبى طالب، وكتاب «الموجز» للشيخ أبى القاسم البستى، وكتاب «الإبانة» للشيخ العالم أبى جعفر محمد بن يعقوب الهوسمى، (هذه الكتب الأربعة أُلفت فى فقه الناصر وجميع أهل الجبل من الزيدية كلهم على مذهبه فى الفروع) توفى ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة ۳۰۴هـ وله أربع وسبعون سنة. ومن أحسن شعره قصيدة أوّلها:

أناف على السبعين ذا الحول رابع * ولابد لى إلّا إلى اللّه راجع

وصرت تقومنى العصا * أدبّ كأنّى كلما قمت راكع (۱)

وكانت مدّة ظهوره بـ «آمل» ثلاث سنين وأشهراً ودفن فيها ومشهده هناك معروف. وعلى ضوء ذلك فلو كانت إمامته مختصة بهذه السنين الأخيرة فلا يكون فى وقت واحد إمامان. ولكن المعروف أنّه دعا إلى نفسه قبل ذلك كما عرفت حيث دخل بلاد ديلم عام ۲۸۷هـ داعياً إلى نفسه.

قال مجد الدين المؤيدى: وكان يرد بين الصفين متقلداً مصحفه وسيفه، ويقول: أنا ابن رسول اللّه وهذا كتاب اللّه، فمن أجاب إلى هذا وإلّا فهذا. قال محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه، ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحقّ. وقال ابن حزم: كان الأطروش، فاضلاً حسن المذهب، عدلاً فى أحكامه، ولى طبرستان_____...

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۲۸ ـ ۴۰. والتحف شرح الزلف: ۷۰ ـ ۷۳.

(۴۰۱)

وقال الإمام أبو طالب: وكان يحث الناس على نصرة الهادى يحيى بن الحسين (۱) ويقول من يمكنه أن ينصره وقرب منه فنصرته واجبة عليه. ومن تمكن من نصرتى وقرب منى فلينصرنى. كان طويل القامة يضرب إلى الأُدمة، به طرش من ضربة.

أولاده:

أبو الحسن الأديب الشاعر، وأبو القاسم جعفر وأبى الحسين أحمد وقد أشار، مؤلف التحف إلى تعاصر الإمامين: الهادى والناصر فى قطرين بقوله:

وعاصره فى الجيل أفضل قائم * وأبسل من يدعى إذا انحاز هالع (۲) * * *

---

(۱) فى المصدر الحسن وهو مصحف الحسين.

(۲) المؤيدى: التحف شرح الزلف: ۷۰ ـ ۷۳.الهالع: الجبان

(۴۰۲) ۵ الإمام المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى (۲۷۸ ـ ۳۱۳هـ)

هو ابن الإمام الهادى بايعه الناس بعد وفاة والده سنة ۲۹۹هـ وأقام بصعدة وفى يده بلاد همدان ونجران وخولان، وسيّر جنوده لقتال القرامطة، فقتلوا فى كل فج واستقامت له الأُمور، وبويع يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة مضت من ذى القعدة من سنة ۲۹۹هـ وكان ورعاً متقللاً من المعاش كثير العبادة مؤثراً للعلم والعمل وقد تخلّى عن الحكم بعد سنتين لأخيه الناصر بعد أن رأى أشياء ساءته من عشيرته وله من العمر ۳۲ سنة.

مؤلفاته:

۱ ـ الأُصول فى العدل والتوحيد ۲ ـ تفسير القرآن ۷ أجزاء ۳ ـ جواب ابن فضل القرمطى ۴ ـ جواب مسائل ابن مهدى ۴ أجزاء ۵ ـ رسالة الإمام المرتضى إلى أهل طبرستان ۶ ـ الرسائل السبع المنتقاة ۷ ـ الرد على الروافض ۸ ـ الرد على القرامطة أتباع على بن فضل ۹ ـ الشرح والبيان فى تفسير القرآن.

وله شعر جيد، وله قصيدة مطلعها:

ياحى همدان انّ اللّه فضلكم * بنصر آل رسول اللّه فى الكتب (١) ولما تنازل ورثه فى الحكم أخوه الآتى:

* * *

---

(١) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ٢ | ٤١ـ ٤٦، الحبشى: حكام اليمن: ۴۶.

(۴۰۳) ۶ الناصر لدين اللّه أحمد بن يحيى ابن الحسين

ولـد الإمام الهادى (... ـ ٣٢٠هـ) ذكر حسام الـدين المحلى طرفاً من مناقبه وشـعره وظهوره وأجمل الكلام فى سـبب تنازل أخيه الإمام المرتضـى عن الحكم لصالحه، وقد كانت بيعته سنة ٣٠١ هـ يقول: وبويع له بالخلافة يوم الجمعة فى مسـجد الهادى إلى الحقّ (والده) واجتمع إليه خلق كثير من النـاس، ثم أقبلت نجران وأهل همـدان فبايعوه على الطاعـة، فأرسل قواده واعماله إلى جميع مخالفيه وساس الأُمور أحسن سـياسة، وكـانت أكثر حروبه مع الباطنيـة، إلى أن وافته المنيـة سـنة ٣٢٠هـ وكانت مـدّة ظهوره نحو عشـرين سـنة ودفن بصعده إلى جنب أخيه وأبيه ومشاهدهم معروفة مزورة(١).

* * *

---

(١) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ٢|۴۶ ـ ۵۳، وحكام اليمن للحبشى: ۵۴ وفيه أنّه توفى عام ٣٢٥ هـ.

(۴۰۴) ٧ الإمام السيد المؤيد أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون (٣٣٣ ـ ٤١١هـ)

من أئمـة الزيديـة فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ترجمه حسام الـدين المحلى فى الحدائق الوردية وقال: نسب تعنو له الأنوار، وتغض مـن شـعاعها الشـموس والأقمـار، ينتهى إلى جوهر النـبى ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ جـواهره، ونمت إلى عنصـره الكريم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق.

كان وحيـد عصـره وفريـد دهره، والحافظ لعلوم العترة ـ عليهم السـلام ـ والناصـر لفقه الذرية الكرام فَأُخذ عنه مذهب الزيدية، وقرِىَ عليه الكلام على طريقة البغدادية وكان فى الأصل إمامياً فوضح له الحقّ فانقاد له أحسن انقياد واختلف أيضاً إلى أبى الحسين على بن إسماعيل بن إدريس. وقُرأ عليه فقه الزيدية والحنفية وروى عنه الحديث عن الناصر للحق ـ عليه السلام.ـ

وكـان أبو الحسـين هـذا من أجلـة أهـل طبرسـتان رئاسـة وستراً وفضـلاً وعلمـاً، قال مصـنف سـيرته: وكان ـ عليه السـلام ـ فى الورع والتقشف والاحتياط والتفرد إلى حد يقصـر العبارَة عنه، والفهم عن الإحاطة وتصوّف فى عنفوان شبابه حتى بلغ فى علومهم مبلغاً منيعاً وحلّ التصوف والزهد محلاً رفيعاً وصنف سياسة المريدين.

وكان يحمل السـمك من السوق إلى داره، وكانت الشـيعة يتشبثون ويتبركون بحمله فلا يمكن أحداً من حمله، ويقول: أنا أحمله قسراً للهوى وتركاً للتكبر لا لاعواز من يحمله.

(۴۰۵)

وكان قدس اللّه روحه يجالس الفقراء وأهل المسكنة ويكابر أهل السير والعفة ويميل إليهم، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال وكان يكثر ذكر الصالحين وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت حزين إلى آخر ما ذكره (١)

وقال الزركلى: أحمد بن الحسين بن هارون الأقطع، من أبناء زيد بن الحسن العلوى الطالبى القرشى، أبو الحسين: إمام زيدى، من أهل طبرستان. مولده بها فى آمل، ودعوته الأُولى سنة ٣٨٠ بويع له بالديلم ولقب بالسيد «المؤيد باللّه» ومدة ملكه عشرون سنة. وكان غزير العلم، له مصنفات فى الفقه والكلام، منها «الأمالى» و« التجريد» فى علم الأثر، و «شرحه» فى أربعة مجلدات (٢)

أقول: له ترجمة ضافية فى مقدمة الجزء الأوّل من كتابه «شرح التجريد فى فقه الزيدية».

وما ذکره حسام الدین المحلی من أنه کان إمامیاً، ثم صار زیدیاً، حقّ، وقد نبه بذلک الشیخ الطوسی فی أوائل کتاب التهذیب ناقلاً عن الشیخ المفید أنّه قال: إنّ أبا الحسین الهارونی العلوی کان یعتقد الحقّ ویدین بالإمامة فرجع عنها لما التبس علیه الأمر فی اختلاف الأحادیث وترک المذهب، ودان بغیره لما لم یتبین له وجوه المعانی فیها. وهذا یدل علی أنّه دخل فیه علی غیر بصیرة واعتقد المذهب من جهة التقلید، لأنّ الاختلاف فی الفروع لا یوجب ترک ما ثبت بالأدلة من الأصول (۳).

أقول: قد ذکرنا علل اختلاف الأخبار المرویة عن أئمة أهل البیت وذکرنا أسبابها المختلفة، مقرونا بالشواهد فی محاضراتنا فی الأصول (۴)وکان الشیخ أبا_____

(۱) حسام الدین المحلی: الحدائق الوردیة: ۲|۶۵ـ ۶۶.

(۲) الزرکلی، الأعلام: ۱|۱۱۶.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۱|۲ـ۳.

(۴) المحصول: ۴|۴۲۹ ـ ۴۳۷.

(۴۰۶)

الحسین لم یکن واقفاً علیها عن کثب، وإلاّ لما ترک المذهب، وقد وصل إلینا من کتبه، کتابه «شرح التجرید فی فقه الزیدیة» فی ثلاثة أجزاء کبار ـ علی القطع الرحلی، نشرته مکتب عنبر بدمشق عام ۱۴۰۵ والکتاب شرح لفتاوی الإمامین: القاسم بن إبراهیم الرسی، والهادی یحیی بن الحسین بوجه مبّسط، وقد تجلّی فیه تبحره فی الفقه الزیدی بعیداً عن الفقه الحنفی کما هو ظاهر لمن طالع الکتاب بالإمعان والدقة ولأبی الحسین الهارونی، شعر رائق منه ما یمدح به الصاحب بن عباد نقتبس منه ما یلی:

سقی عهدها، صوب من المزن الهاطل * یحیّی بها تلک الربا والمنازل

منازل نجم الوصل فیهن طالع * یضیء ونجم الهجر فیهن آفل

إلی أن یقول:

ألا أیّها ذا الصاحب الماجد الذی * أنا مله العلیا غیوث هواطل

أنامل لو کنت تشیر إلی الصفا * تفجر للعافین منها جداول

إلیک عمید المجد سارت رکابهم * ولیس لهم إلاّ علاک وسایل

وأسعدتهم والنحس لولاک ناجم * وأعذرتهم والذل لولاک شامل

فکل زمان لم تزینه عاطل * وکل مدیح غیر مدحک باطل (۱_____)

(۱) شرح التجرید: قسم المقدمة: بقلم یوسف بن السید محمد المؤید الحسن: ۷۱ ـ ۷۲.

(۴۰۷) ۸ الحاکم الجشمی (۴۱۳ ـ ۴۹۴هـ)

المحسن بن محمد بن کرامة الجشمی البیهقی، المعروف بـ«الحاکم الجشمی»، أحد المفسرین العظام المتبحرین فی علام الکلام، شیخ الزمخشری. قرأ بنیسابور وغیرها. واشتهر بصنعاء «الیمن» وتوفی مقتولاً بمکة. له تآلیف یبلغ إلی اثنین وأربعین، وإلیک بعضها:

۱ ـ «التهذیب» فی تفسیر القرآن، فی ثمانیة أجزاء، ویوجد منها الجزء ۴، ۶، ۸ فی مکتبة الفاتیکان تاریخ کتابتها سنة ۵۶۵هـ

۲ ـ شرح عیون المسائل فی علم الکلام.

۳ ـ التأثیر والموَثر فی الکلام.

۴ ـ المنتخب فی فقه الزیدیة .

۵ ـ السفینة فی التاریخ إلی زمانه فی أربعة أجزاء.

۶ ـ تحکیم العقول فی الأصول.

۷ ـ الإمامة علی مذهب الزیدیة.

۸ ـ الرسالة التامة فی نصیحة العامة.

۹ ـ جلاء الأبصار فی علم الحدیث.

۱۰ ـ «تفسیران» بالفارسیة، مبسوط وموجز (۱)

إنّ الکعبی المعتزلی ألف کتاباً باسم «ذکر المعتزلة» وأکمله عبد الجبار القاضی المعتزلی بکتاب أسماه «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» وقد استدرکه الحاکم الجشمی بطبقتین من طبقات المعتزلة: الحادیة عشرة، والثانیة عشرة، وقد طبعه فوَاد السید، أمین المخطوطات بدار الکتب المصریة عام ۱۴۰۶هـ

(۲_____)

(۱) الزرکلی، الأعلام: ۵|۲۸۹.

(۲) لاحظ: بحوث فی الملل والنحل: ۳|۴۰۸ ـ ۴۰۹.

(۴۰۸) ۹ أبو سعید نشوان بن سعید الحمیری (... ـ ۵۷۳هـ) کان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل زمانه فی اللغة والنحو والإنسان والتواریخ وسائر ما یتصل بفنون الأدب، شاعراً، کاتباً خطیباً مفوها. وکانت له فی الفرائض الید الطولی.

قال السیوطی: الفقیه العلاّمة المعتزلی النحوی اللغوی، کذا ذکره الخزرجی، وقال: کان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل دهره، فقیهاً نبیلاً، عالماً متفنّناً، عارفاً بالنحو واللغة والأُصول والفروع والأنساب والتواریخ وسائر فنون الأدب، شاعراً فصیحاً بلیغاً مفوهاً.

صنف: شمس العلوم فی اللغة، ثمانیة أجزاء.

قال فی البلغة: سلک فیها مسلکاً غریباً، یذکر الکلمة من اللغة، فإن کان لها نفع من جهة الطلب ذکره، فاختصره ولده فی جزأین وسمّاه «ضیاء الحلوم».

وقال یاقوت: استولی نشوان علی تلاع وحصون وقدّمه أهل جبل صَبِر، حتی صار ملکاً.

وقال غیره: مات بعد عصر یوم الجمعة رابع عشر ذی الحجّة سنة ثلاث وسبعین وخمسمائة

(۱)

وکان نشوان ذا نفس وثّابة، طموحة إلی المعالی، لاترضی إلاّ بالوصول إلی قمة المجد والجمع بین شرف العلم وشرف الملک.

---

(۱) بغیة الوعاة: ۲|۳۱۲ برقم ۲۰۵۷.

(۴۰۹) موَلفاته:

۱ ـ شمس العلوم ودواء کلام العرب من العلوم، وهو من کتب الأدب الهامة ألّفه فی ثمانیة أجزاء ورتبه علی حروف المعجم، وهو أشبه بدائرة المعارف الرائجة فی عصرنا، وقد اختصر هذا الکتاب ابنه فی جزأین وسمّاه «ضیاء الحلوم» کما مرّ وقد نشرت منتخبات منه فی أخبار الیمن بعنایة عظیم الدین أحمد مطبوعة فی مطبعة برید فی مدینة لیدن فی سنة ۱۹۱۶م.

۲ ـ القصیدة الحمیریة أو النشوانیة، وهی خلاصة السیرة لملوک حمیر، والإذواء والإقبال، مطلعها.

الأمر جد وهو غیر مزاح * فاعمل لنفسک صالحاً یاصاح

۳ ـ کتاب القوافی

۴ ـ التبیان فی تفسیر القرآن

۵ ـ أحکام صنعاء وزبید

۶ ـ ارجوزة فی الشهور الرومیة

۷ ـ رسالة علی التصریف

آخرها رسالة «الحور العین وتنبیه السامعین».وقد طبعت عام ۱۳۶۷هـ بتحقیق کمال مصطفی وذکر ترجمة المؤلف فی أوّله شکر اللّه مساعیه. وقدّم له المحقق محمد زاهد الکوثری. ومن قرأ الکتاب یقف علی أنّه کان زیدیاً، ومع ذلک ربما لا یصرح بمذهبه.

ومن ذلک ما یذکره فی باب الإمامة عدّة نظریات، منها: نظریة إبراهیم بن سیار النظام، وهی إمامة أکرم الخلق وخیرهم عند اللّه، فمن کان أتقی الناس للّه،

(۴۱۰) وأکرمهم عند اللّه، وأعلمهم باللّه، وأعملهم بطاعته، کان أولاهم بالإمامة، والقیام فی خلقه، کائناً من کان منهم، عربیاً کان أو أعجمیاً، ثم یقول: قال مصنف الکتاب: وهذا المذهب الذی ذهب إلیه النظام هو أقرب الوجوه إلی العدل وأبعدها عن المحاباة (۱).

ومن المعلوم أنّ الضابط الذی أعطاه النظام وقبله المؤلف لا ینطبق إلّا علی علی ـ علیه السلام، ـ مع ذلک لم یصرّح المؤلف بالاسم.

وقد خص فصلاً لفضل زید

(۲)وذکر خروجه: ویظهر منه أنّ بالیمن فی عصره کان فرقتین فقط:

الجارودیة من الزیدیة، والمبارکیة من الإسماعیلیة

(۳)

وفی الکتاب بحوث واسعة حول الفرق الإسلامیة، ولأجل ذلک صار الکتاب ممتعاً.

وقد ترجمه الزرکلی

(۴)ولم یزد شیئاً عما جاء فی مقدمة ذلک الکتاب_____.

(۱) الحور العین: ۲۵۲.

(۲) الحور العین: ۱۸۸.

(۳) نفس المصدر: ۱۵۶.

(۴) الأعلام: ۸| ۲۰. (۴۱۱) ۱۰ الإمام المنصور باللّه: عبد اللّه بن حمزة بن سلیمان (۵۶۱ ـ ۶۱۴هـ)

عبد اللّه بن حمزة بن سلیمان المنتهی نسبه إلی إبراهیم طباطبا بن إسماعیل الدیباج بن إبراهیم الحسن بن المثنی، کان آیة فی الحفظ، قرأ الأُصولین علی حسام الدین أبی محمد الحسن بن محمد الرصاص. وألف کتباً کثیراً وله شعراً رائق نقلها حسام الدین المحلی فی الحدائق الوردیة وترجم له، ترجمة ضافیة استغرق خمسین صفحة ذکر أنّه دعا لنفسه عام ۵۹۳هـ وبویع عام ۵۹۴هـ وتوفی عام ۶۱۴ هـ بأرض حولان، قال عبد اللّه الحبشی: تسلم الإمامة بتکلیف من أهل عصره. وکان یأمل فی دعوة الأمیر عماد الدین بن یحیی فاعتذر عنها وتحملها الإمام عبد اللّه، علی مشقّة. وفی بدایة دعوته جاءت رسائل من أهل حصن «میتک» یطلبونه لتخلیصهم من نفوذ بنی حاتم. وکانوا قد استولوا علی ناحیتهم فاعتذر فلم یقبلوا عذره وما زالوا به حتی أقبل علیهم وخلّصهم من بنی حاتم. ویقول المؤرخون: إنّه قبل أن یدخل حصن «میتک» أرسل إلی أهله یقول: «قد ملکت هذا الحصن ولکم فیه حقّ العمارة ولست أُقیم إلّا برضاکم، فإن تأذنوا لی وإلّا خرجت عنه» فقالوا بأجمعهم: رضینا بک، فأقام بین ظهرانیهم سنتین وثلاثة أشهر.

وأکثر أخباره معارک مع سلاطین بنی حاتم، وکان قد أتی من مصر إلی الیمن سیف الإسلام «طغتکین» سنة ۵۷۹هـ فوقعت بینه وبین الإمام بعض المعارک کتلک الوقعة التی قتل فیها أخوه الإمام محمد بن حمزة.

وما زالت الحروب بینهم حتی مات «طغتکین» سنة ۵۹۳هـ وتم الصلح

(۴۱۲)

بینه وبین السلطان علی بن حاتم بعد أن جدّد لنفسه الدعوة.

وله کتب فی شتی المواضیع من الفقه وأُصوله والکلام والحدیث والأدب:

۱ـ صفوة الاَخيار فى أُصول الفقه ۲ـ حديقة الحكم النبوية شرح الاَربعين السلفية ۳ـ الشافى فى أُصول الدين أربعة أجزاء۴ـ الرسالة الهادية بالاَدلة البادية فى السبى ۵ـ الاَجوبة الكافية بالاَدلة الوافية ۶ـ الدرة اليمنية فى أحكام السبى والغنيمة ۷ـ الاختيار المنصورية فى المسائل الفقهية ۸ـ الاِيضاح لعجمة الاِفصاح أكثره يتعلق بالسير ۹ـ كتاب الفتاوى مرتب على كتب الفقه ۱۰ـ الرسالة القاهرة بالاَدلة الباهرة فى الفقه ۱۱ـ الرسالة الحاكمة بالاَدلة العالمة ۱۲ـ الرسالة الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة.۱۳ـ العقيدة النبوية فى الاُصول الدينية. ۱۴ـ الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة. ۱۵ـ الرسالة النافعة بالاَدلة القاطعة ۱۶ ـ الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية ۱۷ـ الرسالة الناصحة بالاَدلة الواضحة. ۱۸ـ الجوهرة الشفافة الرادعة للرسالة الطوافة ۱۹ـ الاَجوبة الرافعة للاِشكال ۲۰ـ الزبدة فى أُصول الدين ۲۱ـ العقد الثمين فى الاِمامة ۲۲ـ القاطعة للاَوارد فى الجهاد ۲۳ـ كتاب تحفة الاِخوان ۲۴ـ الرسالة التهامية ۲۵ـ ديوانه.

ومن شعره الرائق قوله فى حقّ الوصى:

بنى عمنا! إنّ يوم «الغدير» * يشهد للفارس المعلم

أبينا على وصى الرسول * ومن خصه باللوا الاَعظم

لكم حرمة بانتساب إليه * وها نحن من لحمه والدم

لاَن كان يجمعنا هاشم * فأين السنام من المنسم؟

وإن كنتم كنجوم السماء * فنحن الاَهلّة للاَنجم

ونحن بنو بنته دونكم * ونحن بنو عمه المسلم

حماه أبونا أبو طالب * وأسلم والناس لم تسلم

(۴۱۳)

وقد كان يكتم إيمانه * فأمّا الولاء فلا يكتم

وأى الفضائل لم نحوها * ببذل النوال وضرب الكمى؟

قفونا محمد فى فعله * وأنتم قفوتم أبا مجرم (۱)

هدى الملك هدى العروس * فكافئتموه بسفك الدم

ورثنا الكتاب وأحكامه * على مفصح الناس والاَعجم

فإن تفزعوا نحو بارئكم * فزعنا إلى آية المحكم

أشرب الخمور وفعل الفجور * من شيم النفر الاَكرم؟

قتلتم هداة الورى الطاهرين * كفعل يزيد الشقى العمى

فخرتم بملك لكم زائل * يقصر عن ملكنا الاَدوم

ولابد للملك من رجعه * إلى مسلك المنهج الاَقوم

إلى النفر الشمّ أهل الكسا * ومن طلب الحقّ لم يظلم(۲) وقد ترجمه الزركلى فى الاَعلام وذكر صورة تآليفه مشيراً إلى المخطوط منه والمطبوع وذكر «العقد الثمين» ورمز بعلامة «خ» مشيراً إلى أنّه مخطوط (۳)مع أنّه طبع فى الثمانينات بعد قيام الجمهورية وهو رد على الاِماميّة، ولاَجل إيقاف القارئ على نماذج من نقده على الاِمامية نأتى بنظره فى النص على إمامة على، وهو ممن يقول بأنّ النص كان خفياً لا جليّاً، قال:

الخلاف بين الشيعة فى على بن أبى طالب أمير المؤمنين فى وجوه:

أحدها: فى كيفية النصّ عليه ـ عليه السلام ـ بعد اتفاقهم على ثبوت إمامته بالنص_____.

(۱) يعنى أبا مسلم الخراسانى، عبد الرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة ۱۲۹هـ

(۲) مصادر الترجمة: الحدائق الوردية: ۲|۱۳۲ ـ ۱۸۲. الغدير: ۵|۳۹۶ ـ ۴۰۰، حكّام اليمن: ۸۲.

(۳) الزركلى: الاَعلام: ۴|۸۳ ولاحظ: التحف شرح الزلف: ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

(۴۱۴)

ثانيها: فى حاله بعد ظهور قتله وإخبار الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بذلك وإخبار على ـ عليه السلام ـ بذلك من بعده وكون ذلك معلوماً بالضرورة.

وثالثها: فى حكم المتقدمين عليه، المخالفين له:

ونحن نترك كلامه فى الاَمرين الاَخيرين ونقتصر بكلامه فى الاَمر الاَوّل، وقد اختار أن النصّ على إمامته لم يكن جلياً بل كان خفياً ولكن الإمامية تقول بكونه جلياً قال: وأمّا الإمامية فقد ادّعوا أنّ النصّ جلى بحيث نعلم أنّ الجميع اضطروا إلى العلم بالمراد، وان الكلّ علموا أنّ قصد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كون على إمام الاُمّة بعده بلا فصل.....

ثمّ أشكل عليه بقوله: إنّه لو كان المراد من النصّ معلوماً بالضرورة لاستغنوا عن الكشف والبيان كما هو الحال فى الاُمور الضرورية، مثلاً إنّا لا ننصب لاَهل الإسلام الدليل على أنّ الصلوات خمس، وأنّ الزكاة مفروضة فى الاَموال، وأنّ الحجّ إلى بيت اللّه، وأنّ نبىّ هذه الاُمّة محمّد رسول اللّه، لما كانت هذه معلومة ضرورة، لم تفتقر إلى بيان ولا كشف. ولما رأى علماءهم المبرزين كالشريف المرتضى الموسوى ومن تقدمه وتأخر عنه من أهل الكلام، بالغوا فى تبيين معنى الآية والخبر بل الاَخبار علمنا أنّهم من اعتقاد الضرورة، على شفا جرف هار، لاَنّ من تحمل المشقة فى إظهار الظاهر كان عابثاً وكيف يكشف المكشوف أو مجتهد فى صفة المشاهد المعروف.

ولاَنّا قد اتفقنا نحن وإيّاهم ونحن الجم الغفير والعدد المتعذر الانحصار الكثير، فكيف لم يحصل العلم لكلّنا أو بعضنا. ونحن وإيّاهم قد اتفقنا على أنّ الإمام بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بلا فصل على بن أبى طالب وأنّ من تقدم عليه فقد أخطأ وعصى، فلو كان ما ذكروا من النصّ يوصل إلى الضرورة لوصلنا لاتفاقنا نحن وإيّاهم على العلم بالدليل وكيفية ترتيب الاستدلال فلو حصل العلم لهم، لحصل

(۴۱۵)

لنا ضرورة (۱).

يلاحظ عليه: أوّلاً: أنّ الإمامة ـ حسب عقيدة الشيعة ـ من الاُصول التى يعتبر فيها العلم، ولا يكفى فيها الظن والحدس ولا خبر الآحاد، والمراد من العلم، هو العلم بما صدر عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإذا كان المطلوب فيها العلم، ثم الاعتقاد وعقد القلب فهو يطلب لنفسه أن يكون النص الوارد فى ذلك المجال جلياً مورثاً للعلم واليقين، ذابّاً للشك والريب عن أذهان المكلّفين حاضرهم وغائبهم، وكل من وصل إليه خطابه إلى يوم القيامة، وإلّا فلا ينتج إلّا الظن والشك غير المفيدين فى ذلك الباب.

وبعبارة أُخرى: إذا كان الإعلام بإمامة على واجباً على النبى من اللّه سبحانه، اذاً لا يخلو الاَمر من حالتين: إمّا أن يكون مع تمكنه من النص الجلىّ، أو لا ـ معه، والثانى لا ـ تصدقه حياة النبى خصوصاً القسم الاَخير منها، عندما استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه (۲)فكان النبى، مطاعاً ومهاباً ، منذ وعى الوحى الإلهى بملاَ قلبه " الّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّه وَيَخْشَونَهُ وَلا يَخْشَونَ أحداً أبداً وَكَفى باللّه حسيباً("الاَحزاب ـ ۳۹) وعلى ضوء ذلك فكان فى وسع النبى، التنصيص الواضح بولاية الإمام فى أنّه سبحانه جعله إماماً للناس بعد رحيله. إذاً العدول عنه إلى النص الخفى، تعريض للاُمّة، للتفرقة والنزاع، وزرع لبذر الخلاف والنقاش ومع أنّه سبحانه يقول: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللّهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقوا ("آل عمران ـ ۱۰۳) .

ثانياً: أنّ القضايا البديهية فى المنطق تنقسم إلى أقسام، بعضها غنية عن_____

(۱) الإمام المنصور باللّه حمزة بن عبد اللّه بن سليمان: العقد الثمين: ۷ ـ ۸.

(۲) اقتباس من کلام الإمام علی نهج البلاغة: الخطبة ۵۶.

(۴۱۶)

الکشف والبیان والبرهنة والاستدلال دون البعض الآخر والمجموع عبارة عن:

۱ ـ الأوّلیات ۲ ـ المشاهدات ۳ ـ المتواترات ۴ ـ التجربیات ۵ ـ الحدسیات ۶ ـ الفطریات.

ولکل تعریف واحد، والثلاثة الأُول وإن کانت غنیة عن البرهنة والاستدلال، لکن الثلاثة الأخیرة، بحاجة إلیها. مع کونها من أُصول الیقینیات والبدیهیات لدی المنطقیین.

مثلاً کون نور القمر مستفاداً من الشمس من الحدسیات، لکن الإذعان بالحکم المذکور غیر غنی عن البیان، ولأجل ذلک یستدل علیه بتشکل القمر عند اعتراض الأرض بینه وبین الشمس، ومثلها التجربیات التی لا تفارق عن بذل الجهد، فی طریق المطلوب أیّاماً وشهوراً. وأمّا الفطریات فمصطلح المنطقیین فیها غیر مصطلح القرآن، فهی عندهم عبارة عما لا یصدقه العقل بمجرد تصور طرفیها ـ کالأوّلیات ـ بل لا بد من وسیط إلّا أنّ هذا الوسیط لیس مما یذهب عن الذهن حتی یحتاج إلی الفکر.

وعلی ذلک فلیس کل قضیة ضروریة، غنیة عن الکشف والبیان.

إنّ الإمام ابن حمزة جعل القضایا الضروریة مساویة للأوّلیات التی یصدقها العقل لذاتها وبدون سبب خارج عن ذاتها مثل قولنا، الکل أعظم من الجزء وغفل عن أنّ المراد من النصّ الجلی هو المفید للعلم بالضرورة وإن کانت الإفادة متوقفة علی أُمور بسیطة، لو التفت إلیها، لحصل العلم، فبذل الجهد فی الاستدلال بحدیث الغدیر، سنداً ومضموناً لا ینافی کونها من القضایا الیقینیة المفیدة للیقین ولو بعد التأمل فی أُمور حوله.

وثالثاً: أنّ النبی الأکرم ألقی حدیث الغدیر الذی هو من أوضح الأدلة علی إمامة علی ـ علیه السلام ـ فی منصرفه عن حجة الوداع فی أرض تسمی بـ«غدیر

(۴۱۷)

خم»، ألقاه فی محتشد عظیم ضمّ إلی نفسه أزید من ثمانین ألف صحابی من أقطار مختلفة.

وقد وقف من شهد الواقعة علی مقاصد النبی ومآربه، من غیر شک ولا ترديد فیها، ولکن ابتعاد الأجیال اللاحقة، عن عصر الرسول، صار سبباً، لاختفاء کثیر من القرائن اللفظیة والحالیة التی کان لها دور فی تبیین المقصود فمست الحاجة بجمعها وترصیفها علی وجه، تحکی لنا الواقعة علی ما هی علیها، بلا زیادة ولا نقیصة حتی یصیر الغائب کالحاضر فی فهم المراد، وینتقلا بالضرورة إلی معنی واحد.

وبعبارة أُخری: الغرض من البیان والکشف إحضار الواقعة بمالها من الخصوصیات المسموعة والمرئیة فی عقلیة الغائب حتی یکون هو والحاضر فی رحاب الخطاب سیان، وهذا طبیعة کل قضیة حصل الفصل الزمنی بینها والجیل اللاحق، فلیس للقائل بصحة الواقعة إلّا مسیر واحد، وهو إخراج الواقعة عن ملفّ التاریخ وتصویرها علی وجه کأنّ الجیل اللاحق، یری نفس ما رآه السابق حتی یکون الجیلان أمام التاریخ سواسیة، ومثل ذلک لا یُخرج الواقعة عن کونها جلیة. * * * (۴۱۸) ۱۱ المؤید باللّه یحیی بن حمزة بن علی (۶۶۹ ـ ۷۴۹هـ)

هو الإمام المؤید باللّه، أبو إدریس یحیی بن حمزة بن علی بن إبراهیم بن یوسف بن علی بن إبراهیم بن محمد بن أحمد بن إدریس بن جعفر بن علی التقی ابن محمد الجواد بن الإمام علی الرضا.

وهو المعروف بعلمه الجم، واطّلاعه الواسع، وتوغّله فی علم الکلام وبروزه فی أسرار البلاغة والفصاحة، یعرّفه المؤیدی بقوله:

هذا الإمام من منن اللّه علی أرض الیمن، وأنواره المضیئة فی جبین الزمن، نفع اللّه بعلومه الأئمة وأفاض من برکاته علی هذه الأُمّة، قام بالحکم بعد وفاة الإمام محمد بن المطهر سنة ۷۲۹هـ وتوفی ۷۴۹هـ عن عمر یناهز ۸۲ سنة.

وأمّا موَلفاته فهی کثیرة جداً وقد وصل إلینا منها الکتاب الآتی:

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، فرغ منه موَلفه سنة ۷۲۸ هـ طبع بالقاهرة عام ۱۳۳۲ هـ بمطبعة المقتطف فی ثلاثة أجزاء وهذا الکتاب من حسنات الدهر، وقد أفادنا کثیراً عند البحث عن إعجاز القرآن فی محاضراتنا فی الإلهیّات.

ومن تألیفاته المهمة أیضاً:

الشامل لحقائق الأدلة العقلیة وأُصول المسائل الدنیویة، ومنه نسخة فی المکتبة العربیة فی الیمن برقم ۸۸ وهذا هو الکتاب الذی استخرجه الدکتور أحمد

(۴۱۹)

محمود صبحی آراء الموَلف الکلامیة منه وضم إلیه آراء مختلف المتکلمین الذین أدلوا بآرائهم حول مختلف الموضوعات.

غیر أنّ الذی أبرزه بین العلماء هو کتابان:

الأوّل: کتاب الطراز علی ما عرفت.

الثانی: کتاب الانتصار فی الفقه، وهو الینبوع الذی نهل منه ابن المرتضی (وستوافیک ترجمته) وهو المادة الأُولی لکتاب البحر الزخار.

ویذکر أنّه فی ۱۸ مجلداً، وقد ذکر غیر واحد من المترجمین له کتاب:

الدیباج الوضی فی الکشف عن أسرار کلام الوصی، وهو شرح لکتاب نهج البلاغة الذی جمعه الشریف الرضی (۱)

* * *

---

(۱) الموَیدی: التحف شرح الزلف: ۱۲۰ ـ ۱۲۳، وانظر حکام الیمن: ۱۳۳ ـ ۱۴۸، ولاحظ الإمام المجتهد یحیی بن حمزة وآراءه الکلامیة تألیف الدکتور أحمد محمود صبحی، نشره عام ۱۴۱۰هـ

(۴۲۰) ۱۲ أحمد بن یحیی بن المرتضی المهدی لدین للّه (۷۶۴ ـ ۸۴۰ هـ) موَلّف البحر الزخار ابن المرتضی أحد الأئمّة الزیدیین اللامعین، لایشق غباره، فهو بحر لا یبارى فی الفقه والأُصول ولنذکر شیئاً من حیاته: قال مجد الدین الموَیدی:

الإمام المهدی لدین اللّه، أحد من ارتضع من العلوم لبابها، واکترع من لجج البحار عبابها، هو أبو الحسن أحمد بن یحیی بن المرتضی بن أحمد بن المرتضی بن المفضل بن منصور بن المفضل الکبیر بن عبد اللّه الحجاج بن علی بن یحیی بن القاسم بن یوسف بن الإمام یحیی بن الإمام الناصر لدین اللّه أحمد بن یحیی الحسین بن القاسم الرسیّ.

تلقی العلوم الأدبیة واللغویة والدینیة من أُسرته وبلغ إلی حد بایعه العلماء بالإمامة بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الدین بن محمد عام ۷۹۳ هـ بینما بایع الوزراء ابن الإمام الناصر یعنی علی بن صلاح. فصارت الغلبة نصیب الثانی فسجن ابن المرتضی، ولقد کان التوفیق حلیفه فی السجن فتفرغ للتألیف وانتج آثاراً لها مکانة کبری فی الأوساط العلمیة لا سیما الزیدیة إلی أن وافته المنیة عام ۸۴۰هـ

وینقل الموَید أنّ الهادی بن إبراهیم یستعطف علیّ بن صلاح الذی سجن

(۴۲۱)

ابن المرتضی ویطلب منه إطلاق سراحه بالأبیات الشعریة التالیة:

فقلت له فداک أبی وأُمی * تلطف بالقرابة والرحامة

فإنّ السید المهدی منکم * بمنزلة تحق له الفخامة

ألم یکن جدک المهدی خالاً * له وکفی بذاک فی الرحامة

أخاف إذا استمر القید فیه * تجیء مقیداً یوم القیامة

فیسألک الإله بأی ذنب * تقیده وتحبسه ظلامة (۱) أُعتقل ابن المرتضی فی سجن صنعاء سبع سنوات ثم أفرج عنه فتوجه إلی «ثلاء»

سنة ۸۰۱ هـ إلى صعدة سنة ۸۰۲ هـ وفى سنة ۸۱۶ هـ رحل إلى بلاد حجّة وتزوج هناك وعكف إلى التأليف وترك الترقب بالمهدى وأراح قلبه من مشاكل السياسة، وقد ترجمه غير واحد من الأعلام منهم: الشوكانى، قال:

(ولد) بمدينة ذمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ۷۷۵هـ خمس وسبعين وسبعمائة (۲) قرأ فى علم العربية فلبث فى قراءة النحو والتصريف والمعانى والبيان قدر سبع سنين. وبرع فى هذه العلوم الثلاثة وفاق غيره من أبناء زمانه ثم أخذ فى علم الكلام على صنوه الهادى، وعلى القاضى يحيى بن محمد المدحجى فسمع على الآخر الخلاصة وحفظ الغياضة ثم شرح الأصول للسيد مانكديم، ثم أخذ فى علم اللطيف فقرأ تذكرة ابن متويه على القاضى المذكور مرة. ثم على القاضى على بن عبد اللّه بن أبى الخير مرة أُخرى ثم قرأ عليه المحيط والمعتمد لأبى الحسين البصرى ومنتهى السوَل. وسمع على الفقيه على بن صالح السيرة النبوية ونظام الغريب، ومقامات الحريرى. وعلى المقرئ المعروف بابن_____

(۱) التحف شرح الزلف: ۱۲۷ ـ ۱۲۸.

(۲) ويروى أنّه ولد ۷۷۴ هـ كما عليه المقدم للكتاب البحر الزخار.

(۴۲۲)

النساخ الكشاف، وعلى أخيه الهادى المتقدم علم الفقه وقرأ غير ذلك وتبحر فى العلوم واشتهر فضله وبعد صيته وصنف التصانيف.

ففى أُصول الدين: «نكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد» و «القلائد وشرحها الدرر الفرائد» و «الملل وشرحها الأُمنية والأمل» و «رياضة الأفهام فى لطيف الكلام» وشرحها «دامغ الأوهام» وفى أُصول الفقه: «كتاب الفصول فى معانى جوهرة الأُصول» و «معيار العقول وشرحه منهاج الوصول» وفى علم النحو: «الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر» و «الشافية شرح الكافية» و «المكلّل بفرائد معانى المفصل» و «تاج علوم الأدب فى قانون كلام العرب» و «أكليل التاج وجوهرة الوهاج» وفى الفقه: «الأزهار» وشرحه «الغيث المدرار» فى أربعة مجلدات «والبحر الزخار» فى مجلدين.

وفى الحديث: كتاب «الأنوار فى الآثار الناصة على مسائل الأزهار» فى مجلد لطيف وكتاب «القمر النوار فى الرد على المرخصين فى الملاهى والمزمار».

وفى علم الطريقة: «تكملة الأحكام» وفى الفرائض: «كتاب الفائض» .

وفى المنطق: «القسطاس» وفى التاريخ: «الجواهر» و «الدرر» وشرحها يواقيت السير. وقد انتفع الناس بمصنفاته لاسيما الفقهية فإنّ عمدة زيدية اليمن فى جميع جهاته على الأزهار وشرحه والبحر الزخار (۱)

وقد بسط الكلام فى سيره وآثاره على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين.

قال: فلاحظ من سيرة المهدى _ عليه السلام _ انّه بعد أن خرج من سجن صنعاء جنّد نفسَه للجهاد والجلاد، ولكن جهادُه وجلاده فى هذه الفترة لم يكن مع المنصور على بن صلاح ولا مع غيره وإنّما كان مع الجهلِ والبدعِ والضلالاتِ_____،

(۱) الشوكانى: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع: ۱|۱۲۲.

(۴۲۳)

جاهَد هذا الثالوثَ الرهيبَ بلسانه، وبيانه، وسلوكه، وخرج بنفسه من أجل ذلك إلى القرية وتجول فى السهول حيثما تسكن القبائل وتأوى إليها النسور القشاعم من أحفاد الأنصار وأشبال أحفاد الأنصار، وفيها حمل راية الجهاد ونادى بوجوب الاجتهاد وبحرية وقدسية الفكر والرأى للانتقاد الحرّ والاستنباط الحرّ من مصادر الإسلام الأُولى كتاب اللّه وسنّة رسوله _ صلى الله عليه وآله وسلم_ والاستفادة من الثروات الفكرية التى خلّفها الأئمة الهادونَ، والعلماء المجتهدون فى كل أصقاع الأرض، ومن أجل ذلك ألّف الموَلفات الشاملة وحرر الرسالات الصادعة وبدّد الشبهات بالحجج النيرات، ولذا ظهرت بعض موَلفاته فى هذه الفترة على النحو التالى: فى «ثلا» وبعد خروجه من السجن ألف كتاب (البحر الزخار) الجامع لمذاهب علماء الأمصار وفيه تظهر آراوَه وأنظاره الخاصة فى كل

المسائل التی اشتمل علیها الکتاب.

وفی سنة ۸۱۶ هـ سافر من «ثلا» إلی بلاد مسور وفیه مکث ما شاء اللّه وبدأ فی کتابة «غایات الأفکار» وهو شرح لما تضمنه کتاب «البحر الزخار» من العلوم.

وبعد أن سافر إلی الأهنوم وأصلح أحوال أهله رجع إلی «الحیمة» لنفس الغرض، ومنها استدعاه أهل حراز لإصلاح شأنهم ومکث فی «حراز» ما شاء اللّه وفیه ألف «الدامغ» و «منهاج الوصول لمعیار العقول» و کتاب «علوم الأدب» و «القسطاس فی المنطق» و «القاموس الفائض فی الفرائض» ثم رجع إلی «مسور» لزیارة أولاده وفی هذه الفترة ألف «القمر النوار» .

ثم نزل «الدقائق» من بلاد «لاعة» وفیها ألف «حیاة القلوب» .

وفی سنة ۸۳۶هـ توفی الإمام الهادی علی بن المؤید وأوصی بتسلیم ما کان بیده من الحصون إلی الإمام المهدی صاحب الترجمة فأمر ابنه الحسن بن المؤید بتعهدها وافتقادها، أمّا الإمام نفسه فقد رحل إلی ظفیر حجّة، حیث اتّخذه وطناً له

(۴۲۴)

وذلک فی سنة ۸۳۸ هـ وفی سنة ۸۴۰هـ توفاه اللّه شهیداً بالطاعون وقبره بالظفیر مشهور رحمه اللّه وجزاه خیراً وألحقنا به صالحین (۱)

آثاره المعروفة :

ثم إنّ الذی شهّر الإمام ابن المرتضی هو آثاره القیمة نذکر منها ما یلی:

۱ ـ البحر الزخار الجامع لمذاهب أهل الأمصار:

وقد طبع مرة واحدة عام ۱۳۶۸ مبتوراً مشتملاً علی أربعة فنون:

۱ـ الأحکام الفقهیة ۲ ـ الفرائض الشرعیة ۳ ـ الغرائب من فقه السیرة النبویة المسمّی بالدرة ۴ ـ تکملة الأحکام والتصفیة عن بواطن الآثار.

ثم طبع ثانیاً عام ۱۳۹۳هـ منضماً إلی الکتب التالیة:

۱ ـ أُصول الدین، ۲ ـ أُصول الفقه، ۳ ـ علم اللطیف (الفلسفة) ۴ ـ الملل والنحل ۵ ـ آیات الأحکام ۶ ـ تاریخ سیرة سید البشر وأصحابه العشرة الغرر، وعترته المنتجبین الزهر.

وقد طبع الکتاب فی سبعة أجزاء، والجزء الأوّل باسم المقدّمة، والکتاب مشتمل علی عشرة فنون، وهو موسوعة کبیرة أحتفل بها العلماء فی الأوساط المتنورة.

۲ ـ کتاب الأزهار فی فقه الأئمة الأطهار :

وقد حظی الکتاب بالاهتمام البالغ من قبل المقلّدین والمجتهدین وربما یقال نظمت ونضدت فیه مسائل الفقه، أو ثمانیة وعشرین ألفاً من مسائل الشریعة منطوقاً ومفهوماً وعلیه اعتمدت الزیدیة حتی عصرنا هذا_____.

(۱) البحر الزخار، ج۱: المقدمة بقلم علی بن عبد الکریم بن محمد الفضیل شرف الدین:۱۹ـ ۲۶.

(۴۲۵)

والحقّ أنّه لم یحظ متن فقهی من متون الأئمة بمثل ما حظی به متن الأزهار من عنایة العلماء واهتمامهم بتعلیقاتهم، وهو بین الزیدیة، کالعروة الوثقی عند الإمامیة.

ولقد ألّف بعده کتابان: الآثار، والهدایة علی غرار الأزهار، ولکن لم یحرزا القبول والأوّل لحفید المؤلّف شرف الدین المتوفی سنة ۹۶۵هـ والثانی لصارم الدین إبراهیم بن محمد الوزیر المتوفی سنة ۹۲۴هـ

وهناک من قام بمناقشة المضمون وکیفیة الاستنباط کالعلامة الجلال فی کتابه ضوء النهار، ورد علیه، ابن الأمیر فی کتابه «منحة الغفّار».

إلى أن وصلت النوبة للشوكانى فقام بالتعليق عليه مع النقد اللاذع وسمّى كتابه بـ«السيل الجرار المتدفق على حدائق الاَزهار» والاسم يعرب عن المسمّى وهو بصدد هدم ما بناه الاِمام، وتخريب ما أرساه وقد أثار هذا النوع من التأليف مشاعر أكثر رجالات العلم المتحررين، فكتبوا ردوداً عليه.

وأما تصانيفه فيبلغ عدد الجمع ۳۳ وقد طبع قسم منها ضمن البحر الزخار وتعرفت على فهرسته فى ترجمة الشوكانى له.

ولم يكتف الاِمام بالرسائل والمواعظ والموَلفات فى نشر علومه وأفكاره، بل قرض الشعر ونظّم القصائد الهادفة، وله قصيدة تذكر أبناء فاطمة الزهراء ـ سلام اللّه عليها ـ ويقول:

إذا ما رأيت الفاطمى تمردا * أقام على كسب المعاصى وأخلدا

فذاك الذى لما أكتسى ثوب عزة * تبدل أثواب الدناءة وارتدا

فياسوءتا للفاطمى إذا أتى * أسير المعاصى يوم يلقى محمدا

فلو لم يكن إلّا الحياء عقوبة * ولم يخش أن يصلى الجحيم مخلّدا

(۴۲۶)

لكان له واللّه أعظم وازعٍ * من النكر والفحشاء كهلاً وأمردا

فقل لبنى الزهراء إن محمدا * بنى لكموا بيت التقاء وشيدا

وأنّ أباكم حيدر بعده الذى * حماه وقد قامت إلى هدمه العدى

فلا تهدموا بنيان والدكم وقد * تحسى أبوكم دونه جرع الردا

فشّر فتىً فى العالمين فتى أتى * وقد أصلحت كفا أبيه فأفسدا

نظرة فى كتاب طبقات المعتزلة:

إنّ من سبر كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى يقف على أنّه يرى منهج الاعتزال صورة صحيحة للاِسلام، وأنّه والاعتزال، وجهان لعملة واحدة حيث ذكر للمعتزلة اثنتى عشر طبقة إلى عصره. بالشكل التالى:

الطبقة الاُولى: الخلفاء الاَربعة وعبد اللّه بن العباس وعبد اللّه بن مسعود وغيرهم من الصحابة.

الطبقة الثانية: الحسنان اللّذين منهما اشتهر القول بالتوحيد والعدل ثم ذكر أسماء عدّة من تلك الطبقة.

الطبقة الثالثة: الحسن بن الحسن المثنى، وعبد اللّه بن الحسن وأولاده: النفس الزكية وغيره (۱)ومن أولاد على أبو هاشم عبد اللّه بن محمد الحنفية.

الطبقة الرابعة: غيلان بن مسلم الدمشقى وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى أن انتهى إلى الطبقة الاَخيرة_____.

(۱) لو كان المقياس فى تنظيم الطبقات هو التقدم الزمنى، فالاَولى عد أولاد عبد اللّه بن الحسن من الطبقة اللاحقة.

(۴۲۷)

إنّ واصل بن عطاء هو موَسس منهج الاعتزال، وقد انتقل إلى أحد الاُصول الخمسة أى المنزلة بين المنزلتين من النقاش الدائر بينه وبين الحسن البصرى، ثم تكامل المنهج وتصقّل عبر العصور فكيف يكون الاعتزال صورة أُخرى للاِسلام؟

ومن قرأ كتاب طبقات المعتزلة للاِمام ابن المرتضى، لا يشك فى أنّ الكاتب معتزلى مائة بالمائة، ومع ذلك هو زيدى متمسك بأهداب المذهب الزيدى كذلك فكيف جمع بينهما. لا أدرى، ولعله، اعتزل فى غير باب الاِمامة.

* * * (۴۲۸) ۱۳ الاِمام المنصور باللّه القاسم بن محمد على (۱۰۲۹) موَلف كتابى : الاساس، والاعتصام هو الاِمام الاَجل المنصور باللّه أبو محمد القاسم بن محمد بن على بن محمد ابن على بن الرشيد بن أحمد بن الاَمير الحسين الاَملحى بن على بن يحيى بن محمد ابن يوسف الاَشل بن القاسم بن الاِمام الداعى إلى اللّه يوسف بن الاِمام المنصور باللّه يحيى بن الاِمام الناصر أحمد بن الاِمام

الهادى إلى الحقّ يحيى بن الحسين قام بعد إياسه من خروج الإمام الناصر الحسن بن على فى المحرم سنة ست وألف وطهّر الأرض من الردى. ونشر فيها الإيمان والهدى ولقد جدد اللّه بعلمه وسيفه الدين الحنيف وأحيى بجهاده واجتهاده معالم الشرع الشريف وطلع عليه السلام من أيّام الشدائد إلى الحصن المنيع جبل برط من بلد همدان بن زيد.

قبضه اللّه ثانى عشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وألف عن اثنتين وستين سنة.

أولاده:

محمد وعلى الشهيد ـ أحمد ـ والحسن ـ والحسين ـ وإسماعيل وإسحاق درج ـ ويحيى ـ وعبد اللّه ـ ويوسف.

مؤلفاته:

ومن مؤلفاته الاعتصام فى السنة بلغ فيه إلى الحجّ وأتمه السيد العلامة أحمد ابن يوسف زيارة المتوفى سنة ۱۲۵۲هـ

المرقاة ـ فى أُصول الفقه.

(۴۲۹)

الإرشاد والتحذير وغير ذلك.

والأساس فى أُصول الدين الذى يقول فيه الأبيات البليغة من البحر الكامل.

هذا الأساس كرامة فتلقه * ياصاحبى بكرامة الإنصاف

واحرز نفيساً من نفائس نثره * جمعت بغوض فى خِضمٍّ صاف

جمع المهيمن بيننا فى دينه * جمعاً يفى بإصابة وتصادف(۱) وله شروح.

وقال مجد الدين فى مقدمة كتاب الاعتصام: هو الذى ألّف اللّه به الدين بعد شتاته، ووصل به حبل الاسلام بعد انبتاته، ورفع بدعوته من الملة الحنفية اعلامها، وأنفذ بجهاده من الشريعة المطهرة فى الأقطار أحكامها، وجلى الظلم، وكشف به البهم، ذو الآيات الظاهرة والبراهين الزاهرة، والأخلاق النبوية، والعلوم العلوية، الذى كشف به غياهب ظلم الظالمين، الإمام الأعظم الداعى إلى التى هى أقوم، أبو محمد مولانا الإمام أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، والصادع بالحقّ المبين، المحيى لطريقة سلف الأئمة السابقين، المنصور باللّه القاسم بن محمد بن على بن محمد بن على بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير على بن يحيى العالم البر بن محمد العالم التقى بن يوسف الأصغر الأشل بن الإمام الداعى إلى اللّه القاسم بن الإمام الداعى إلى اللّه يوسف الأكبر بن الإمام المنصور باللّه يحيى بن الإمام الناصر لدين اللّه أحمد بن الإمام الهادى إلى الحقّ يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشّبه بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأفضل الصديقين على بن أبى طالب وابن فاطمة البتول الزهراء_____،

(۱) مجد الدين: التحف فى شرح الزلف:

(۴۳۰)

والصديقة الكبرى، سيدة نساء الأعاجم والأعارب ابنة سيد المرسلين، وختم النبيين أحمد الأمين، صلوات اللّه وسلامه وتحياته وإكرامه عليهم أجمعين ما أنهلت السحايب، وأنارت الكواكب وانزاحت بأنوار هدايتهم الغياهب (۱)

هذا وكتابه الأكياس خير دليل على شجاعته الأدبية فى بيان الحقّ، وترك التقية أو المماشاة مع أهل السنّة قال فى فصل «حكم أبى بكر فى فدك».

«قال الإمام يحيى والإمام المهدى ـ عليهما السلام : ـ وحكم أبى بكر فى فدك صحيح، لأنّه حكم باجتهاده.

قلنا: هو المنازع، وأيّما منازع حكم لنفسه فحكمه باطل إجماعاً، ولو لم يخالف اجتهاده قال الشاعر:

ومن يكن القاضى له من خصومة * أضرّ به إقراره وجحوده

وأيضاً فانّ الإمام عندهما _ (عليهما السلام) _ على _ عليه السلام ، _ وهو لم يرض ولايته، فكيف يصح قضاوَه.

وأيضاً كانت اليد لفاطمة _ عليها السلام ، _ لاَنّ فى الرواية أنّها (ـ عليها السلام ـ) أتته تطلب حقها بعد أن رفع عاملها، فايجاب البينة عليها خلاف الإجماع.

وأيضاً اعتمد على خبره وهو: «نحن معاشر الاَنبياء لا نورث ما خلفناه صدقة» مع احتمال أن يكون معناه: أنّ الصدقة (أى الزكاة التى لا تحلّ لبنى هاشم غير موروثة بل تصرف فى مصرفها).

ولفاطمة _ عليها السلام _ أن تعتمد على خبرها وخبر على والحسن والحسين _ عليهم السلام . _ صح لنا ذلك من رواية الهادى _ عليه السلام (_ فى كتاب «تثبيت الإمامة)» (أُم أيمن (أنّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ أنحلها) مع أنّه نصّ صريح لا يحتمل التأويل (۲_____)

(۱) الاعتصام بحبل اللّه المتين، المقدمة: ۱ ، بقلم مجد الدين بن محمد المؤيدى. مفتى الزيدية فى اليمن حالياً.

(۲) القاسم بن محمد: الاَساس لعقائد الاَكياس: ۱۶۵.

(۴۳۱)

ومع ذلك نرى أنّه يتتعتع ويتلعثم فى بيان حكم من تقدم الوصى.

ولا يجترى أن يحكم بأنّهم بغوا على الإمام وعصوه قال:

واختلف فى حكم من تقدم الوصى _ عليه السلام ._

والحقّ أنّهم إن لم يعلموا استحقاقه _ عليه السلام _ دونهم بعد التحرى فلا إثم عليهم، وإن أخطأوا لقوله تعالى": وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُناحٌ فيما أخطأتم به ("الاَحزاب ـ ۵) ولم يفصل.

وقوله _ صلى الله عليه وآله وسلم : (_ رفع عن أُمتى الخطأ والنسيان) ولم يفصل.

وإن علموا فخطيئتهم كبيرة للإجماع على أنّ منع إمام الحقّ من تناول الواجب أو منع الواجب منه بغى عليه، والإجماع على أنّ البغى عليه فسق، لاَنّه اتباع لغير سبيل المؤمنين واللّه تعالى يقول:

"ويتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى ونُصْلِهِ جَهَنَّم وساءَتْ مَصِيرا ("النساء ـ ۱۱۵) ولعل توقف من أئمتنا _ عليهم السلام _ لعدم حصول العلم بأنّهم علموا أو جهلوا (ذلك) ومعارضة إبقائهم على الاَصل من الجهل باستحقاقه (ـ عليه السلام ـ) ، بأنّ الاَصل فى أعمال المكلفين التى تعلق بالحقوق العمد، ألا نرى أن رجلاً قتل رجلاً، ثم ادعى الخطأ أنّه لا يقبل قوله بالإجماع.

وبوجوب حمل علماء الصحابة على السلامة، وعدم الإخلال بتعريفهم، إذ مثل ذلك واجب لقوله تعالى": إنَّ الذِينَ يَكتُمونَ ما أنزَلنا مِنَ البيِّناتِ والهُدَى مِن بعد ما بيّنّاهُ للناسِ فِى الكِتابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ ويَلْعَنُهُمُ اللاعِنُون ("البقرة ـ ۱۵۹) ولنقل تعريفهم إياهم نقلاً لم يبلغ حد التواتر وجب الوقف فى حقهم دون علماء الصحابة لحصول العلم بتلبّسهم بالمعصية، وهو اغتصاب إمامته ـ عليه السلام ـ ، ولم يحصل مثل ذلك فى حقّ علماء الصحابة (۱_____)

(۱) القاسم بن محمد : الاَساس لعقائد الاَكياس: ۱۶۲ ـ ۱۶۳.

(۴۳۲) (۴۳۳)

الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة

الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة الطابع الفريد للمذهب الزيدى، هو أنّه عقلىّ فى الاُصول والعقائد، يقتفى أثر الدليل والبرهان ويتعرض للشكوك والشبهات، ويجيب عنها، وهو يرافق المعتزلة فى أكثر المسائل إلاّ ما يرجع إلى الإمامة، ويناضل الاَشاعرة فى غالبها. ومع أنّ المذهب الاَشعرى، هو المذهب المعتدل بين المذهب العقلى المحض (الاعتزال) والنقلىّ المحضّ

(الحشوية) فالمذهب الزيدى لايرافقه إلاّ فى الاَقل القليل فى مجال العقائد.

وأمّا اتجاهه فى الفقه فهو نفس ذلك الاتجاه، فالفقه الرائج بين الزيدية هو فقه الاِمام يحيى الهادى (۲۴۵ ـ ۲۹۸ هـ) ، مؤلّف «الاَحكام» ولكنه حنفىّ الاتجاه، يعمل بالقياس والاستحسان، ويرجّح بالعقل عند تعارض الاَدلة.

هذا هو طابع المذهب الزيدى، ومع ذلك ترى أنّ شخصيات بارزة نقضوا ذلك الاِطار، وتحرّروا عن القيد الذى ضربه المذهب عليهم، وهم بين:

متفتّح مع السلف وأهل الحديث، أو مؤيد للحركة الوهابية المدّمرة لآثار الرسالة باسم مكافحة الشرك.

والممثّل للاتجاه الاَوّل، هو ابن الوزير فى القرن الثامن، كما أنّ الممثّل للاتجاه الثانى، الاَمير الصنعانى فى القرن الثانى عشر، والجامع بين الاتجاهين فى القرن الثالث عشر هو الشوكانى وبما أنّه كان لهم دور فى تطوير المذهب الزيدى فى بعض الاَدوار، وإن غاب نجمهم بعد حين، ناسب أن نشير إلى زوايا من حياتهم وتفكيراتهم حسب التسلسل الزمنى.

(۴۳۴)

زيدى تسنّن ۱ ابن الوزير محمد بن إبراهيم (۷۷۵ ـ ۸۴۰ هـ)

هو محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى بن المفضل بن المنصور، بن محمد، بن العفيف، بن مفضل بن الحجاج، بن علىّ، بن يحيى بن القاسم، ابن الاِمام الداعى يوسف، ابن الاِمام المنصور باللّه يحيى بن الناصر أحمد ابن الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم جميعاً، ولد فى رجب عام ۷۷۵هـ وتوفى فى محرم عام ۸۴۰هـ مجتهد باحث، من أعيان اليمن وهو أخو الهادى بن إبراهيم تعلّم بصنعاء وصعدة ومكة، وأقبل فى أواخر عمره على العبادة (۱)

يعرّفه ابن حجر العسقلانى: أنّه مقبل على الاشتغال بالحديث، شديدُ الميل إلى السنّة بخلاف أهل بيته (۲)

ويقول الشوكانى: «وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده بل هو نمط من كلام ابن حزم وابن تيمية وهو فى عداد أئمة الزيدية المجتهدين الذين لا يرفعون إلى التقليد رأساً ولا يشوبون دينهم بشىء من البدع الذى لا يخلو أهل مذهب من المذاهب شىء منها» (۳)

وكلامه فى كتاب «إيثار الحقّ على الخلق» يعرف موقفه من المذاهب_____

(۱) الشوكانى: البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع: ۲|۸۱ برقم ۳۹، وقد ذكر نسبه الزركلى بغير ماذكرناه، وماذكرناه هو المعتمد، لاَنّ الشوكانى من أهل البيت.

(۲) المصدر نفسه: ۸۳.

(۳) المصدر نفسه: ۸۳.

(۴۳۵)

الكلامية يقول فيه:

لقد رأيت مصنفى كتب المذاهب ينتصر فيها المصنف لمذهب واحدٍ فى القوىّ والضعيف، ولم يسلك أحد منهم مسلك مصنفى كتب الفقه التى تذكر فيها مذاهب أهل الملة الاِسلامية، ويقوّى فيها ما قوّته الدلائل البرهانية سواء أكانت لقريب أم بعيد، لصديق أم بغيض، وكتب العقائد أحقّ بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، أمّا كون الحقّ واحداً فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب فى جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لفرقة منها إلاّ ما حصل فيه إجماع من الاُمّة والعترة، وانّ من أندر الاَشياء أن يحرص المتكلم على معرفة الحقّ فى أقوال المخالفين.

والذى وسّع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لا يُعلَم والسعى فيما لا يُدرك والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لاطريق إلى

معرفتها، السير فى الطريق التى لا توصل إلى المطلوب. وليس طلب أى علم بجحود ولا كل مطلوب بموجود.

إنّ المحتاج إليه من المعارف الإِسلامية فى الأُصول سبعة أُمور كلها فطرية جليّة وهى:

١ ـ إثبات العلوم الضرورية التى يبتنى الإِسلام على ثبوتها.

٢ ـ ثبوت الربّ عزّ وجلّ.

٣ ـ توحيده سبحانه وتعالى.

۴ ـ كماله بأسمائه.

۵ ـ ثبوت النبوّات.

۶ ـ الإِيمان بجميع الأَنبياء وعدم التفريق بينهم.

٧ ـ ترك الابتداع فى الدين بالزيادة على ما جاء به الأَنبياء أو النقص عنه.

(۴۳۶)

هذه الأُمور السبعة تكفى العامّى فإن تعرض فيها لشبهة قادحة تمكن من حلها عن طريق القرينة الجلية (١)

إنّ ما ذكره ابن الوزير من أنّه يكفى العامّى الاعتقاد بالأُمور وإن كان أمراً صحيحاً، لكن إلزام الجميع بالعمل على نمط واحد، أمر لا يقبله العقل وهل يصح إيقاف البحث على وجوه أصحاب العقول والأَدمغة الكبيرة، كالفارابى وابن سينا، وابن رشد والرازى ونصير الدين الطوسى ومن جاء بعدهم بحجّة أنّه يكفيهم تحصيل البرهان على الأُمور المذكورة.

إنّ تحريم الحوار الصحيح والمناظرة المبنيّة على الأُسس الصحيحة ممّا دعى إليه الذكر الحكيم، وأحاديث العترة الطاهرة وقد قدّمنا شيئاً من ذلك فى غضون الأَجزاء السابقة.

أظنّ انّ الوزير تأثر بالتيار السلفىّ الذى أثاره ابن تيميّة (۶۶١ ـ ٧٢٨ هـ) وتلميذه ابن القيّم (ت ٧۵١هـ) قريباً من عصره وبلغ إلى أرض الحجاز واليمن، ولقد كانت الأَذهان الساذجة، أرضاً خصبة لتلك الفكرة فإنّها كانت تحمل حقاً وباطلاً فمن جانب تدعو إلى الاجتهاد الحرّ وترك التقليد، لإِمام من أئمة الفقه، ومن جانب آخر، يدعو إلى إغلاق العقل وإعدامه فى مجال المعارف وتقليد حرفية النصوص الواردة فيها. وإن انتهى إلى القول بالتشبيه والتجسيم والجهة، غاية الأَمر يتبرّأون من مضاعفاتها، بلفظ «بلا كيف».

إنّ ابن الوزير مع ذكائه وتوقّده، تأثر بموجة الفكر السلفى، وابتدع من حيث لا يشعر، فزعم أنّ السلفية مذهب، مع أنّه ليس بمذهب وليس السلف خيراً من الخلف، ولا الخلف بأقصر منهم عقلاً ووعياً، والحجّة هو الكتاب والسنّة الصحيحة والعقل الصريح الذى لولاه، لانسدّ باب المعرفة، فما معنى ترجيح_____

(١) إيثار الحقّ على الخلق.

(۴٣٧) السلف على الخلف، ورفض تقليد الأَئمة الفقهية، ووضع قيد السلفية على العقول والأَفئدة مكان تقليدهم.

يقول الشوكانى: إنّ صاحب الترجمة لما ارتحل إلى مكة وقرأ علم الحديث على شيخه ابن ظهيرة قال له: ما أحسن يا مولانا لو انتسبتَ إلى الإِمام الشافعى أو أبى حنيفة؟ فغضب وقال: لو احتجت إلى هذا النسب والتقليدات، ما اخترت غير الإِمام القاسم بن إبراهيم (الرسى) أو حفيده الهادى.

ثم إنّه أتى بأسماء كتبه: وإليك ما ذكره:

١ ـ العواصم والقواصم فى الذب عن سنّة أبى القاسم.

٢ ـ الروض الباسم وهو مختصر كتاب العواصم (وقد طبع فى مصر فى إدارة الطباعة المنيرية) .

٣ ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، يقول الشوكانى: وهو كتاب فى غاية الإِفادة والإِجادة على أُسلوب مخترع لا يقدر على مثله إلّا مثله، طبع بمصر عام ١٣۴٩هـ

۴ ـ نصر الاَعيان على شر العميان، ردّ فيه على المعرى.

۵ ـ البرهان القاطع فى معرفة الصانع ألّفه عام ۸۰۱ هـ وطبع بمصر عام ۸۰۱هـ

۶ ـ التنقيح فى علوم الحديث.

۷ ـ إيثار الحقّ على الخلق، المطبوع بمصر عام ۱۳۱۸هـ

إلى غير ذلك مما ذكره الشوكانى وغيره

(۱_____)

(۱) البدر الطالع: ۲|۹۰، الاَعلام للزركلى: ۵|۳۰۰. (۴۳۸)

زيدى تسنّن وتوهّب ۲ ابن الاَمير: محمد بن إسماعيل (۱۰۹۹ ـ ۱۱۸۶ هـ)

موَلّف سبل السلام هو محمد بن إسماعيل بن صلاح، ينتهى نسبه إلى الاَمير يحيى بن حمزة الحسنى، الذى تعرفت عليه.

ولد بكحلان، ثم انتقلت أُسرته عام ۱۱۱۰هـ إلى صنعاء عاصمة اليمن، وتعلّم النحو والبيان وعلوم الفقه وأُصول الدين، ثم سافر إلى الحجاز مرتين، وأخذ علوم الحديث هناك وبرع فى العلوم المختلفة حتى برع أقرانه وتفرّد بالرئاسة العلمية فى صنعاء وأظهر الاجتهاد والوقوف مع الاَدلة ونفر من التقليد وزيّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية.

ومن كتبه النافعة كتاب «سبل السلام فى شرح بلوغ المرام» لابن حجر.

أمّا بلوغ المرام فقد ألّفه الحافظ ابن حجر العسقلانى، وجمع فيه كل الاَحاديث التى استنبط الفقهاء منها الاَحكام الفقهية مبيناً عقب كلّ منها، من أخرجه من أئمة الحديث كالبخارىّ ومسلم، ومالك، وأبى داود، وغيرهم موضحاً درجة الحديث من صحة أو حسن أو ضعف، مرتّباً له على أبواب الفقه، وضمّ إلى ذلك فى آخر الكتاب قسماً مهماً فى الآداب والاَخلاق والذكر والدعاء.

أمّا الشرح فالاَصل كما يقوله الشوكانى هو «البدر التمام» للمغربى، اختصره

(۴۳۹)

محمد بن إسماعيل الاَمير، فبيّن لغته وسبب الضعف فيما ضعّفه الحافظ ابن حجر، إذ أنكره، أو وهمه أو أعلّه، وذكر ما يدلّ عليه الحديث من الاَحكام الفقهية ومن قال بها من كبار المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب ـ رض ـ ومن خالفها مبيّناً نوع المخالفة ودليلها، ثم يقضى بالكتاب والسنّة غير متحيز إلى مذهب من المذاهب (۱)

قال الشوكانى: وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن: منها فى أيام المتوكل على اللّه القاسم بن الحسين، ثم فى أيّام ولده الاِمام المنصور باللّه الحسين بن القاسم، ثم فى أيام ولده الاِمام المهدى العباس بن الحسين، وتجمع العوام لقتله مرّة بعد مرّة حفظه اللّه من كيدهم، وكفاه شرّهم وولاه الاِمام المنصور باللّه، الخطابة بجامع صنعاء فاستمر كذلك إلى أيّام ولده المهدىّ ـ إلى أن قال: ـ وكانت العامة ترميه بالنصب مستدلين على ذلك بكونه عاكفاً على الاُمّهات، وسائر كتب الحديث، عاملاً بما فيها، ومن صنع هذا الصنع رمته العامّة بذلك لا سيما إذا تظهر بفعل شىء من سنن الصلاة كرفع اليدين وضمّهما (القبض والتكتف) (۲).

هنا ملاحظات :

۱ ـ إنّ ابن الاَمير بلغ درجة الاجتهاد المطلق، فرفض الالتزام بمذهب خاصّ وقام يعمل برأيه وهو بغية كل طالب داع. لكن المظاهرة على مخالفة العامة لماذا ؟!فإنّ رفع اليد وضمها الذى يعبر عنه فى الفقه الاِمامى بالتكتف أو قبض اليد اليسرى باليمنى، كما هو التعبير الرائج اليوم، سنّة وليس بفرض ـ لو لم يكن بدعة أُموية ـ (۳) أو ما كان من واجب ابن الاَمير عقلاً ـ ترك السنّة، لدفع الفتنة.

---

(۱) سبل السلام مقدمة المحقّق: محمد بن عبد العزيز الخولى الطبعة الرابعة ـ ۱۳۷۹، والبدر الطالع: ۲|۱۳۷، برقم ۴۱۷.

(۲) الشوكانى: البدر الطالع: ۲|۱۳۴.

(۳) لاحظ: الاعتصام بالكتاب والسنّة للموَلف: ۶۱.

(۴۴۰)

وقد روى أنّ الإمام الشافعى زار مرقد الإمام أبى حنيفة وصلى فيه ولم يَقنُت، ثم سئل عن ترك القنوت مع أنّه مذهبه، قال توقيراً للإمام فإنّه لا يرى القنوت سائغاً.

هذا هو عقل الإمام الشافعى وتدبيره وليكن لنا أُسوة:

۲ ـ إنّ الاقتصار بما فى بلوغ المرام من الروايات، فى مقام الإفتاء شاهد صدق على أنّ الرجل ترك مذهب أهل البيت تماماً، وتفتح على روايات أهل السنّة وصار ينقض ويبرم فى ظل أحاديثهم. ومن المعلوم أنّ التظاهر بتلك الفكرة فى الأوساط الزيدية يثير حفيظة الأكثرين وليس المروى عن أئمة أهل البيت، بأدنى مما روى عن الصحابة والتابعين.

۳ ـ يبدو أنّ ابن الأمير كان إنساناً ساذجاً متأثراً بكل تيار يصل إليه إذا رافق نفسيته، ولما بلغ إليه خروج محمد بن عبد الوهاب فى نجد، ووقف على رأيه من تدمير آثار الرسالة والنهى عن التوسل والزيارة أخذ بترويج أفكاره ولم يقتصر بذلك وقد ألّف كتاباً فى ذلك المضمار أسماه «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» واسمه يحكى عن مدى تعصبه بالتوهّب، قد أكثر عنه النقل السيد الأمين ـ قدّس سرّه ـ فى كتاب كشف الارتياب (۱) وهذا يعرب عن ان ابن الأمير اغترّ بمنهجه من دون دراسة وتحليل ثم إنّه أنشأ قصيدة فى مدح الداعى وهنّأ به وقال:

سلام على نجد ومن حلّ فى نجدٍ * وإن كان تسليمى على البعد، لا يُجدى

إلى أن يقول:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنّه * يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى

ثم هو يتعاطف مع مقولة الحركة ومحتواها، ويقول فى مدح محمد بن عبد الوهاب_____:

(۱) كشف الارتياب: ۱۰.

(۴۴۱)

ويعمر أركان الشريعة، هادماً * مشاهد ضلّ الناس فيه عن الرشد

أعادوا بها معنى «سواع» ومثله * « يغوث» و «ود» بئس ذلك من ودِّ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها * كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ

وقد سرّنى ما جاءنى من طريقة * وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى

ولما أتته الأنباء عن قائد الحركة بأنّه يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويكفّر الأُمة المحمدية فى جميع الأقطار، تراجع عن التأييد شكلياً لا من حيث المحتوى، وقال فى قصيدة نقض فيها، قصيدته الأُولى، مستهلها:

رجعتُ عن القول الذى قلتُ فى النجدى * وقد صحّ لى عنه خلاف الذى عندى

ظننت به خيراً وقلت عسى عسى * نجد ناصحاً يهدى الأنام ويستهدى

فقد خابَ فيه الظنّ لا خاب نصحنا * وما كل ظنٍّ للحقائق لى مهدى

ثم أخذ فى ردّ شكل تطبيق المبدأ، فقال:

أبن لى أبن لى لماذا سفكتَ دماءهم * لماذا نهبت المال قصداً على عمد

وقد عصموا هذا وهذا بقول: لا * إله سوى اللّه المهيمن ذى المجد

وهذا لعمرى غير ما أنت فيه من * تجاريك فى قتل لمن كان فى نجد

فمالك فى سفك الدماء قطّ حجّة * خف اللّه واحذر ما تسرّ وما تبدى

(۴۴۲)

لقد عزب عن ابن الاَمير أنّه هو الذى أحلّ سفك دمائهم حيث شبههم فى قصيدته الاُولى عبّاد «سواع» و «ود» وهل يكون دم الوثنى ! محترماً مصوناً.

إنّ الاَمير ندم حين ما لا ينفعه الندم، وقد أظهر الندامة بعد سفك الدماء الطاهرة، وقتل النفوس الاَبرياء، ونهب الاَموال، وتدمير البيوت والخيام، بحجّة أنّهم يتوسلون بالنبى، أو يزورون قبره الشريف ومن قرأ تاريخ الوهابية الاَثيمة يقف على أنّه اُسس على قتل الآف من الرجال والنساء والاَطفال، الذين كانوا يقولون: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، يصلّون، يزكون، ويحجّون ومانقموا منهم إلاّ أنّهم كانوا يعزّرون النبى الاَكرم، ويمجّدون نبى التوحيد، ويتبرّكون بآثاره، كما كانت الصحابة متبركين بها.

وعلى كل تقدير فقد تخلّى ابن الوزير عن المذهب الزيدى وتحول إلى سلفى وهابى، وتسرع فى تأييد موقف ابن عبد الوهاب، فلو كان مذهب السلف، الاِخافة وسلّ السيف، وضرب الرقاب، وتدمير آثار الرسالة، وإنساء الاَنبياء والاَولياء عن الاَذهان، وإثبات جهة الفوق والاستواء على العرش الذى هو فوق السموات والاَرض، والجسمية والغضب والضحك واليد اليمنى والشمال، والاَصابع والكف للّه سبحانه بمعانيها اللغوية، فألف سلام اللّه على الخلف مع بدعه المزعومة، وتوسلاّته المختلقة بزعمهم.

(۴۴۳)

زيدى تسنّن وتوهّب ۳ محمد بن على بن محمد بن عبد اللّه الشوكانى الصنعانى (۱۱۷۲ ـ ۱۲۵۰هـ) أحد الشخصيات البارزة فى اليمن الخضراء قد ترجم لنفسه فى كتابه البدر الطالع وقال:

نشأ بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين، وختمه على الفقيه حسن ابن عبد اللّه الهبل، وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن، بصنعاء ثم حفظ الاَزهار للاِمام المهدى، ومختصر الفرائض للعصيفرى، والملحة للحريرى، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للتفتازانى، والتلخيص للقزوينى، والغاية لابن الاِمام، وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب، ومنظومة الجزرىّ، ومنظومة الجزاز فى العروض وآداب البحث للعضدى ورسالة الوضع له أيضاً. وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع فى الطلب، وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه فى الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ومجاميع الاَدب من أيام كونه فى المكتب فطالع كتباً عدّة، ومجاميع كثيرة، ثم شرع فى الطلب وقرأ على والده رحمه اللّه شرح الاَزهار، إلى آخر ما ذكره من الكتب التى قرأها على مشايخه أو سمعها من أساتذته و ـ ذكر ـ أنّه سمع البخارى من أوّله إلى آخره على السيّد العلامة على بن إبراهيم، وسمع صحيح مسلم جميعاً وسنن الترمذى جميعاً وبعض موطأ مالك وبعض شفاء القاضى عياض على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، وكذلك سمع منه بعض جامع الاُصول، وبعض سنن النسائى وبعض سنن

(۴۴۴)

ابن ماجة، وسمع جميع سنن أبى داود وتخريجها للمنذرى، وبعض المعالم للخطابى ـ إلى أن قال: ـ وكذلك بعض المنتقى لابن تيميّة على السيد القادر بن أحمد وكذلك سمع شرح بلوغ المرام (۱)

لقد ترك الشوكانى آثاراً فى التفسير والفقه والحديث والكلام وهنا نذكر من آثاره ما يلى:

۱ ـ فتح القدير فى التفسير، وقد طبع فى خمسة أجزاء جمع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير.

۲ ـ نيل الاَوطار شرح منتقى الاَخبار فى الحديث، والمنتقى تأليف الشيخ أبو البركات شيخ الحنابلة مجد الدين عبد السلام بن عبد اللّه الحرّانى (۵۴۲ ـ ۶۲۱ هـ) جد ابن تيمية.

۳ ـ القول المفيد فى أدلّة الاجتهاد والتقليد.

۴ ـ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات، ردّ به على موسى بن ميمون الاَندلسى اليهودى.

إنّ الاِلمام بحياة الشوكانى دراسة وقراءة، اُستاذاً وشيخاً، تعرب عن أنّه كان سلفىّ المذهب، متحرّراً عن التقيّد بمذهب أحد الاَئمة،

وكتابه «نيل الأوطار» يشهد على ذلك. وقد أوجد هزّة فى الأوساط اليمنية، وهو وإن أخذ من السلفية، بهذا الجانب، الجميل، ولكنّه تورّط فى مغبّة لوازم التجسيم والتشبيه، وتتلخص عقائده فى الأُمور التالية:

أوّلاً: يرى حمل صفات اللّه تعالى الواردة فى القرآن والسنّة على ظاهرها من غير تأويل، وقد ألّف رسالة فى ذلك سمّاها: «التحف بمذهب السلف» ويذكر فى تفسير قوله سبحانه": وَسِعَ كُرسيّهُ السَّمواتِ والأرض ("البقرة ـ ۲۵۵) أنّ_____

(۱) الشوكانى: البدر الطالع: ۲|۲۱۴ ـ ۲۱۷.

(۴۴۵)

الكرسى جسم وردت به الآثار بصفته. ثم ذكر الأقوال الأُخر.

وقال: والحقّ هو الأوّل، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقى إلى مجرد خيالات وضلالات (۱).

والمتتبع فى تفسيره يجد أنّه يقوى مذهب السلف فى غالب المواضع حتى روَية اللّه فى الآخرة لو سلم كونها مذهب السلف.

ثانياً: لا يرى للمجتهد تقليد أئمة المذاهب الفقهية، وهو فى تلك الفكرة مصيب مشكور، لكنّه أفرط فى تطبيق الآيات الذامة للمشركين فى تقليدهم الآباء، على مقلدى أئمة المذاهب (۲)

نحن نقدر كسر قيد الالتزام بالمذاهب الفقهية للمستطيع استخراج الأحكام عن أدلتها الشرعية، لكن المجتهد المطلق عبارة عمن استوعب الأدلّة واستقصاها ومنها الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت التى رواها شيعتهم من زيدية وإسماعيلية وإمامية، لكن الأسف أنّ المتخرجين فى حقول الفقه إمّا مقلد لأئمة الفقه أو خارج عن هذا الإطار، ولكنّه ضارب عن أحاديث العترة، مع أنّها أحد الثقلين.

ثالثاً: إنّ الرجل جمع بين القولين المتضادين، فمن جانب يرى أنّ الشهداء أحياء حقيقة لا مجازاً.

قال فى تفسير قوله تعالى": وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقتَلُ فِى سَبيلِ اللّهِ أمواتاً بَل أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزقُون ("آل عمران ـ ۱۵۴) :

_____

(۱) الشوكانى: فتح القدير: ۱|۲۷۷ ـ ۳۷۳، ط، دار المعرفة بالأفست بيروت، لبنان وكل ما ننقله فهو من هذه الطبعة.

(۲) لاحظ فتح القدير، سورة الأعراف، تفسير قوله سبحانه: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا عليها...) (الآية ۲۸) .

(۴۴۶)

أى لاتقولوا لمن يقتل فى سبيل اللّه هم أموات بل هم أحياء، ولكن لا تشعرون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، لأنكم تحكمون عليها بالموت فى ظاهر الأمر بحسب ما يبلغ إليه علمكم، الذى هو بالنسبة إلى علم اللّه كما يأخذ الطائر فى منقاره من ماء البحر وليسوا كذلك فى الواقع بل هم أحياء فى البرزخ (۱)

ومن جانب آخر يرى التوسل بالأنبياء مخالفاً للذكر الحكيم وقد أفاض الكلام فى الإنكار على التوسل عند تفسير قوله سبحانه": قُل لا أَملِكُ لِنَفسى ضَرّاً وَ لا نَفعاً إلاّ ما شاءَ اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةً أجَلٌ إذا جاءَ أَجَلُهُم فلا يَسْتَأخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُون ("يونس ـ ۴۹) فقد ذكر فى تفسير الآية نفس ما ورثه من ابن تيمية ولاعق قصعته محمد بن عبد الوهاب (۲) ولولا خوف الإطالة لأتيت بنص كلامه ليقف القارئ على وحدة النسج، وبما أنّنا أفضنا فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة الكلام فى التوسل، نطوى الكلام غير أنّا نذكر هنا نكته وهى:

إنّ المتوسل لايدّعى أنّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يملك نفعه أو ضرّه، حتى يقال: إنّه لا يملك نفع نفسه ولا ضره، فكيف بغيره، وإنّما يقول: إنّ الأنبياء والصديقين والشهداء أحياء حسب ما قرره الشوكانى، والصلة بيننا وبينه موجودة، فنطلب منهم الدعاء كما نطلبه منهم فى حال الحياة، وربّما توسل بذواتهم ومقاماتهم، وذلك لاستمطار رحمته سبحانه، وجلب رضوانه، والمخاطب الحقيقى لقضاء الحاجة هو اللّه سبحانه والركائب مناخة على أبوابه سبحانه.

رابعاً: إنّ الشوكانى وإن كسر قيد الالتزام بمذهب الزيدية، ولكنّه لم يتخلّ عنه تماماً فى بعض الموارد من تفسيره فربما يذكر بعض

الروایات الدالّة علی_____

(۱) فتح القدیر: ۱|۱۵۹.

(۲) فتح القدیر: ۲|۴۴۶ ـ ۴۵۰.

(۴۴۷)

إمامة علی علیه الصلاة والسلام، لکن بشکل هادیَ، حیث ذکر فی تفسیر قوله سبحانه": إنّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِینَ آمَنُوا الّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَیُؤتُونَ الزّکاةَ وَهُمْ راکعُونَ ("المائدة ـ ۵۵) قولین:

أحدهما: إنّها نزلت فی حقّ عبادة بن الصامت، وثانیهما: أنّها نزلت فی حقّ علی، وأخرج الخطیب فی المتفق والمفترق عن ابن عباس، قال: تصدّق علیّ بخاتم وهو راکع. فقال: النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ للسائل: «من أعطاک هذا الخاتم؟» قال: هذا الراکع، فأنزل اللّه فیه": إِنّما وَلِیُّکُم اللّهُ وَرَسُولهُ "وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حمید وابن جریر وأبو الشیخ وابن مردویه عن ابن عباس، قال: نزلت فی علی بن أبی طالب إلی آخر ما ذکره (۱)

ویذکر فی تفسیر قوله سبحانه": إِنّما یُرِیدُ اللّه لِیُذهِبَ عَنْکُمْ الرِّجسَ أهلَ البَیتِ وَیُطَّهِّرَکُم تَطهیرا ("الاَحزاب ـ ۲۳) قولین:

الاَوّل: أنّها نزلت فی زوجات النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم، ـ ثم قال: قال أبو سعید الخدری ومجاهد، وقتادة إنّ أهل البیت المذکورین فی الآیة علی وفاطمة والحسن والحسین خاصة، ومن حججهم الخطاب فی الآیة بما یصلح للذکور لا للإناث، وهو قوله: «عنکم ، ولیطهرکم» ولو کان للنساء خاصة لقال: عنکنّ، یطهرکنّ. وأجاب الاَوّلون عن هذا التذکیر باعتبار لفظ الاَهل کما قال سبحانه": أتعجبینَ مِنْ أمرِ اللّهِ رحمةُ اللّهِ وبرکاتُهُ عَلیکُمْ أهلَ البَیتِ "وکما یقول الرجل لصاحبه: کیف أهلک؟ یرید زوجته أو زوجاته، فیقول: هم بخیر. ثم إنّه ذکر أدلّة القولین وخرج بأنّ الحقّ شموله للطائفتین (۲)

ولعلّ هذا الجمع الذی لجأ إلیه، کان مقتضی ظروفه، وإلاّ فکیف یمکن_____

(۱) فتح القدیر: ۲|۳۵۰.

(۲) فتح القدیر: ۴|۲۷۹ ـ ۲۸۰.

(۴۴۸)

القول بالجمع، وهو خرق للإجماع المرکب أوّلاً، ومخالف للروایات المتضافرة من أنّ النبی الاَکرم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ جمع علیاً وابنیه وزوجته تحت الکساء وقال: هوَلاء أهل بیت، ولم یجز لاُمّ سلمة أن تدخل تحت الکساء.

لکنه قد قصر فی بعض المواضع، حیث لم یذکر نزول قوله سبحانه": الیومَ أکمَلتُ لَکُمْ دینَکُمْ وأتممتُ علیکُمْ نِعمَتی ورضِیتُ لکمُ الإسلامَ دِیناً ("المائدة ـ ۳) فی حقّ علی مع تضافر الروایات. وفسر إکمال الدین بإکمال ظهوره علی الاَدیان کلها، وغلبته لها (۱)

نعم، ذکر فی تفسیر قوله سبحانه": یا أیُّها الرَّسولُ بلِّغْ ما أُنزِلَ إلیکَ مِنْ ربِّکَ وإنْ لَمْ تَفعَلْ فَما بلَّغْتَ رسالَتَهُ واللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ ("المائدة ـ ۶۷) قال: أخرج ابن أبی حاتم وابن مردویه وابن عساکر عن أبی سعید الخدری، قال: نزلت هذه الآیة علی رسول اللّه یوم غدیر خم فی علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه، وقال: وأخرج ابن مردویه عن ابن مسعود، قال: کنّا نقرأ علی عهد رسول اللّه: (یاأیّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إلیک من ربک "أنّ علیاً مولی المؤمنین" وإنْ لَمْ تَفعلْ فَما بلَّغتَ رِسالَتَهُ واللّهُ یَعصِمُکَ منَ النّاس ("۲)

وعلی کل تقدیر فما یذکره فی حقّ أئمة أهل البیت أثر من آثار نشأته بین الزیدیة، ولکنّه فی مجال العقیدة سلفیّ، یتمسک بحرفیة القرآن ویجوّز الروَیة فی الآخرة (۳). ویذهب فی مجال الفقه إلی حجّیة کل صحابی من غیر فرق بین المعلوم والمجهول، حتی ألّف کتاباً باسم «القول المقبول فی ردّ خبر المجهول من غیر صحابة الرسول» (۴)ویصدر عن الصحاح والمسانید ویخالف مذهب الزیدیة

_____

(۱) فتح القدیر: ۲|۱۱.

(۲) فتح القدير: ۲|۶۰.

(۳) فتح القدير:۱|۸۶ فى تفسير قوله سبحانه: (وإذ قلتم ياموسى لن نوَمن لك حتى نرى اللّه جهرة).

(۴) نيل الأَوطار: المقدمة (و) .

(۴۴۹)

كثيراً. وكتابه المعروف «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأَزهار» يعد ثورة عارمة على الزيدية فى المجالات الفقهية. وإليك الكلام فى هذا الكتاب.

قصة «السيل الجرار المتدفق» :

ألّف أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۷۵ ـ ۸۴۵هـ) كتاباً باسم «الأَزهار فى فقه الأَئمة الأَطهار».

ثم شرحه باسم «الغيث المدرار». ألّفه على مذهب الإِمام الهادى الزيدى فى الفروع، يقول المقدِّم لكتاب البحر الزخار فى مقدمته: «والكتاب لشموله وتحقيقه، وبلاغة أُسلوبه، وحسن تبويبه يعدّ من آيات الإِمام (أحمد بن يحيى بن المرتضى) التى اختصه اللّه بها ومنحه إياه لنفع الموَمنين وانتشال الجاهلين من ظلام الحيرة إلى نور المعرفة والهدى» (۱)

وقد ألّفه الإِمام فى السجن بين عام «۷۹۴ ـ ۸۰۱هـ» وبما أنّ الكتاب باقة أزهار من الفقه الهادوى فيظن أنّه راجع إليه بعد الخروج من السجن إلاّ إذا كانت المصادر فيه متوفّرة وقد كان العمل عليه فى المحاكم والأَوساط العلمية.

ومن المعلوم أنّ فكرة التحرير من الفقه الهادوى، الذى غرس بذرتها ابن الوزير، وسقاها ابن الأَمير، على طرف النقيض من محتويات الكتاب واشتهاره بين العلماء ولأَجل ذلك قام الشوكانى بنقده بكتاب أسماه «السيل الجرار، المتدفق على حدائق الأَزهار» فأثار بكتابه هذا، والاسم الذى سمّاه به حفيظة كثير من الزيديين قال فى مقدمة الكتاب:

فإنّ مختصر الأَزهار لما كان مدرس طلبة هذه الديار فى هذه الأَعصار ومعتمدهم الذى عليه فى عباداتهم ومعاملاتهم المدار، وكان قد وقع فى كثير من_____

(۱) مقدمة البحر الزخار: ۱۸.

(۴۵۰)

مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين: أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم فى ذات بينهم، فمن كان أهلاً للترجيح ومتأهلاً للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء اللّه سيعرف لهذا التعليق قدره ويجعله لنفسه مرجعاً ولما ينوبه ذخراً، وأمّا من لم يكن بهذا المكان ولا بلغ مبالغ أهل هذا الشأن ولا جرى مع فرسان هذا الميدان فهو حقيق بأن يقال له: «ماذا يغشّك ياحمامة فادرجى» وقد طبع الكتاب فى مجلدات أربعة قام بطبعه المجلس الأَعلى للشوَون الإِسلامية بعد قيام الجمهورية العربية فى اليمن. وذلك أيضاً فى طريق أهدافه من هدم آثار الإِمامة فى اليمن ولو بيد علمائها.

وفى الختام نذكر تأليفه المفيد وهو «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، ألّفه لغاية خاصة وهو أنّ الخلف ليس بأقل من السلف، ولامسوغ للتقليد لأَئمة الفقه بل يجب التحرر عن الالتزام بفقه إمام خاص، قال فى مقدمته: فإنّه لما شاع على ألسن جماعة من الرعاع، اختصاص سلف هذه الأُمّة بإحراز فضيلة السبق فى العلوم دون خلفها. حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأَربعة تعذّر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا يخفى على من له أدنى حظّ من علم، وأنزر نصيب من عرفان، وأحقر حصة من فهم، لأَنّها قصر للتفضّل الإِلهى، والفيض الربانى على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر، وأبناء دهر دون دهر بدون برهان ولا قرآن على أنّ هذه المقالة المخذولة والحكاية المرذولة تستلزم خلو هذه الأَعصار المتأخرة عن قائم بحجج اللّه، ومترجم عن كتابه وسنّة رسوله، ومبيّن لما شرعه لعباده، وذلك هو ضياع الشريعة بلا مرية، وذهاب الدين بلا شك وهو تعالى قد تكفّل بحفظ دينه

(۴۵۱)

وليس المراد حفظه فى بطون الصحف والدفاتر، بل إيجاد من يبيّنه للناس فى كل وقت وعند كل حاجة.

حدانى ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغنى خبره إلى عصرنا هذا، ليعلم صاحب تلك المقالة أنّ اللّه وله المنّة قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف، بل ربما كان فى أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها، من يقلّ نظيره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر فى هذا الكتاب وحلّ عن عنقه، عرى التقليد وقد ضممت إلى العلماء من بلغنى خبره من العباد والخلفاء والملوك والروَساء والأُدباء ولم أذكر منهم إلاّ من له جلالة قدر ونبالة ذكر وفخامة شأن دون من لم يكن كذلك (۱)

وطبع الكتاب فى جزئين يشتمل الجزء الأوّل على ۳۵۴ ترجمة للشخصيات العلمية والسياسية، وقد وقع الخطأ فى أرقام تراجم الجزء الثانى فالظاهر منه أنّ الجزئين يحتوى على ترجمة ۵۹۶ شخصية وقد فرغ من تأليف الكتاب عام ۱۲۱۳هـ

ثم إنّ النسابة المعروف اليمنى محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة، ذيّله بملحق، أتى فيه بترجمة ۴۴۰ شخصية من مشاهير اليمن لكن على وجه الاختصار، وقد ترجم من عثر عليه من تراجم من بعد القرن السابع إلى أثناء القرن الثانى عشر من رجال اليمن الميمون، ولم يسجّل فيه تراجم الرجال الذين ذكروا فى كتاب «نيل الأوطار من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث» ألّفه فى القاهرة عام ۱۳۴۸ هـ شكر اللّه مساعيه_____.

(۱) الشوكانى: البدر الطالع: ۱|۲.

(۴۵۲) (۴۵۳)

الفصل الثامن فرق الزيدية فى كتب تاريخ العقائد

الفصل الثامن فرق الزيدية فى كتب تاريخ العقائد قد ذكر مؤرخو العقائد، للزيدية فرقاً بين مقتصر على الثلاثة، وإلى مفيض إلى ستة، وثمانية، وإليك نصوصهم حسب التسلسل الزمنى فى التأليف:

۱ ـ قال الأشعرى: «والزيدية» ست فرق:

فمنهم: الجارودية: أصحاب «أبى الجارود» وإنّما سمّوا «جارودية» لأنّهم قالوا بقول: «أبى الجارود» يزعمون أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على على بن أبى طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده وأنّ الناس ضلّوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم «الحسن» من بعد على هو الإمام ثم «الحسين» هو الإمام من بعد الحسن.

وافترقت الجارودية فرقتين: فرقة زعمت أنّ علياً نصّ على إمامة «الحسن» وأنّ الحسن نص على إمامة «الحسين» ثم هى شورى فى ولد الحسن وولد الحسين فمن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربّه وكان عالماً فاضلاً فهو الإمام، وفرقة زعمت أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نص على «الحسن» بعد على وعلى «الحسين» بعد الحسن ليقوم واحد بعد واحد.

وافترقت الجارودية فى نوع آخر ثلاث فرق: فزعمت فرقة أنّ «محمد بن عبد اللّه بن الحسن» لم يمت وأنّه يخرج ويغلب، وفرقة أُخرى زعمت أنّ «محمد

(۴۵۴)

بن القاسم» صاحب الطالقان حى لم يمت وأنّه يخرج ويغلب، وفرقة قالت مثل ذلك «يحيى بن عمر» صاحب الكوفة.

والفرقة الثانية من الزيدية، «السليمانية»: أصحاب «سليمان بن جرير الزيدى» يزعمون أنّ الإمامة شورى وانّها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وانّها قد تصلح فى المفضول وإن كان الفاضل أفضل فى كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين أبى بكر وعمر.

وحكى «زرقان» عن سليمان بن جرير أنّه كان يزعم أنّ بيعة أبى بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل، وانّ

الاَمّة قد تركت الاَصلح فى بيعتهم أياهما، وكان سليمان بن جرير يقدم على عثمان ويكفره عند الاَحداث التى نقمت عليه، ويزعم أنّه قد ثبت عنده أنّ على بن أبى طالب لايضل ولاتقوم عليه شهادة عادلة بضلالة، ولايوجب علم هذه النكتة على العامة إذ كان إنّما تجب هذه النكتة من طريق الروايات الصحيحة عنده.

والفرقة الثالثة: من الزيدية: «البترية»: أصحاب «الحسن بن صالح بن حى» وأصحاب «كثير النواء» وإنّما سمّوا «بترية» لاَنّ «كثيراً» كان يلقب بالاَبتر، يزعمون أنّ علياً أفضل الناس بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأولاهم بالاِمامة، وأنّ بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ، لاَنّ علياً ترك ذلك لهما، ويقفون فى عثمان وفى قتلته ولايقدمون عليه بإكفار، وينكرون رجعة الاَموات إلى الدنيا، ولايرون لعلى إمامة إلاّ حين بويع، وقد حكى أنّ «الحسن بن صالح بن حى» كان يتبرّأ من عثمان رضوان اللّه عليه بعد الاَحداث التى نقمت عليه.

والفرقة الرابعة من الزيدية: «النعيمية»: أصحاب «نعيم بن اليمان» يزعمون أنّ علياً كان مستحقاً للاِمامة وأنّه أفضل الناس بعد رسول اللّه ـصلى الله عليه وآله وسلم، ـ وأنّ الاُمّة ليست بمخطئة خطأ أثم فى أن ولّت أبا بكر وعمر رضوان اللّه

(۴۵۵)

تعالى عليهما، ولكنها مخطئة خطأ بيّناً فى ترك الاَفضل وتبرّأوا من عثمان ومن محارب على وشهدوا عليه بالكفر.

والفرقة الخامسة من الزيدية: يتبرّأون من أبى بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الاَموات قبل يوم القيامة.

والفرقة السادسة من الزيدية: يتولّون أبا بكر وعمر، ولايتبرّأون ممن برىء منهما، وينكرون رجعة الاَموات ويتبرّأون ممن دان بها وهم «اليعقوبية» أصحاب رجل يدعى «يعقوب» (۱)

* * *

۲ ـ قال المسعودى: إنّ الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق: أوّلها الفرقة المعروفة بـ«الجارودية» وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى، وذهبوا إلى أنّ الاِمامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما، ثم الفرقة الثانية المعروفة بـ«المرئية»، ثم الفرقة الثالثة المعروفة بـ«الاَبرقية»، ثم الفرقة الرابعة المعروفة بـ«اليعقوبية» وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى. ثم الفرقة الخامسة المعروفة بـ«العقبية» ثم الفرقة السادسة المعروفة بـ«الاَبترية» وهم أصحاب كثير الاَبتر والحسن بن صالح بن حى. ثم الفرقة السابعة المعروفة بـ«الجريرية » وهم أصحاب سليمان بن جرير. ثم الفرقة الثامنة المعروفة بـ«اليمانية» وهم أصحاب محمد بن يمان الكوفى، وقد زاد هوَلاء فى المذاهب وفرّعوا مذاهب على ما سلف من اُصولهم (۲)

۳ ـ قال نشوان الحميرى: افترقت الزيدية ثلاث فرق: بترية وجريرية_____

(۱) الاَشعرى: مذاهب الاِسلاميين: ۶۶ ـ ۶۹.

(۲) المسعودى: مروج الذهب: ۲|۱۸۳.

(۴۵۶)

وجارودية. فقالت البترية: إنّ علياً ـ عليه السلام ـ كان أفضل الناس بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأولاهم بالاِمامة، وأنّ بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ، لاَنّ علياً ـ عليه السلام ـ سلم لهما ذلك، بمنزلة رجل كان له حقّ على رجل فتركه له، ووقفت فى أمر عثمان، وشهدت بالكفر على من حارب علياً، وسمّوا البترية، لاَنّهم نسبوا إلى كثير النواء، وكان المغيرة بن سعيد يلقب كثيراً بـ«الاَبتر».

وقالت الجريرية: إنّ علياً كان الاِمام بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنّ بيعة أبى بكر وعمر كانت خطأ لا يستحق عليه اسم الكفر، ولا ـ اسم الفسوق، وأنّ الاُمّة قد تركت الاَصلح، وبرئت من عثمان سبب أحداثه، وشهدت عليه وعلى من حارب علياً بالكفر.

وقالت الجارودیة: إنّ رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ نصّ علی علی ـ علیه السلام ـ بالإشارة والوصف دون التسمیة والتعیین، وإنّه أشار إلیه ووصفه بالصفات التی لم توجد إلّا فیه، وإنّ الأُمّة ضلت وکفرت بصرفها الأمر إلی غیره، وإنّ رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ نصّ علی الحسن والحسین ـ علیهما السلام ـ بمثل نصّه علی علی، ثم إنّ الإمام بعد هؤلاء الثلاثة لیس بمنصوص علیه، ولکن الإمامة شوری بین الأفاضل من ولد الحسن والحسین، فمن شهر منهم سیفه ودعا إلی سبیل ربّه وباین الظالمین، وکان صحیح النسب من هذین البطنین، وکان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام.

وافترقت الجارودیة فی نوع آخر ثلاث فرق:

أ ـ فرقة زعمت أنّ محمد بن عبد اللّه النفس الزکیة بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب لم یمت ولا یموت، حتی یملأ الأرض عدلاً، وأنّه القائم المهدی المنتظر عندهم، وکان محمد بن عبد اللّه خرج علی المنصور فقتل بالمدینة.

ب ـ وفرقة زعمت أنّ محمد بن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن

(۴۵۷)

الحسین ابن علی بن أبی طالب، حی لم یمت ولا یموت، حتی یملأ الأرض عدلاً، وأنّه المهدی المنتظر عندهم، وکان محمد بن القاسم هذا خرج علی المعتصم بالطالقان فأسره المعتصم، فلم یدر بعد ذلک کیف خبره.

وفرقة زعمت أنّ یحیی بن عمر بن یحیی بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب حی لم یمت، وأنّه القائم المنتظر عندهم، ولایموت حتی یملأ الأرض عدلاً، وکان یحیی بن عمر هذا خرج علی المستعین، فقتل بالکوفة. هذه روایة أبی القاسم البلخی عن الزیدیة، ولیس بالیمن من فرق الزیدیة غیر الجارودیة، وهم بصنعاء وصعدة وما یلیهما (۱)

دراسة حول فرق الزیدیة :

قد تعرفت علی کلمات المؤرّخین فی فرق الزیدیة، فهی بین ما یحصرهم فی ثلاث، إلی آخر یعدهم ست فرق، إلی ثالث یحسبهم ثمانی فرق، وهذا الاختلاف یکشف عن وجود غیوم تُلبِّد سماء الواقع، ولکن الذی یهمنا هنا، مسألة أُخری، أنّ هذه الفرق، کلها قد بادت وذهبت أدراج الریاح مع بقاء الزیدیة فی الیمن، والذی یمیز الزیدیة عن سائر الفرق الإسلامیة لیس شیء مما ورد فی عقائد هذه الفرق وإنّما هو عبارة عن القول بإمامة زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه ووجوب الخروج ـ الثورة ـ علی الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة مع القول بتفضیل علی کرم اللّه وجهه وأولویته بالإمامة وقصرها من بعده فی البطنین الحسن والحسین (۲_____)

(۱) نشوان الحمیری: الحور العین: ۱۵۵.

(۲) علی بن عبد الکریم الفضیل شرف الدین: الزیدیة نظریة وتطبیق: ۱۱ المطبوع عام ۱۴۰۵ هـ ط. عمان.

(۴۵۸)

ولایوجد الیوم فی الیمن بین الزیدیة من المفاهیم الکلامیة المنسوبة إلی الفرق کالجارودیة، أو السلیمانیة، أو البتریة أو الصالحیة، إلّا مفهوم واحد، وهو المفهوم العام الذی تعرفت علیه وهو القول بإمامة زید والخروج علی وجه الظلمة واستمرار الإمامة فی بطن الحسنین، وأنّها بالطلب والفضل وأمّا أسماء تلک الفرق والعقائد المنسوب إلیهم فلا توجد الیوم إلّا فی بطون الکتب والمؤلّفات فی الفرق الإسلامیة کالملل والنحل ونحوها.

فإذا کانت الحال فی الیمن کما ذکره الفضیل شرف الدین فالبحث عن هذه الفرق من ناحیة إیجابیاتها وسلبیاتها لیس مهماً بعد ما أبادهم الدهر، وإنّما اللازم دراسة المفهوم الجامع بین فرقهم، نعم هناک أمرین هامین یجب التنبیه علیهما:

۱ ـ فی تسمیتهم بالزیدیة:

إنّ مؤرخی العقائد یسمّونهم بالزیدیة شأنهم شأن سائر الفرق التابعة لإمامها من غیر فرق بین کونه إماماً فی الأُصول والعقائد کالشیخ

الاَشعرى، أو إماماً فى الفقه والاَحكام كالحنفى والشافعى، فتصور لنا هذه التسمية (الزيدية) أنّ هذه الفرق تلقّت أُصولها وفروعها من إمامهم زيد الشهيد، كما أخذت الاَشاعرة أُصولها من الشيخ الاَشعرى، والحنفية من إمامها أبى حنيفة.

ولكن هذه التسمية بهذا المفاد خاطئة جداً، لاَنّه لم تكن لزيد عقيدة خاصة فى المسائل الكلامية حتى يكون أتباعه عيالاً له فى هذا المجال، كما أنّه لم يكن له كتاب فقهى استدلالى حتى يرجع المقلِّدون، إليه فى الفروع.

نعم إنّ الثابت عن زيد الشهيد، أنّه كان يقول بالتوحيد والعدل شأن كل علوى يقتفى أثر الاِمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام.ـ فليس القول بهذين الاَصلين دليلاً على أنّهم اقتفوا زيداً فى هذين الاَصلين.

(۴۵۹)

كما أنّ الثابت عنه فى مجال الفقه يعود إلى المسند الذى تعرفت عليه، وهو لا يتجاوز عن نقل أحاديث فقهية، ولا يعلم منه مدى فقاهته واستطاعته فى استخراج الفروع من الاُصول، وعلى فرض التسليم بذلك فالفقهاء المعروفون بالزيدية ابتداء من الاِمام أحمد بن عيسى، إلى الاِمام القاسم الرسّى، إلى الاِمام يحيى الهادى، إلى الناصر الاَطروش، حتى تصل النوبة إلى الاِمام المجتهد يحيى بن حمزة والاِمام المهدى بن المرتضى موَلّف «البحر الزخار» إلى غيرهم من فقهاء كبار، فهوَلاء لم يعلم من أحوالهم أنّهم اعتمدوا فى فتاواهم على فتوى إمام مذهبهم زيد، بل المعلوم خلافه، فإنّ الفقه المعروف بالفقه الزيدى إنّما وصل إلى ما وصل من السعة نتيجة جهد هوَلاء الفقهاء الكبار، فهذا الفقه عطاء بحوثهم الشخصية التى ليس لها صلة بزيد.

ويوَيد ذلك: إنّ المذهب الزيدى يحرم التقليد على كل متمكن من أخذ الحكم من كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو غيرهما من الاَدلّة الشرعية، ولايبيحه فى الفروع إلاّ لغير المتمكن من الاجتهاد، لقوله تعالى": فَاسأَلُوا أهلَ الذِّكْرِ إنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون ("النحل ـ ۴۳) (۱)

فإذا كان الاَمر كذلك فالعطاء الموجود فى الفقه الزيدى وأُصوله يرجع إلى رجال المذهب الزيدى على اختلاف طبقاتهم، وهم بين إمام فى المذهب كالاِمام القاسم بن إبراهيم المتوفى عام ۲۴۲ هـ وحفيده الاِمام الهادى يحيى بن الحسين المتوفى عام ۲۹۸هـ والاِمام الناصر الاَطروش الحسن بن على المتوفى عام ۳۰۴هـ_____ـ

(۱) على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ۱۱.

(۴۶۰)

إلى مخرّج للمذهب وهم الذين استخرجوا من كلام الاَئمة أو احتجاجاتهم أحكاماً لاتتعارض مع الكتاب والسنة ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلاّمة محمد بن منصور المردى المتوفى حوالى عام ۲۹۰هـ

۲ـ العلاّمة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ۳۵۳هـ

۳ـ العلاّمة أحمد بن الحسين بن هارون الحسنى المتوفى عام ۴۱۶هـ

۴ـ العلامة أبو طالب يحيى بن الحسين بن هرون الحسنى المتوفى سنة ۴۲۴هـ

إلى محصّل، وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الاَئمة وما استخرج منها، ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة لموَلفاتهم، منهم:

العلاّمة القاضى زيد بن محمد الكلاوى الجيلى الملقب بحافظ أقوال العترة.

وسيأتى تفصيل طبقات رجال المذهب الزيدى فى خاتمة المطاف ضمن الاَمر الثامن (۱)

فإذا كان المذهب الزيدى قد نضج فى هذه الاَعصار وتبلور فى ظل جهود هوَلاء الفطاحل الاَعلام، فهو عطاء علمائهم ومفكّريهم فى الكتاب والسنّة وسائر القواعد الاجتهادية، ولا يمت إلى إمامهم زيد بصلة.

فعلى ذلك، فإنّ هوَلاء فى فقههم قبل كونهم زيديين، رسّيون، انتساباً إلى الاِمام الاَوّل القاسم بن إبراهيم، وهادويون انتساباً إلى الاِمام الثانى يحيى بن الحسين، أو ناصريّون انتساباً إلى الاِمام الناصر الاَطروش الحسن بن على.

وممن يدعم تلك الفكرة عالم اليمن الحالى السيد مجد الدين الموَيدى فى تقديمه على كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق» يقول: فأمّا المذهب الفقهى المعروف المتداول بين أهل الفقه فى اليمن فليس المراد به المذهب الزيدى كما يتوهم ولا مذهب جملة أهل البيت، بل المراد به فى الاَصل كما نص عليه الاَعلام المحقّقون قواعد وأُصول أخذوها من أقوال الاِمام القاسم بن إبراهيم وأولاده وحفيده الهادى_____

(۱) لاحظ ص ۵۲۴.

(۴۶۱)

إلى الحقّ وولديه المرتضى والناصر عليهم السلام نصاً أو تخريجاً، ثم توسعوا فى ذلك فصاروا يذهِّبون على ما ترجح عندهم على مقتضى تلك القواعد وإن خالف نصّ الاِمام الهادى إلى الحقّ _ عليه السلام ، _ الذى هو إمام المذهب على التحقيق فضلاً عن غيره، ولهذا رجّح كثير من الاَئمة الاَعلام للمتابع أن يأخذ بالنص ويترك التخريج المخالف له ومنهم الاِمام المجدد للدين المنصور باللّه القاسم بن محمد فإنّه ضعف التخاريج غاية التضعيف وبسط القول فى ذلك بما فيه الكفاية فى كتابه الاِرشاد وكذا غيره من الاَئمة_ عليهم السلام (_ ۱)

والذى يثبت أنّ المذهب الزيدى حصيلة التفكير الحرّ فى الكتاب والسنّة ولايمت إلى الاِمام زيد، هو وجود الاجتهاد وعدم غلق بابه خلال العصور المتقدمة، من دون أن يتخذوا آراء الاِمام الواحد حقاً غير قابل للخدش كما عليه الاَحناف والشوافع والحنابلة والمالكية.

يقول الفضيل شرف الدين: العلم المميز للمذهب الزيدى على امتداد التاريخ الاِسلامى هو التجديد المستمر دون التقيد باجتهاد فرد واحد من أئمته أو علمائه أو التمحور الفكرى حول ما توصلوا إليه من اجتهادات. فإنّ المطّلع المتتبع لتاريخ الفكر الزيدى يعلم بأنّه بقى منفتحاً على جميع المذاهب الاِسلامية المعتبرة يأخذ منها ماله أساس ومستند من كتاب اللّه والصحيح من سنّة رسول اللّه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ دونما تعصب، أو جمود، أو انغلاق، بل أنّ من قواعد المذهب عدم جواز التقليد عند المتمكنين من العلماء القادرين على استنباط الاَحكام من الكتاب والسنّة. وبذلك بقى المذهب وعلماوَه روّاد تجديد وإصلاح يعملون لاِيجاد حلول لمختلف قضايا الحياة المتجدّدة فى كل العصور إيماناً منهم بأنّ الدين الاِسلامى الحنيف الذى أُنزل على خاتم الاَنبياء _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ليبلّغه إلى البشرية جمعاء هذا الدين قد_____

(۱) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيق |و ـ ز .

(۴۶۲)

جاء واسعاً رحباً ليستوعب مختلف قضايا البشرية فى مختلف المجتمعات والعصور ويضع لها الحلول الاِيجابية الناجعة، وإلاّ لما كان القرآن آخر الكتب السماوية المنزلة، ولما كان محمد خاتم الرسل والاَنبياء وآخرهم حتى قيام الساعة (۱)

فإذا كان هذا هو الطابع الاَوّل للمذهب الزيدى فمن المستحيل نسبه إلى الاِمام الثائر زيد الشهيد الذى لم ترث منه الزيدية إلاّ بضع أحاديث من غير تحليل.

والكلام الحقّ إنّ الزيدى عبارة عن من يقول بالعدل والتوحيد وإمامة زيد ابن على بعد الاَئمة، الثلاثة على والسبطين _ عليهم السلام _ووجوب الخروج على الظلمة، واستحقاق الاِمامة بالفضل والطلب، هذا هو العنصر المقوم فى كون الرجل زيدياً، وأما سوى ذلك مما يوجد فى كتبهم فهو عطاء علمائهم المفكرين طيلة القرون.

وهناك من أعلام الزيدية من يصرّ على خلاف تلك النظرية، فيرى أنّ إطلاق اسم الزيدية على أتباع الاِمام زيد يرجع إليه مستدلاً بقول الاِمام محمد بن عبد اللّه النفس الزكية: «أما واللّه لقد أحيا زيد بن على ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عموداً إذا اعوجّ ولم

ننحو إلاّ أثره ولم نقتبس إلاّ من نوره» (۲)

يلاحظ عليه: أنّ النص لا يـدلّ على وجود التسـمية، كما لا يدل على أنّ هناك منهجاً كلامياً أو فقهياً لزيد الثائر، وإنّما يدلّ على اتباع أثره فى أصل واحد وهو الثورة على الظالمين لِاحياء ما اندثر من السـنن، ونحن بدورنا نجلّ زيد الشـهيد عن أن يفرق وحدة المسلمين وبالاَخص شـيعة جـده أمير المؤمنين ويقسـمهم إلى زيـدى وغير زيـدى فيوسع الصدع بدل رأبه، قال سـبحانه": قُلْ هُوَ القَادِرُ على أن

---

(۱) الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق|أ.

(۲) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيق|د.

(۴۶۳)

يَبعَثَ عَلَيكُمْ عَـذاباً مِن فَـوْقِكُم أوْ مِنَ تَحتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَـكُمْ شِـيَعاً وَيُـذِيقَ بَعْضَـكُم بَـأسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيفَ نُصَـرِّفُ الآيـاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُون ("الاَنعام ـ ۶۵) .

وفى نهاية المطاف إنّى أُرجح قول من يقول إنّ هذه النسبة لم يطلقها الِامام زيد على أتباعه ولا أطلقها فى البداية أتباعه على أنفسهم، ولما جاء الثائرون بعـد زيد، ناهجين منهجه، صارت اللفظة إشارة لمن يسـلك مسـلكه فى مجال الخروج على الظلمة وإنقاذ المسـلمين من كابوس الاُمويين أو العباسـيين، من دون أن يكون فيه دلالـة على مـذهب كلامى أو فقهى. وعلى ذلك فالزيدية شـعار حرية وعزة وكرامـة، وجهـاد وتضـحية فى سبيل اللّه وليس شـعاراً لمـذهب خاص سوى ما عرفت من الِايمان بإمامـة الِامام على وسـبطيه ـ عليهم السلام. * * * ـ

الفصل التاسع فى عقائد الزيدية

الفصل التاسع فى عقائد الزيدية قد ساقنا الغور فى حياة زيد الثائر الشهيد، إلى الحكم بأنّه لم يكن صاحب منهج كلامى، ولا فقهىّ فلو كان يقول بالعـدل والتوحيد، ويكافح الجبر والتشبيه، فلاَجل أنّه ورثهما عن أبيه وجده عن على ـ عليهم السـلام ـ وإن كان يفتى فى مورد أو موارد فقـد كان يصـدر عن الحديث الذى يرويه عن الرسول الاَعظم عن طريق آبائه الطاهرين وهذا المقدار من المؤهلات لا يصيّر الِانسان، من أصحاب المناهج فى علمى الكلام والفقه.

نعم جـاء بعـد زيـد، مفكرون وعـاة، وهم بين دعـاة للمـذهب، أو بنـاة للدولـة فى اليمن وطبرسـتان، فسـاهموا فى إرساء مـذهب باسـم المذهب الزيدىّ، متفتحين فى الاُصول والعقائد مع المعتزلة، وفى الفقه وكيفية الاستنباط مع الحنفية، ولكن الصلة بين ما كان عليه زيد الشهيد فى الاُصول والفروع وما أرسوه هؤلاء فى مجالى العقيدة والشريعة منقطعة إلاّ فى القليل منهما.

أين زيـد ربيب البيت العلوىّ، من القول بالاُصول الخمسـة التى تبناهـا واصـل بن عطـاء وعمرو بن عبيـد، ومن جاء بعـدهما من أعلام المعتزلة، حتى صارت مندسّة فى مذهب الزيدية، بلا زيادة ونقيصة إلى يومنا هذا؟

أين زيد الذى انتهل من المعين العذب العلوىّ الذى رفض العمل بالقياس والاسـتحسان، من القول بأنّهما من مصادر التشريع الِاسلامى كما عليه المذهب

(۴۶۶)

الفقهى للزيدية؟

ومن ألمّ بحيـاة أئمـة أهـل البيت ابتـداءً بالِامام على ـ عليه السـلام ـ وانتهاءً إلى حياة الاَئمـة كالصادقين والكاظم والرضا، يقف على أنهم ـ عليهم السـلام ـ فى منتـأى من القول بهـذا وذاك، كيف وكـان النزاع بينهم وبين مشايـخ المعتزلـة قائمـاً على قـدم وساق وقد حفظت كتب الحـديث والسير، لفيفاً منها، وكان الرفض للقياس والاسـتحسان والظنون التى ما أُنزل بها من سـلطان، شـعار مذهبهم، به

كانوا يُعرفون وبه كانوا يمُيزون لكن ـ للَاسف ـ نجد دخول هذه العناصر فى مذهب الزيدية الذى ينتمى إلى أئمة أهل البيت، علىّ ـ عليه السلام ـ ومن بعده.

اتفقت الأُمّة الإسلامية ولا سيما الإمامية والزيدية على أنّ الرسول أوصى بالتمسك بالثقلين وأنّه لا يعدل بهما إلى غيرهما، وشبّه الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أهل بيته بسفينة وقال: «مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وبالتالى أمر بركوبها فى تمام الطريق، ولايشك أحد فى أنّ الباقرين والكاظمين من أئمة أهل البيت، ومع ذلك فقد فارقت الزيدية هوَلاء فى حياتهم العلمية والعملية وبالتالى اقتدوا ببعض الأئمة دون البعض الآخر، وركبوا السفينة فى بعض الطريق لا فى جميعها وصار هذا وذاك سبباً لحدوث شقة كبيرة بين المذهب الزيدى، وماكان عليه متأخرو أئمة أهل البيت الذى وعاه عنهم شيعتهم من عصر الإمام على إلى آخر الأئمة الاثنى عشر ـ عليهم السلام، ـ واشتهر باسم المذهب الإمامى.

ولا أُغالى إذا قلت: إنّ المذهب الزيدى مذهب ممزوج ومنتزع من مذاهب مختلفة فى مجالى العقيدة والشريعة ساقتهم إلى ذلك، الظروف السائدة عليهم وصار مطبوعاً بطابع مذهب زيد، و إن لم يكن له صلة بزيد إلّا فى القسم القليل.

ومن ثم التقت الزيدية فى العدل والتوحيد، مع شيعة أهل البيت جميعاً، إذ

(۴۶۷)

شعارهم فى جميع الظروف والأدوار، رفض الجبر، والتشبيه، والجميع فى التديّن بذينك الأصلين عيال على الإمام على بن أبى طالب ـعليه السلام.ـ

كما أنّهم التقوا فى الأُصول الثلاثة:

۱ ـ الوعد والوعيد.

۲ ـ المنزلة بين المنزلتين.

۳ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

مع المعتزلة حيث أدخلوا هذه الأُصول فى مذهبهم، وحكموا بخلود مرتكب الكبيرة فى النار إذا مات بلا توبة، وحرمانه من الشفاعة لأنّها للعدول دون الفساق، فهى إذاً بمعنى ترفيع الدرجة لا الحط من الذنوب كل ذلك أخذاً بالأصل الأوّل، كما جعلوا الفاسق، فى منزلة بين المنزلتين فهو عندهم لا ـ مؤمن ولا ـ كافر بل هو فاسق، أخذاً بالأصل الثانى، ولكنّهم تخبّطوا فى الأصل الثالث وزعموا أنّه أصل مختص بالمعتزلة والزيدية، مع أنّ الإمامية يشاركونهم فى هذه الأُصول عند اجتماع الشرائط، أى وجود دولة إسلامية يرأسها الإمام المعصوم أو النائب عنه بإسم الفقيه العادل.

إنّ الزيدية التقت فى القول بحجّية القياس والاستحسان والإجماع بما هو هو، دون كونه كاشفاً عن قول المعصوم، وحجية قول الصحابى وفعله، مع أهل السنّة ولذلك صاروا أكثر فرق الشيعة اعتدالاً ـ عند أهل السنّة ـ وميلاً إلى التفتح معهم.

ولكنّ العلامة الفارقة والنقطة الشاخصة التى تميز هذا المذهب عما سواه من المذاهب، ويسوقهم إلى التفتح مع الإمامية والإسماعيلية هو القول بإمامة على والحسنين بالنص الجلى أو الخفى عن النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

(۴۶۸)

والقول بأنّ تقدم غيرهم عليهم كان خطأ وباطلاً.

هذا هو واقع المذاهب، وعموده الفقرى، فقد أخذوا من كل مذهب ضغثاً.

نعم كانت عناية مشايخ الزيدية فى العصور الأوّلية، بالنقل عن الصادقين والأخذ بقولهما أكثر من الذين جاءوا بعدهم. وهذا أحمد بن عيسى بن زيد، مؤلف الأمالى فقد أكثر فيها النقل عنهما وعن غيرهما من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، ولكن أين هو من البحر الزخار لابن المرتضى (۷۶۴ ـ ۸۴۰هـ) أو سبل السلام للأمير محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى (۱۰۵۹ ـ ۱۱۸۲هـ) أو الروض

النضير للسباعى، أو نيل الأوطار فى شرح منتقى الأخبار للشوكانى (۱۱۷۳ ـ ۱۲۵۰هـ) ، فإنهم لايصدرون فى عامة المسائل إلّا ما شذ، إلّا عما يصدر عنه فقهاء أهل السنة، فالمصادر الحديثية هى الصحاح والمسانيد، والحجج الفقهية بعد الكتاب والسنّة، هى القياس والاستحسان، وكأنّه لم يكن هنا باقر ولا صادق، ولاكاظم ولا رضا ـ عليهم السلام ـ ونسوا وتناسوا مقاماتهم وعلومهم.

نحن نأتى فى هذه العجالة بأُصول عقائدهم مستندين إلى ما ألفه الإمام المرتضى فى مقدمة البحر الزخار، مقتصرين على الروَوس دون الشعب المتفرقة منها. وفى هذه القائمة لعقائدهم يتجلى مدى انتمائهم، للمعتزلة أو للسنّة والشيعة، والنص لابن المرتضى بتلخيص منّا.

۱ ـ صفاته عين ذاته، ويستحق بها صفاته لذاته لا لمعان (زائدة) خلافاً للأشعرية حيث يقول: «لمعان قديمة بذاته ليست إياه ولا بعضه ولا غيره».

وقد أشار بذلك إلى المعانى الزائدة التى أثبتها الأشعرى وهى ثمانية مجموعة فى قول بعضهم:

حياة، وعلم، وقدرة، وإرادة * كلام وإبصار وسمع مع البقاء

۲ ـ لا يُرى سبحانه، ولا يجوز عليه الروَية وإلّا لرأيناه الآن لارتفاع الموانع

(۴۶۹)

الثمانية (۱). ولا اختص بجهة يتصل بها الشعاع.

۳ ـ ليس بذى ماهية: وعليه المعتزلة والزيدية وأكثر الخوارج والمرجئة.

۴ ـ حسن الأشياء وقبحها عقليان، وأكثر الزيدية على أنّه يقبح الشىء لوقوعه على وجه من كونه ظلماً أو كذباً أو مفسدة إذ متى علمناه كذلك، علمنا قبحه.

۵ ـ مريد بإرادة حادثة: هو سبحانه مريد بإرادة حادثة. خلافاً للكلابية والأشعرية حيث قالوا بإرادة قديمة، وقالت النجارية بإرادة نفس ذاته، قلنا: إذاً للزم إيجاده جميع المرادات، إذ لا اختصاص لذاته ببعضها.

۶ ـ متكلم بكلام: وكلام اللّه تعالى فعله الحروف والأصوات.

۷ ـ فعل العبد غير مخلوق فيه: وخالفت الجهمية وجعلت نسبته إلى العبد مجازاً كطال وقصر.

وقالت النجارية والكلابية وضرار، وحفص: خلق للّه وكسب للعبد، لنا وقوعه بحسب دواعيه وانتفاوَه بحسب كراهيته مستمراً بذلك يعلم تأثير الموَثر (العبد) سلمنا لزوم سقوط حسن المدح والذم، وسبّه لنفسه، تعالى اللّه عن ذلك.

۸ ـ تكليف ما لا يطاق قبيح: وكانت المجبرة لا تلتزمه حتى صرح الأشعرى بجوازه، لنا تكليف الضرير بنقط المصحف ومن لا جناح له بالطيران، معلوم قبحه ضرورة وقوله تعالى": إلّا وسعها ."

۹ ـ المعاصى ليس بقضاء اللّه.

۱۰ ـ لا يطلق على اللّه أنّه يضل الخلق.

۱۱ ـ الوعد والوعيد: وهو أصل فى كلام المعتزلة والزيدية وقد عقد ابن المرتضى باباً وفرع عليه فروعاً والغاية المتوخاة منها، الحكم بخلود المسلم الفاسق فى النار، وإن شئت قلت: خلود مرتكب الكبيرة الذى مات بلا توبة فيها_____

(۱) أشار فى التعليقة إلى الموانع الثمانية فلاحظ.

(۴۷۰)

ولم أعثر على نصّ فى كلام ابن المرتضى، ولكن صرّح به غير واحد من علمائهم ونأتى بنص العالم المعاصر الزيدى فى كتابه «الزيدية نظرية وتطبيق» قال:

أمّا الزيدية وسائر العدلية فقالوا: من مات موَمناً فهو من أصحاب الجنّة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً لم يتب فهو من أصحاب السعير خالداً فيها أبداً لقوله تعالى": ومَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أبَداً ("الجن ـ ۲۳) وقوله": وإنّ

الفُجّارَ لَفِي جَحِيم* يَصْلَوْنَها يَومَ الدِّينِ وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ ("الانفطار ـ ۱۶) وقوله تعالى": بَلى مَنْ كسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلئِكَ أصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدونَ ("البقرة ـ ۸۱) (۱)

۱۳ ـ مرتكب الكبيرة لا موَمن ولا كافر: بل فاسق وفى منزلة بين المنزلتين وهذا أحد أُصول المعتزلة لكن الزيدية أدخلوه فى الاَصل السابق الوعد والوعيد، قال ابن المرتضى:

والفاسق (مرتكب الكبيرة) ليس بكافر، خلافاً للخوارج، ولا موَمن خلافاً للمرجئة إذ هو مدح والفسق ذم فلا يجتمعان (۲)

۱۴ ـ الإمامة تجب شرعاً لا عقلاً وعليه إجماع الصحابة.

۱۵ ـ النص على إمامة علىّ والحسنين: الاَشعرية: لم ينص ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على إمام بعده، وقالت الزيدية: بل نصّ على علىّ والحسنين (۳)وقالت البكرية على أبى بكر.

۱۶ ـ عقد الإمامة: وتعقد الإمامة بالدعوة مع الكمال ولا تنعقد بالغلبة_____

(۱) على بن عبد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ۷۶ وقد أوضحنا عدم دلالة الآيات على مايرونه فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند البحث عن هذا الاَصل عند المعتزلة فلاحظ.

(۲) عزب عن المرتضى إنّما لا يجوز الجمع بين المدح والذم إذا كان المبدأ واحداً أى إذا ذمّ ومدح لاَجل ملاك واحد. دونما إذا كان المبدأ مختلفاً والحيثيات، متعددة فهو من حيث إيمانه فى القلب ممدوح ومن حيث اقترافه المعصية مذموم.

(۳) وقال محقق الكتاب: ومنها قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما » رواه الاَمير الحسين فى كتاب الشفا ورواه الاَمير الحسن بن بدر الدين فى العقد الثمين.

(۴۷۱)

خلاف الحشوية.

وأوضحه المحقّق فى هامش الكتاب وقال مع عدم المنازع فيفوز بذلك أو بأن تحصل له البيعة من الاَكثرية مع وجود المنازع، وكل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوى الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط الموَهلة له.

۱۷ ـ معدن الإمامة البطنان: الزيدية: على أنّ معدن الإمامة البطنان، للإجماع على صحتهما ولا دليل على غيرهما، وقالت الإمامية: بل أولاد الحسين وقالت الاَشعرية بل قريش.

۱۸ ـ الإمامان فى زمان واحد: أكثر الزيدية لا يصلح إمامان فى زمان فقالت الكرامية والزيدية: يصح، لنا إجماع الصحابة بعد قول الاَنصار: منّا أمير ومنكم أمير وإذا عقد لإثنين فى وقت واحد بطلا ويستأنف كنكاح ولّيين.

۱۹ ـ ومن اعتبر العقد: كفى بيعه واحد برضا أربعة من أهل الحل والعقد وقال أبو القاسم البلخى: يكفى واحد وإن لم يرض غيره، لنا لم يعقد عمر و أبو عبيدة لاَبى بكر إلاّ برضا سالم وبشير وأُسيد وبايع عبد الرحمن عثمان، برضا الباقين (۱).

۲۰ ـ الإمام بعد الرسول علىّ، ثم الحسن ثم الحسين ـ عليهم السلام ـ للاَخبار المشهورة.

۲۱ ـ القضاء فى فدك صحيح خلافاً للإمامية وبعض الزيدية. لنا: لو كان باطلاً لنقضه على ولو كان ظلماً لاَنكره بنو هاشم والمسلمون. (۲)

۲۲ ـ خطأ المتقدمين على علىّ فى الخلافة قطعى، لمخالفتهم، ولا يقطع_____

(۱) أُنظر كيف يستدل بفعل من ترك وصية الرسول حسب اعترافه على مسألة أُصولية.

(۲) ولعله لم يبلغه قول على ـ عليه السلام ـ فى فدك: «نعم قد كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عليها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم اللّه» كما تبلغه خطبة الصديقة الطاهرة حول فدك التى كان بنو هاشم يحفظونها ويعلّمونها أولادهم.

(۴۷۲)

لفسقهم إذ لم يفعلوه تمرداً بل لشبهة فلا تمنع الترضية عليهم لتقدم القطع بإيمانهم فلا يبطل بالشك فيه.

۲۳ ـ خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعي لبغيهم على إمام الحقّ.

۲۴ ـ توبة الناكثين: الأكثر أنّه قد صحت توبتهم، وقالت الإمامية وبعض الزيدية: لا.

۲۵ ـ الأكثر أنّ معاوية فاسق لبغيه، لم تثبت توبته فيجب التبرّي منه.

۲۶ ـ يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بالقول والسيف مع اجتماع الشروط قالت الحشوية: لا وقالت الإمامية: بشرط وجود الإمام لنا": وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّة ("آل عمران ـ ۱۰۴") فَقاتِلُوا الَّتى تَبْغِى ("الحجرات ـ ۱۰) .

هذه رؤوس عقائد الزيدية استخرجناها من كتاب القلائد فى تصحيح الاعتقاد، المطبوع فى مقدمة البحر الزخار ص ۵۲ ـ ۹۶ والمؤلف ممن يشار إليه بين علماء الزيدية، وهو مؤلف البحر الزخار، ومن أحد أئمة الفقه والاجتهاد فى القرن التاسع.

* * *

النص بالجلى أو الخفى على إمامة على ـ عليه السلام :ـ

إنّ كتب تاريخ العقائد طفحت بهذا العنوان، فمثلاً نقلوا بأنّ الجارودية ذهبت إلى أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على إمامة علىّ بالوصف دون النص (۱) ومعنى هذا أنّ النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد بيّن الملامح العامة للإمام، وكان على ـ عليه السلام ـ هو المصداق الوحيد لهذه الملامح_____.

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۶۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۰.

(۴۷۳)

وقال النوبختى عن الجارودية: إنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على علىّ ـ عليه السلام ـ بالوصف دون التسمية، والناس مقصرون إذا لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف (۱)

وربما يعبرون بأنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على ولاية الإمام نصاً خفياً غير جلى.

هذه الكلمات ونظائرها توجد، فى التعبير عن المذهب الجارودى فى مقام الإمامة.

وأمّا السليمانية أو الجريرية فأظهروا المرونة أكثر من الجارودية، فقد قالوا: إنّ الإمامة شورى وأنّها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأُمّة، وأجازوا إجازة المفضول وأثبتوا إمامة أبى بكر وعمر، وزعموا أنّ الأُمّة تركت الأصل فى البيعة لها، لأنّ علياً كان أولى بالإمامة منهما، إلّا أنّ الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفراً ولافسقاً(۲).

والذى أظن ـ وظنّ الألمعى صواب ـ أنّ النظرتين قد صدرتا تقية وصيانة لوجودهم بين أهل السنّة. ومع أنّ الزيدية يرفضون التقية كما سيوافيك، ولكنّهم عملوا بها حيث لا يشاؤون، فإنّهم قد عاشروا أهل السنّة فى بيئة واحدة ومجتمع واحد تربطهم أحكام واحدة، حيث رأوا أنّ التعبير عن واقع المذهب أى وجود النصّ على الاسم وإن شئت قلت: وجود النصّ الصريح يستلزم تفسيق الصحابة، وهذا لا يتلائم وطبيعة حياتهم، فلذلك جعلوا من هذا التعبير واجهة لعقيدتهم الواقعية فجمعوا ـ حسب زعمهم ـ بين العقيدة والهدف فى الحياة. كيف وأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ عن بكرة أبيهم يرون النصّ على خلافة على ـ عليه السلام ـ وهذا المميز لشيعة أئمة أهل البيت عن غيرهم. والذى يميز الشيعة عن غيرهم من الفرق هو هذا العنصر فقط، وما سوى ذلك عقائد كلامية مستخرجة

---

(۱) النوبختى: فرق الشيعة: ۷۴.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۶۸، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۲.

(۴۷۴)

من الکتاب والسنّة.

فإن کان ما ذکرناه مقبولاً ـ لدی القاریَ وإلاّ فإنّ هذا النوع من التفکیر تطرّق إلی المذهب الزیدی فی العصور السابقة عن طریق معاشرتهم مع معتزلة بغداد، الذین قالوا بأفضلیة الإمام علی ـ علیه السلام ـ وجواز تقدیم المفضول علی الفاضل.وقد مرّ تحقیق القول فی ترجمة حمزة بن عبد اللّه فلاحظ. (۴۷۵) العقد الثمین فی معرفة ربّ العالمین تألیف الأمیر الحسین بن بدر الدین محمد (۵۸۲ ـ ۶۶۲) بعد أن أخرجت عقائد الزیدیة من کتاب البحر الزخار، وقفت علی رسالة مختصرة باسم العقد الثمین فی معرفة ربّ العالمین لموَلّفه العلامة الأمیر الحسین بن بدر الدین محمد المطبوع بالیمن، نشرته دار التراث الیمنی صنعاء، و مکتبة التراث الإسلامی بصعده وهی من أوائل الکتب الدراسیة فی حقل أُصول الدین والموَلّف من أجلّ علماء الزیدیة، وأکثرهم تألیفاً وتعد کتبه من أهم الأُصول التی یعتمد علیها علماء الزیدیة ویدرسونها کمناهج (۱)وإلیک نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحیم

الحمد للّه المختصّ بصفات الإلهیة والقدم، المتعالی عن الحدوث والعدم، الذی لم یسبقه وقت ولا زمان، ولاتحویه جهة ولا مکان، جلّ سبحانه. دلّ علی ذاته بما ابتدعه من غرائب مصنوعاته، وعجائب مخلوقاته، حتی نطق صامتها بالإقرار بربوبیته بغیر مَذْوَد، وبرز مجادلاً لکل من عطّل وألحد.

وصلواته وسلامه علی سیدنا محمد الذی هو بالمعجزات موَید، وفی المرسلین مرَجّب ومسوّد، وعلی آله الغرّ الهداة، والولاة علی جمیع الولاة، وعلی_____

(۱) إقرأ ترجمته فی: تاریخ الیمن الفکری: ۳|۲۸۹ و ۳۰۸، والاعلام: ۲|۲۵۵، التحف شرح الزلف: ۱۷۸.

(۴۷۶)

صحابته المکرّمین الموَیدین، والتابعین لهم بإحسان إلی یوم الدین.

أما بعد: التوحید [الدلالة علی أن اللّه تعالی خالق العالم]

أیّها الطالب للرشاد، والهارب بنفسه عن هُوّة الإلحاد.

فإذا قیل لک: من ربک؟

فقل: ربی اللّه.

فإن قیل لک: بم عرفت ذلک؟

فقل: لأنّه خلقنی، ومن خلق شیئاً فهو ربّه.

فإن قیل لک: بمَ عرفت أنّه خلقک؟

قل: لأنّی لم أکن شیئاً ثم صرتُ شیئاً، ولم أکن قادراً ثم صرت قادراً، و [کنت] صغیراً ثم صرت کبیراً، ولم أکن عاقلاً ثم صرت عاقلاً، وشاهدت الأشیاء تحدث بعد أن لم تکن؛ فرأیت الولد یخرج ولا یعلم شیئاً، ثم یصیر رضیعاً، ثم طفلاً، ثم غُلاماً، ثم بالغاً، ثم شاباً، ثم کهلاً، ثم شیخاً. ثم رأیت نحو ذلک من هبوب الریاح بعد أن لم تکن، وسکونها بعد هبوبها، وطلوع الکواکب بعد أُفولها، وأفولها بعد طلوعها، وظهور السحاب وزواله، وکذلک المطر والنبات والثمار المختلفات. وکل ذلک دلائل الحدوث.

وإذا کانت محدَثة فلا بد لها من محدِث، لأنّها قد اشترکت فی الجسمیّة، ثم افترقت هیئاتها وصورها؛ فننظر سماءً، وأرضاً، وثماراً، وأشجاراً، وآباراً، وبحوراً، وأنهاراً، وإناثاً، وذکوراً، وأحیاءً، وأمواتاً، وجمعاً، وأشتاتاً.

(۴۷۷)

وکذلک ننظر إلی الأعراض الضروریات المعلومات، فإنّها اشترکت فی کونها أعراضاً، ثم افترقت وانقسمت بین شهوةٍ ونفرةٍ، وحیاةٍ وقدرةٍ، ویبوسةٍ ورطوبة، وطُعومٍ مکروهة ومحبوبة، وروائح شتی، وحرّ وبرد، ووجاء وفناء، وألوان متضادّة علی المحل، وموت یقطع

الرزق والاَمل.

فنعرف أنّه لابد من مخالف خالف بينها، وأحدث ماشاهدنا حدوثه منها، وأنّه غيرٌ لها، لاَنّها لاتُحدِث نفسها، إذ الشيء لايُحدثُ نفسه، لاَنّه يُؤَدّى إلى أن يكون قَبلَ نفسه، وغيراً لها، وكذلك لاتصوّر أنفسها، ولاتخالف بين هيئتها، ولايقع ذلك بشيء مما يقوله الجاهلون، من طبع أو مادّة، أو فلك، أو نجم، أو علّة، أو عقل، أو روح، أو نفس، أو غير ذلك مما يقولونه؛ لاَنّ ذلك إن كان من قبيل الموجبات لم تخلُ: أن تكون موجودة، أو معدومة. والموجودة لا تخل: أن تكون قديمة، أو محدثة. ولايجوز ثبوت ذلك لعلّة قديمة ولامعدومة، لاَنّه لو كان كما زعموا لكان يلزم وجود العالم بما فيه فى الاَزل، واستغناوَه عن تلك العلل.

ولا يجوز أن يكون ثبوت ذلك لعلّة محدثة، لاَنّها لاتخلو: إمّا أن تكون مماثلة لما تقدم [منها]، أو مخالفة [له]، إن كانت مماثلة وجب أن يكون معلولها متماثلاً، وفى علمنا باختلاف ذلك العالم دلالة على بطلان القول بأنّه عن علة مماثلة أو علل متماثلات.

ولا يجوز أن يكون لعلة مخالفة، ولا علل مخالفة، لاَنّها حينئذ تكون قد شاركت العالم فى الاختلاف؛ الذى لاَجله احتاج إليها، فيدور الكلام إلى ما لا يعقل ولا ينحصر من العلل.

فيجب الاقتصار على المحقّق المعلوم، والقضاء بأنّ الذى أحدثها وصوّرها، وخالف بينها هو الفاعل المختار، وهو الحىّ القيوم.

(۴۷۸)

فصل [فى أنّ اللّه تعالى قادر]

فإن قيل: ربّك قادر، أم غير قادر؟

فقل: بل هو قادر؛ لاَنّه أوجد هذه الاَفعال التى هى العالم، والفعل لا يصح إلاّ من قادر.

أوجده تعالى لا بمماسّة، ولا بآلة": إنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ["يس: ۸۲].

فصل [فى أنّ اللّه تعالى عالم]

فإنّ قيل: أربك عالم، أم غير عالم؟

فقل: بل هو عالم، وبرهان ذلك ما نشاهده فيما خلقه من بدائع الحكمة، وغرائب الصنعة؛ فإنّ فيها من الاِحكام والترتيب، ما يعجز عن وصفه اللبيب، [وكل ذلك لا يصح إلاّ من عالم، كما أنّ الكتابة المحكمة لا تصح إلاّ من عالم بها، وهو تعالى لا يختص بمعلوم دون معلوم، فيجب أن يعلم جميع المعلومات، على كل الوجوه التى يصح أن تعلم عليها.

وهو سبحانه يعلم ما أجنّه الليل، وأضاء عليه النهار، ويعلم عدد قطر الاَمطار، ومثاقيل البحار، ويعلم السرّ ـ وهو ما بين اثنين ـ وما هو أخفى ـ وهو ما لم يخرج من بين شفتين" ـ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُمْ ["المجادلة: ۷] بعلمه لايلاصقهم، وهو شاخص عنهم ولايفارقهم].

(۴۷۹)

فصل [فى أنّ اللّه تعالى حى]

فإن قيل: أربك حىّ، أم لا ؟

فقل: بل حىٌّ، لاَنّه تعالى لو لم يكن حيّاً لم يكن قادراً، ولا عالماً، لاَن الميّت والجماد لا يفعلان فعلاً، ولايحدثان صنعاً.

فصل [فى أنّ اللّه تعالى قديم]

فإن قيل: أربّك قديم، أم غير قديم؟

فقل: هو موجود لا أوّل لِوجوده؛ لاَنّه لو كان لوجوده أوّلٌ لكان محدَثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدِث، إلى ما لا يتناهى، وذلك محالٌ، فهو قديم، قادر، حىٌّ، عليم، لم يزل ولا يزال، ولايخرج عن ذلك فى حال من الاَحوال، لاَنّه لو لم يكن كذلك لم يكن له بدٌّ من فاعل فعله، وجاعلٍ ـ على صفات الكمال ـ جعله، أو يكون لعلّة، وقد ثبت أنّه تعالى قديم؛ فلايصح القول بشيء من ذلك.

فصل [فی أنّ اللّه تعالی سمیع بصیر]

فإن قیل: أربک سمیع بصیر؟

فقل: أجل لَانّه حیٌّ کما تقدم، ولایعتریه شیء من الآفات، لَانّ الآفات لاتجوز إلّا علی الَاجسام، وهو تعالی لیس بجسم، لَانّ الَاجسام محدَثة کما تقدم، وهو تعالی قدیم أیضاً.

(۴۸۰)

فصل [فی أنّ اللّه تعالی لایشبه الَاشیاء]

فإن قیل: أربّک مشبه الَاشیاء؟

فقل: ربّی لایشبه الَاشیاء؛ لَانّ الَاشیاء سواه: جوهرٌ، وعرَضٌ، وجسم. ولایجوز أن یکون جوهراً، ولا عرضاً؛ لَانّهما غیر حیّین ولاقادرین، وهو تعالی حیّ قادر، ولَانّهما محدَثان وهو قدیم ولا یجوز أن یکون جسماً، لَانّا قد بیّنا أنّه خالق الَاجسام، والشیء لایخلق مثله، ولَانّ الجسم موَلّف مصنوع، یفترق ویجتمع، ویسکن ویتحرّک، ویکون فی الجهات، وتسبقه الَاوقات، وکل ذلک شواهد الحدوث، وقد ثبت أنّه تعالی قدیم، فلا یجوز أن یکون محدَثاً بل لیس کمثله شیء وهو السمیع البصیر.

وإذا لم یکن جوهراً ولاجسماً ولاعرضاً لم یوصف بالکیف، ولا الَاین، ولا الحیث، ولا البین، ولا الوجه، ولا الجنب، ولا الیدین، لم یقطعه بعد، ولم یسبقه قبل، ولم یجزّئه بعضٌ، ولا جمعه کلٌّ، لیس فی الَارض ولا فی السماء، ولا حلّ فی متحیّز أصلاً، ولا حدّه فوقٌ ولاتحت، ولایمین، ولا شمال، ولا خلفٌ، ولا أمام، ولا یجوز علیه المجیء ولا الذهاب، ولا الهبوط ولا الصعود.

کان قبل خلق العالم ولا مکان، ویکون بعد فناء العالم ولا مکان، وهو خالق المکان مستغن عن المکان، وخالق الزمان فلم یتقدمه زمان، لیس بنور ولا ظلام، لَانّ جمیع ما ذکر فان فی القدم.

ولَاجل ذلک نقول: إنّه لا یجوز أن یقال: هو طویل، ولا قصیر، ولا عریض ولا عمیق، ولا شویه ولامِلیح، ولا أن یقال: هو یستر أو یغتمّ، أو یظنّ أو یهتمّ، أو یعزمُ، أو یوَلّم، أو یلتذّ أو یشتهی، أو ینفرُ، لَانّ ذلک کلّه شواهد الوجود بعد العدم، ومنافٍ لما هو علیه من صفات الکمال والعظمة والجلال.

(۴۸۱)

فصل [فی آیات الصفات]

فإن قیل: إنّه قد ذکر فی القرآن": یَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ("المائدة: ۶۴) ، وإنّ له جنباً، وعیناً، وأعیناً، ونفساً، وأیدٍ، لقوله": مِمّا عَمِلَتْهُ أَیْدِینا" [یس: ۷۱] ووجهاً.

فقل: یداه نعمتاه، ویَدُهُ قُدْرَتُه، والَایدی هی: القدرة، والقوة أیضاً.

وجنباً فی قوله تعالی": یَاحَسْرَتی عَلَی مَافَرَّطْتُ فِیْ جَنْبِ اللّه ["الزمر: ۵۶]، أی: فی طاعته.

ونفساً فی قوله تعالی": تَعْلَمُ مَا فِیْ نَفْسِی وَلاَ أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ ["المائدة: ۱۱۶]، المراد به: تعلم سرّی وغیبی، ولا أعلم سرّک وغیبک.

ووجهه: ذاته، ونفسه: ذاته، وقوله تعالی": فَثَمَّ وَجْهُ اللّه ["البقرة: ۱۱۵]، أی الجهة التی وجّهکم إلیها.

وما ذکر من العین والَاعین فالمراد به الحفظ والکَلاءَة والعلم.

وقوله": اسْتَوی عَلَی العَرْشِ ["الَاعراف: ۵۴]، استواوَه: استیلاوَه بالقدرة والسلطان، لیس کمثله شیء، ولا یشبهه میّت ولا حی.

فصل [فی أنّ اللّه تعالی غنی]

فإن قیل: أربک غنی أم لا ؟

فقل: إنّه غنیٌّ لم یزل ولا یزال، ولاتجوز علیه الحاجة فی حال من الَاحوال، لَانّ الحاجة لاتجوز إلّا علی من جازت علیه المنفعة

والمضـرة، واللّذة والاَلم، وهذه الاَمور لاتجوز إلّا على من جازت عليه الشـهوة والنفرة، وهما لا يجوزان إلّا على الاَجسام؛ فيستُرُّ الجسم بإدراك ما يشتهيه ويلتذ به، وينمو ويزداد بتناوله،

(۴۸۲)

ويغتم بإدراك ما ينفر عنه ويتضـرر به، وينقص بتناوله. وقد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم، بل هو خالق الجسم، فكيف يخلق مثل ذاته، أو تشاركه الاَجسام فی صفاته؟! بل لا يجوز عليه شیء من ذلك.

فصل [فی أنّ اللّه لا يُرى بالاَبصار]

فإن قيل: أربك يرى بالاَبصار، أم لا يرى؟

فقل: هذه مقالة باطلة عند أُولی الاَبصار، لاَنّه لو رئی فی مكان لدل ذلك على حُدُوثه، لاَنّ ما حواه محْدُودٌ محدث.

فإن قيل: إنّه يرى فی غير مكان. فهـذا لا يعقل، بل فيه نفی الروَيـة، وقـد قال تعالى": لاتُـدْرِكُهُ الاَبْصَارُ وَهُوَ يُـدْرِكُ الاَبْصَارَ ["الاَنعام: ۱۰۳]، فنفی نفياً عاماً لجميع المكلفين، و [لجميع] أوقات الدنيا والآخرة.

وقال اللّه تعالى لموسى ـ لما سأله الروَية" ـ لَنْ تَرَانِی ["الاَعراف: ۱۴۳]، ولم يسأل موسى ــ عليه السلام ــ الروَية لنفسه، بل عن سوَال قومه، كما حكاه اللّه فی قصـص قومه": فَقَـدْ سَأَلُوا مُوسَـى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوْا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ["النساء: ۱۵۳]، ولو سألها لنفسه لصـعق معهم. ولما لم يقع منه خطيئـة إلا سوَاله لهم الروَية من دون إذن، قال لربه عزّ وجلّ": أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنّا" [الاَعراف: ۱۵۵].

فصل [فی أنّ اللّه تعالى واحد]

فإن قيل: أربّك واحدٌ لا ثانی له، أم لا ؟

فقل: بلى هو واحد لا ثانی له فی الجلال، متفرد هو بصفات الكمال؛ لاَنّه لو

(۴۸۳)

كان معه إله ثان لوجب أن يشاركه فی صـفات الكمال على الحد الذی اختصّ بها، ولو كان كذلك لكان على ما قدر قادراً، ولو كان كـذلك لجاز عليهما التشاجر والتنازع، ولصح بينهما التعارض والتمانع، ولو قدّرنا هذا الجائز لاَدى إلى اجتماع الضدين من الاَفعال، أو عجز القديم عن المراد، وكل ذلك محال، تعالى عنه ذو الجلال؛ لقوله": لَوْ كَان فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللّه لَفَسَدَتا ("الاَنبياء: ۲۲) ، ولقوله عزّ قائلاً": أم جَعَلُوا للّه شُـرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَـیءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ["الرعد: ۱۶] فتبين أنّ الخلق يشـهد بإله واحد، وأنّه ليس هناك خلق ثانٍ يشـهد بإله ثان، وهذا واضح؛ فإنّ هذا العالم دليلٌ على إله واحد وهو الذی أرسل الرسل، وأوضح السبُل.

ويَدُل على ذلك قوله عزّ وجلّ": فَاعْلَمْ أَنّهُ لا إِلهَ إلاّ اللّه ["محمد: ۱۹]، وقوله": شَهِدَ اللّه أَنّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوْا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ ["آل عمران: ۱۸]، وقوله": وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِـدٌ" البقرة: ۱۶۳]، وقوله": قُلْ هُوَ اللّه أَحَدٌ ["الصـمد: ۱]. (العدل) [فصل فی أنّ اللّه تعالى عدل حكيم]

فإن قيل: أربّك عدل حكيم؟

فقل: أجل، فإنّه لا يفعل القبح ولا يُخِلُّ بالواجب من جهة الحكمة، وأفعاله كلّها حسنة.

وإنّما قلنا: إنّه لا يفعل القبيـح لاَنّه إنّما يقع ممن جهلَ قُبْحَه، أو دعته حاجة إلى فِعْلِه وإن عَلِمَ قبحَه، وهو تعالى عالم بقبح القبائح؛ لاَنّها من جملة المعلومات

(۴۸۴)

وهو عـالم بجميعهـا كمـا تقـدم، وغنیّ عن فعلهـا كمـا تقـدم أيضـاً، وعالم باسـتغنائه عنها، وكل من كان بهـذه الاَوصاف فإنّه لا يفعل

القبیح، ألا ـ ترى أنّ من مُلْکَه ألفی ألف قنْطارٍ من الـذَّهب؛ فإنّه لا یسرق الـدّانق، لعلمه بقبح السرق، وغناه عن أخذ الـدانق، وعلمه باستغنائه عنه، وکـذلک لو قیـل للعاقل: إن صـدقت أعطیناک درهماً، وإن کـذبت أعطیناک درهماً، فإنّه لا یختار الکـذب ـ فی هـذه الحال ـ علی الصدق، [وهما] علی وتیرة واحدة، وطریقة مستمرة، ولاعِلّة لذلک إلاّ ما ذکرناه.

فصل [فی أنّ أفعال العباد منهم] (۱)

فإن قیل: هل ربّک خَلَق أفعال العباد؟

فقـل: لا ـ یقول ذلک إلاّ أهل الضـلال والعناد، کیف یأمرهم بفعل ما قـد خَلَق وأمضـی، أو ینهاهم عن فعل ما قَدْ صَوَّر وقضـی، ولاَنّ الإنسان یلحقه حکم فعله من المـدح والثّناء، والذمّ والاسـتهزاء، والثواب والجزاء، فکیف یکون ذلک من العلی الاَعلی؟! ولاَنّه یحصـل بحسب قصدِه ودواعیه، وینتفی بحسب کراهته وصرفه علی طریقة واحدة، ولاَن اللّه تعالی قد أضاف أفعال العباد إلیهم، فقال: "یَکْسِبُونَ ، "و" یَمْکُرُونَ ، "و" یَفْعَلُونَ ، "و" یَصْنَعُونَ ، "و" یَکْفُرون ، "و" یَخْلُقُونَ إِفْکـاً ، "ونحو ذلـک فی القرآن کـثیر، ولکنّه تعـالی أمَرَ تخییراً، ونهی تحـذیراً، أَقـدَرَهُم علی فعل الضِّدین، وهـداهم النجـدین، ومکّنهم فی الحالین، لم یمنعهم عن فعل المعاصـی جبراً، ولا قهرهم علی فعل الطاعات قهراً_____،

(۱) التعبیر موهم للتفویض وهنا تفترق الزیدیـة عن الإمامیـة، فانّ لاَفعال العباد عند الإمامیة نسـبتین: نسـبة إلی اللّه سـبحانه، ونسـبة إلی العبد، ولاَجل وجود النسـبة، فأفعالهم منسوبة إلیهم بالمباشـرة وهم الفاعلون حقیقة، وإلی اللّه سـبحانه بنحو من النسب إمّا بالتسبیب، أو اللطف منها، ولاَجل ذلک روی عن الاَئمة ـ علیهم السلام ـ أنّه: «لا جبر ولاتفویض».

(۴۸۵)

ولو شـاء لفعـل کما قال عزّ وجلّ": وَلَوْ شَاءَ رَبُّکَ لآمَنَ مَنْ فِی الاَرْضِ جَمِیعاً ["یونس: ۹۹ج یرید به مشـیئة الإجبار لا مشیئة الاختیار، لاَنّه لو أکرههم لم یکونوا مکلّفین، ولَبَطل الغرض ببعثة المرسلین.

فصل [فی أنّ اللّه لا یعذب أحداً إلاّ بذنبه]

فإن قیل: ربّک یعذب أحداً بغیر ذنبه؟

فقل: لا یعـذب أحـداً إلاّ بـذنبه؛ لاَنّ عقاب من لا ذنب له ظلم، والظلم قبیح، وهو تعالی لا یفعل القبیح، وقد قال تعالی": وَلاَتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخری ["الاَنعام: ۱۶۴].

فصل [فی أنّ اللّه لا یقضی إلاّ بالحق] (۱)

فإن قیل: أربک یقضی بغیر الحق؟

فقل: کلاّ، بل لا یقضـی بالکفر والفساد، لما فی ذلک من مخالفة الحکمة والسداد، لقوله تعالی": وَاللّهُ یَقْضِی بِالحقِّ ["غافر: ۲۰]، فلا یجوز القول بـأنّ المعاصـی بقضـاء اللّه تعـالی وقَدَره بمعنی الخلق والاَمر، لاَنّها باطلٌ، ولاَنّ إجماع المسـلمین منعقـدٌ علی أنّ الرضـی بالمعاصـی لایجوز، وإجمـاعهم منعقـد علی أنّ الرضـا بقضـاء اللّه واجب، ولا ـ مخلص إذاً من ذلـک إلاّ بالقول بأنّ المعاصـی لیسـت

---

(۱) العنوان حسن جداً، لکن إخراج المعاصـی عن مجال قضائه وإرادته سبحانه یستلزم التفویض الممقوت، فالحق أنّ کل ما یوجد فی الکون من حسن وجمیـل، وإیمـان وکفر، وطاعـة وعصـیان، لیس خارجاً عن قضائه وعلمه وإرادته لکن علی وجه لا یسـتلزم الجبر ولا یسلب الاختیار. والتفصیل یطلب من محله.

(۴۸۶)

بقضـاء اللّه؛ بمعنی أنّه خلقهـا، ولا ـ أنّه أمر بهـا، وأمّـا أنّه تعـالی عالم بها فهو تعالی عالم بها، لاَنّها من جملـة المعلومات، وعِلْمُه بها لم یحمل العبد علی فعلها، ولم یجبره علی صنعها کما تقدم.

فصل [فی أنّ اللّه لا یکلف أحداً فوق طاقته]

فإن قیل: هل ربک یُکلّف أحداً فوق طاقته؟

فقل: لا، بل لا یکلف أحداً إلّا ما یطیق؛ لَانّ تکلیف ما لا یطاق قبیح، وهو تعالی لا یفعل القبیح، فقد قال تعالی": لَا یُکَلّفُ اللّه نَفْساً إِلّا وُسْعَهَا ["البقرة: ۲۸۶]، والوسع: دون الطّاقة، وقال": إلّا مَا آتَاهَا ["الطلاق: ۷].

فصل [فی أنّ اللّه لا یرید شیئاً من القبائح] (۱)

فإن قیل: أربک یرید شیئاً من القبائح؟

فقل: إنّه تعالی لا یرید شیئاً منها، فلا یرید الظلم، ولا یرضی الکفر، ولا یحب الفساد، لَانّ ذلک کله یرجع إلی إرادة القبیح، وإرادة القبیح هی قبیحة، وهو تعالی لا یفعل القبیح.

ألا تری أنّه لو أخبرنا مُخبرٌ ظاهرهُ العدالة، بأنّه یرید الزنا والظلم لسقطت عدالته، ونقصت منزلته، عند جمیع العقلاء، ولا علّة لذلک إلّا أنّه أتی قبیحاً، وهو إرادة القبیح.

وقد قال تعالی": وَاللّه لَا یُحِبُّ الفَسَادَ ["البقرة: ۲۰۵].

وقال": وَلَایَرْضَی لِعِبادِهِ الکُفْرَ ["الزمر: ۷۱].

وقال": ومَا اللّهُ یُرِیدُ ظُلماً للعِبادْ ["غافر: ۳۱_____].

(۱) مضی الکلام فیه فی التعلیقة السابقة.

(۴۸۷)

فصل [فی أنّ اللّه لا یفعل ما هو مفسدة]

فإن قیل: فهل ربّک یفعل لعباده ما هو مَفْسَدة؟

فقل: کلاّ بل لا یفعل إلّا الصّلاح، ولایبلوهم إلّا بما یدعوهم إلی الفلاح، سواء کان ذلک محنة أو نعمة؛ لَانّه تعالی لا یفعل إلّا الصّواب والحکمة کما تقدم، فإذا أمرضهم وابتلاهم أو امتحنهم بفوت ما أعطاهم، فلابُدّ من اعتبار المکلفین؛ لیخرج بذلک عن کونه عَبَثاً، وقد نبّه علی ذلک بقوله تعالی": أَوَ لَا یَرَوْنَ أَنَّهُمْ یُفْتَنُونَ فِی کُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَیْنِ ثُمَّ لَا هُمْ یَتُوبُونَ وَلَا هُمْ یَذَّکَّرُونَ ["التوبة: ۱۲۶]، ولابُدّ من العِوَض الموفّی علی ذلک بأضعاف مضاعفة، لیخرج بذلک عن کونه ظلماً، وقد وردَ ذلک فی السنّة کثیراً، والغَرَضُ الاختصار. (النبوة) فصل [فی معرفة النبی _ صلی الله علیه وآله وسلم]_

فإن قیل: فقد أکملت معرفة ربّک، فمن نبیک؟

فقل: محمّد _ صلی الله علیه وآله وسلم._

فإن قیل: فما برهانک علی ذلک؟

فقل: لَانّه جاء بالمعجزة عقیب ادّعائه النبوّة، وکل من کان کذلک فهو نبیّ صادق.

فإن قیل: فما برهانک علی أنّه جاء بالمعجز عقیب ادّعائه النبوّة؟

فقل: المعلوم ضرورة أنّه کان فی الدنیا قبیلةٌ تُسمّی قریش، وأن فیهم قبیلة تسمّی: بنو هاشم، وأنّه کان فیهم رجلٌ اسمه: محمد بن عبد اللّه، والمعلوم ضرورةً

(۴۸۸)

أنّه ادّعی النبوة، وأنّه جاء بالقرآن بعد ادعاء النبوة، وأنّه مشتمل علی آیات التحدّی، وأنّه کان یتلوها علی المشرکین ویسمعونها وهم النّهایة فی الفصاحة، والمعلوم ضرورةً شدّةُ عداوتهم له.

وإنّما قلنا: بأنّه معجز لَانّه تحداهم علی أنّ یأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم علی أن یأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم بأنّ یأتوا

بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك؛ لَانّهم لو قدروا على معارضته ـ مع شدّة عداوتهم له وعلمهم بأنّ معارضته بمثل ما جاء به تبطلُ دعواه ـ لما عدلوا عنها إلى الشّاقّ من محاربته، التى لا تدل على بطلان دعواه، فدلّ ذلك على كونه معجزاً.

ولاَنّ القرآن مشتمل على الإخبار بالغيوب المستقبلة، وعلى الإخبار عن الاُمور الماضية، فكان الاَمر على ما أخبر فى الماضى والمستقبل، فدَلّ ذلك على كونه معجزاً، لايقدر عليه أحد من البشر.

وله معجزات كثيرة تقارب ألف معجزة، نحو: مجيء الشجرة إليه، وجريها على الماء كالسفينة، وسير الشّجرة، وإحيائه الموتى، وتسبيح الحصى فى يده، ونحو ذلك كثير، وإنما قلنا بأنّ من كان كذلك فهو نبى صادق؛ لاَنّ إظهار المعجز على أيدى الكَذّابين قبيح، وهو تعالى لا يفعله، وإذا ثبت صدقُهُ وصحّت نبوته، وجب تصديقه فيما أخبرنا به عن الاَنبياء والمرسلين قبله، ووجب القضاء بصحة نبوتهم وتصديق رسالتهم، وهذا واضح.

فصل [فى معرفة القرآن]

فإن قيل: فما اعتقادك فى القرآن؟

فقل: اعتقادى أنّه كلام اللّه تعالى، وأنّه كلام مسموع محدثٌ مخلوق.

فإن قيل: فما دليلك على ذلك؟

(۴۸۹)

فقل، أمّا قولى: إنّه كلام اللّه تعالى، فلقوله تعالى": وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّه [" التوبة: ۶]، المعلوم أن الكلام الذى سمعه المشركون ليس بشىء غير هذا القرآن، ولاَنّ المعلوم ضرورة أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يدين ويخبر بذلك، وهو لا يدين إلاّ بالحق، ولا يخبر إلاّ بالصدق، لاَنّ ظهور المعجز على يديه قد استأمن وقوع الخطأ فيما يدين به، وظهور الكذب فيما يخبر به.

وأمّا قولى: إنّه مسموعٌ فذلك معلوم بالحسّ ولقوله تعالى": إِنّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (" الجن: ۱) والمعلوم ضرورة أنّ ذلك المسموع هذا القرآن.

وأمّا قولى: إنّه محدَثٌ؛ فلاَنّه فعل من أفعاله تعالى، والفاعل متقدم على فعله بالضّرورة، ومايتقدمه غيره فهو مُحدَث، ولاَنّ بعضه متقدم على بعض، وذلك يدل على أنّه محدَث، ولقوله تعالى": مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ[" الاَنبياء: ۲]. والذكر هو القرآن، لقوله تعالى": وإِنّهُ لَذِكْرٌ لكَ ولِقَوْمِكَ [" الزخرف: ۴۴]، أىْ شَرَفٌ لك ولقومك.

وأمّا قولى: إنّه مخلوقٌ؛ فلاَنّه مُرَتَّبٌ منظومٌ على مقدارٍ معلوم موافقٍ للمصلحة. بهذه الصِّفةِ المنزَّلة جَازَ وَصفهُ بأنّه مخلوقٌ، ولِما رواه عمر بن الخطاب، عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّه قال: «كان اللّه ولا شىء ثم خلق الذكر»، والذكر هو القرآن كما تقدم.

ثم قل: وأعتقد أنّه حقّ لا باطل فيه، لقوله تعالى": وَإِنّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ [" فصلت: ۴۱ و ۴۲].

ثم قل: وأعتقد أنّه لا تناقض فيه ولا تعارض ولا اختلاف"، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوْا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً [" النساء: ۸۲].

(۴۹۰) (الإمامة) فصل [فى إمامة الإمام على ـ عليه السلام] ـ فإن قيل: من أوّلُ الاَئمة بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ، ـ وأولى الاُمّة بالخلافة بعده بلا فصل؟

فقل: ذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين على بن أبى طالب.

فإن قيل: هذه دعوى، فما برهانك؟

فقل: الكتاب، والسنّة، وإجماع العترة.

أمّا الكتاب، فقوله تعالى": إِنّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [" المائده: ۵۵]، ولم يؤتِ الزكاةَ فى حالِ ركوعه غيرُ على ـ عليه السلام، ـ وذلك أنّ سائلاً سأل على عهد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

فى حال ركوع علىٍ فى الصلاة، وذلك فى مسجد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ فلم يعطه أحدٌ شيئاً، فأشار إليه ـ عليه السلام ـ بخاتمه وهو راكع ونواه زكاة، فأخذه السائلُ، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية على رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الحال، فكانت فى على ـ عليه السلام ـ خاصة دون غيره من الاُمّة. وهى تفيد معنى الاِمامة لاَنّ الولىّ هو: المالك للتصرّف، كما يقال هنا: ولى المرأة، وولى اليتيم، أى المالك للتصرف عليهما.

وأمّا السنّة، فخبر الغدير، وهو قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللّهمّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خَذَلَهُ»، فقال له عمر: بخ بخ لك يا ابن أبى طالب، أصبحت مولاى ومولى كل موَمن وموَمنة.

وروينا عن الموَيد باللّه بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد الباقر أنّه سُئِلَ

(۴۹۱)

عن معنى هذا الخير، فقال: سئل عنها ـ واللّه ـ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «اللّه مولاى أولى بى من نفسى لا أمر لى معه، وأنا ولى الموَمنين أولى بهم من أنفسهم لا ـ أمر لهم معى، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معى، فعلى مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه».

وإذا ثبت ذلك فإنّه يفيد معنى الاِمامة؛ لاَنّا لا نعنى بقولنا: فلان إمام إلاّ أنّه أولى بالتصرف فى الاُمّة من أنفسهم، ولاَنّ لفظ المولى لا يفهم منه [إلاّ] مالك بالتصرف، كما يقال: هذا مولى العبد، أى المالك للتصرف فيه، وهذا يفيد معنى الاِمامة كما تقدم.

ومما يدلّ على ذلك من السنّة: (خبر المنزلة) وهو معلوم كخبر الغدير، وهو قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لعلى: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لانبىّ بعدى»، فاستثنى النبوة، فدَلَّ ذلك على شموله لخصال الفضل كلها، ومن جملتها مِلْك التصرف على الاُمّة، وأنّه أولى الخلق بالتصرف منهم، وذلك معنى الاِمامة كما تقدم.

وأمّا الاِجماع فإجماع العترة منعقد على ذلك.

فصل [فى إمامة الحسنين]

فإن قيل: لمن الاِمامة بعد على ـ عليه السلام ؟ـ

فقل: هى للحسن ولده من بعده، ثم هى للحسين من بعد أخيه ـ عليهما السلام ـ

فإن قيل: فما الدليل على إمامتهما؟

فقل: الخبر المعلوم، وهو قول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما»، وهذا نصٌّ جَلِىّ على إمامتهما،

(۴۹۲)

وفيه إشارة إلى إمامة أبيهما، لاَنّه لا يكون خيراً منه إلاّ إمام شاركه فى خصال الاِمامة وزاد عليه فيها، فيكون حينئذ خيراً منه، وهذا واضح، والاِجماع منعقد على أنّه لا ولاية لهما على الاُمّة فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ ولا فى زمن على ـ عليه السلام ـ إلاّ عن أمرهما، وأنّه لا ولاية للحسين فى زمن أخيه الحسن إلاّ عن أمره، فبقيت الاِمامة مخصوصة بالاِجماع.

فصل [فى الاِمامة بعد الحسنين] (۱)

فإن قيل: لمن الاِمامة بعدهما؟

فقل: هى محصورة فى البطنين ومحظورة على من عدا أولاد السبطين، فهى لمن قام ودعا من أولاد من ينتمى نسبه من قِبَل أبيه إلى أحدهما، متى كان جامعاً لخصال الاِمامة، من: العِلْم الباهر، والفضل الظاهر، والشجاعة، والسخاء، وجودة الرأى بلا امتراء، والقوة على تدبير الاُمور، والورع المشهور.

فإن قيل: ما الذى يدل على ذلك؟

فقل: أمّا الذى يدلّ على الحصر فهو أنّ العقل يقضى بقبح الإمامة، لأنّها تقتضى التصرف فى أُمور ضارة من القتل، والصّلب، ونحوهما، وقد انعقد إجماع المسلمين على جوازها فى أولاد فاطمة _ عليها السلام، _ ولا دليل يدل على جوازها فى غيرهم، فبقى من عداهم لا يصلح، ولأنّ العترة أجمعت على أنّها لاتجوز فى غيرهم، وإجماعهم حجّة.

وأمّا الذى يدلّ على اعتبار خصال الإمامة التى ذكرنا فهو إجماع المسلمين.

فإن قيل: فسّروا لنا هذه الخصال.

فقل: أمّا العلمُ، فإنّه يكون عارفاً بتوحيد اللّه وعدله، وما يدخل تحت ذلك_____،

(۱) الإمامية قائلة بالنصّ بعدهما إلى الإمام الثانى عشر، فالمخالفة بين الطائفتين واضحة فى هذا المقام.

(۴۹۳)

وأن يكون عارفاً بأُصول الشرائع وكونها الأدلة، وهى أربعة: الكتاب، والسنّة، والإجماع، والقياس، والمراد بذلك أن يكون فهماً فى معرفة أوامر القرآن والسنّة ونواهيهما، وعامّهما، وخاصّهما، ومجملهما، ومبينهما، وناسخهما، ومنسوخهما، عارفاً بمواضع الوفاق، وطُرُق الخلاف فى فروع الفقه، لئلّا يجتهد فى مواضع الإجماع، فيتحرى فى معرفة القياس والاجتهاد، ليمكنه ردّ الفرع إلى أصله.

وأمّا الفضل، فأن يكون أشهر أهل زمانه بالزيادة على غيره فى خصال الإمامة أو كأشهرهم.

وأمّا الشجاعة، فإنّه يكون بحيث لا يجبن عن لقاء أعداء اللّه، وأن يكون رابط الجأش وإن لم يكُثُر قَتْلُه وقِتالُه.

وأمّا السخاء، فأن يكون سخياً بوضع الحقوق فى مواضعها.

وأمّا جودة الرأى، فأن يكون بالمنزلة التى يُرْجَعُ إليه عند التباس الأُمور.

وأمّا القوة على تدبير الأُمور، فلا يكون منه نقص فى عقله، ولا آفة فى جسمه، يضعف لأجل ذلك عن النظر فى أُمور الدّين وإصلاح أحوال المسلمين.

وأمّا الورع، فأن يكون كافّاً عن المقبحات، قائماً بالواجبات.

فرع [فى طريق معرفة مواصفات الإمام]

فإن قيل: فما الطريق إلى إثبات كونه على هذه الخصال؟

فقل: أمّا كونه عالماً فيحصل العلم به للعلماء بالمباحثة والمناظرة، ويحصل لغيرهم من الأتْباع العلم بكونه عالماً بوقوع الإطباق والإجماع على كونه كذلك.

وأمّا سائر الخصال فلابد من حصول العلم بكونه عليها، وإن كان غائباً، فإنّه يحصل العلم التواترى بذلك، وكذلك حكم العلم إذا كان غائباً، فإن طريق العلم به

(۴۹۴)

الأخبار المتواترة للعلماء وغيرهم، وإن كان حاضراً فلابد من حصول العلم بكونه جامعاً لها، لأنّها من أُصول الدين، فلايأخذ بالأمارات المقتضية للظن بكونه جامعاً لها.

فصل [الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر]

فإن قيل: فماذا تدين به فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

فقل: أدين اللّه تعالى أنّه يجب الأمر بالمعروف الواجب والنهى عن المنكر؛ لقوله تعالى": وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون [" آل عمران: ۱۰۴]، وإنما قلنا: إنّه يجب الأمر بالمعروف الواجب؛ لإجماع المسلمين أنّه لا يجب الأمر بالمعروف المندوب، فلم يبق إلاّ القضاء بالأمر بالمعروف الواجب مع الإمكان وإلاّ بطلت فائدة الآية،

ومعلوم خلاف ذلك، وقلنا: يجب النهى عن كل منكر لِاجماع المسلمين على ذلك؛ ولأنّ المنكرات كلها قبائح فيجب النهى عنها جميعاً مع الإمكان، كما يلزم الأمر بالمعروف الواجب مع الإمكان. (المعاد) فصل [فى الوعد والوعيد] فإن قيل: فماذا تدين به فى الوعد والوعيد؟

فقل: أدين اللّه بأنّه لابدّ من الثواب للموَمنين إذا ماتوا على الإيمان مستقيمين، ودخولهم جنات النعيم": لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ ["الحجر: ۴۸"] خَالِدِينَ فِيها أَبَداً ."

(۴۹۵)

وأدين اللّه بصحة ما وعد به من سعة الجنة، وطيب مساكنها، وسرُرها الموضوعة، ومآكلها المستلذة المستطابة، وفواكهها الكثيرة التى ليست بمقطوعة ولا ممنوعة، وأنهارها الجارية التى ليست بمستقذرة ولا آسنة، ولا متغيرة ولا آجنةٍ، وملابسها الفاخرة، وزوجاتها الحسان الطاهرة، والبهية النّاضِرة، ونحو ذلك مما بيّنه اللّه تعالى فى كتابه المجيد، وهو حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأدين اللّه تعالى أنّه لابدَّ من عقاب الكافرين فى جهنم بالعذاب الأليم، وشراب الحميم، وشجرة الزَّقُّوم طعام الأثيم، وأنّهم يخلّدون فيها أبداً، ويلبسون ثياباً من نار، وسرابيل من القَطِران، كلّما نضجت جلودُهم بدّلهم اللّه جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين.

فصل [فى أهل الكبائر]

فإنّ قيل: ماذا تدين به فى أهل الكبائر سوى أهل الكفر؟

فقل: أُسمّيهم: فُسّاقاً، ومجرمين، وطغاة، وظالمين، لِاجماع الأُمّة على تسميتهم بذلك، ولا أُسمّيهم كفاراً على الإطلاق، ولاموَمنين (۱) لفقد الدلالة على ذلك.

وأدين اللّه تعالى بأنّهم متى ماتوا مُصرّين على الكبائر فإنّهم يدخلون نار جهنم، ويخلّدون (۲)فيها أبداً، ولا يخرجون فى حال من الأحوال، لقوله تعالى_____:

(۱) عند الإمامية أنّهم موَمنون وللإيمان درجات ومراتب وقد أوضحنا الحال فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند الكلام عن الأصل الرابع للمعتزلة: المنزلة بين المنزلتين.

(۲) عند الإمامية أنّهم غير مخلدين وقد أوضحنا الحال فى الجزء الثانى عند الكلام فى الوعد والوعيد عند المعتزلة.

(۴۹۶)

"إنَّ المُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنّمَ خَالِدُونَ ["الزخرف: ۷۴]، والفاسق عاصٍ، كما أنّ الكافر عاصٍ، فيجب حمل ذلك على عمومه، إلاّ ما خصّته دلالةٌ. وقوله تعالى": : والَّذينَ لا يَدْعون مَعَ اللّهِ إلهاً آخرَ لاَ يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِى حَرَّمَ اللّه إلاّ بالحقّ وَلاَ يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ وَيَخْلُد فِيهِ مُهَاناً ["الفرقان: ۶۸ ـ ۶۹]. وإجماع العترة على ذلك، وإجماعهم حجة.

فصل [فى صفة الموَمن وما يجب فى حقّه]

فإن قيل: فمن الموَمن، وما يجب فى حقه؟

فقل: الموَمن من أتى بالواجبات، واجتنب المُقَبّحات، فمن كان كذلك؛ فإنّا نسميه: موَمناً، ومسلماً، وزكياً، وتقياً، وبراً، ووليّاً، وصالحاً، وذلك إجماع، ويجب: إجلاله، وتعظيمه، واحترامه، وتشميته، وموالاته، وموّدته، وتحرم: معاداته، وبُغضُه، وتحظر: نميمته، وغيبَتُهُ، وهو إجماع أيضاً، ومضمون ذلك أن تُحِبَّ له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وبذلك وردت السنّة.

فصل [فى صفة الكافر]

فإن قيل: فمن الكافر؟

فقل: من لم يَعْلَمْ له خالقاً، أو لم يَعْلَم شيئاً من صفاته التى يتميز بها عن غيره، من كونه قادراً لذاته، عالماً لذاته، حياً لذاته، ونحو ذلك من صفاته المتقدمة، فمن جحد شيئاً من ذلك أو شك أو قلد، أو اعتقد أنّه فى مكان دون مكان، أو أنّه

(۴۹۷)

فى كل مكان، أو شكّ فى ذلك، أو اعتقد له شريكاً أو أنّه يفعل المعاصى أو يُرِيدها، أو يَشُكّ فى شىء من ذلك، أو جحد رَسُولَ اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو ردّ ما عُلم من الدّين ضرورة باضطراب أو شك فى شىء من ذلك، فهو كافرٌ بالإجماع، ويجوز أن نسمّيه: فاجراً، وفاسقاً وطاغياً، ومارقاً، ومجرماً، وضالماً، وآثماً، وغاشماً، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة من أفعاله بلا خلاف.

وإن كان يُظهرُ الإيمان ويبطنُ الكفر، جاز أن نسميه مع ذلك: منافقاً، بالإجماع.

ومن كانت هذه حالته ـ أعنى غير المنافق ـ جاز قتله وقتاله، وحصره، وأخذ ماله، وتجب معاملته بنقيض ما ذكرنا أنّه يجب من حقّ المؤمن، وقد ذكرنا أحكامه مفصّلة فى (ثمرات الأفكار فى أحكام الكفار) . فصل [فى صفة الفاسق]

فإن قيل: فمن الفاسق وما حكمه؟

قلنا: أمّا الفاسق فهو مُرْتَكِبُ الكبائر سوى الكفر، نحو الزانى، وشارب الخمرة، والقاذف، ومن فرّ من زحف المسلمين غير متحرفٍ لقتال ولا متحيز إلى فئة، وتاركُ الجهاد بعد وجوبه عليه، وتاركُ الصلاة، والصيام، والحج، مع وجوب ذلك عليه، غيرُ مُستحلّ لتركه ولا مستخفّ، والسارق من سرق عشرة دراهم ـ أى قفلة ـ فما فوق بغير حق، ونحو ذلك من الكبائر، فمن فعل ذلك أو شيئاًمنه، فإنّه يجوز أن نسميه بالأسماء المتقدمة قبل هذه فى الكافر، إلاّ لفظ: الكافر، والمنافق، فإنّ ما عداهما إجماع أنّه يجوز تسميته به، وأمّا المنافق فلا بد من دلالة تدل على

(۴۹۸)

جواز إطلاقه عليه، وأمّا لفظ: الكافر، فمنعه كثير من العلماء، وأجاز إطلاقه جماعةٌ مع التنبيه، فقالوا: هو كافر نعمة، وهو الصحيح؛ لأنّه مروى عن على ـ عليه السلام ـ وهو إجماع العترة، ولِمُوافقة الكتاب.

وأمّا حكمه فحكم الكافر فيما تقدم إلاّ القتل والقتال، وأخذ الأموال فلا يجوز إلاّ بالحق، ولايجوز قتله على الإطلاق، وكذلك حصره فلا يجوز بحال من الأحوال. فرع [فى الفرق بين فعل اللّه وفعل العبد]

فإن قيل: ما الفرق بين فعل اللّه وبين فعل العبد؟

فقل: فعل اللّه جواهر وأعراض وأجسام، يعجز عن فعلها جملة الأنام، ومضمونه أنّ كلما وقف على قصد العبد واختياره تحقيقاً أو تقديراً فهو فعله، ومالم يكن كذا فليس بفعله. فصل [فى أنّه لا بد من الموت والفناء]

ثم قل أيُّها الطالب للنجاة: وأدين اللّه تعالى بأنّه لا بد من الموت والفناء، والإعادة بعد ذلك للحساب والجزاء، والنفخ فى الصور، وبعثرة القبور، والحشر للعرض المشهور، والإشهاد على الأعمال بغير زور، ووضع الموازين، وأخذ الكتب بالشمال واليمين، والبعث والسؤال للمكلفين، وأن ينقسموا فريق فى الجنّة وفريق فى السعير، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين، وأنّه لابد من المناصفة بين المظلومين والظالمين، لدلالة العدل بيقين.

(۴۹۹)

فصل [فى الشفاعة]

فإن قيل: ما تقول فى الشفاعة؟

فقل: أدين اللّه تعالى بثبوتها يوم الدين، وإنما تكون خاصة للمؤمنين (۱)ـ دون من مات مصرّاً من المجرمين على الكبائر ـ ليزيدهم نعيماً إلى نعيمهم، وسروراً إلى سرورهم، ولمن ورد العَرْضَ وقد استوت حسناته وسيئاته، فيشفع له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ـ ليرقى درجة أعلى من درجة غير المكلفين من الصبيان والمجانين، وإنّما قلنا: إنّه لا بد من ثبوتها، لقوله تعالى": عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ

رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ["الإسراء: ۷۹]، قيل: هو الشفاعة، وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ من كذب بالشفاعة لم ينالها يوم القيامة».

وأمّا أنّها تكون لمن ذكرناها، فلقوله تعالى": مَا لِلظّالمينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَشَفِيعٍ يُطَاعُ ["غافر: ۱۸"]، مَا لِلظّالِمينَ مِنْ أَنْصَار [" البقرة: ۲۷۰]، وقول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ ليست شفاعتى لاَهل الكبائر من أُمتى»، وقوله تعالى": وَلاَيَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى" [الأنبياء: ۲۸] كل ذلك يدلُّ على ما قلنا.

وتم بذلك ما أردنا ذكره للمسترشدين، تعرّضاً منّا لثواب ربّ العالمين، ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب. وصلّ اللّهم وسلم على محمد صفيك وخاتم أنبيائك، وعلى آله سفن النجاة آمين. وتوفنا مسلمين آمين اللّهمّ آمين.

* * *_____

(۱) أراد بالموَمنين العدول وعند الإمامية يعم العادل والفاسق وقد بينا الدليل فى الجزء الثالث عند الكلام فى الشفاعة عند المعتزلة.

وهذه المواضع الثلاثة ، هى من مواضع الاتفاق بين المعتزلة والزيدية .

(۵۰۰) مصباح العلوم فى معرفة الحىّ القيوم وهناك رسالة أُخرى فى عقائد الزيدية باسمّ «مصباح العلوم فى معرفة الحىّ القيوم» للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص المتوفّى عام ۶۰۰ ـ أو ـ ۶۵۰وعلى كل تقدير فالرسالة تنتمى إلى النصف الاَوّل من القرن السابع كالرسالة السابقة وهى معروفة بالثلاثين مسألة، وقد حقّقها الدكتور محمد عبد السلام كفافى أُستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة وجامعة بيروت العربية وقوّم نصّ ها بالعثور على مخطوطات فى مكتبة المتحف البرطانى بلندن، ولها نسخ فى مكتبات أوربا يقول المحقق: «والظاهر من كثرة عدد النسخ أنّ هذه الرسالة كانت ذائعة بين أتباع المذهب الزيدى ولاعجب فى ذلك فهى تلخص معتقداتهم تلخيصاً وافياً فى صفحات قلائل» (۱)

إنّ تعاصر المـوَلفين وتقارب مضامين الرسالتين، ورغبة القراء إلى الاختصار حفزتنا إلى نشر الرسالة الاُولى فقط.

_____

۱ ـ مصباح العلوم : المقدمة ۵.

(۵۰۱)

الفصل العاشر فى أُمور متفرقة

الفصل العاشر فى أُمور متفرقة

الاَوّل: حلقات المناظرة بين الإمامية والزيدية :

يشهد التاريخ على أنّ حلقات المناظرة كانت تنعقد فى الجامعات وبيوت الشخصيات فى عصر الشيخ المفيد (۳۳۶ ـ ۴۱۳هـ) ويشارك فيها الإمامى والزيدى والمعتزلى وغيرهم، وكان الشيخ يناظر كل هذه الفرق، ببلاغة تثير إعجاب المشاركين.

وقد ذكر السيد المرتضى (۳۵۵ ـ ۴۶۳هـ) قسماً من هذه المناظرات فى كتابه «الفصول المختارة» الذى اختاره من كتاب «العيون والمحاسن» لاُستاذه الشيخ المفيد، وقد طبع الاَوّل دون الثانى.

ونذكر هنا أجوبة الشيخ للاعتراضات الثلاثة التى طرحها أحد شيوخ الزيدية المعروف بالطبرانى ويدور الجميع على محاور ثلاثة.

إنّ الإمامية حنبلية من جهات ثلاث:

۱ ـ يعتمدون على المنامات كالحنابلة.

۲ ـ يدّعون المعجزات لاَ كابرهم كالحنابلة.

۳ ـ يرون زيارة القبور مثلهم.

(۵۰۲)

وإليك الاعتراضات والاَجوبة بنصهما.

قال الشيخ: كان يختلف إليّ حدَث من أولاد الاَنصار ويتعلّم الكلام فقال لى يوماً: اجتمعت البارحة مع الطبرانى شيخ من الزيدية، فقال لى: أنتم يامعشر الاِمامية حنبلية وأنتم تستهزئون بالحنبلية، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: لاَنّ الحنبلية تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبلية تدّعى المعجزات لاَكابرها وأنتم كذلك، والحنبلية ترى زيارة القبور والاِعتكاف عندها وأنتم كذلك، فلم يكن عندى جواب أرتضيه، فما الجواب؟

الجواب على الاعتراض الاَوّل:

قال الشيخ أدام اللّه عزّه: فقلت له: أرجع فقل له: قد عرضتُ ما ألقيته إليّ على فلانٍ، فقال لى: قل له إن كانت الاِمامية حنبلية بما وصفت أيها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبلية والقرآن ناطق بصحة الحنبلية وصواب مذاهب أهلها، وذلك أنّ اللّه تعالى يقول": إذْ قَالَ يُوسُفُ لاِبيهِ ياأَبَتِ إنّى رَأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأيتُهُمْ لِى ساجِدِينَ * قَالَ يابُنَىَّ لاتَقصُصْ رُوَياكَ عَلَى إخوَتِكَ فَيَكيدُوا لَكَ كَيداً إنّ الشَّيطانَ لِلاِنسانِ عَدُوٌّ مُبين ("يوسف: ۴ ـ ۵) .

فأثبتَ اللّه جلّ اسمه المنام وجعل له تأويلاً عرفه أولياءه ـ عليهم السلام ـ وأثبته الاَنبياء ودان به خلفاوَهم وأتباعهم من المومَنين واعتمدوه فى علم ما يكون وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له.

وقال سبحانه": وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتيانِ قالَ أحَدُهُما إنّى أرانى أعصِرُ خَمراً وَقالَ الآخرُ إنّى أرانى أحمِلُ فَوقَ رَأسى خُبزاً تَأكُلُ الطَيرُ مِنهُ نَبّئنا بِتَأويله إنّا نراكَ مِنَ المُحسِنين ("يوسف ـ ۳۶) .

فنبّأهما ـ عليه السلام ـ بتأويله وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سوَالهما له مع جهلهما بنبوته دليلاً على أنّ المنامات حقّ عندهم، والتأويل لاَكثرها

(۵۰۳)

صحيح إذا وافق معناها، وقال عزّ اسمه": وَقالَ المَلِكُ إنّى أرى سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سَبعٌ عُجافٌ وَسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرُ يابِساتٍ يا أيّها المَلَا أفتُونى فى روَياى إن كُنتُمْ لِلروَيا تُعَبرُونَ * قَالوا أضغاثُ أحلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأويلِ الاَحلامِ بِعالِمين ("يوسف: ۴۳ ـ ۴۴) ثم فسرها يوسف ـ عليه السلام ـ وكان الاَمر كما قال.

وقال تعالى فى قصة إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام": ـ فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعىَ قَالَ يابُنَىَّ إنّى أرى فى المنامِ أنّى أذبَحُكَ فَانظُرْ ماذا تَرى قال يا أبتِ افعل ما تُوَمر سَتَجِدُنى إن شاءَ اللّهُ مِنَ الصابِرين ("الصافات: ۱۰۲) فأثبتا ـ عليهما السلام ـ الروَيا وأوجبا الحكم ولم يقل إسماعيل لاَبيه ـ عليه السلام ـ يا أبت لا تسفك دمى بروَيا رأيتها فإنّ الروَيا قد تكون من حديث النفس، وأخلاط البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض كما ذهبت إليه المعتزلة.

فقول الاِمامية فى هذا الباب ما نطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملَا من أصحاب الملك حين قالوا": أضغاث أحلام "ومع ذلك فإنّا لسنا نثبت الاَحكام الدينية من جهة المنامات وإنّما نثبت من تأويلها ما جاء الاَثر به عن ورثة الاَنبياء ـ عليهم السلام.ـ

الجواب على الاعتراض الثانى :

فأمّا قولنا فى المعجزات فهو كما قال اللّه تعالى": وَأوحَينا إلى أُمّ مُوسى أن أرضِعيه فإذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَألقيهِ فى اليمِّ وَلا تَخافِى وَلا تَحزَنى إنّا رادُّوه إلَيكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلين ("القصص ـ ۷) .

فَضمَّنَ هذا القولُ تصحيح المنام إذ كانَ الوَحى إليها فى المنام، وضمَّنَ المعجز لها لعلمها بما كان قبل كونه.

وقال سبحانه فى قصة مريم ـ عليها السلام": ـ فَأشارت إلِيهِ قَالوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى المَهدِ صَبِيا * قالَ إنّى عَبدُ اللّه آتانِىَ الكِتابَ وَجَعَلَنى نَبيّاً * وَجَعَلَنى

(۵۰۴)

مُبارَکاً أینَ ما کُنْتُ وَأوصانی بالصَّلاةِ وَالزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیّاً ("مریم ـ ۲۹ ـ ۳۱) فکان نطق المسیح ـ علیه السلام ـ معجزاً لمریم ـ علیهما السلام ـ إذ کان شاهداً ببراءة ساحتها. وأُمّ موسی ـ علیه السلام ـ ومریم لم تکونا نبیین ولا مرسلین ولکنهما کانتا من عباد اللّه الصالحین. فعلی مذهب هذا الشیخ کتاب اللّه یصحح الحنبلیة.

الجواب علی الاعتراض الثالث :

وأمّا زیارة القبور فقد أجمع المسلمون علی وجوب زیارة رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حتی رووا «منْ حجَّ ولم یزره متعمداً فقد جفاه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ وثلم حجّهُ بذلک الفعل»، وقد قال رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم: «ـ من سلّم علیّ من عند قبری سمعته، ومن سلّم علیَّ من بعید بلغته» سلام اللّه علیه ورحمته وبرکاته وقال ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ للحسن ـ علیه السلام ـ: «من زارک بعد موتک أو زار أباک أو زار أخاک فله الجنّة».

وقال أیضاً: فی حدیث له أوّل مشروح فی غیر هذا الکتاب: «تزورکم طائفة من أُمتی ترید به برّی وصلَتی فإذا کان یوم القیامة زرتها فی الموقف فأخذت بأعضادها وأنجیتها من أهواله وشدائده».

ولا خلاف بین الاُمّة أنّ رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لما فرغ من حجّة الوداع لاذ بقبر درس فقعد عنده طویلاً ثم استعبر فقیل له: یارسول اللّه ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أُمّی آمنة بنت وهب سألت اللّه فی زیارتها فأذن لی.

وقال ـ صلی الله علیه وآله وسلم: «ـ قد کنت نهیتکم عن زیارة القبور ألا ـ فزوروها وکنت نهیتکم عن ادّخار لحوم الاَضاحی ألا فادخروها».

وقد کان أمر فی حیاته ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بزیارة قبر حمزة ـ علیه السلام ـ وکان ـ علیه السلام ـ یلمّ به وبالشهداء، ولم تزل فاطمة ـ علیها السلام ـ بعد وفاته ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ تغدو إلی قبره وتروح لزیارته وکان أهل بیته والمسلمون یثبرون علی زیارته وملازمة قبره ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فإن کان ما تذهب إلیه الاِمامیة من زیارة مشاهد الاَئمة ـ علیهم السلام ـ حنبلیة وسخفاً من

(۵۰۵)

الفعل، فالاِسلام مبنی علی الحنبلیة ورأس الحنبلیة رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم، ـ وهذا قول متهافت جداً یدلّ علی قلة دین قائله وضعف رأیه وبصیرته.

ثم قال له: یجب أن تعلم أنّ الذی حکیت عنه قد حرّف القول وقبّحه ولم یأت به علی وجهه، والذی نذهب إلیه فی الروَیا أنّها علی أضرب: فضرب منه یبشر اللّه به عباده ویحذرهم. وضرب تهویل من الشیطان وکذب یخطر ببال النائم. وضرب من غلبة الطباع بعضها علی بعض، ولسنا نعتمد علی المنامات کما حکاه لکننا نأنس بما نبشر به، ونتخوف مما نحذر منها ومن وصل إلیه شیء من علمها عن ورثة الاَنبیاء ـ علیهم السلام ـ مَیزّ بین حقّ تأویلها وباطله ومتی لم یصل إلیه شیء من ذلک کان علی الرجاء والخوف.

وهذا یسقط ما لعله سیتعلق به فی منامات الاَنبیاء ـ علیهم السلام ـ من أنّها وحی لاَنّ تلک مقطوع بصحتها وهذه مشکوک فیها مع أنّ منها أشیاء قد اتفق ذوو العادات علی معرفة تأویلها حتی لم یختلفوا فیه ووجدوه حسنا.

وهذا الشیخ لم یقصد بکلامه الاِمامیة ولکنه قصد الاُمّة ونصر البراهمة والملاحدة، مع أنی أعجب من هذه الحکایة عنه وأنا أعرفه یمیل إلی مذهب أبی هاشم ویعظّمه ویختاره، وأبو هاشم یقول فی کتابه «المسألة فی الاِمامة»: إنّ أبا بکر رأی فی منام کان علیه ثوباً جدیداً علیه رقمان ففسره علی النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فقال له: إن صدقت روَیاک تبشر بخیر (فستخبر بولدین خ) وتلی الخلافة سنتین، فلم یرض شیخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتی أوجب بها الخلافة وجعلها دلالة علی الاِمامة. فیجب علی قول هذا الشیخ الزیدی عند نفسه أن یکون أبو هاشم رئیس المعتزلة عنده حنبلیاً بل یکون عنده أبو بکر حنبلیاً بل رسول اللّه ـ صلی الله علیه

وآله وسلم _ لَانّه صحح المنام وأوجب به الاَحكام، وهذا من بهرج المقال (۱_____)

(۱) السيد المرتضى : الفصول المختارة : ۱۲۸ ـ ۱۳۲ .

(۵۰۶)

الثانی: وجود المزاملة بين الطائفتين:

إنّ السبر فی التاريخ يثبت بأنّ المزاملة العلمية والاجتماعية بين الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية فی الاَعصار السابقة كانت وطيدة. وكانت كل طائفة تعرف ما عند الطائفة الاُخرى من العقائد والاَحكام، والاَدب والشعر. وكانت المجالس المنعقدة فی الجامعات والبيوت تحتفل بهما معاً. فكان يدور بينهما النقاش والإفادة والاستفادة، ويظهر ذلك من كتاب الشيخ المفيد أعنی الفصول المختارة. كما يظهر أيضاً من الرجوع إلى كتابه أوائل المقالات على أنّ له رسالة خاصة فی عقائد الجارودية من الزيدية.

كل ذلك يعرب عن صلة وثيقة بين الطائفتين. ولا إشكال أنّ الصلة كانت لصالحهما. ولكن لانعلم فی أی عصر ضعفت هذه الصلة إلى أن كادت أن تنقطع.

فلاَجل ذلك لانكاد نرى زيديّاً فی جامعة النجف الاَشرف وسائر حوزات الشيعة الإمامية وبالعكس إلّا نادراً. كما لا نرى أی صلة بين الطائفتين فی الكتب المؤلفة فی العصور الاَخيرة من عصر ابن المرتضى إلى يومنا هذا.

ولعلّ الاَجواء والظروف السياسية قد أوجدت تلك الهوة ما بينهما فخسرت الطائفتان علمياً وأدبياً إذ هما صنوان يقومان على جذور واحدة.

اسأله سبحانه أن يعيد الوحدة ما بين المسلمين عموماً، وبين الطائفتين خصوصاً.

(۵۰۷)

الثالث: نشر الثقافة الزيدية :

إنّ الزيدية ـ بحق ـ تركت ثروة علمية فی جميع مجالات العلوم الإسلامية خصوصاً فی الاَدب والكلام والفقه، وتراثهم الباقی، وفهارس مكتباتهم يشهد على ذلك بوضوح. ولعل أحد العلل فی تطور علومهم خصوصاً فی الفقه عدم التزامهم بالاَخذ بالمذاهب الفقهية المعروفة وإن كانوا متأثرين بالفقه الحنفی.

فوجود الاجتهاد واستمراره فی حياتهم من عصر القاسم الرسّی إلى يومنا هذا ضخّم ثقافتهم، وأعطى لها أبعاداً كثيرة.

غير أنّ من المؤسوف عليه عدم اطّلاع المسلمين على تلك الثقافة لاَنّها صارت محصورة فی اليمن وما والاها.

وقد قام العلّامة البحاثة السيد أحمد الحسينی دام علاه بفهرسة كتبهم بعد رحلتين إلى اليمن الخصيب فجاء مجهوده مطبوعاً فی أجزاء ثلاثة ذكر فيها أسماء (۳۳۴۶) من كتبهم المختلفة حسب الحروف الاَبجدية وأردفها بالفهارس العامة أهمها فهرس أسماء المؤلفين فقد ذكر أسماء المؤلفات حين التعرض لاَسماء المؤلفين وبذلك يغنی الإنسان عن ملاحظة كل كتاب فی محله. ومن حسن الحظ أنّ مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحفل بمخطوطات كثيرة للزيدية فعلى المهتمين بالتراث الإسلامی السعی فی تصويرها قبل أن تندثر.

وللتعرف على الشخصيات الزيدية وعلى ثقافاتهم وكتبهم لا محيص من الرجوع إلى كتبهم المختلفة فی التراجم والرجال والتاريخ.

ومن هذه الكتب ما نذكره فيما يلی والكل مخطوط لم ير النور:

(۵۰۸)

۱ ـ نسمة السحر فی ذكر من تشيع وشعر: تأليف يوسف بن يحيى الحسنی الصنعانی (۱۱۲۱هـ) ترجم فيه لمائة وأربعة وتسعين من شعراء الشيعة المتقدمين والمتأخرين منهم.

۲ ـ نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الاَلف: تأليف السيد محمد بن محمد زبارة الحسنی الصنعانی ۱۳۸۰ هـ ترجم لاَعلام اليمن فی القرون الاَربعة بعد الاَلف الهجری إلى سنة ۱۳۷۵هـ وقد أسمى لكل قرن اسماً.

۳ ـ مطلع البدور ومجمع البحور: تأليف القاضى أحمد بن صالح أبى الرجال الصنعانى (ت ۱۰۹۲هـ) وهو فى أربعة أجزاء تشتمل على أكثر من ۱۳۶۰ ترجمة.

۴ـ نشر كتاب الحدائق الوردية: لحميد الدين المحلى نشراً جديداً يناسب روح العصر.

إلى غير ذلك من الكتب التى تعرّف أئمة الزيدية وشخصياتهم.

نعم أُلّفت فى العصور الاَخيرة كتب فى تاريخ اليمن لها قيمتها، وللموَلفين أجرهم.

(۵۰۹)

الرابع: صيغة الحكومة الاِسلامية لدى الزيدية:

إنّ للحكومة الاِسلامية حسب ما يعطى الاِمعان فى الكتاب والسنّة وسيرة المسلمين أُسساً وأركاناً ثلاثة لكلٍّ شأنه ومكانته:

۱ ـ السلطة التشريعية :

للسلطة التشريعية مراحل ثلاث بعضها بيد اللّه سبحانه، والبعض الآخر موكول إلى الاُمّة الاِسلامية فى ضمن شرائط:

۱ ـ التشريع والتقنين للّه خاصة بالاَصالة فلا شارع ولا مقنّن سواه ولا يحق لاَحد ـ كان من كان وبلغ ما بلغ من العلم والثقافة والمكانة الفكرية والاجتماعية ـ أن يشرّع حكماً أو يحلّ حلالاً أو يحرم حراماً فكل ذلك موكول إلى اللّه سبحانه، إذ الحكم، حكمان: إلهى وجاهلىّ ولا ثالث لهما فإذا لم يكن معزوّاً إليه، فهو حكم جاهلى قال سبحانه": أَفَحُكمُ الجاهِلِيةِ يَبغُون وَمَن أحسَنُ مِنَ اللّهِ حُكماً لِقَومٍ يُوقِنُون("المائده ـ ۵۰) .

نعم هناك مرحلتان: مفوضتان إلى فريق من الاُمّة لهم صلاحيّات خاصة وهما:

۱ ـ مرحلة التشخيص: أى استنباط الحكم الاِلهى من الكتاب والسنّة، فهى للفقهاء العدول، يبذلون جهدهم لفهم حكم اللّه واستخراجه من الاَدلّة الشرعية.

۲ ـ مرحلة التخطيط وتبيين برامج البلاد حسب الضوابط الاِسلامية وهى للخبراء وذوى الاِطلاع من الاُمّة وهذا ما يصطلح عليه اليوم بالمجلس النيابى.

والفرق بين صيغة الحكومة الاِسلامية والاَنظمة البشرية الغربية والشرقية، هو أنّ سلطة التشريع بيد اللّه سبحانه فيها دون تلك الاَنظمة إذ فيها بيد وكلاء

(۵۱۰)

الشعب فالمجلس النيابى عندهم مجلس التقنين والتشريع وعند المسلمين مجلس التخطيط والتنظيم فى ضوء قوانين السماء.

۲ ـ السلطة التنفيذية :

المراد بالسلطة التنفيذية فى مصطلح اليوم هو هيئة الوزراء وما يتبعها من دوائر ومديريات منتشرة فى أنحاء البلاد ومهمّتها تنفيذ ما يقرره مجلس الشورى من تصميمات وقرارات ومخطّطات فى شتى حقول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالتالى يقع على عاتقها مهمة إدارة البلاد بصورة مباشرة، لها ألوان وصيغ فى الاَنظمة البشرية وأما لونها فى الحكومة الاِسلامية فليس إلاّ كون السلطة ـ إذا لم يكن هناك نصّ من اللّه سبحانه على شخص خاص ـ موضع رضا الاُمّة لاَنّها تتسلم زمام السلطة المباشرة على نفوس الناس وأموالهم وأرواحهم، ولولا الرضا لعاد إلى الاستبداد المبغوض عند الشرع والعقل وقد بسطنا الكلام حول السلطة التنفيذية وصلاحياتها من التخصص، والوثاقة، والزهد، والعدل، وكونها موضع رضا الاُمّة فى كتابنا: «مفاهيم القرآن» (۱)

۳ ـ السلطة القضائية:

إنّ القضاء يلعب دوراً كبيراً فى تبديل الاختلاف إلى الوئام، والتنازع إلى التوافق وبالتالى ينشر العدل ويصون الحقوق والحرمات، غير أنّه لا يصلح ذلك المقام إلاّ لفريق من الشعب يتمتعون بالبلوغ والعقل والاِيمان والعدالة وطهارة المولد والعلم بالقانون الاِلهى

والذكورة، سليم الذاكرة، وعندئذ يحقّق القاضى أهدافه السامية_____.

(١) مفاهيم القرآن : ٢ | ٢٠٥ ـ ٢١٠ .

(٥١١)

لا استبداد فى الحكومة الاِسلامية :

وما ذكرناه يوقف الاِنسان على صورة بسيطة من الحكومة الاِسلامية المتجلية فى نظرية الاِمامة أو الخلافة وليس فيها أى استبداد وسلب الحريات، وأمّا تخصيص التشريع باللّه سبحانه، فلاَنّه سبحانه أعرف بمصالح عباده، ولاَنّ التقنين سلطة على الاَموال والنفوس وهى فرع وجود الولاية عليهما، ولا ولاية لاَحد على أحد إلاّ للّه سبحانه، فلاَجل ذلك خصّ التشريع به سبحانه، وأمّا المرحلتان الباقيتان أعنى الاِفتاء والتخطيط، فيقوم به فريق منهم، لهم صلاحيات وقابليّات. فالاِفتاء وإن كان رهن شروط ولكنه لا يشترط فيه رضا الاُمّة، لاَنّه مقام علمى، يتوقف على حيازته ويكفى ثبوت الصلاحية له، اقترانه بتصديق الخبراء.

نعم التصدى للتخطيط، رهن رضا الاُمّة وتحقيق الرضا وتجسيدها يتبع مصالح العصر وشعور الاُمّة.

وأمّا السلطة التنفيذية، فلو كان الحاكم منصوباً من اللّه سبحانه، فهو المتبع، كما فى مورد الرسول، والاِمام المنصوص بعده، وإلا فالسلطة لفريق من الاُمّة، يتمتع بصفات وقابليات مذكورة فى السنّة، أهمها كونها موضع رضا الاُمّة، ويتجسّد رضاهم بصورة مختلفة مذكورة فى محلها.

ومثلها السلطة القضائية فلا يصلح لها إلاّ فريق لهم صفات وموَهلات، وتنتهى سلطته، إلى رضا الاُمّة الذى يتجسد بصور شتى.

نظرية الاِمامة لدى الزيدية :

إنّ المطروح لدى الزيدية من الاِمامة غير ما ذكرنا ولو كان الملاك لتبيين مذهبهم ما ذكره كتّاب العقائد من غيرهم، وابن المرتضى من أنفسهم، فنظام الاِمامة فى غير مورد المنصوص عليه عندهم، أمر لا يلائم روح الكتاب والسنّة ولا

(٥١٢)

متطلبات العصر، لاَنّهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب والحسن والحسين (بالتنصيص السماوى) وزيد بن على ولاِمامة كل فاطمىّ دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد (١)

وقال الشهرستانى: إنّهم (الزيدية) يعتبرون فى نظام الاِمامة اتّباع كلّ فاطمى عالم، شجاعُ، سخى، خرج بالاِمامة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ـ عليهما السلام ـ وربّما جوّزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة (٢)

ويقول ابن المرتضى وتنعقد بالدعوة مع الكمال.

الاِمعان فى كتب الزيدية حول الاِمامة أو ما حرروه بأقلامهم، يعرب عن أنّ دعائم الاِمامة عندهم ثلاثة:

١ ـ الوراثة: كون الداعى فاطميّاً.

٢ ـ الدعوة إلى الاِمامة.

٣ ـ الخروج بالسيف.

ولكن باب المناقشة فيها مفتوح.

أمّا المبدأ الاَوّل فإذا كان الاِمام منصوصاً من قبل اللّه فالمتبع أمره فاطمياً كان أو لا، وإن كان أمره سبحانه فى غير الاِمام على ـ عليه السلام ـ منطبقاً عليه، لكن لا بملاك كونهم فاطميين بل بملاكات خاصة أهّلتهم لاَن يكونوا أُولى الاَمر، وواجبى الطاعة قال سبحانه: "أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الاَمر مِنكُم ("النساء ـ ٥٩_____) .

(١) المفيد أوائل المقالات: ٣٩، طبعة جماعة المدرسين.

(۲) ۲ ـ الشهرستانى : الملل والنحل : ۱ | ۱۵۴ .

(۵۱۳)

وإذا كان غير منصوص فاللازم كون الإمام ذا قابليات توَهّله لاشغال منصب الإمامة سواء أكان فاطمياً أم لا، فالإصرار على هذا المبدأ خصوصاً فيما إذا كان غير الفاطمى أبصر وأعلم، وأتقى وأزهد وأوقع فى القلوب، غير صحيح.

ثم إنّ المبدأ الثانى والثالث يثيران الرغبة والطمع فى كل فاطمى يرى نفسه عادلاً، وعالماً وشجاعاً فعند ذلك ينتهى الأمر إلى النزاع والتشاجر وربما ـ لا سمح اللّه ـ إلى إراقة الدماء.

وحاصل الكلام: أنّ مكافحة الاستبداد ورفض ابتزاز أمر الأُمّة بلا رضا منها، رهن أحد أمرين:

۱ ـ أن يصدر من اللّه الرحمن الرحيم على عباده، الواقف على مصالحهم ومفاسدهم، تنصيص على ولاية أحد، كالنبى الأعظم وأئمة أهل البيت عند الشيعة.

۲ ـ مشاركة الشعب فى بناء النظام حتى يكون مورد رضاهم بنحو من الأنحاء ولاشىء ثالث، وإلاّ ـ فلو لم يكن هذا ولا ذاك كثر الطالب وزادت الدعوة وربما ينتهى إلى حروب دامية، وما ذكره الإمام يحيى بن الحسين لحسم النزاع لايفيد شيئاً حيث قال: إن تشابها فى العلم فالإمامة لأورعهما وإن تشابها فى الورع والعلم، فالإمامة لأزهدهما، وإن تشابها فى ذلك كله فالإمامة لأسخاهما، وإن تشابها فلأشجعهما، فلأرحمهما....

إنّ ما ذكره من الضابط لحسم مادة الخلاف لو كانت مفيدة فإنّما تفيد فى رفع النزاع فى إمامة المسجد، لا فى رفع النزاع فى الزعامة الكبرى، إذ كل يزعم أنّه، أعلم، وأورع، وأزهد، وأسخى، وأشجع، وربما يحلف عليه ويجمع الجموع...

فلأجل ذلك المأزق الذى يواجه فكرة الإمامة لدى الزيدية عاد المفكرون

(۵۱۴)

من متأخّريهم إلى طرح الفكرة بشكل يلائم روح العصر ويقول أحد الكتاب:

أمّا الزيدية فلهم طريقان لاختيار الإمام بعد المنصوص عليهم:

۱ ـ ترشيح الشخص العارف من نفسه، الأهلية بواسطة منشور ـ الدعوة ـ يوضح فيه موجبات الدعوة وأهليّته للقيام بالإمامة ومنهج عمله فيها.

وعند ذلك يجتمع العلماء والزعماء والمثقفون ـ رجال الحل والعقد ـ ويصلون لمناقشته واختياره ان كان غير معروف لديهم، ويتشاورون فيما بينهم فى موضوع كفاءته ومكانته، فإذا ارتضوه بعد ذلك بايعوه وإلاّ عدلوا إلى غيره.

۲ ـ يُرشِّح رجال الحل والعقد واحداً لمن يرونه صالحاً لهذا المنصب العظيم، وإذا وافقهم على ترشيحه بايعوه وإلاّ عدلوا إلى غيره (۱)

ولعل هذه الأُطروحة التى قدمها الفاضل المعاصر تزيح بعض النقاش حول النظرية، ويصوّرها تصويراً هادئاً قابلاً للتجسيد كما أنّ المعلّق على البحر الزخار، طرح نظرية الإمامة بالشكل التالى معلقاً على قول ابن المرتضى «وتنعقد بالدعوة مع الكمال» قوله: مع عدم المنازع فيفوز بذلك أو بأن تحصل له البيعة من الأكثرية مع عدم وجود المنازع، كل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوى الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط المؤهلة له (۲)

إنّ ما نقلناه عن العلمين وإن كان يهوّن الخطب فى مسألة الإمامة، لكن التاريخ يشهد على أنّ السيرة جرت على سيادة من غلب، ولم يكن ترشيح الشخص، أو ترشيح رجال الحل والعقد واحداً من الصلحاء إلاّ حبراً على ورق إلاّ

---

۱ ـ الزيدية نظرية وتطبيق : ۱۱۸ .

(۲) ابن المرتضی : مقدمة البحر الزخار: ۹۲ .

(۵۱۵) فی فترات قلیلة.

هذا وما ماثله أعطت حجة للوسائل الإعلامیة أن تتهجم علی نظام الإمامة بأنّه حکومة استبدادیة تسلب فیها الحریات بإرادة الفرد السائس، ویرافق دائماً بالضغط علی الشعب، وتثنی علی الجمهوریة بأنّ فیها ضماناً علی الحریات المعقولة ولم تزل الحرب الإعلامیة قائمة علی قدم وساق تدعمها المعسکرات الغربیة والشرقیة المحاربة لکل نظام دینی قائم فی أی قطر من أقطار العالم، إلی أن أُججّ نار الحرب المبیرة لکل رطب ویابس، فی بلد فقیر کالیمن التی لا تملک إلّا جمال الطبیعة وانتهت إلی انتصار المخالفین فی ظل القوات المکثفة التی کانت وراءها الجمهوریة العربیة المتحدة، فی أیّام جمال عبد الناصر فسقط نظام الإمامة سیاسیّاً وحکومیاً وإن کانت القلوب المؤمنة متتبّئة بها.

فالمرجو من اللّه سبحانه أن یوفق المسلمین لتوحید الکلمة کما وفقهم لکلمة التوحید، ویجمع شملهم، ویثیر شعور المفکرین إلی واجبهم تجاه الحکومة الإسلامیة إنّه بذلک قدیر وبالإجابة جدیر.

(۵۱۶) الخامس: المحاربة بین الطائفتین من الشیعة:

إنّ الزیدیة والإسماعیلیة، من الفرق الشیعیة، وبینهما موَتلفات ومفترقات، وقد اتفقت الطائفتان، علی أنّ تحقیق القیادة الإسلامیة بعد رحیل النبی الأعظم ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ لیس بالبیعة والاختیار، ولا للأُمة فیها حظّ، ولا نصیب شأن کلّ مورد سبقت مشیئته علی إرادة الأُمّة ومشیئتها، قال سبحانه": وَما کانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤمِنَةٍ إذا قَضَی اللّهُ وَرَسُولُهُ أمراً أنْ یَکُونَ لَهُمُ الخِیَرَةُ مِن أمْرِهِمْ" (الأحزاب ـ ۳۶) بل تحقیقها بالنص من الرسول ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ علی فرد من آحاد الأُمّة وقد اتفقتا علی أنَّ النصّ صدر منه فی علی ـ علیه السلام ـ وابنیه: الحسن والحسین ـ علیهما السلام، ـ غیر أنّ الزیدیة قالت باستمرارها بعد الحسین السبط ـ علیه السلام ـ بالخروج والدعوة وقد تمثلت الضابطة فی بادیَ بدئها بخروج الإمام زید، ثم ابنه یحیی وهکذا، لکن الإسماعیلیة قالت باستمرار النصّ الإلهی بعد الحسین علی إمامة زین العابدین فابنه الإمام الباقر، فالإمام الصادق، وبعده ابنه إسماعیل الذی هو مهدی الأُمّة عندهم وسیوافیک تفاصیل عقائدهم فی الجزء الثامن المختص بفرق الشیعة الباقیة.

وطبیعة الحال کانت تقتضی سیادة الوئام والالتحام بین الفرقتین والتعایش الهادیَ فی البیئات التی تحتضن کلتا الفرقتین، کالیمن الخصیب وجنوب الجزیرة کحضرموت ونجران ولکن خاب الظنُّ وخسر، لأنّ تاریخ الیمن تاریخ دمویّ یحکی عن کون الحرب لم تزل بینهما سجالاً ـ تبید البلاد والعباد وتهلک الحرث والنسل ـ قروناً کثیرة.

إنّ أئمة الزیدیة وإن خرجوا بالسیف وأعلنوا الجهاد، ولکن لم یکن جهادهم مع المشرکین والکافرین بل کانت مع إخوانهم الإسماعیلیة (القرامطة) وهذا هو الإمام الهادی موَسس الدولة الزیدیة فی الیمن فی أواخر القرن الثالث،

(۵۱۷) فقد قدم الیمن وقد غطتها القرامطة والباطنیة فجری له معهم نیف وثمانون وقعة (۱) ثم بدت الحروب بین الطائفتین فی زمن المتوکل علی اللّه (المطهر بن یحیی) وبعده الإمام یحیی بن حمزة المؤید باللّه (۶۶۹ ـ ۷۶۹هـ) وکان الانتصار فی أغلب الوقائع مع الزیدیة، وفی النهایة لم تجد الإسماعیلیة بداً من اللجوء إلی الجبال، والتحصن بها حفظاً لشؤونهم الدینیة.

ومن جرّاء هذه الفتن والحروب المدمّرة، صارت حیاة الطائفتین فی أغلب العصور، حیاة دمویة تأکل الحرب أخضرهم ویابسهم وربما تشعل فتیل الحرب بین مدعیین للإمامة من الزیدیة، باعتضاد کل بقبیلته وأُسرته، وقد انتهت الخلافات القبلیة إلی ظهور الجمهوریة فأطاحت بالإمامة علی الإطلاق وقالت: لا زید ولا عمرو، ولا إبراهیم ولا إسماعیل.

"وَاتَّقُوا فِتنَةً لا تُصِیبَنَّ الّذِینَ ظَلَمُوا مِنکُمْ خاصَّة ("الأنفال ـ ۲۵_____) .

(۱) التحف شرح الزلف : ۶۴ .

(۵۱۸)

السادس: فى الصلة بين الزيدية والمعتزلة:

كانت الصلة العلمية بين الزيدية والمعتزلة موجودة، منذ ظهرتا على صفحة الوجود، حيث إنّ كلتا الطائفتين يرون العدل والتوحيد من الأُصول، ويكافحون الجبر والتشبيه، حتى أنّ الإمام «مانكديم» المستطهر باللّه أحمد بن الحسين بن أبى هاشم المتوفّى عام ۴۲۵هـ تتلمذ على القاضى عبد الجبار المعتزلى المتوفى عام ۴۱۵هـ وكتب ما أملاه الأُستاذ، حول الأُصول الخمسة وقد طبع بهذا الاسم ولم يخالفه إلّا فيما يرجع إلى الإمامة (۱).

ولما قامت ملوك الغزاونة وسلاطين السلاجقة بتحريك الحنابلة والحشوية، بإبادة المعتزلة وقتلهم وتسعير النار فى مكتباتهم وآثارهم وفى عقر دارهم، عمد بعض الزيدية، بنقل ما أمكن من كتبهم من العراق إلى اليمن منهم القاضى عبد السلام (۵۵۰ ـ ۵۷۳هـ) فقد نقل المغنى للقاضى عبد الجبار، والأُصول الخمسة، وغيرهما من الآثار الكلامية لهم من العراق إلى اليمن وكانت اليمن تحتضن بها إلى أن نشرتها أخيراً البعثة العلمية المصرية بعد الفحص فى مكتبات اليمن، وللزيدية فضل حفظ بعض تراث المعتزلة من الاندثار والانطماس. ولولاهم لكانت مصيرها، مصير سائر الآثار للمعتزلة. قاتل اللّه العصبية العمياء_____.

(۱) راجع مقدمة الأُصول الخمسة بقلم محقّقها ص ۲۹ وقد ضبط وفاة «مانكديم» سنة ۴۲۵هـ والتحف شرح الزلف: ۸۸.

السابع: عصارة من رسالة أحد المعاصرين الزيديين:

إنّ السيد العلامة بدر الدين الحوثى الحسنى اليمانى، ـ الذى زار قم وزارنا فى موَسستنا، وهو الشخصية العلمية الفريدة للزيدية حالياً بعد السيد العلامة مجد الدين الموَيّدى موَلف التحف فى شرح الزلف، نشر كتيباً باسم «الزيدية فى اليمن» بيّن فيه ملامح مذهب الزيدية وعقائدهم ومصادرهم الكبرى فى مختلف العلوم، وقدم لها الأُستاذ على أحمد الرازحى وقد أهدى نسخة إلينا نقتبس منها ما يلى:

الزيدية عنوان لطائفة عظيمة من طوائف المسلمين كان لها حضورها الملموس فى ميدانى الفكر والبسالة تحت ظلال قائدها العظيم الإمام زيد بن على شهيد الحقّ والعدل والكرامة.

ولئن كان لكل طائفة معالم بارزة تتميز بها وتعرف من خلالها، فانّ للزيدية معالم بارزة يراها لها الموالف والمخالف الذى لم يُعم التعصب عين بصيرته:

أحدها: وهو أولاها: المنزلة المنيفة التى يتبوّأها العقل عندها حيث تجعله الحاكم الذى لا يتعقبه أى حاكم غيره، والحجّة التى بها استحق الإنسان الخطاب من ربّ العالمين، ومن خلاله استوحت أُصول عقيدتها حين أقصاه الآخرون وصغروا عظيم منزلته.

ثانيهما: احترام آراء الآخرين من المخالفين لها فى الأُصول والفروع وعرضها عرضاً رفيقاً بعيداً عن أى تجريح أو تبديع أو تضليل حتى لكأنّ كتبها رياض غنّاء مما يخوّلها أن تكون تراثاً لكل الطوائف.

الثالث: صيحتها فى وجه الظلم والاستبداد، والقهر، وسحق الكرامات حين

تحوّلت الخلافة إلى ملك عضوض، وحين تغيرت وشوهت بعض مفاهيم الإسلام الناصعة على يدى حكام متسلطين لا يمتلكون أى شرعية (۱)

يقول السيد بدر الدين: إنّ الحركات العلمية ظهرت فى اليمن بفضل الإمامين الهادى وجده القاسم، وبما أنّ الزيدية لا يلتزمون التقليد للهادى بل كلَّ من تمكن من الاجتهاد، عمل بالدليل، ظهر بعض الخلافات بينهم، كما ظهر من بعضهم الميل إلى المعتزلة فى غير مسألة الإمامة وحصل من بعضهم إنكار ذلك لكن العقائد الأُصلية الهامّة لا يظهر بينهم فيه خلاف.

ثم إنّ الموَلف أتى بأُصول عقائد الزيدية التى منها التوحيد، والعدل والنبوات وصيانة القرآن من التحريف، والإيمان بالآخرة والبعث

بعد الموت والشفاعة التى هى زيادة خير إلى خير، لا إنقاذ أحد من النار والإمامة التنصيصية إلى السبط الشهيد، ثم جاء دور الدعوة والخروج وتحقق بزيد الثائر ومن سار على دربه...

وقد قام المؤلف بتعريف الكتب والمصادر وقال:

وأهم كتبهم: كتب الهادى والقاسم.

منها: كتاب الأحكام، والمنتخب والمجموعة الفاخرة التى تجمع عدّة رسائل للهادى، ومن محاسن الكتب وأنفعها كتب القاسم بن إبراهيم وهى كتب صغار بعضها فى مجموع القاسم.

ومن مراجع الزيدية (فى الفقه) شرح التجريد للإمام المؤيد باللّه أحمد بن الحسين الهارونى المدفون بلنجا (۲) ومن مراجعهم فى علم الكلام، حقائق_____

(۱) الزيدية فى اليمن، قسم المقدمة ۳ ـ ۵.

(۲) المعروف اليوم بلنگرود وقبره موجود هناك.

(۵۲۱)

المعرفة للإمام أحمد بن سليمان وهو من أئمة الزيدية.

ومنها: كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد وهو من أئمة الزيدية. وقد طبع الكتاب.

ومن مراجع الزيدية فى الأخير فى الفقه شرح الأزهار وحواشيه.

ومن مراجع الزيدية فى الحديث ما تضمنه شرح التجريد (للهارونى) .

وكتاب أمالى أحمد بن عيسى ومجموع زيد بن على، وأمالى أبى طالب المسمى بـ«تيسير المطالب» ، وأمالى المرشد باللّه وكتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد.

ومن مراجعهم فى التاريخ: «بلوغ الأمانى» للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، ومن كتبهم فى أسانيد الكتب بلوغ الأمانى فى إسناد كتب من آل من أُنزلت عليه المثانى.

ومن كتبهم فى الردّ على المخالفين: الشافى للإمام المنصور باللّه عبد اللّه بن حمزة وهو كتاب عظيم مطبوع، وفرائد اللئالى فى الردّ على المقبلى للمنصور باللّه محمد بن عبد اللّه الوزير وهو مجلد ضخم.

ومن مراجع الزيدية فى أُصول الفقه: كتاب بداية العقول شرح غاية السوَال تأليف الحسين بن الإمام القاسم بن محمد وهو مطبوع، وشرح الكافل.

ومن مراجع الزيدية فى التفسير: كتاب المصابيح، تفسير الشرقى وهو كبير غير مطبوع، ولهم مؤلفات فى التفسير يتعسر تحصيلها فيميل الطلاب لقراءة الكشاف.

ثم أشار السيد بدر الدين ببعض الفروع التى اتفقت فيها الزيدية مع الإمامية وقال:

ومن مذاهبيهم فى الفقه أنّ مسح الخفين لا يجزى فى الوضوء، ومسح

(۵۲۲)

الخمار لا يجزى فى الوضوء، وأنّ مس الذكر لا ينقض الوضوء، ومن مذاهبهم الأذان بحىّ على خير العمل ولا يقولون: الصلاة خير من النوم ولا ـ يجعلون الكف على الكف فى الصدر فى الصلاة، ولا ـ يؤمّنون بعد الفاتحة، وتثنية الأذان إلّا التهليل فى آخره وكذا الإقامة. ومن مذاهبهم الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم فى الصلاة فى الفاتحة وفى السورة وأنّ الصلاة جماعة لا تصح بإمامة الفاسق، ومن فى حكمه، وأن لا ـ يعتدّوا بجمعة الظلمة، وأنّ التكبير على الجنازة خمس، وأنّه لا يصلّى على الميت الفاسق، والمذهب السائد عندهم فى الزكاة أنّه لا يجوز تسليمها إلى الظلمة إلّا كرها.

ومن مذاهب الزيدية استحباب صيام يوم الشك بنية مشروطة، ومن مذاهبه أنّها لا تجب طاعة الظلمة ولا تجوز معاونتهم ولا موالاتهم، ويجب عندهم اتّباع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ عملاً بحديث الثقلين: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى إنّ اللطيف الخبير نبّأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

ومن مذاهبهم فى الصحابة أن فيهم الصالحين ومنهم من غيّر وبدّل، وفيهم منافقون فيجرح من ظهر فيه الجارح، ولا ينزلّون منزلة المعصومين ولا يتبعون فيهم طريقة العامّة الّذين يقدسونهم على الإطلاق، والمذهب السائد فى الزيدية هو اجتناب كتب العامّة أو عدم اعتمادها فى الغالب اتّهاماً لكثير من رواتهم من الفئة الباغية والخوارج والدعاة إلى بدعتهم ولكنهم يأخذون منها ما يوافق الحقّ تأكيداً واحتجاجاً على المخالف، ومنهم من يرى قبول رواية كافر التأويل وفاسق التأويل ولكن لا يعتمد على ما فى تلك الكتب على حد اعتماد كتب أهل الحقّ(۱_____)

(۱) الزيدية فى اليمن: ۱۴ ـ ۱۵.

(۵۲۳)

هذا هو كلام السيد بدر الدين وهو بكلامه هذا يتفتح على الإمامية وكان لفيف من الزيدية عبر التاريخ على هذا الطريق، رحم اللّه الماضين من علمائنا وحفظ اللّه الباقين منهم.

"فَبَشِّرْ عِبادى * الّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ أُولئِكَ الّذِينَ هَداهُمُ اللّه وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الاَلباب ("الزمر: ۱۷ـ ۱۸) . (۵۲۴)

الثامن: فى طبقات رجال المذهب الزيدى :

وكما كان لكل مذهب، أعلام، فللمذهب الزيدى أيضاً أعلام منقسمة إلى الطبقات التالية:

۱ ـ طبقة الموَسّسين.

۲ ـ طبقة المخرجين.

۳ ـ طبقة المحصلين.

۴ ـ طبقة المذاكرين.

وقد اقتبسنا هذا التقسيم مما ذكره الكاتب المعاصر الزيدى على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين فى كتابه: «الزيدية نظرية وتطبيق» فقد قسّم أعلام المذهب الزيدى إلى الطبقات التالية:

طبقة الموَسسين: وتساوى هذه الطبقة إمام المذهب فى نظر المذاهب الاُخرى، ومن هذه الطبقة:

۱ ـ الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ مات شهيداً سنة ۱۲۲هـ

۲ ـ الإمام القاسم بن إبراهيم مات سنة ۲۴۲هـ

۳ ـ حفيده الإمام الهادى إلى الحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وهو الموَسس للمذهب فى اليمن مات سنة ۲۹۸هـ

۴ ـ الإمام الناصر الاَطروش الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الاَشرف بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم وهو الموَسس للمذهب الزيدى فى خراسان مات سنة ۳۰۴هـ

(۵۲۵)

الطبقة الثانية: طبقة المخرجين للمذهب: وهم الذين استخرجوا من كلام الاَئمة أو احتجاجاتهم بواسطة القياس أو المفهوم، أحكاماً لا تتعارض مع الكتاب والسنّة لا جملة ولا تفصيلاً، ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلاّمة محمد بن منصور المرادى مات سنة ۲۰۰هـ ونيف وتسعين.

۲ ـ العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم مات سنة ۳۵۳هـ

۳ ـ العلامة الإمام الموَيد باللّه أحمد بن الحسين بن هارون الحسنى مات سنة ۴۱۶هـ

۴ ـ العلامة الإمام أبو طالب یحیی بن الحسین بن هارون الحسنی مات سنة ۴۲۴هـ.

۵ ـ العلامة علی بن بلال الآملی مولی الإمامین المؤید باللّه وأبی طالب.

۶ ـ العلامة أحمد بن محمد الأزرقی الهدوی.

والطبقة الثالثة: طبقة المحصلین: وهم الذین اهتموا بتحصیل أقوال الأئمة وما استخرج منها ونقلوها إلی تلامذتهم بطریق الروایة أو المناولة لمؤلفاتهم، ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلامة القاضی زید بن محمد الکلاوی الجیلی الملقب بحافظ أقوال العترة وهو من أتباع المؤید باللّه.

۲ ـ العلامة السید علی بن العباس بن إبراهیم راوی إجماعات أهل البیت، مات سنة ۳۴۰هـ تقریباً.

۳ ـ العلامة القاضی الحسن بن محمد بن أبی طاهر الرصاص، مات سنة ۵۸۴ هـ.

۴ ـ العلامة الإمام الحسین بن بدر الدین، مات سنة ۶۶۲هـ.

(۵۲۶)

۵ ـ العلامة زید بن علی بن الحسن بن علی البیهقی، مات فی تهامة فی عهد الإمام أحمد بن سلیمان وهو فی طریقه إلی مکّة المکرمة.

۶ ـ العلامة القاضی جعفر بن أحمد بن عبد السلام البهلولی، مات سنة ۵۷۳هـ.

۷ ـ العلامة الإمام عبد اللّه بن حمزة، مات سنة ۶۱۴هـ.

والطبقة الرابعة، طبقة المذاکرین: وهم الذین راجعوا أقوال من تقدّمهم وبلغتهم بالروایة وفحصوها سنداً ومتنا وعرضوها علی أُصول المذهب وقواعده المستمدة من صرائح الکتاب والسنّة ثم أقرّوا ما توافق معها واعتبروه هو المذهب، وما لم یوافقها لم یعتبروه مذهباً للفرقة الزیدیة، وکان فی نظرهم رأیاً خاصاً بصاحبه غیر معاب علیه لاعتبار أنّ کل مجتهد فی الفروع مصیب (۱) ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلامة القاضی محمد بن سلیمان بن أبی الرجال الصعدی، مات سنة ۷۳۰هـ.

۲ ـ العلامة القاضی عبد اللّه بن زید العنسی، مات سنة ۶۶۷هـ.

۳ ـ العلامة القاضی یحیی بن حسن البحیبح، وقد عاصر الإمام یحیی بن حمزة.

۴ ـ العلامة الإمام یحیی بن حمزة، مات سنة ۷۴۹هـ.

۵ ـ العلامة الإمام عز الدین بن الحسن المؤیدی، مات سنة ۹۰۰هـ.

۶ ـ العلامة القاضی محمد بن یحیی حنش، مات سنة ۷۱۷هـ.

۷ ـ العلامه القاضی یوسف بن أحمد بن عثمان الثلائی، مات سنة ۸۳۲هـ_____ـ

(۱) لعله یرید: انّه مأجور وإلّا فالحق واحد فکیف یکون الکل مصیباً.

(۵۲۷)

۸ ـ العلامة الإمام أحمد بن یحیی بن المرتضی، مات شهیداً بالطاعون سنة ۸۴۰هـ.

ومعظم رجال طبقات المذهب الزیدی من العلماء المجتهدین. ولذلک فلا یصدق علیهم القول بأنّهم فی مستوی طبقة مجتهدی المذهب لأنّ هذه الطبقة لاتظهر دائماً إلّا بین رجال المذاهب التی لا توجب الاجتهاد علی المتمکن منه ولیس کذلک المذهب الزیدی. وبالتجوز یمکن أن یوجد فی طبقات المذهب من هو فی درجة المجتهد المنتسب. أمّا الأکثر فهم فی درجة المجتهد المطلق. وقد ظهر من هؤلاء بعد طبقة المذاکرین الکثیر ومنهم: الإمام یحیی شرف الدین مات سنة ۹۶۵ هـ والإمام القاسم بن محمد مات سنة ۱۰۲۹ هـ والإمام محمد بن إسماعیل الأمیر مات سنة ۱۱۸۲هـ والإمام عبد القادر بن أحمد عبد القادر بن الناصر شرف الدین مات سنة ۱۲۰۷ هـ وغیرهم.

وكانت كل المؤلفات الزيدية لاتقتصر على ذكر القول المختار لديها، وإنّما تجمع كل الأقوال المشهورة للأئمة والعلماء: أى أنّها مؤلفات أُممية وموسوعات لما تؤلف فيه. لذلك فالقول المختار للمذهب إنّما كان يؤخذ من أفواه المشائخ ويتناقل بالرواية، حتى جاء القاضى حسن بن أحمد الشبيبى رحمه اللّه مات سنة ۱۱۶۹هـ فوضع كلمة (مذهب) فى كتابه شرح الأزهار على القول المختار للمذهب تمييزاً له عن سائر أقوال الأئمة والعلماء الزاخر بها كتاب شرح الأزهار المعروف واستحسن هذه العلامة سائر العلماء فى عصره. ولمكانته فى العلم والتقوى تلقّفها عنه الطلاب، وصارت نسخته من أهم المراجع فى ذلك عند الطلاب. كما ذكره المؤلف المؤرخ السيد محمد زباره رحمه اللّه فى ملحق البدر الطالع ص ۶۸ (۱_____)

(۱) على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية و تطبيق: ۱۶ ـ ۱۸.

(۵۲۸)

بلغ الكلام إلى هنا عشية يوم العشرين من ربيع الأوّل من شهور عام ۱۳۱۶هجرية.

بقى الكلام حول الفرق الباقية من الشيعة وأهمها: الإسماعيلية وبعدها الفطحية والواقفية والنصيرية وسنقوم ـ بإذن اللّه ـ بدراسة مذاهبهم فى الجزء الثامن وبه تتم أجزاء هذه الموسوعة المباركة إن شاء اللّه.

تم هذا الجزء بيد مؤلّفه جعفر السبحانى ابن الفقيه الشيخ محمد حسين السبحانى التبريزى. وأرجو من اللّه سبحانه أن يجعله خير وسيلة للصلة بين الطائفتين المتمسكتين بالثقلين كتاب اللّه وأهل البيت آمين رب العالمين.

* * *

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ–

فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹